من ملفات الاستخبارات الإسرائيلية

أخطاء الجواسيس

أبوبكر خلاف

زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

أبوبكر خلاف

أخطاء الجواسيس

زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

أبوبكر خلاف

صحفي ومترجم متخصص بالشأن الإسرائيلي. ولد في ٦ من أكتوبر ١٩٧٧ بمصر. تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة. قسم اللغات الشرقية وآدابها. بفرع اللغة العبرية في عام ١٩٩٩. ومنذ تخرجه وهو يعمل بمجال الصحافة والترجمة بالعلاقات الدولية والشؤون الإسرائيلية. وهو صاحب خبرة طويلة بالصحافة التلفزيونية. وخاصة الوثائقية. ساهم في تأسيس أول جمعية للمترجمين واللغويين المصريين ويرأس حاليا شبكة محرري الشرق الأوسط وشمال أفريقيا MENA Editors Network

أخطاء الجواسيس

يُعد هذا الكتاب خلاصة مئات المقابلات التي أجراها الكاتب والمؤرخ في شؤون الأمن يوسي ميلمان مع رجال الاستخبارات. داخل إسرائيل وخارجها بعضهم لايزال في الخدمة وأغلبهم تقاعدوا. وهدفنا من تحقيقه ونشره هو تزويد القارئ العربي بالرواية الإسرائيلية لتفاصيل عمليات استخباراتية كبرى بشكل موضوعي ومتوازن.

يروي الكتاب نشأة وتطور أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية ويتناول تفاصيل عمليات استخبارتية دقيقة ساهمت في تحولات داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية. ويكشف أسرار وكواليس لأول مرة حول قصص لمشاهير الجواسيس مثل ايلي كوهين. رفعت الجمال. أشرف مروان. وكيف تم احباط المشروع النووي العراقي ومحاولة الموساد اغتيال صدام حسين. وغيرها من الأحداث المثيرة.

زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

أخطاء الجواسيس

أخـــطـــاء الجواسيس

أبو بكر خلاف

الطبعة الأولى
٢٠٢٣ م - ١٤٤٤ هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ZAD
زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

www.zadpost.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

إلى أبطال حرب أكتوبر المجيدة وشهداءها الأبرار

في ذكـرى نصـف قـرن مـضى عـلى هـذه الملحمـة البطوليـة للجيـش المـصري،

تحية تقدير واعتزاز لتضحيات جنودنا البواسل من أبناء الشعب، إلى أرض سيناء التي ارتوت بدماء الأبطال فعادت حرة عزيزة إلى حضن الوطن.

مع تقديري ومحبتي

أبو بكر خلاف

٦ من أكتوبر ٢٠٢٣

افتتاحية

في أروقة الموساد يحكون اسطورة رئيسه الأول رؤوفين شيلواح[1] الذي أوقف ذات يوم سيارة أجرة «تاكسي» بالقرب من مكتبه، فسأله السائق إلى أين؟ فأجابه شيلواح بصرامة: هذا ليس من شأنك، كان شيلواح رجلا كتوما، يحفظ السر جيدا، وكان يعتقد أن رجال الاستخبارات يجب أن يحافظوا على الأسرار.

في السنوات الأولى من دولة الكيان لم يعرف الناس بوجود جهاز استخبارت يسمى «الموساد» وكانت الرقابة تمنع مجرد ذكر الاسم صريحا.

فارق كبير بين حاضر هذه المؤسسة وماضيها، منذ حادثة شيلواح وموقفه مع سائق سيارة الأجرة، وحتى وصول يوسي كوهين رئيس الموساد لمكتبه الأنيق، في الطابق الثالث من مقرالموساد الواقع في جفعات هتسوفي والمطل على تقاطع جليلوت.

---

(١) رؤوفين شيلواح (١٩٠٩ – ١٩٥٩): هو خبير في شؤون الشرق الأوسط، وأول رئيس لجهاز الموساد الإسرائيلي، وُلد بالقدس عام 1909، وأتقن اللغة العربية، عينه ديفيد بن غوريون رئيسًا لجهاز الموساد عام 1949، واستقال من منصبه عام 1952، وشغل بعد ذلك منصب مستشار لسفارة إسرائيل في واشنطن ومساعدًا لوزير الخارجية الإسرائيلي. (ويكيبيديا)

شخصية كوهين «رئيس الموساد الثاني عشر»، هي على النقيض تمامًا من شخصية شيلواح. كوهين منفتح واجتماعي. يحب الاختلاط بالناس، مهتم جداً بمظهره وأناقته، لا يتردد في الظهور في الأمسيات الشعرية والعروض الغنائية مثل باقي المواطنين. حتى مغامراته العاطفية وحياته الشخصية أصبحت حديث وسائل الإعلام المحلية والعالمية، ربما لو عاش شيلواح هذه الأيام لأصيب بجلطة ومات كمداً.

والسؤال الآن لماذا نهتم بترجمة هذه القصص وسرد هذه التفاصيل والمعلومات، وماحاجتنا إليها؟ والإجابة على سؤال الجدوى بسيطة إنها «الأهمية»، فلم يعد فهم المجتمع الإسرائيلي ومؤسساته، نوعا من الرفاهية العلمية لأمتنا بل أصبح ضرورة كبيرة لبناء الوعي، من أجل فهم أعمق للخصم في الحرب والسلام ومعرفة أنماط تفكيره، وأهم الحوادث السياسية والأمنية التي أثرت في مسيرته، خلال فترة تزيد عن سبعة عقود.

مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي وهو محل دراستنا في هذا الكتاب شهد العديد من مراحل التطوير والنمو، من حيث الكم والكيف، فعلى مستوى الهيكلة كان يتألف في بداياته من خمس منظمات. أما الآن فهي ثلاثة فقط: هيئة

الاستخبارات (أمان) والموساد والشاباك. كما خضعت مؤسساته الرقابية للتغيير في طريقة التفكير، فالكثير من القضايا التي كان يُحظر نشرها في الماضي، يُسمح بنشرها الآن. ولكن ورغم ذلك، لا تزال كفة الميزان تميل إلى المنع والحظر بدواعي الأمن والصالح العام .

اعتمدنا في هذا الكتاب على الرواية الإسرائيلية للأحداث، وخاصة ما أورده الكاتب والخبير في الشأن العسكري يوسي ميلمان، في مؤلفه «جواسيس ليسوا مثاليين»، في طبعته العبرية الصادرة بتل أبيب عام ٢٠٢٠ ، حيث جمع بكتابه خلاصة لقاءاته بعشرات الشخصيات الأمنية والعسكرية التي كانت قريبة من الأحداث أو شاهدة عليها.

تناول الكتاب تفاصيل العمليات الاستخباراتية الكبرى وركز بالأساس على الأخطاء والاخفاقات، كما شرح أسباب الهزائم وتطرق إلى الانتصارات، وإن كان بعض الروايات تتناقض مع نظيرتها العربية، فإن هذا لايعني أننا نروج في كتابنا للدعايا الصهيونية، بل هو حرص منا على وضع الرواية الإسرائيلية بين يدي الباحث العربي، ليبدأ من حيث انتهينا، والهدف هو معرفة الحقيقة، والمعرفة حق للجميع.

ولا يفوتنا أن نؤكد أن فهم «اسرائيل» ليس محدوداً بالتعرف على سياستها الأمنية والاستخباراتية فقط، بل يشمل الوعي المتكامل بجوانب الحياة كافة، وهو مانسعى إليه عبر التنوع في الإصدارات، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. والله الموفق والمستعان.

أبوبكر خلاف

ايرفورت - ألمانيا

١٥ من أغسطس ٢٠٢٣

استخبارات بلا دولة

كانوا مجموعة من الرجال يرتدون ملابس ذات لون كاكي، وقد أتى كل منهم على حدة، كلهم يدرك هدفه. الشقة رقم ٨٥ في شارع بن يهودا في تل أبيب.

بناءٌ مكون من أربعة طوابق. لم يكن مظهره مختلفًا عن المباني الأخرى في المنطقة. كان ذلك في السابع من يونيو/حزيران عام ١٩٤٨.

أسفله يقع متجر لبيع الزهور. وعلى باب الشقة عُلّقت لافتة عشوائية: «خدمات استشارية». كان ذلك المنزل هو مقر وحدة «شاي»، المختصرة حروفها من اللغة العبرية لعبارة خدمة معلومات «شيروت يديعوت»، وهي وحدة استخبارات في «الهاغانا»، واسمها الرمزي «تيني».

عندما تم الإعلان عن قيام دولة الكيان الصهيوني في ١٥ مايو/أيار، أصبحت «الهاغانا»، والتي تُعد أكبر منظمة سرية للاستيطان اليهودي في فلسطين، الأساس الذي أنشئ منه الجيش الإسرائيلي. ثم بعد أسابيع قليلة من ذلك، تم عقد اجتماع سري لاتخاذ قرار بشأن حل وحدة «شاي». وفي ذات

الجلسة، تم تأسيس مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، وتقسيم الأدوار والقطاعات الخاصة به. هكذا تم تفكيك هيكل، وإقامة هيكل آخر على أنقاضه.

قبل ساعات قليلة من ذلك، استدعى رئيس الحكومة ووزير الحرب دافيد بن غوريون[١] إلى مكتبه في مستعمرة فرسان الهيكل «سارونا» شخصين اثنين: صديقه المقرب ومستشاره للمهمات الخاصة رؤوفين شيلواح[٢]، الذي شغل منصبًا رسميًّا في الدائرة السياسية للوكالة، وإيسر بئيري «بيرنزفايج[٣]»، المدير بالنيابة لوحدة «شاي». وقد لخص بن غوريون نتائج الاجتماع في مذكراته: «**يجب إنشاء جهاز معلومات عسكري من قبل القيادة «هيئة الأركان العامة» برئاسة إيسر بئيري، وفيفيان «حاييم هيرتزوج[٤]». وستكون وحدة شاي العسكرية مسؤولة**

---

(١) دافيد بن غوريون **דוד בן-גוריון** (١٨٨٦ - ١٩٧٣م): كان أول رئيس وزراء لإسرائيل.

(٢) رؤوفين شيلواح **ראובן שילוח** (١٩٠٩- ١٩٥٩م): هو خبير في شؤون الشرق الأوسط، وأول رئيس لجهاز الموساد الإسرائيلي، وُلد بالقدس عام ١٩٠٩م، وأتقن اللغة العربية، عينه بن غوريون رئيسًا لجهاز الموساد عام ١٩٤٩م، واستقال من منصبه عام ١٩٥٢م، وشغل بعد ذلك منصب مستشار لسفارة إسرائيل في واشنطن ومساعدًا لوزير الخارجية الإسرائيلي.

(٣) إيسر بئيري **איסר בארי** (**בירנצווייג**) (١٩٠١ - ١٩٥٨م): كان مدير المخابرات «الهاغانا» في إسرائيل وكان مسؤولا عن المساعدة على إعادة تنظيم أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في عام ١٩٤٨م، وكذلك أمر بإعدام مئير توبيانسكي، الذي قد أدين بتهمة الخيانة ولكن اتضح فيما بعد أنه كان بريئا. وكان المدير المؤسس لدائرة المخابرات الإسرائيلية (بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٤٩م)، والتي تحولت فيما بعد إلى مديرية الاستخبارات العسكرية.

(٤) حاييم هيرتزوج **חיים הרצוג** (١٩١٨ - ١٩٩٧م): سياسي وعسكري ومحامي وكاتب إسرائيلي، وهو الرئيس السادس لإسرائيل. ومن بين المناصب التي شغلها أيضًا: سفير إسرائيل في الأمم المتحدة، ولواء في الجيش الإسرائيلي، وعضو كنيست.

عـن الأمـن والرقابـة ومكافحـة التجسـس. جهـاز معلومـات داخليـة تحـت إشراف إيسر هاريـل[١] يوسـف يزرائيـلي[٢]. جهـاز معلومـات سـياسي خارجـي يترأسـه رؤوفـين شـيلواح، وسـيكون تابعًـا لـوزارة الدفـاع حتـى نهايـة الحـرب، ثـم بعـد ذلـك ربمـا يتبـع لـوزارة الخارجيـة».

بعـد لقائـه مـع بـن غوريـون، شـق إيسر بئـيري طريقـه إلى مكتبـه في شـارع بـن يهـودا. لقـد كان ذا حواجـب كثيفـة وأصلعـا في مرحلـة متقدمـة. والأهـم مـن ذلـك كلـه، كانـت السـمة المميـزة لـه هـي طولـه الفـارع، الأمـر الـذي منحـه لقـب «إيـسر الكبـير». وبنـاء عـلى التعليـمات التـي تلقاهـا مـن بـن غوريـون، أعلـن بئـيري حـلّ وحـدة «شـاي» رسـميًّا، مـع الاسـتفادة مـن أفرادهـا ومواردهـا، كبنيـة تحتيـة لإنشـاء مجتمـع اسـتخباراتي جديـد، يتكـون مـن أربـع هيئـات رئيسـة:

١- اسـتخبارات عسـكرية: أعلـن بئـيري أنـه سـيترأس بنفسـه قسـم الاسـتخبارات الـذي سـيعمل في إطـار الجيـش الإسرائيـلي. وسـيطلق عـلى وحداتـه اسـم «أجهـزة اسـتخبارات»، وسـيُعطى

(١) إيـسر هاريـل (هالبريـن) **איסר הראל (הלפרין)** (١٩١١ - ٢٠٠٣م): (إيـسر الصغـير) كان رجـل اسـتخبارات وكاتـب إسرائيـلي، أحـد مؤسـسي مجتمـع الاسـتخبارات الإسرائيـلي، وهـو أول رئيـس لجهـاز الأمـن الداخـلي الإسرائيـلي «شـين بيـت»، والرئيـس الثـاني للموسـاد.

(٢) يوسـف يزرائيـلي **יוסף יזרעאלי** (١٩٠٦ - ١٩٧٣م): كان أول أمـين عـام لـوزارة الدفـاع الإسرائيليـة عنـد إنشـائها عـام ١٩٤٨م.

كل منها رقمًا من اثنين حتى ثمانية. ثم في وقت لاحق من عام ١٩٥٣، تم تغيير الاسم إلى هيئة الاستخبارات «أمان». وقد تم الاتفاق خلال الاجتماع على أن تقوم الاستخبارات العسكرية بجمع المعلومات والرقابة على الصحافة والاهتمام بأمن الجيش، كما سيتم تكليفها بمكافحة التجسس «كشف الجواسيس».

٢- جهاز أمن داخلي: قام بئيري بإبلاغ إيسر هاريل، الذي كان خلال عمله في وحدة «شاي» متخصصًا في مراقبة وتعقّب خصوم «الهاغانا»، لا سيما منظمتي إتسل (الإرجون) وليحي (شتيرن)، أنه سيترأس الوكالة الجديدة. لكن في الواقع، لم يصدر توجيه واضح ومنظم لإنشاء جهاز الأمن حتى اقتراب نهاية حرب فلسطين ٤٨، ففي يوم ٨ فبراير/شباط عام ١٩٤٩ أصدر بن غوريون أمرًا بصياغة وثيقة محفوظة لهيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي لإنشاء جهاز الأمن «شين بيت»، والذي تم تغيير اسمه في يوليو/تموز من عام ١٩٥٠ إلى جهاز الأمن العام «الشاباك»، ليكون مسؤولا عن التعامل مع جميع القضايا الأمنية في الدولة. حيث تم إنشاؤه كوحدة عسكرية، تحمل الرقم ١٨٤. ثم في ذات العام انفصل التنظيم عن الجيش الإسرائيلي وخلع أعضاؤه لباسهم العسكري، لكنه ظل تابعًا لوزير الدفاع. ثم في عام ١٩٦٣، وبناء على توصية من لجنة

مكونة من سكرتير الحكومة زئيف شيرف[١] ورئيس الأركان السابق يغائيل يادين[٢]، تقرر فصل الشاباك عن وزارة الدفاع وإخضاعه مباشرة لرئيس الوزراء.

كانت الوظيفة مناسبة جدا لهاريل. حيث كان شديد الشك، وكان يخشى من الأعداء المحليين الذين يرى فيهم خطرا كبيرا على وجود إسرائيل. كان لهاريل أذنان كبيرتان ووجه مستدير، كما كان قاسيا وقصير القامة، ولذلك أطلق عليه لقب «إيسر الصغير»، لتمييزه عن «إيسر الكبير».

٣- الموساد «لعليا بيت» أو منظمة الهجرة «ب ”: في ذلك الاجتماع في شارع بن يهودا، أعلن بئيري أن «منظمة الهجرة (ب)» التي أسستها «الهاغانا» في عام ١٩٣٧، ستواصل عملها السري. وكان اسمها يدل على هدفها: تنظيم الهجرة السرية، وغير الشرعية، التي تم حظرها من قبل البريطانيين. وعلى الرغم من أنه مع انتهاء الانتداب وإعلان الاستقلال تلاشت الحاجة إلى تهريب اليهود إلى إسرائيل، غير أن بن غوريون قرر مواصلة تشغيل هذه الهيئة. وقد ترأس هذه المنظمة شاؤول أفيغور[٣].

---

(١) زئيف شيرف **זאב שרף** (١٩٠٦ – ١٩٨٤م): سياسي إسرائيلي، كان وزيرا وعضو كنيست وأحد رؤساء حركة العمل، كما كان أول سكرتير للحكومة.

(٢) يغائيل يادين **יגאל ידין** (١٩١٧ – ١٩٨٤م): كان نائب رئيس الوزراء، وبروفيسور في علم الآثار، ورئيس الأركان الثاني للجيش الإسرائيلي.

(٣) شاؤول أفيغور **שאול אביגור** (**מאירוב**) (١٨٩٩ – ١٩٧٨م): وهو من أوائل أعضاء «أحدوت هعفودا». اشترك عام ١٩٢٠م في معركة تل حاي بالقرب من الحدود الشمالية. ويعتبر أحد مؤسسي «الهاغانا»، وأحد واضعي خططها وتطويعها لرجال السياسة فيها. كان

الـذي ولـد في لاتفيـا عـام ١٨٩٩، باسـم شـاؤول مئـيروف، ثـم هاجـر إلى إسرائيـل وأصبـح أحـد كبـار مسـؤولي «الهاغانـا» الذيـن أسسـوا وحـدة «شـاي». وعندمـا مـات ابنـه جـور في حـرب فلسـطين ٤٨ قـام بتغيـير اسـم عائلتـه تخليـدا لابنـه.

٤- جهـاز اسـتخبارات خارجـي: تـم نقـل الدائـرة السياسـية في الوكالـة اليهوديـة - التـي كانـت في الواقـع تمثـل حكومـة الاسـتيطان إبـان الانتـداب البريطـاني - إلى وزارة الخارجيـة. وكان عملهـا الرئيـس هـو جمـع المعلومـات مـن خـارج حـدود البـلاد. وعـلى الرغـم مـن أن بـن غوريـون أورد في مذكراتـه أنـه عـين شـيلواح لرئاسـة جهـاز الاسـتخبارات الخارجيـة، غـير أن بئـيري أعلـن أن بوريـس جوريـيل[1] هـو الـذي سـوف يترأسـه. كان لـدى جوريـيل خـبرة واسـعة في التعامـل مـع الغربـاء. حيـث أنـه كان جنديًّـا في الجيـش البريطـاني خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة، وتـم أسره مـن قبـل الألمـان، قبـل أن يتـم إطـلاق سراحـه مـن الأسر

لـه دور بـارز ضمـن نشـاط «الهاغانـا» في شراء الأسـلحة وفي الاسـتخبارات. عـين عـام ١٩٣٩م رئيسًـا ل «منظمـة الهجـرة (ب)» (الموسـاد لعليـا بـت)، ونظـم مـن خـلال هـذه المؤسسـة عمليـات تهريـب يهـود مـن مناطـق في شرق أوروبـا خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة. وخـلال حـرب ١٩٤٨م اسـتمر في دور شـاري الأسـلحة، ثـم عـين نائبًـا لوزيـر الدفـاع الإسرائيـلي عـام ١٩٥٥م إثـر اسـتقالة بنحـاس لافـون. ورفـض قبـول منصـب وزيـر الدفـاع. وظهـر دوره المؤثـر والفعـال ضمـن صفـوف حـزب «مبـاي» والهسـتدروت.

(١) بوريـس جوريـيل בוריס גוריאל (١٩٠٣ - ١٩٨٣م): كان رئيـس الدائـرة السياسـية في «شـاي»، جهـاز الاسـتخبارات في منظمـة «الهاغانـا»، والتـي أقيمـت عـلى أساسـها أجهـزة الأمـن والاسـتخبارات الإسرائيليـة. وبعـد قيـام الدولـة، تسـلم رئاسـة الدائـرة السياسـية في وزارة الخارجيـة، والتـي سـبقت الموسـاد كمنظمـة الاسـتخبارات الخارجيـة لإسرائيـل.

بانتهـاء الحـرب.

كان يتبـع لسـلطة الهيئـة الجديـدة فـرع عمليـاتي صغـير مـن وحـدة «شـاي»، يعمـل خـارج البـلاد. وفي يونيو/حزيـران عـام ١٩٤٨، تـم إرسـال آشر بـن ناتـان[1] إلى باريـس لقيـادة هـذا القسـم العمليـاتي، الـذي بـدأ يتشـكل، وقـد أطلـق عليـه اسـم «داعـت». كان بـن ناتـان، المولـود في فيينـا عـام ١٩٢١، قـد هاجـر إلى إسرائيـل في عـام ١٩٣٨، ونشـط بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة في منظمـة الهجـرة «ب"، وشراء الأسـلحة للمسـتوطنات.

عـلى الرغـم مـن المبـادئ التوجيهيـة، ظـل هنـاك قـدر كبـير من الغمـوض حـول تقسـيم الصلاحيـات بـين مختلـف الهيئـات. وقـد عـارض بـن غوريـون مـن حيـث المبـدأ الإعـلان عـن وجـود أجهـزة الاسـتخبارات والأمـن نفسـها عـلى المـلأ، فقـام بمنـع القانـون مـن ترسـيخ أهدافهـم وأدوارهـم ومهامهـم وصلاحياتهـم وميزانياتهـم والعلاقـات المتبادلـة فيـما بينهـم. لم تكـن الحـدود بـين الهيئـات المختلفـة واضحـة دائمًـا، وفي بعـض الأحيـان كانـت إحداهـن تخـترق مجـالات نشـاط الأخـرى.

لا عجـب أنـه في ظـل هـذه الخلفيـة حدثـت سلسـلة مـن الإخفاقـات المحرجـة في إسرائيـل وخارجهـا، والتي يعـزى بعضهـا إلى الخلـل الوظيفـي والافتقـار إلى القيـادة والكاريزمـا وأوجـه القصـور

(١) آشر (آرثـر) بـن ناتـان **אשר** (**ארתור**) **בן-נתן** (١٩٢١ - ٢٠١٤م): كان رجـل اسـتخبارات وأمـن ودبلومـاسي إسرائيـلي، وكان أول سـفير لإسرائيـل في ألمانيـا الغربيـة.

الإداريـة لـدى رؤوفـين شـيلواح، الـذي يعتـبر «سـيد الاسـتخبارات» أو «أبـو الاسـتخبارات الإسرائيليـة».

تجارب مبتدئين

لم تكن شخصية رؤوفين شيلواح عادية، فإلى جانب قصر قامته، وارتدائه لنظارته الطبية، فقد كان شخصية صامتة يكتنفها الغموض. عرف بفضوله الشديد، إذ كان يهتم بأدق التفاصيل. هناك على خده الأيمن ندبة، يحملها كذكرى لشظية أصابته في انفجار سيارة مفخخة بالقرب من مكتب الوكالة اليهودية في القدس في مارس عام ١٩٤٨. كان ذئبًا وحيدًا، يقبع في الظل، ويفضّل العمل من وراء الكواليس.

صنع شيلواح لنفسه مذ كان صغيرا هالة من السرية. تفاصيله الشخصية الأساسية، وتلك المسجلة في الملفات الرسمية ليست موحدة. بل إن حجاي إيشد[1] الذي دون سيرة شيلواح الذاتية («موساد لرجل واحد» عيدانيم، ١٩٨٨)، ذكر أن شيلواح قد اعتاد أن يعطي تفاصيل مختلفة ومتناقضة عن نفسه، حتى ولو كانت هامشية.

ولد شيلواح في القدس في ديسمبر من عام ١٩٠٩، تحت اسم رؤوفين زيلانسكي. كان والده حاخامًا. لكنه في المدرسة انفصل عن أسلوب حياته الدينية، ثم إنه بعد تخرجه من

---

(١) حجاي إيشد **חגי אשד** (١٩٢٨ – ١٩٨٨م): كان صحفيا وكاتبا إسرائيليا.

بيت مدراش عام ١٩٢٨، تابع دراسته في الجامعة العبرية قسم الدراسات الشرقية العربية. غير أنه في الوقت نفسه، رسم لنفسه مسارًا جديدًا عبر انضمامه للهاغانا، واختصر اسم العائلة من زيلانسكي إلى زيلاني، ثم مع قيام الكيان الصهيوني تبنى اسمه الرمزي «شيلواح».

تم تكليفه بالمهمة الاستخباراتية الأولى عام ١٩٣١، حيث أرسلته الوكالة اليهودية ليعمل كمعلم في مدرسة يهودية ببغداد، وهي مهمة استمرت بشكل متقطع حتى عام ١٩٣٤. وخلال تلك الفترة التي قضاها في العراق، عمل كمبعوث لصالح «بالستاين بوليتين»، الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر في فلسطين في ذلك الوقت باللغة الإنجليزية، وبعد قيام الكيان الصهيوني غيرت اسمها إلى «جيروزاليم بوست». وقد وفر له عمله الصحفي تمويهًا ممتازًا اكتسب من خلاله شبكة واسعة من الأصدقاء، وخاصة العرب منهم، والذين تم الاستفادة منهم فيما بعد كمصادر قيّمة للمعلومات. كما أتاح له الغطاء الصحفي حرية التنقل في أرجاء البلاد والوصول إلى منطقة كردستان شمال العراق، حيث أقام علاقات ممتازة مع زعماء المجتمع الكردي، الذين كانوا في ذلك الوقت يحلمون بالفعل بدولة خاصة بهم، ويخططون للانفصال عن جيرانهم العرب.

حتى عند عودته إلى القدس، لم ينس شيلواح أصدقاءه

الأكـراد، إذ شـكلت اتصالاتـه معهـم الأسـاس وراء أفـكاره الأكـثر أهميـة للنهـوض بالاسـتخبارات الإسرائيليـة. فمنـذ ذلـك الحـين، طالـب بالتركيـز عـلى إقامـة تحالفـات سريـة بـين المستوطنات مـن جهـة، والأقليـات العرقيـة غـير العربيـة في الـشرق الأوسـط مـن جهـة أخـرى، إذ رأى شـيلواح في مخيلتـه، منـذ ثلاثينـات وأربعينات القـرن المـاضي، كيـف يـربي اليهـود علاقـات مـع الأقليـات التـي تحيــط بقلــب الــشرق الأوســط العربي-الإســلامي. وقــد كانــت فكـرة «تحالـف المحيـط» الخاصـة بـه واحـدة مـن أبـرز أسـس الاسـتخبارات الإسرائيليـة مـن سـنوات الخمسـينيات وحتـى الثمانينيـات.

كلفــت الهاغانــا شــيلواح إلى جانــب أفيجــور بمهمــة إنشــاء وحـدة اسـتخبارات مهنيـة. وهكـذا تـم تأسـيس وحـدة «شـاي»، التـي كان شـيلواح أحـد قادتهـا. وكانـت وظيفتـه الرسـمية كضابـط ارتبـاط بـين الوكالـة اليهوديـة، والأجهـزة السريـة البريطانيـة.

عندمــا اندلعــت الحــرب العالميــة الثانيــة، أدرك شــيلواح أن الفرصـة قـد سـنحت لـه الآن لتعميـق هـذه العلاقـات. حيـث أصبحـت ألمانيـا النازيـة العـدو المشـترك لكل مـن الجاليـة اليهودية والبريطانيـين. وقـد سـاعد شـيلواح في إنشـاء اللـواء اليهـودي، الذي حـارب في إطـار الجيـش البريطـاني، وشـكل في وقـت لاحـق ركيـزة هامـة في بنـاء الجيـش الإسرائيـلي.

منحــت هــذه الحــرب شــيلواح ورجالــه خــبرة واســعة في

أساسيات الاستخبارات: التسلل وراء خطوط العدو، الجولات الاستطلاعية بعيدة المدى، الاختراق السري والاستعانة بوثائق مزورة وهويات مستعارة للحصول على المعلومات. وقد تراكمت هذه الأدوات من عمليات استخباراتية مشتركة مع البريطانيين ضد فرنسا الفيشية[1] في سوريا ولبنان، بمساعدة الفصيلة الألمانية المتخصصة في العمل خلف خطوط العدو النازي في الصحراء الغربية بإفريقيا، ومن خلال ٣٧ مظليًّا يهوديًّا كانوا ضمن عمليات الإنزال لصالح جهاز الاستخبارات البريطاني في أوروبا المحتلة.

استغل شيلواح الحرب لإقامة علاقات ممتازة مع ضباط الاستخبارات البريطانيين في القدس والقاهرة، فضلا عن أنها كانت نقطة انطلاق لإقامة علاقات أخرى خاصة بين الاستخبارات الأمريكية والحركة الصهيونية، حيث شكلت اللقاءات بينه وبين وكلاء مكتب الخدمات الاستراتيجية «OSS»، والذي تحول لاحقًا إلى وكالة المخابرات المركزية «CIA» عام ١٩٤٧، شكلت أساسًا متينًا للتعاون الاستراتيجي المستقبلي بين الطرفين.

لا شك أن تحركات شيلواح خلال الحرب تشهد على الحكمة وعلى البصيرة فيما يتعلق بضرورة التفكير الاستراتيجي

(١) فرنسا الفيشية (١٠ يوليو ١٩٤٠ - ٩ أغسطس ١٩٤٤): هو الاسم المتداول لنظام الدولة الفرنسية، التي تزعمها المارشال فيليب بيتان خلال الحرب العالمية الثانية. كانت طبيعة النظام سلطوية، وتتسم بمعاداة اليهود. (ويكيبيديا)

في وجـود الاسـتخبارات. ولكـن في ظـل قيادتـه، كانـت هنـاك تصدعـات تشـهد عـلى الفجـوة بـين المبـادئ الجميلـة وتنظيـم الأنشـطة اليوميـة، وعـدم قدرتـه عـلى السـيطرة عـلى «المملكـة» التـي اؤتمـن عليهـا. وقـد فعـل إيـسر بئـيري مـا يحلـو لـه تحـت أنظـار شـيلواح.

لكـن عـلى الجانـب الآخـر، وبعـد ظهـر يـوم ٣٠ يونيـو ١٩٤٨، دعـا بئـيري إلى جلسـة خاصـة لمحكمـة ميدانيـة، سـارعت إلى إدانـة النقيـب في الجيـش الإسرائيـلي مئـير توبيانسـكي[٢] بتهمـة الخيانـة. وبعـد بضـع سـاعات مـن الإدانـة، تـم إعـدام توبيانسـكي. قبـل أن يتبـين في وقـت لاحـق أنـه كان «الخائـن الـذي لم يخـن».

إضافـة إلى مناصبـه في «الهاغانـا» ولاحقًـا في الجيـش الإسرائيـلي، عمـل توبيانسـكي في شركـة الكهربـاء في القـدس. وقـد زعمـت المعلومـات التـي وصلـت إلى بئـيري، ولم يتـم التحقـق منهـا، أن توبيانسـكي كانـت لـه علاقـات مشـبوهة مـع المديريـن البريطانيـين في شركـة الكهربـاء، وأنـه سـلمهم وثيقـة عـن المواقـع الكهربائيـة في القـدس الغربيـة.

في تلـك الأيـام مـن بدايـة حـرب ٤٨، نجحـت مدفعيـة الفيلـق العـربي في ضرب الأحيـاء اليهوديـة في القدس بشـكل دقيـق ومدمر. وقـد توصـل قائـد وحـدة «شـاي» في المدينـة، الرائـد بنيامـين جيبـلي[١]، إلى اسـتنتاج مفـاده أن جاسوسًـا كان يعمـل في صفـوف

(١) مئير توبيانسكي **מאיר טוביאנסקי** (١٩٠٤ - ١٩٤٨م): هـو ضابط إسرائيـلي معـروف،

الجالية اليهودية في القدس، بحيث يقوم بتزويد جنود الفيلق العربي بمعلومات تساعدهم على تصحيح رمياتهم المدفعية. وقد وقعت شكوكه على توبيانسكي.

كانت هذه الأدلة الظرفية كافية ليتم الحكم عليه بالإعدام. فقد وصل توبيانسكي إلى تل أبيب، حيث تم استجوابه ونقل من هناك إلى مبنى مدرسة في قرية بيت جيز، في جبال القدس، وكان من حققوا معه وأعدموه هم: بئيري وجيبلي[(١)] وديفيد كارون[(٢)] وأبراهام كيدرون[(٣)]، وجميعهم أعضاء في الاستخبارات العسكرية. فبينما قام بئيري بتنظيم فرقة الإعدام، عمل الثلاثة الآخرون كقضاة في المحكمة. كانت المحاكمة هزلية ومقتصرة على المدّعين. ولم يتم توفير محامي دفاع للمتهم، كما لم يتم منحه الحق في إحضار شهود.

عمل سابقًا للجيش البريطاني في فلسطين، وفي بداية حرب عام ١٩٤٨م، ألقي القبض عليه من قبل العصابات الإسرائيلية وتم اتهامه بالتجسس على القدس الشرقية ليمرر المعلومات للجيش العربي الأردني، وأعدم في إحدى قرى اللطرون التي احتلها الإسرائيليون.

(١) بنيامين جيبلي **בנימין גיבלי** (١٩١٩ - ٢٠٠٨م): كان رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، وقد اشتهر لتورطه في قضيتين فاشلتين: الأولى هي إعدام مئير توبيانسكي وهو جندي إسرائيلي اتهم بالتجسس خلال حرب ١٩٤٨م ثم توضحت براءته، والثانية هي فضيحة لافون وهي محاولة إسرائيلية في عام ١٩٥٤م لتفجير أهداف مصرية وغربية في مصر لتشويش علاقات مصر بالولايات المتحدة وبريطانيا.

(٢) ديفيد كارون **דוד קרון** (١٩١٥ - ٢٠٠١م): كان رجل استخبارات إسرائيلي ومن مؤسسي مستوطنة كفار مناحم.

(٣) أبراهام كيدرون **אברהם קדרון** (١٩١٩ - ١٩٨٢م): كان رجل استخبارات ودبلوماسيا إسرائيليا، شغل منصب سفير إسرائيل في كل من الفلبين وهولندا وبريطانيا وأستراليا، ومدير عام وزارة الخارجية.

تـم تنفيـذ الإعـدام بسرعـة كبـيرة، وقـد روى ذلـك هرتـزل إرليـخ، الـذي كان آنـذاك جنديًّـا بسـيطًا في سريـة المشـاة، قائـلا: «سـمعت رفاقـي يهتفـون خائـن. سـوف يتـم إعـدام خائـن. فجلسـنا عـلى جانـب المنحـدر وراقبنـا مـا كان يحـدث. كان هنـاك شـاب صغـير يرتـدي ثيابًـا ذات لـون كاكي، تقـوده مجموعـة مـن الجنـود، كانـوا حتـى أصغـر منـه. لقـد بـدوا صبيـة حقًّـا. كانـوا يرتـدون ملابـس رثـة. وقـد أجلسـوه عـلى كـرسي. حتـى أنهـم لم يكلفـوا أنفسـهم عنـاء تغطيـة عينيـه. ثـم ابتعـدوا قليـلا. وسـمعنا صـوت الطقطقـة المعدنيـة عند تلقيـم البنـادق التشـيكية. كان كل شيء هادئًـا. وكانـت الشـمس عـلى وشـك الغـروب، ولم يعكـر هـذا الصفـاء سـوى وابـل رصـاص قصـير، متقطـع. ثـم سـقط الرجـل عـن كرسـيه».

في اليـوم التـالي، قـام بئـيري بإبـلاغ بـن غوريـون أنـه في أعقـاب محاكمـة ميدانيـة، تـم إعـدام خائـن كان يتجسـس لصالـح البريطانيـين. لكـن بـن غوريـون لم يظهـر أي ردة فعـل، فتكـوّن لـدى بئـيري انطبـاع بأنـه قـد تـصرف بشـكل صحيـح بالفعـل.

بقـي جيبـلي في الجيـش وأصبـح قائـد لـواء ورئيسـا لهيئـة الاسـتخبارات «أمـان». فيـما أصبـح كيـدرون مديـرًا عامًّـا لـوزارة الخارجيـة. كـما لم يتـضرر كارون مـن الحادثـة أيضًـا، حيـث انضـم إلى الموسـاد وعمـل لصالحـه في إثيوبيـا وكردسـتان.

زادت ثقـة بئـيري بنفسـه أكـثر. وقـد تـورط شـخصيًّا في قـرار

إعدام رجل عربي يشتبه في قيامه بالتجسس، وكذلك في استخدام التعذيب الشديد أثناء التحقيق مع سائق سيارة أجرة من حيفا كان مقربًا من رئيس بلدية حيفا آبا حوشي[١].

وصلت إلى بن غوريون شكاوى بشأن سلوك بئيري غير المنضبط. وقد تجاهل تصرفات رئيس استخباراته العسكرية، قبل أن يتم فتح تحقيق في نهاية المطاف. حيث طالب وزير العدل بنحاس روزنبليت «روزن»[٢] بمحاكمة بئيري بتهمة القتل، لكن التهمة تحولت إلى القتل غير العمد وتجاوز السلطة. وفي المحاكمة العسكرية التي أجريت وراء أبواب مغلقة، أدين بئيري بقتل العميل العربي، وتم عزله من منصبه وتخفيض رتبته إلى جندي، كما تقرر التدقيق في أفعاله الأخرى أيضًا. وكانت رسالة مؤثرة من أرملة توبيانسكي، التي ادعت بشغف براءة زوجها، قد عجلت في التحقيق.

نفى بئيري التهم الموجهة إليه في قضية محاكمة توبيانسكي، لكنه أُدين مرة أخرى، وحكم عليه بالسجن الرمزي لمدة يوم واحد. وفي يوليو من عام ١٩٤٩، أمر بن غوريون بتبرئة اسم توبيانسكي. حيث أعيدت له رتبته العسكرية وحصلت أسرته على تعويض.

(١) آبا حوشي **אבא חושי** (١٨٩٨ - ١٩٦٩م): هو سياسي إسرائيلي كان رئيس بلدية حيفا لمدة ١٨ سنة بين عامي ١٩٥١ - ١٩٦٩م.

(٢) بنحاس روزنبليت (روزن) **פנחס רוזנבליט** (**רוזן**) (١٨٨٧ - ١٩٨٧م): كان سياسي ورجل دولة إسرائيلي وأول وزير عدل في البلاد.

استمرت أيام بئيري على رأس الاستخبارات العسكرية لمدة ستة أشهر فقط، لكن الضرر الذي سببه بأفعاله وسلوكه كان من الصعب إصلاحه. إن قضية بئيري هي من نوع الأحداث الصادمة، التي كان يمكن أن تُحدث ضررًا بالغا في مجتمع الاستخبارات الشاب، غير أن بن غوريون كان مصممًا على تضميد الجروح فورًا. وفي عام ١٩٤٩، قام بتعيين نائب بئيري، المقدم حاييم هيرتزوج، رئيسا للاستخبارات العسكرية، وبالتالي حافظ على الاستمرارية والتسلسل في القيادة. وعلى عكس بئيري، الذي قلل من شأن شيلواح، كان هيرتزوج يقدره.

قرر كل من شيلواح وهيرتسوج أن هناك حاجة ملحة لإنشاء هيئة تنسيقية، من شأنها مساعدة مجتمع الاستخبارات في عمله وتقليل احتمالات الخطأ وتعزيز التعاون بين مختلف الأذرع. وفي أبريل عام ١٩٤٩، تم إنشاء «لجنة تنسيق»، برئاسة شيلواح نفسه. وقد شارك في المناقشات كل من هيرتزوج بصفته رئيسا للاستخبارات العسكرية وإيسر هاريل رئيس الشاباك وبوريس جورييل مدير الدائرة السياسية في وزارة الخارجية. كما انضم إلى اجتماعات اللجنة أيضا المفتش العام للشرطة يحزقيل ساهر[1]. أما شاؤول أفيجور، رئيس منظمة الهجرة «ب"، فلم تتم دعوته إلى المناقشات. وسيكون هيكل لجنة التنسيق في وقت لاحق نموذجًا لتأسيس «لجنة رؤساء

(١) **يحزقيل ساهر יחזקאל סהר** (١٩٠٧ – ١٩٩٨م): كان أول مفتش عام للشرطة الإسرائيلية.

الأجهـزة»، التـي يرأسـها دائمًـا رئيـس الموسـاد.

بعـد ثلاثـة أشـهر اقـترح شـيلواح إنشـاء «مؤسسـة مركزيـة لتركيـز وتنسـيق أجهـزة الاسـتخبارات والأمـن»، بهـدف الوصـول إلى مزيـد مـن التنسـيق وتحديـد خطـوط العمـل للنشـاطات الاسـتخباراتية. فوافـق بـن غوريـون، وفي ١٣ ديسـمبر مـن ذات العـام، تـم إنشـاء هـذه الهيئـة. ويعتـبر هـذا التاريـخ هـو تاريـخ تأسـيس مؤسسـة الاسـتخبارات والمهـام الخاصـة «الموسـاد»، رغـم أنـه ظـل عمليًّـا هيئـة صغـيرة خاليـة مـن القـدرات والصلاحيـات.

عملاء بغطاء دبلوماسي

كان دور داعت[1] هو جمع المعلومات السياسية، وإدخال العملاء إلى الدول العربية وإقامة علاقات مع الأجهزة السرية في أوروبا. وقد كان من بين ما تضمنته عملياتهم، التي تمت تحت إشراف الدائرة السياسية في وزارة الخارجية، أعمال تخريبية تستهدف الصفقات والمشتريات العسكرية لدول عربية.

عمل أفراد **داعت** تحت غطاء دبلوماسي ضمن الممثليات الإسرائيلية في روما وباريس وفيينا وجنيف. وكان بن ناتان فخورًا بنجاحاته، حيث قال في وثيقة أرسلها إلى بن غوريون في عام ١٩٥٠: «لقد أنشأنا شبكة استخبارات في خمسة بلدان أخرى. والمركز في فرنسا. إننا نقوم بجمع معلومات عن الممتلكات العربية، والعلاقات الاقتصادية بين أوروبا والعرب، كما نحصل على مواد من أجهزة الاستخبارات الفرنسية والإيطالية».

وبرغم ذلك لم تكن القيادة السياسية ونظرائها في مجتمع الاستخبارات معجبة بتلك الإنجازات. وقد يكون ذلك لشعورهم بالغيرة من أسلوب حياة رجال داعت، إذ كان أفرادها يمكثون في أجنحة فندقية فارهة، ويتناولون العشاء في مطاعم فاخرة

(١) **داعت: هو فرع العمليات في أوروبا، وكان يترأسه آشر بن ناتان وقتها.**

في جنيف وباريس، ويشربون في بارات عصرية، ويعقدون اجتماعات في ردهات الفنادق الراقية. لقد أجبرهم عملهم على القيام بذلك، غير أن هذا الأمر كان يتناقض تناقضًا صارخا مع الروح البيوريتانية[1] والأفكار الاشتراكية التي كانت سائدة تحت قبة إسرائيل الفتية. وقد أثار أسلوب أفراد «داعت» اللافت للنظر غضب كل من شاؤول أفيغور ورؤوفين شيلواح وإيسر هاريل، الذين عُرف عنهم تمسكهم بروح التواضع والرضا بالقليل. فتم الافتراء على رجال بوريس جورييل وبن ناتان بأنهم يتبعون أسلوب حياة مبالغ فيها ويدفعون نفقات غير مصرح بها، بل وتم الادعاء أيضا بأنهم قاموا بجمع الأموال ووضعوا أيديهم على حسابات مصرفية سرية في البنوك السويسرية، كانت مملوكة قبل الحرب لليهود الذين لقوا حتفهم على أيدي النازيين.

بل تجاوز الأمر ذلك، إلى ادعاء أمان والشاباك ومنظمة الهجرة «ب " بأن رجال داعت هم مجرد هواة يتظاهرون بأنهم محترفون، ولا يساهمون في الواقع في أمن إسرائيل.

كان من بين أفراد داعت شخص يدعى ديفيد ماجن، والذي تم اتهامه بإلحاق أضرار جسيمة بأمن إسرائيل.

(١) البيوريتانية (التطهيرية): مذهب مسيحي بروتستانتي يجمع خليطًا من الأفكار الاجتماعية، السياسية، اللاهوتية، والأخلاقية. ظهر هذا المذهب في إنجلترا في عهد الملكة اليزابيث الأولى وازدهر في القرنين السادس والسابع عشر، ونادى بإلغاء اللباس والرتب الكهنوتية.

ولد ماجن عام ١٩٢٠ في المجر، تحت اسم ثيودور جروس لعائلة حريدية[1] غنية، ما لبثت أن هاجرت إلى جنوب إفريقيا. ثم تم إرساله من هناك لدراسة الموسيقى في إيطاليا، حيث فتحت موهبته أمامه أبواب دور الأوبرا الإيطالية والمكسيكية. قبل أن توقف الحرب العالمية الثانية مسيرته المهنية. فانضم إلى الجيش البريطاني، والتحق بالاستخبارات، وترقى إلى رتبة ضابط، وغير اسمه إلى تيد كروس. وبهذا الاسم تم إرساله في مهمات خطيرة خلف خطوط العدو في كل من إيطاليا وألمانيا.

وعندما اندلعت حرب ٤٨ قرر تيد كروس الذهاب إلى فلسطين، وتطوع في الجيش الإسرائيلي. وقد لفتت تجربته في الاستخبارات البريطانية، وطلاقته في التحدث باللغات الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية والإسبانية انتباه بن ناتان، الذي جنده ليكون عميلا للاستخبارات الإسرائيلية. فتحول تيد كروس إلى ديفيد ماجن.

ووفقا لمقال للكاتب جيل ميلتزر نشر في صحيفة «يديعوت أحرونوت» في مارس عام ٢٠٠٦، فقد كان ماجن مغامرا محبا للمتعة وزير نساء، ولم يتردد في العمل بتجارة المخدرات لكي يتمكن من الإنفاق على أسلوب حياته المترفة. وبعيدا عن أي

(١) الحريديم: جماعة من اليهود المتدينين ويعتبرون كالأصوليين، حيث يطبقون الطقوس الدينية، ويعيشون حياتهم اليومية وفق التفاصيل الدقيقة للشريعة اليهودية. ويحاول الحريديم تطبيق التوراة في إسرائيل.

شيء آخر، كان ماجن غير جدير بالثقة، ولم يكن حقا شخصية مثالية لجاسوس. غير أنه لم يكن لدى المخابرات الإسرائيلية الكثير من المحترفين، وفي الأوقات العصيبة لم يعثروا على مرشحين.

كان لدى منظمة الهجرة «ب "مختبر لتزوير الوثائق في مرسيليا. وقد تم إرسال ماجن إلى هناك، قادمًا من روما في يونيو ١٩٤٨، ليحصل على جواز سفر مناسب. ثم سافر من هناك إلى باريس لحضور اجتماع إحاطة خاص بمهمة إلى جانب كل من شيلواح وبن ناتان وإيلي بيليج، مبعوث حركة «هشومير هتسعير»[١] في مصر، حيث تم إبلاغ الأخير أن الحديث يدور حول «مهمة حربية في مصر»، وطُلب منه مساعدة ماجن في التواصل مع الشبان اليهود، الناشطين في الحركة الصهيونية السرية.

كان الهدف الحقيقي للعملية، التي حملت الاسم الرمزي «نايلون»، هو اغتيال شخصيات رئيسة في الحكومة المصرية، وكان من المفترض أن يقوم الشبان اليهود بمساعدة ماجن في عمليات الاغتيال. كما كان هناك ادعاء لا دليل عليه، أنه في مرحلة معينة أثيرت إمكانية تسميم آبار مياه الشرب في مصر، غير أن المصادر الاستخباراتية رفضت هذا الاحتمال

(١) هشومير هتسعير (الحارس الشاب): منظمة عالمية للشبيبة الصهيونية، أُسست بهدف تنشئة الشبيبة اليهودية على حبّ أرض إسرائيل (فلسطين)، والتطلع للهجرة إليها. تأسست المنظمة في بولندا بين عامي ١٩١٣، ١٩١٤. (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية)

بشـكل قاطـع.

ولتمويـل العمليـة، قـام فـرع «داعـت» بتشـغيل عميـل، هـو رائـد في الجيـش البريطـاني، نقـل إلى القاهـرة وعـاء مليئًـا بالحشـيش، كان الجيـش الإسرائيـلي قـد صـادره مـن المهربـين. حيـث كان الهـدف هـو بيـع المـادة في مـصر. وقـد كانـت هـذه هـي المـرة الأولى، إن لم تكـن الأخـيرة، التـي يقـوم فيهـا مجتمـع الاسـتخبارات الإسرائيـلي بتلطيـخ يديـه بتجـارة المخدرات وتشـغيل تجـار المخـدرات.

وصـل ماجـن إلى مـصر، وتواصـل مـع الحركـة الصهيونيـة السريـة، وبنـاء عـلى طلبـه وُضـع تحـت تصرفـه خمسـة شـبان، كان مـن المفـترض أن يقـوم ماجـن بتدريبهـم عـلى اسـتخدام السـلاح قبـل المهمـة. وقـد أكـد لهـم أنـه بعـد تنفيـذ المهمـة سـيقوم بتهريبهـم مـن مـصر بجـوازات سـفر مـزورة. كان أفـراد الحركـة السريـة مندهشـين. وقـد قامـوا بالتواصـل مـع مشـغليهم في إسرائيـل، بهـدف التأكـد مـما إذا كان ماجـن قـد تـم إرسـاله حقًّـا لصالـح الاسـتخبارات الإسرائيليـة، وأن هـذه هـي المهمـة، غـير أن الإجابـة التـي تلقوهـا، باتبـاع تعليـمات ماجـن، أغلقـت عليهـم كل منافـذ التفكـير.

كانـت عمليـة «نايلـون» تلميحًـا لمـا سـيحدث مسـتقبلا، مـن عمليـات التخريـب التـي نفذتهـا إسرائيـل في مـصر، فيـما عـرف

باسم فضيحة لافون[1]. فخلال تلك الفترة كانت الاستخبارات الإسرائيلية قد أعدّت العدة لتنفيذ عمليات متهورة، هي أقرب إلى الهلوسة، إذ استخدمت لهذا الغرض يهودًا محليين لم يتم تدريبهم أو توجيههم بشكل صحيح، غير أنه ولحسن حظ أولئك الشبان اليهود، فقد أبلغهم ماجن بأن العملية قد ألغيت، ثم عاد إلى إسرائيل.

وفي التقرير الذي قدمه ماجن، كتب: «لن أخوض في سبب عودتي المبكرة [...] لقد أصبحت شؤوني الخاصة هناك معقدة للغاية، لدرجة لا تسمح بوصف منطقي على الورق».

وعلى الرغم من هذه اللغة المراوغة، لم يكلف بن ناتان وشيلواح نفسيهما عناء البحث بعمق عن «السبب» وما هي «الشؤون الخاصة». ليتبين في وقت لاحق أن ماجن كان قد وقع في حب أميرة نور الدين، وهي شابة حسناء من العائلة المالكة، واضطر إلى الفرار من مصر. لكنه قبل أن يفعل ذلك، عرض خدماته على المخابرات المصرية مقابل حوالي عشرين ألف دولار، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت.

واصل ماجن تأدية مهماته ضمن بعثة الاستخبارات الإسرائيلية

(١) فضيحة لافون: عملية إسرائيلية فاشلة عرفت باسم عملية سوزانا، كما عرفت لدى الإسرائيليين باسم قضية العار. كان الهدف منها عرقلة انسحاب الجيش البريطاني من قناة السويس، عبر تفجير أهداف مصرية وأمريكية وبريطانية في مصر صيف عام 1954. تم اكتشاف هذه العملية، وعرفت باسم «فضيحة لافون» نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك بنحاس لافون، الذي اتُهم بإعطاء الأوامر لتنفيذها.

في إيطاليا، حيث قام بتجنيد وتشغيل عملاء ومخبرين. وقد تضمن عمله محاولة تجنيد المجرم النازي والتر راوف[(١)]، الذي كان متورطًا في تصميم شاحنات الغاز المستخدمة في إبادة اليهود، إذ اتضح لاحقًا أن مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، الذي كان يعتبر نفسه ممثلا للشعب اليهودي وليس للكيان فحسب، لم يتردد في الاستعانة بالنازيين عندما كان ذلك يخدم أغراضه.

لم يتم اكتشاف أن ماجن كان في الواقع عميلا مزدوجًا حتى عام ١٩٥٢، حيث تبين أنه كان عميلا لصالح جهاز المخابرات المصري. وفي يوليو من نفس العام تم إحضاره تحت ذريعة كاذبة إلى إسرائيل، حيث تم اعتقاله وتقديمه للمحاكمة بتهمة التواصل مع أفراد المخابرات المصرية. وقد جرت محاكمته في سرية تامة.

حكمت المحكمة على ماجن بالسجن لمدة ١٥ عام، إذ اتضح من بين أمور أخرى أنه أثناء عمله لصالح إسرائيل في إيطاليا كان متورطا في تجارة المخدرات.

وعلى الرغم من ذلك، ظل العديد من أعضاء الدائرة

(١) والتر (فالتر) راوف (١٩٠٦ - ١٩٨٤م): كان قائدا من قوات الأمن الخاصة من الرتب المتوسطة في ألمانيا النازية. وقد كان مساعدًا لرينهارد هايدريش أولًا في جهاز الأمن (الشرطة الأمنية الألمانية)، ثم في وقت لاحق في مكتب الأمن الرئيسي للرايخ. كان يعمل في جهاز المخابرات الفيدرالي في ألمانيا الغربية بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٦٢م، ثم عمل في الموساد، جهاز المخابرات الإسرائيلي.

السياسـية التـي تـم حلهـا، يؤمنـون لفـترة طويلـة بـبراءة ماجـن. حتـى أن مدير الدائـرة جورييـل قـد تطـوع بتقديم إفادة شـخصية لصالحـه وادعـى أن كلا مـن شـيلواح ومنظمـة الهجـرة «ب "كانـا مهتمـين بتجريمـه مـن أجـل تشـويه سـمعة الدائـرة. ثـم إنـه وبعـد سـبع سـنوات مـن الجهـود لإطـلاق سراحـه، تـم العفـو عـن ماجـن في عـام ١٩٥٩.

تـزوج ماجـن، ودخـل في مجـال المطاعـم وأصبـح أحـد الـشركاء في سلسـلة مطاعـم ويمبـي[١]، وتـوفي عـام ١٩٧٣.

أثـارت فكـرة مجنونـة أخـرى إمكانيـة إلحـاق الـضرر بالاقتصـاد المـصري مـن خـلال تزويـر الأوراق النقديـة المحليـة. غـير أن الجهـات المختصـة في الاسـتخبارات اسـتبعدت هـذا الاحتـمال، فتـم وضـع الخطـة عـلى الـرف ولم تنفـذ قـط.

أعـرب رئيـس الـوزراء وكبـار القـادة العسـكريين عـن بالـغ قلقهـم إزاء مـا يبـدو أنـه انشـغال بالقشـور وليـس بالجوهـر. فقـد كانـت الإنتاجيـة ضعيفـة. والمـواد الاسـتخباراتية رديئـة. حيـث قـدم رجـال جورييـل وبـن ناتـان بشـكل أسـاسي معلومـات حـول النوايـا السياسـية للـدول العربيـة وخططهـا الاقتصاديـة، ومـواد مثـيرة حـول مـا كان يجـري في غـرف نـوم القـادة العـرب. وهكـذا، فقـد مارسـوا ضغطـا شـديدا للغايـة عـلى شـيلواح، حتـى

(١) ويمبـي: سلسـلة مطاعم للوجبـات السريعـة، تأسسـت في الولايـات المتحـدة، وأحـرزت نجاحًـا دوليًـا، خاصـة في المملكـة المتحدة وجنـوب أفريقيـا. يقـع المقـر الرئيـسي للشركـة حاليًـا في جوهانسـبرغ بجنـوب أفريقيـا.

يتمكن مجتمع الاستخبارات من تقديم معلومات محدثة عن القدرات العسكرية للدول العربية.

على خلفية الانتقادات، قرر كل من إيسر هاريل وبنيامين جيبلي، الذي تم تعيينه في هذه الأثناء رئيسا لقسم الاستخبارات بعد أن تم تعيين هيرتزوج ملحقا للجيش الإسرائيلي في الولايات المتحدة الأمريكية، إنشاء بعثات خاصة بهما خارج البلاد. لقد كانت الفوضى عارمة. فالصراعات الداخلية والازدواجية هي تطور خطير، لا يمكن لأي مجتمع استخباراتي أن يتحمله. وقد وجدت أجهزة الأمن الفرنسية والإيطالية، التي أبدت صداقة خاصة تجاه نظيرتها الإسرائيلية، صعوبة في تصديق ما كان يحدث؛ وأصيب ممثلوها بالارتباك بسبب الاستفسارات الزائدة الواردة من رجال استخبارات إسرائيليين. وردا على محاولات تقويض مكانتها، اخترقت الدائرة السياسية منطقة عمل جهاز الأمن العام (الشاباك)؛ حيث أرسلت عناصرها لاقتحام سفارات دول الكتلة الشرقية في تل أبيب. ما أثار غضب هاريل، كما كان متوقعا.

أمر بن غوريون شيلواح مرة أخرى بوضع حد للفوضى. فأمر «سيد الاستخبارات» بإلغاء الدائرة السياسية وتحويل صلاحياتها إلى هيئات أخرى. وتم إخطار موظفي الدائرة في أوروبا بانتظار التعليمات الجديدة. فاستقال جورييل من وزارة الخارجية احتجاجا على ذلك. غير أن ضابط عملياته بن ناتان

رفض الانصياع. وبعد بضعة أيام، في ٢ مارس/آذار عام ١٩٥١م، عقد اجتماعا مع مدراء المحطات في أوروبا في فندق على ضفاف بحيرة جنيف. حيث قرروا تقديم استقالة جماعية من الخدمة، ورفضوا تسليم أرشيفهم إلى شيلواح وتقديم معلومات حول العمليات التي في طور الإعداد، بل وقاموا في بعض الحالات بإحراق الملفات والوثائق، فقط من أجل ألا تقع في أيدي من أصبح ينظر إليهم الآن على أنهم «عدو». لقد أعلن جهاز المخابرات الخارجية الإسرائيلي ببساطة عن الإضراب.

غير أنه لم تكن لدى تمرد الجواسيس أي فرصة. فقد أعلن شيلواح، مدعوما بتصميم بن غوريون على فرض النظام، عن إعادة تنظيم مجتمع الاستخبارات. وأجبر بن ناتان على الاستقالة.

تم تسليم مسؤولية العمليات الخاصة حصريا إلى الاستخبارات العسكرية.

وقد سارع جيبلي إلى إنشاء وحدة خاصة لهذا الغرض، هي إحدى أكثر الوحدات سرية في الجيش، ورقمها ١٣١. حيث كانت مهمتها إدخال عملاء وجواسيس إلى الدول العربية. وإلى جانبها كانت هناك وحدة أخرى، أصغر منها، عملت في مجال الدعاية والحرب النفسية، رقمها ١٣٢.

على أنقاض الدائرة السياسية، تم توسيع هيئة التنسيق الصغيرة الخاصة بشيلواح وإنشاء «الموساد المركزي للاستخبارات

والأمـن»، أو باختصـار الموسـاد. لكنـه كان لا يـزال ليـس لديه قسـم عمليـات. وقـد تقـرر أن يتبـع شـيلواح مـن الآن وصاعـدا مبـاشرة لرئيـس الـوزراء وليـس لوزيـر الخارجيـة.

ومـع ذلـك، اسـتمرت الأمـراض. فبسـبب تعـدد وظائفـه، واجـه شـيلواح صعوبـة في السـيطرة عليهـا جميعـا. حيـث أنـه كان رئيسـا للاسـتخبارات الخارجيـة وفي نفـس الوقـت رئيـس لجنـة أجهـزة الأمـن، إضافـة إلى كونـه مستشـارا خاصـا لـكل مـن رئيـس الـوزراء بـن غوريـون ووزيـر الخارجيـة موشـيه شـاريت[١]. وقـد وجـد شـيلواح المتمسـك بالمركزيـة، والـذي رفـض تفويـض السـلطة، نفسـه يديـر دفـتر حسـابات صغـير لتصفيـة الحسـابات والتعامـل مـع صراعـات السـلطة الداخليـة داخـل المجتمـع، دون أن يبـالي بمـا يجـري في الخـارج. وفي العـراق، كانـت الأمـور سـيئة للغايـة.

(١) موشـيه شـاريت **משה שרת** (١٨٩٤ - ١٩٦٥م): رئيـس الـوزراء الثـاني لدولـة إسرائيـل، كـما كان أول وزيـر خارجيـة للدولـة.

السقوط في بغداد

تنافست الحركة الصهيونية في العراق على جلب حوالي ١٣٠ ألف يهودي، كانوا يتركّزون بشكل أساسي في بغداد والبصرة. وقد كانت المنافسة صعبة. حيث انضم عدد غير قليل من الشباب اليهودي إلى الحزب الشيوعي، ولم يكن لمعظمهم أي صلة بالصهيونية على الإطلاق. بدأ المبعوثون بإقناع الشباب اليهود على الهجرة إلى فلسطين. حيث يتم ذلك غالبًا عن طريق التهريب عبر الحدود إلى إيران أو عبر الأردن. ثم بعد قيام الكيان وعلى خلفية حرب ٤٨، وعندما ازداد عداء الحكومات العربية لإسرائيل واليهود، بدأت منظمة الهجرة «ب "بالتخطيط لعمليات من شأنها تسريع وتيرة الهجرة.

وتحقيقًا لهذه الغاية، تم إرسال شلومو هيلل[١] إلى بغداد في أبريل عام ١٩٥٠. قام هيلل بانتحال شخصية رجل أعمال بريطاني يدعى ريتشارد أرمسترونغ، وحصل على وثائق مزورة

(١) شلومو هيلل **שלמה הלל** (١٩٢٣ - ٢٠٢١م): هو دبلوماسي وسياسي إسرائيلي من مواليد العراق وشغل منصب رئيس الكنيست، ووزير الشرطة، ووزير الداخلية، وسفيراً في عدة دول في إفريقيا. بصفته عميلا للموساد في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين، قام بترتيب النقل الجوي الجماعي لليهود العراقيين إلى فلسطين المعروف باسم «عملية عزرا ونحميا».

من قيادة منظمة الهجرة «ب”. وبمساعدة من منظمة الإغاثة اليهودية-الأمريكية «جوينت»، التي موّلت العملية، استأجرت منظمة الهجرة «ب ”طائرات من خطوط ألاسكا الجوية. وهي شركة شارتر[١] أمريكية صغيرة، قامت قبل عام تقريبًا بنقل مهاجرين يهود من شنغهاي إلى فلسطين. كما قامت بنقل حوالي خمسين ألف يهودي من اليمن، في عملية حملت اسم «البساط السحري»، حيث طلب مبعوثو منظمة الهجرة «ب ”من العائلات اليهودية، أن يعبروا الحدود إلى مدينة عدن الساحلية، بالاتفاق مع السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على المنطقة وقتها.

كانت مشكلة هيلل عند وصوله إلى بغداد هي أن منظمة الهجرة «ب ”كان لديها بالفعل ممثل هناك، هو مردخاي بن بورات[٢]، وهو أيضًا من مواليد العراق. طلب بن بورات هويّات يهوديّيْن اثنين كانا قد هاجرا إلى فلسطين، هما موشيه نيسيم وزكي حبيب. كان بن بورات مسؤولا عن الهجرة غير الشرعية لليهود العراقيين عبر إيران، ومنها جوًّا إلى

(١) شركة شارتر: شركة طيران للإيجار تقوم بعمل رحلات طيران جوية وترتيبها بعيدًا عن الجداول الاعتيادية لرحلات الطيران، ويكون ذلك بترتيب هذه الرحلة واستعداداتها مع عميلٍ خاص. (موقع موضوع)

(٢) مردخاي بن بورات **מרדכי בן-פורת** (١٩٢٣ - ٢٠٢٢م): كان سياسيًا إسرائيليًا من أصل عراقي شغل منصب عضو الكنيست في فترتين بين عامي ١٩٦٥ - ١٩٨٤م، ووزيرًا بدون حقيبة بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٨٤م. خلال فتراته الأربع في الكنيست، مثل خمسة أحزاب مختلفة. عُرف عنه بأنه مهندس عملية إجلاء اليهود العراقيين إلى فلسطين عبر إيران وقبرص والتي عُرفت بـ «عملية عزرا ونحميا».

فلسطين. لكن الافتقار إلى الخبرة، والارتباك الذي ساد مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي في ذلك الوقت، أدى إلى تكليف بن بورات بمهام إضافية. فوجد بن بورات نفسه ينظّم الهجرة غير الشرعية، وفي الوقت نفسه يدير أيضًا شبكة من المخبرين، معظمهم من اليهود، مع بعض العرب، الذين قدّموا بشكل أساسي معلومات سياسية واقتصادية، مع فتات من الأخبار العسكرية. وتم إرسال المعلومات إلى إسرائيل من محطة لاسلكية سرية تحمل اسم «برمان».

كان بن بورات، الذي رأى أن مهمة هيلل تضر بمكانته وكرامته، مترددًا في مساعدته. وقد كانت المهمة في العراق أكثر تعقيدًا بكثير مما كانت عليه في اليمن وتنطوي على مخاطر كبيرة، حيث كانت العراق دولة معادية، شارك جيشها في الحرب ضد الجيش الإسرائيلي عام ١٩٤٨. حصل هيلل على المساعدة من روني بارنيت، وهو يهودي بريطاني كان يعمل في شركة شارتر أمريكية تدعى «ترانس أوشن إيرلاينز»، حيث رتب بارنيت العلاقة بين هيلل وعبد الرحمن رؤوف، مدير وكالة سفر «عراق تورز».

بعد وقت قصير من وصول هيلل إلى بغداد، أقر البرلمان العراقي قانونًا يسمح لليهود بالحصول على جوازات سفر والمغادرة (مع منعهم من أخذ ممتلكاتهم)، فأدرك رؤوف أنه قد أتيحت له فرصة عمل غير مسبوقة لكسب الملايين، فرتب

اجتماعًا بين بارنيت وهيلل ورئيس الوزراء العراقي توفيق السويدي[1]، الذي كان أيضًا رئيس مجلس إدارة «عراق تورز». وتقرر في اللقاءات بينهم أن يكون سعر تذكرة الطائرة للراكب الواحد ١٢ دينارًا (نحو خمسين دولار).

تم الاتفاق على أن تقلع طائرات الشركة الأمريكية من بغداد إلى قبرص، من أجل إخفاء حقيقة أن اليهود كانوا يهاجرون إلى فلسطين. ثم من قبرص إلى مطار اللد. وبالطبع، تم تعيين «عراق تورز» كوكيل وحيد لشركة التأجير الأمريكية. في أعقاب الصفقة، تمتع رئيس الوزراء العراقي بفوائد مالية باهظة، وبعبارة أخرى حصل على رشاوي بشكل غير مباشر من الاستخبارات الإسرائيلية، من خلال شركة السفر.

لم يكن رئيس الوزراء العراقي هو الوحيد الذي استفاد من العملية. حيث حرص هيلل وبارنيت على أن يحصل السياسي العراقي المخضرم نوري السعيد[2] على قطعة لا بأس بها من الكعكة، إذ كان منافسًا لتوفيق السويدي، ومن المقرر تعيينه رئيسًا للوزراء. كان ذلك من خلال نجله العقيد صباح

(١) توفيق السويدي «ثم الدوري» (١٨٩٢ - ١٩٦٨م): سياسي ووزير عراقي ورئيس وزراء العراق في عهد المملكة العراقية.

(٢) نوري باشا السعيد (١٨٨٨ - ١٩٥٨م): سياسي عراقي شغل منصب رئاسة الوزراء في المملكة العراقية ١٤ مرة بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٥٨م. كان نوري السعيد ولم يزل شخصية سياسية كَثُر الجدل حولها واختلفت الآراء عنه. وقد اضطر إلى الهروب مرتين من العراق بسبب انقلابات حيكت ضده.

السعيد[١]، وهو ضابط سابق في الجيش العراقي، يدير شركة الطيران الوطنية «الخطوط الجوية العراقية»، وقد فازت الشركة بعقد حصري لصيانة الطائرات الأمريكية التي شاركت في العملية. وبعبارة أخرى، تم رشوة كلا السياسيّيْن الأكثر أهمية في العراق من قبل الاستخبارات الإسرائيلية.

لم يستسلم بن بورات وطلب أن يدير العملية بنفسه. ولم توكل العملية حصريًّا إلى هيلل، إلا بعد أن أرسلت له تل أبيب تعليمات واضحة بالتوقف. فيما بقي بن بورات في بغداد، واستمر في المشاركة بشكل أساسي في تشغيل شبكة العملاء. وهكذا، تم نقل حوالي ١٥٠ ألفًا من يهود العراق جوًّا إلى فلسطين، في العملية التي أطلق عليها اسم «عزرا ونحميا»، والتي امتدت من مايو ١٩٥٠ وحتى يناير ١٩٥٢.

بمثل هذا السلوك الهاوي، كانت مسألة وقت فقط قبل أن يدرك مكتب التحقيقات العراقي أن شيئًا ما كان يختمر تحت أنوفهم. وبالفعل، تمكن العملاء السريون العراقيون من وضع أيديهم على الشبكة الإسرائيلية. وفي الواقع، كان من المعجزة فقط أن ذلك لم يحدث من قبل.

خلال السنتين اللتين قضاهما في العراق، تم اعتقال بن

(١) صباح نوري السعيد (توفي عام ١٩٨٣م): وهو الابن البكر لرئيس الوزراء العراقي نوري السعيد. تخرج في جامعة كمبردج البريطانية وحصل على شهادة هندسة ميكانيك الطائرات. ولأنه كان يهوى قيادة الطائرات الحربية دخل كلية الطيران الملكية وتخرج برتبة ضابط طيار في القوة الجوية العراقية الملكية حتى وصل إلى رتبة عقيد طيار.

بورات ثلاث مرات من قبل عملاء الشرطة، لكنه كان دائمًا محظوظًا بما يكفي لإقناعهم بقبول هويّاته المزورة والإفراج عنه. ثم بعد الاعتقال الثالث، وقبيل وصول الشرطة إليه مرة أخرى، استقل بن بورات إحدى الرحلات الجوية التي نقلت اليهود من العراق.

لم يكن هذا هو مصير يهودا تاجار[١]، وهو إسرائيلي آخر عمل في بغداد. كان تاجار مبعوثًا لصالح الدائرة السياسية في وزارة الخارجية، قبل أن يتم تفكيكها من قبل شيلواح. وقد أدار شبكة من المخبرين العراقيين، الذين قدّموا له معلومات ذات طبيعة عسكرية استراتيجية. وقبل تكليفه بمهمته، عمل تاجار في الإدارة العسكرية في عكا، من أجل تحسين لغته العربية، رغم أن قصة الغطاء الخاصة به كانت لتاجر سجاد إيراني.

اعتقلته عناصر الشرطة السرية في بغداد بعد أن التقى مع بن بورات في متجر كبير وسط المدينة. حيث كان الاثنان يمثلان وكالتي استخبارات مختلفتين، وكان من المفترض أن يعملا بشكل متوازٍ، ووفقًا لمبدأ التقسيم والتجزئة فلم يكن المقصود منهما معرفة بعضهما البعض. لكنهما تجاهلا جميع أساسيات العمل الاستخباراتي، حيث اعتادا على الاجتماع كثيرًا، وتحدّثا

(١) يهودا تاجار **יהודה תג'ר** (ولد عام ١٩٢٣م): كان محاربا في الموساد تمت محاكمته في العراق إلى جانب كل من شالوم صالح ويوسف بصري بتهمة المشاركة في اعتداءات بغداد (١٩٥٠ - ١٩٥١م).

معًا باللغة العبرية، وبدافع الشوق كانت أصواتهما تصدح بأغانٍ إسرائيلية. كان المتسبب في اعتقاله هو شاب فلسطيني سبق وأن عمل في الإدارة العسكرية في عكا. حيث سافر إلى العراق وجنده مكتب التحقيقات، وكانت وظيفته هي تعقب اللاجئين الفلسطينيين. وبالصدفة، واجه تاجار وتعرف عليه، ثم سرعان ما وصل إليه العملاء السريون.

لم تصمد قصة التغطية الخاصة بتاجار. لعدم معرفته باللغة الفارسية، كما أن تفتيش منزله أدى إلى العثور على وثائق أثبتت كونه جاسوسًا. وقد تعرض للتعذيب لمدة أسبوعين، قبل أن يعترف أخيرًا بالعمل لصالح جهاز الاستخبارات الإسرائيلي. أمضى سنة ونصف في زنزانة المحكوم عليهم بالإعدام، وكان حاضرًا عند إعدام سبعين منهم، وكان واثقًا من أن دوره سيأتي أيضًا. قال له أحد الحراس: «غدًا ستموت، سوف نشنقك»، وفي اليوم التالي تم اقتياده إلى حبل المشنقة. وقال تاجار في فيلم عن حياته أنتجه مركز التراث الاستخباراتي: «وضع الجلاد المشنقة على رقبتي، فانتظرت وانتظرت ولم يحدث شيء على الإطلاق. وهكذا لمدة عشرين دقيقة بقيت المشنقة الموجودة حول رقبتي. حتى اقترب مني الجلاد، فأزال حبل المشنقة عن رقبتي وقال لي، ملكنا الرحيم قد عفا عنك. سيتم تقديمك للمحاكمة».

حكم عليه بالسجن مدى الحياة. وبعد تسع سنوات، في

عـام ١٩٦٠، وبعـد أن تمكـن مسـؤولو الموسـاد مـن التواصـل مـع حاكـم العـراق الجديـد العقيـد عبـد الكريـم قاسـم[١]، تـم العفـو عـن تاجـار، وعـاد إلى فلسـطين. وهنـاك واصـل العمـل في قيـادة الموسـاد، وفي مهـمات لصالـح المنظمـة في لنـدن.

لا عجـب أن مثـل هـذا السـلوك غـير المهنـي قـد أدى إلى إلقـاء القبـض عـلى جميـع أعضـاء الشـبكة، واحـدا تلـو الآخـر، مثـل أحجـار الدومينـو. واعتقلـت السـلطات العراقيـة أكـثر مـن مئـة يهـودي وصـادرت مخزونـات مـن الأسـلحة والمـواد المتفجـرة.

كـما أنـه قبلهـا وفي نوفمـبر عـام ١٩٥١، أُديـن عـشرون شـخصًا مـن المحتجزيـن بارتـكاب جرائـم خطـيرة. وتـم إعـدام اثنـين منهم، هـما يوسـف بـصري[٢] وشـالوم صالـح[٣]

كـما تـم اتهـام أعضـاء الشـبكة بأعـمال تخريـب. ففـي الفـترة مـن ينايـر إلى مايـو ١٩٥٠، تـم إلقـاء مـا لا يقـل عـن ثمـاني قنابـل عـلى متاجـر ومقاهـي ومؤسسـات يهوديـة، وكذلـك عـلى مركـز معلومـات سـفارة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. ففـي تمـام السـاعة

(١) عبـد الكريـم قاسـم (١٩١٤ - ١٩٦٣م): هـو ضابـط عسـكري ورئيـس وزراء العـراق والقائـد العـام للقـوات المسلحة العراقيـة ووزيـر الدفـاع بالوكالـة بـين عامـي ١٩٥٨ - ١٩٦٣م، ويعـدُّ أول حاكـم عراقـي بعـد الحكـم المَلَـكي، وأحـد قـادة ثـورة ١٤ تمـوز.

(٢) يوسـف بـصري (أبـرص) (١٩٢٣ - ١٩٥٢م): كان محاميـا إسرائيليـا تـم إعدامـه في العـراق بتهمـة التجسـس وكذلـك بدعـوى تورطـه في اعتـداءات بغـداد (١٩٥٠ - ١٩٥١م) التـي اسـتهدفت يهـود بغـداد بهـدف دفعهـم للهجـرة إلى فلسـطين.

(٣) شـالوم صالـح (١٩٢٣ - ١٩٥٢م): كان يهوديـا تـم إعدامـه في العـراق بسـبب صلتـه باعتـداءات بغـداد.

السابعة من مساء يوم ١٤ يناير تم إلقاء عبوة متفجرة في فناء كنيس يحمل اسم مسعودة شيم-توف في بغداد. كان الفناء بمثابة مكان يتجمع فيه اليهود قبل مغادرتهم إلى المطار أثناء طريقهم إلى فلسطين. وفي وقت الهجوم، كان يتجمع فيه مئات اليهود. ما أسفر عن مقتل أربعة أشخاص، بينهم صبي في الثانية عشرة من عمره، وإصابة نحو عشرين آخرين.

خلال سنوات الخمسينيات، كانت هناك شائعات مستمرة بين المهاجرين من العراق بأن الهجمات الإرهابية تم تنفيذها بالفعل بناء على أوامر من المشغلين الإسرائيليين. وقد تعززت هذه الشائعات في أعقاب فضيحة لافون في مصر بين عامي ١٩٥٤-١٩٥٥م. كان رئيس الوزراء بن غوريون قلقًا للغاية بشأن الشائعات، لدرجة أنه أصدر عام ١٩٦٠ أمرًا لرئيس الموساد إيسر هاريل بالتحقيق فيها. وقد ترأس اللجنة شموئيل (سامي) موريه[1]، وهو مسؤول كبير في جهاز الأمن العام «الشاباك»، هاجر من العراق وكان مشاركا في عمليات الهجرة اليهودية. وخلُصت اللجنة إلى أنه لا يوجد أساس لهذه المزاعم. وقد ذُكر في التقرير السري أنه لم يتم العثور على «أي دليل واقعي على إلقاء القنابل من قبل أي منظمة أو فرد يهودي».

---

(١) شموئيل (سامي) موريه שמואל (סמי) מוריה (١٩٢٤ - ٢٠١٩م): كان مسؤولا عن الهجرة غير الشرعية للحركة الصهيونية السرية في العراق، ثم أصبح لاحقًا عضوًا في جهاز الأمن العام والموساد في إسرائيل.

على الرغم من ذلك، بقيت الشائعات منتشرة طوال عقود. وكانت موجهة نحو بن بورات بشكل خاص، حتى أنه رفع دعوى تشهير ضد من يشوهون سمعته وفاز بها. وفقط في عام ٢٠٠٦، وردت أدلة جديدة تسلط الضوء على القضية. حيث أجرى تاجار مقابلة لصالح كتاب للصحفي البريطاني آرثر نيسلين، وزعم أنه حسب تقديره فإن من قام بإلقاء القنابل على الأهداف اليهودية هم «الإخوان المسلمون».

إعادة تشكيل

أعطى انتهاء عملية «عزرا ونحميا» فرصة لتنظيم مجتمع الاستخبارات، بما يتلاءم مع احتياجات قيام كيان ذي سيادة، وليس مجرد استيطان يقبع تحت سلطة نظام أجنبي. وهذا ما حدث خلال السنوات الأخيرة من مارس عام ١٩٥٢، عندما قرر رئيس الموساد رؤوفين شيلواح أنه حان الوقت لحل منظمة الهجرة (ب).

لقد تم انشاء المنظمة من قبل «الهاغانا» وعملت على نقل المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وعلى وجه الخصوص أولئك الذين نجوا من الحرب في أوروبا والجاليات اليهودية في البلدان العربية. حيث كان يتم نقل هؤلاء المهاجرين خلال فترة الانتداب البريطاني بشكل غير قانوني، ومن هنا جاء اسم المنظمة «الهجرة "ب"، كتعبير عن هجرة غير قانونية مناقضة للهجرة الرسمية والتي كانت بموافقة سلطات الانتداب. لقد قامت «منظمة الهجرة «ب "في الواقع على إمبراطورية اقتصادية، بما حوت من حوالي ستين سفينة وطائرات نقل وحاملات ومئات العملاء الذين أداروا أعمالهم بهويات مزيفة وبمساعدة وسائط اتصال لاسلكية سرية. واستتر تحت غطاء

وكالات سفر في مختلف أنحاء العالم ذراع استخباراتي مدعم وفعال، لقد عملت هذه المنظمة الضخمة والتي سخر في خدمتها عشرات ملايين الدولارات على شحن مئات آلاف المهاجرين من القارات الأربعة. حيث قامت بشراء سفن في نيكاراغوا ونقلتها إلى موانئ غرب أوروبا مرورًا بالولايات المتحدة، وهناك يتم إصعاد لاجئين من شرق أوروبا على متن هذه السفن - كل هذا لم يعتبر عملا استثنائيًا ل «منظمة الهجرة (ب)».

ففي بداية الخمسينيات، كانت الوسائل كلها متاحة حينئذ، من أجل نقل يهود شرق أوروبا واليمن والعراق والمغرب. تم رشوة شرطة وقادة الحدود، وقد أُعتبرت أموال عملاء الهجرة (ب) مصدر دخل هام، مقابل السوق السوداء في الدول التي نشطت فيها، وبشكل خاص فرنسا وإيطاليا والنمسا واليونان.

كان الكيان الصهيوني الفتي، بأمَسّ الحاجة لمهاجرين، ولأجل تحقيق أهداف الهجرة، نجح عملاء الهجرة (ب) معظمهم في مقتبل العمر في العشرينيات والثلاثينيات من عمرهم، وأظهروا قدرة على الارتجال والمبادرة والتصميم والالتزام بالهدف والرغبة في تحمل المخاطر. كما نشطوا في الدبلوماسية السرية ونجحوا في إقامة علاقات وثيقة مع زعماء دول ووزراء حكومات وقيادات رفيعة وضباط جمارك ومراقبة حدود وقادة شرطة وشخصيات رفيعة المستوى تعمل في سلطات سرية. فبالإضافة

إلى الاتصال مع نوري السعيد وتوفيق السويدي في العراق، تواصلوا مع رجل الدولة المجري ماتياس راكوشي[١]، وأداروا مفاوضات مع الملك عبد الله ملك الأردن[٢] حول إمكانية إقامة ممر - وهو ما لم يتحقق - ليهود العراق عبر أرضه، كما أقاموا اتصالات مع شاه إيران.

وقد اعترف إفرايم شيلو[٣]، أحد نشطاء منظمة الهجرة (ب)، قائلًا: «لقد قمنا بافتتاح حسابات في البنوك السويسرية للوزراء المغاربة الذين قمنا برشوتهم، فيما طلب السلاطين في اليمن والرومانيون مبالغ نقدية بالدولار، في حين اتخذت الرشوة في بلدان أوروبا الشرقية شكلا أقل وضوحًا وبروزًا، حيث اتخذت الترتيبات هناك طابعًا تجاريًّا رسميًّا مع إسرائيل، والتزمت إسرائيل مقابل إخراج اليهود، بالتجارة وشراء المنتجات

(١) ماتياس راكوشي (١٨٩٢ - ١٩٧١م): سياسي شيوعي مجري. اسمه الأساسي هو ماتياش روزنفلد. ولد فيما يسمى اليوم بصربيا. كان راكوشي يعتبر بحكم الأمر الواقع حاكم دولة المجر الشيوعية مدة ١١ عاما بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٥٦م. لم يكن رئيسا رسميا لكنه يعد كذلك أولا بصفته الأمين العام للحزب الشيوعي المجري بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٤٨م وثانيا لأنه بعد ذلك أصبح الأمين العام لحزب العمال المجري في فترة ١٩٤٨م حتى ١٩٥٦م. اتسمت فترة حكمه بنوع من الدكتاتورية والستالينية.

(٢) عبدالله الأول بن الحسين بن علي الهاشمي (١٨٨٢ - ١٩٥١م): مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية وأول ملوكها. يُعرف بلقب «الملك المؤسس». أصبح عبد الله أميراً على إمارة شرق الأردن (الأردن فيما بعد) بعد الثورة العربية الكبرى التي قادها والده الشريف الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

(٣) إفرايم شيلو **אפרים שילה** (١٩١٦ - ٢٠٠٧م): كان ناشطا في الحركة الصهيونية الدينية وكذلك في «الهاغانا» و «منظمة الهجرة (ب)». وبعد قيام الدولة كان أحد مؤسسي الموساد وشغل منصبا كبيرا فيه.

من بولونيا بإجمالي وصل إلى ستة ملايين دولار، بل كان الذهاب لتشيكوسلوفاكيا من أجل شراء الأسلحة جزءًا من صفقات الهجرة. لقد كانت لديهم مصلحة مالية في بيع السلاح واليهود لنا». استأجرت إسرائيل من بلغاريا سفنًا، ودفعت لها مباشرة ضريبة فرد «رأس» تراوحت بين ٥٠ إلى ٣٠٠ دولار لكل يهودي يرغب بالهجرة، وحتى المجر طلبت في البداية مليوني دولار مقابل هجرة ٢٥ ألف شخص، بما يعادل ثمانين دولارًا للفرد، وبعد ذلك قامت برفع السعر إلى ألف دولار لليهودي الواحد «الرأس». فيما طلب الرومانيون واستلموا خمسة ملايين دولار مقابل خمسين ألف يهودي.

وبفضل عمليات الهجرة التي تمت من اليمن والعراق، بالإضافة لعمليات أخرى أجْرتها منظمة الهجرة (ب) في أوروبا، وصل عدد السكان في فلسطين خلال أربع سنوات لأكثر من مليون شخص، ومن هنا يمكن فقط تقدير فضل المنظمة على الديموغرافيا والاقتصاد والأمن الإسرائيلي.

في عام ١٩٥٢، بلغت ميزانية منظمة الهجرة (ب) حوالي ٥٠ مليون دولار، حيث كانت العمليات تموَّل من قبل الوكالات اليهودية ومن ميزانية الكيان، وبشكل رئيس من أموال منظمة الإغاثة الإسرائيلية - الأمريكية «جوينت». كان من الواضح أن منظمة الهجرة (ب) تجني أرباحًا من الأموال المخصصة لها، وبالتأكيد لم يكن غريبًا أن تحتج المنظمة ورجالها عندما

أجبرهـم شـيلواح عـلى حلّهـا.

لقـد أحـس كبـار مسـؤولي منظمـة الهجـرة (ب) بأنـه يتـم التعامـل معهـم بطريقـة عنصريـة كالعبـارة المتداولـة للزنجـي، لقـد فعلـوا مـا طلـب منهـم ويسـتطيعون المغـادرة، لكنهـم لا يريـدون ذلـك، ومـرة أخـرى، مثـل مـا حـدث عندمـا تقـرر حـل الدائـرة السياسـية في وزارة الخارجيـة قبـل حـوالي عـام، اندلعـت الاحتجاجـات في أوسـاط الاسـتخبارات، ووجـد رئيـس منظمـة الهجـرة (ب) شـاؤول أفيجـور نفسـه الآن في وضـع مشـابه لوضـع `منافسـيه في ذلـك الوقـت، بوريـس جورييـل وآشر بـن ناتـان، والـذي طالـب بإقالتهـما بشـدة، وكـما لم ينجـح هـؤلاء بمنـع تفكيـك قسـمهما، اضطـر كذلـك الأمـر أفيجـور ورجالـه لقبـول القـرار الصـادر في حقهـم. وادعـوا بـأن شـيلواح ورجالـه يريـدون في الحقيقـة التسـلط عـلى ممتلكاتهـم.

تـم حـل المنظمـة، وإنشـاء وحـدة بديلـة في الموسـاد مختصـة في هـذا الشـأن، أطلـق عليهـا اسـم بيتسـور «تحصـين»، ثـم بعـد مـرور عـام تقريبًـا، قـرر رئيـس الحكومـة الجديـد موشـيه شـاريت إقامـة منظمـة جديـدة أطلـق عليهـا اسـم «بيلـو»، وبعـد ذلـك أطلـق عليهـا اسـم «نتيـف»، كـما عرفـت أيضًـا باسـم «مكتـب الارتبـاط»، والتـي سـتكون مسـؤولةً عـن الاتصـال مـع يهـود الاتحـاد السـوفييتي وشرق أوروبـا. وقـد تـرأس هـذه المنظمـة أفيجـور، صهـر شـاريت. فيـما ادعـى إيسر هاريـل، الـذي عـارض

إقامة هذا الجسد الجديد، أنه للمنفعة الشخصية للصهر فقط. لقد أصبح موضوع نقل المهاجرين أحد أهم المواضيع لدى أقسام الاستخبارات ولدى مختلف أجيالها المتعاقبة، ووفق توزيع هذه المهام على أقسام الاستخبارات، فقد عمل الموساد على يهود الدول العربية، وفي بعض الأحيان على يهود إيران، في حين حافظ قسم «نتيف» على مهاجري يهود شرق أوربا، طيلة هذه السنوات.

مع هذا، وبالرغم من أنه نجح في غضون عام من حل الدائرة السياسية ومنظمة الهجرة (ب)، وتنظيم أقسام الاستخبارات ضمن هيكلٍ أكثر كفاءة، إلا أن شيلواح فشل في تثبيت مكانته، فقد كان لحالته الصحية السيئة إثر حادث سير، أن قلّت هيبته أمام خصومه المكافئين له، وخاصة إيسر هاريل وبنيامين جيبلي، اللذيْن رفضا استمرار سلطته في الموساد.

في ٢٤ مايو عام ١٩٥٢، كتب بن غوريون في مذكراته: «جاء إليّ إيسر هاريل، وفي رأيه أن رؤوفين فشل في العمل». لم يكن بن غوريون مهتمًا كثيرًا بعمليات التجسس خارج فلسطين، بل كان أكثر ما يشغله هو معطيات تعقب خصومه السياسيين وتعزيز حكمه. ولا عجب في أن يصبح هاريل رئيس جهاز الأمن العام «الشاباك» الشخص الأقرب الذي يهمس في أذن بن غوريون.

وفي ٢٠ سبتمبر عام ١٩٥٢، وبعد عمله الذي استمر حوالي

السـنة والنصـف رئيسًـا للموسـاد، لم يسـتطع شـيلواح مواجهـة الضغـوط، واسـتقال مـن مهامـه، فعـيّن بـن غوريـون إيـسر هاريـل كبديـل لـه.

وبامتلاكـه لسـلطتي الموسـاد التـي تتحـرك خـارج فلسـطين، والشـاباك المنوطـة بالعمـل في الداخـل، أصبـح إيـسر هاريـل الحاكـم المطلـق لكافـة أقسـام الاسـتخبارات الإسرائيليـة.

الفساد في الموساد

ساهمت قضية دان باين[1] الغريبة في تعيين إيسر هاريل رئيسًا للموساد، وكذلك مسؤولا عن جهاز الأمن العام «الشاباك».

ففي اليوم الذي دخل فيه هاريل مكتبه في الكرياه، كان هناك ضيف بانتظاره. لقد كان دان باينز، أحد كبار مسؤولي صحيفة «دافار»، مجلة الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيلية) والناطقة بلسان حزب «ماباي» (حزب عمال أرض إسرائيل)، الحزب الحاكم.

قال له: «إيسر، أحتاج إلى ٥٠٠٠ دولار».

سأله إيسر: «ولماذا تحتاج إلى المال؟

قال باينز مندهشًا: «أولا تعلم؟»

ثم شرع يروي قصة شبكة التجسس التي يديرها في الاتحاد السوفييتي.

لكن رئيس الموساد عندما استمع للقصة، شعر بوجود

(١) دان باينز **דן פינס**: صحفي إسرائيلي كان من كبار مسؤولي صحيفة «دافار»، مجلة الهستدروت والناطقة بلسان حزب «ماباي».

خطأ ما. وعوضا عن إجابة طلب باينز، فقد قرر تشكيل لجنة، للتحقيق في القضية برمتها، والتي بدت غريبة جدًا بالنسبة له.

غير أن نتائج التحقيق، وحتى وجود التحقيق ذاته، لم تصل للعامة. وكما جرت العادة في ذلك الوقت، تم تعيين نشطاء حزب «ماباي» في اللجنة. وبهذه الطريقة كان يمكن للمؤسسة أن تُطمئن نفسها أنّ النتائج على أي حال من الأحوال لا يمكن أن تحرجها. فكل شيء سيبقى داخل «العائلة».

في مارس عام ١٩٥٣، وجدت لجنة التحقيق، التي كان يترأسها شاؤول أفيغور، أنّ باينز كان يسحب أموالا من الموساد بحجج واهية. وألمحت إلى أنّ رئيس الموساد السابق رؤوفين شيلواح كان على قدر من السذاجة في تعامله مع الأمر. بل طال الأمر وزير الخارجية موشيه شاريت، والذي شعر بالإحراج من نتائج التحقيق.

لقد اتضح لدى الجميع بأن الصحفي المرموق، والمعروف بعلاقاته مع كبار المسؤولين الحكوميين، قد اختلق قصةً من خياله عن «حركة صهيونية سرية» من المفترض أنه يديرها في الاتحاد السوفييتي. ففي ديسمبر ١٩٥١، قام باينز بإخبار شيلواح أولا ثم شاريت ثانيًا، عن يهودي يعمل كمسؤول سوفييتي كبير، كان قد ألمح له عن استعداده لمساعدة الدولة اليهودية. وقد أوضح باينز الذي كان مسجونًا في الاتحاد

السوفييتي، بسبب نشاطه الصهيوني في عشرينيات القرن الماضي، أن المسؤول الذي طلب عدم الكشف عن هويته حمايةً لنفسه، كان من بين معارفه منذ تلك الأيام.

لقد تم إغراء كل من رئيس الموساد ووزير الخارجية بسهولة بالغة، لتصديق قصة باينز، ويرجع ذلك جزئيا إلى خشيتهما من فقدان الاتصال مع يهود الاتحاد السوفييتي. فتم قبول اقتراح باينز بتشغيل «شبكة يهودية» بسرور من قبلهما ودون تمحيص.

ولمدة تسعة أشهر كاملة، نسج باينز شبكة ضخمة من الأكاذيب وأعمال التزوير والاحتيال، والتي انتشرت من فلسطين عبر أوروبا إلى الولايات المتحدة. وقام بتلفيق رسائل وبرقيات يفترض أنها قد أُرسلت إليه من مخبريه ومصادره السوفييت، وتلقى خلال هذه العملية أموالا من الموساد لتمويل السفر والإقامة في باريس وكوبنهاجن ونيويورك. ولدى عودته من أسفاره، اعتاد باينز تقديم تقارير مطولة عن «إنجازاته» في تعميق علاقاته مع الجالية اليهودية في الاتحاد السوفييتي، وعن «نجاحاته» في تجنيد المزيد من الأعضاء في «الحركة الصهيونية السرية». وقد أطلق عليهم باينز اسم «البيلوييم الجدد».

هكذا سارت الأمور بسلاسة، وربما كانت ستستمر لفترة أطول، لو لم يثر الصحفي الكاذب شكوك إيسر هاريل. ومع

ذلـك، وجـدت لجنـة التحقيـق ظروفا مخففـة. فقـد فعـل باينـز مـا فعلـه لأنـه كان يحتـاج إلى أدويـة لابنتـه المريضـة، وهـو مـا لم يكـن متوفـرًا في فلسـطين في ذلـك الوقـت. قـرر أفيغـور وأعضـاء اللجنـة النظـر في دوافعـه، ومـا أثـار اسـتياء هاريـل أنهـم أوصـوا بعـدم اتخـاذ أي إجـراء ضـده، ولا حتـى ضـد رؤسـائه، الذيـن وقعـوا في الفـخ.

إن السـهولة التـي تمكـن بهـا باينـز مـن تضليـل شـيلواح، أدت إلى زيـادة تصميـم هاريـل عـلى وضـع حـد لأمـراض الطفولـة التـي تعـاني منهـا الاسـتخبارات الإسرائيليـة.

ولـد هاريـل عـام ١٩١٢ تحـت اسـم إيـسر هالبريـن في بلـدة فيتبسـك التابعـة للإمبراطوريـة القيصريـة. وكان في شـبابه عضـوا في حركـة هشـومير هتسـعير «الحـارس الشـاب»، وهاجـر لصالحهـا إلى فلسـطين عـام ١٩٣٠، حيـث كـوّن عائلـة، وبـدأ مشروعًـا صغـيرًا لتعبئـة البرتقـال في هرتسـليا. وعندمـا اندلعـت الحـرب العالميـة الثانيـة انضـم إلى «الهاغانـا»، وفي عـام ١٩٤٤ تـم ضمـه إلى وحـدة «شـاي». وقـد أعطتـه السـنوات الأربعـة التـي قضاهـا في وحـدة اسـتخبارات «الهاغانـا» خـبرة كبـيرة. ففـي بدايـة حـرب فلسـطين ٤٨، قـام هالبريـن بتغيـير اسـمه إلى هاريـل، ثـم في اجتـماعٍ عُقـد في شـقة في شـارع بـن يهـودا ٨٥، تـم تعيينـه رئيسًـا لجهـاز الأمـن العـام «الشـاباك». ثـم بعـد أربـع سـنوات مـن ذلـك، عندمـا لم يعـد شـيلواح مرغوبًـا بـه، قـام بـن غوريـون باختيـار هاريـل

لرئاسة الموساد أيضًا. وقد كان عمره حينها أربعين سنة.

كان هاريل مديرًا مركزيًّا، مهووسًا جدًّا. وقد غرس في رجاله «روح الفريق» ومنحهم الشعور بأنهم أشخاص متميّزون. وعلى الرغم من أنّ الرواتب كانت كما هو معتاد في الخدمة المدنية واعتبرت تعويضا ضئيلا عن العمل الشاق والخطير، إلا أنه طالب رجاله بالولاء المطلق.

وقدم هو نفسه مثالا شخصيا يحتذى به. حيث أثرت شخصيته الرهبانية في الرتب، وأصبحت القناعة بالقليل إحدى القواعد الحديدية لموظفي الشاباك والموساد في تلك الأيام. وعندما خرج إلى الميدان لمراقبة العمليات عن كثب، في أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية، كان هاريل ينزل في فنادق رخيصة ويتناول الطعام في المطاعم الشعبية، وعند عودته قام بإعادة الأموال المتبقية إلى البنك في مطار اللد.

لم يكن مطلوبا من رجال الموساد والشاباك إبراز إيصالات بنفقاتهم، حيث كان يكفي تقديم تقرير مكتوب عند عودتهم من العملية. لكن الانضباط المالي الصارم كان قاعدة أقوى من القانون. وكانت أسوأ خطيئة هي الكذب. فإذا ما تم القبض على موظف كاذب أو مختلس، حتى ولو بضع دولارات، أو لم يكن لديه تفسيرات مرضية عن نفقاته، كان يواجه جلسة تأديبية داخلية في محكمة خاصة، برئاسة قاض يؤدي وظيفته في إطار خدمته الاحتياطية. أما أولئك الذين تم ضبطهم

يستغلون عملهم لتهريب أدوات منزلية، ومع مرور الوقت تلفزيونات وأجهزة فيديو، فقد تم تغريمهم وتحذيرهم. وفي حالات المخالفات الجسيمة - تم طردهم من وظائفهم.

وسرعان ما أسس هاريل لنفسه إمبراطورية استخباراتية. وقام مئات العمال في كلا الذراعين بتقديم تقاريرهم إليه مباشرة. وخلفًا له تم تسمية إيزيدور روت(١) رئيسًا لجهاز الأمن العام «الشاباك». قام روت المولود في بولندا بعبرنة اسمه إلى إيزي دوروت، كشرطٍ للحصول على جواز سفر الخدمة الدبلوماسية. وقد شغل منصب رئيس الشاباك لمدة عام واحد فقط، نُحّي بعدها لسوء كفاءته، فتم اختيار عاموس مانور(٢) ليشغل مكانه.

ولد مانور في أكتوبر عام ١٩١٨ تحت اسم آرثر ميندلوفيتش في مدينة زيجيد في ترانسيلفانيا، والتي كانت آنذاك تحت حكم الإمبراطورية النمساوية - المجرية. وخدم ميندلوفيتش في الجيش المجري كجندي بسيط، حتى في خضم الحرب العالمية الثانية، عندما كانت البلاد تحت الحكم الفاشي للأدميرال هورتي(٣) . وعلى الرغم من أنه كان مطلوبا من اليهود ارتداء

---

(١) إيزيدور روت، ولاحقا: إسحق (إيزي) دوروت יצחק (איזי) דורות (١٩١٦ - ١٩٨٠م): الرئيس الثاني لجهاز الأمن العام «الشاباك»، ونائب رئيس الموساد.

(٢) عاموس مانور עמוס מנור (١٩١٨ - ٢٠٠٧م): رئيس جهاز الأمن العام «الشاباك» خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٦٣م.

(٣) ميكلوش هورتي Horthy Miklós (١٨٦٨ - ١٩٥٧م): وصي عرش المملكة المجرية بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٤٤م. كان ميكلوش ضابطا في البحرية النمساوية المجرية، شارك في الحرب

شارات صفراء، فقد تم السماح لهم بالبقاء في الجيش، وبشكل أساسي في أدوار الخدمة وقوات الاحتياط. ولم يتم طردهم من الجيش حتى عام ١٩٤٣، وفي مايو ١٩٤٤ تم إرسال ميندلوفيتش في أول عملية نقل خارج المجر إلى معسكر الإبادة أوشفيتز. حيث تم ختم الرقم ١٣٧٠٠١ على ذراعه. ومن هناك تم نقله إلى معسكر عمل في النمسا، وفي ٦ مايو عام ١٩٤٥ تم إطلاق سراحه مع السجناء الآخرين على يد القوات الأمريكية.

ومع نهاية الحرب، عاد ميندلوفيتش إلى ترانسيلفانيا، التي انضمت إلى رومانيا. حيث تقدم بطلب إلى مكتب منظمة الهجرة (ب) للهجرة إلى فلسطين، ولكن بدلا من ذلك تقرر تجنيده في صفوف المنظمة. وشارك لمدة ثلاث سنوات في تنظيم رحلات سفن المهاجرين غير الشرعيين إلى فلسطين. وفي يونيو عام ١٩٤٩ أمرت السلطات الشيوعية الرومانية بإغلاق جميع المكاتب والمنظمات الصهيونية، فهرب ميندلوفيتش وزوجته تسيبورة إلى فلسطين، بجوازات سفر مزورة.

بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى فلسطين، اتخذ ميندلوفيتش قرارين مهمين. حيث ذهب أولا إلى وزير الخارجية شاريت، الذي اقترح عليه عبرنة اسمه. فاستجاب له وأصبح اسمه عاموس مانور. ثم أعلن استقالته من منظمة الهجرة (ب).

العالمية الأولى وكان برتبة مقدم ثم أصبح مع نهاية الحرب برتبة فريق حيث تولى رئاسة أركان القوات البحرية المجرية النمساوية عام ١٩١٨م.

وأرسله مديره شاؤول أفيغور إلى رئيس الشاباك، فقام هاريل بتجنيده. وقد أعجب كثيرًا به، غير أنّ ذلك الشعور لم يكن متبادلا، إذ قال مانور في وقت لاحق: «لاحظت خلال الاجتماع أنّ هاريل كان قصيرًا جدًا. لم تكن قدماه تصلان إلى الأرض، كما كان جديًّا للغاية. بينما أنا بطبيعتي رجل مرح».

بدأ مانور عمله كضابط استخبارات صغير. وقد أظهر قدرة مثيرة للإعجاب وسرعان ما بدأ في الترقّي. فتم تعيينه رئيسًا لقسم «مزراح»، المسؤول عن مكافحة التجسس السوفييتي والشرق أوروبي. وقد أعجب مانور بكفاءة الأجهزة السريّة للدول الشيوعية، على عكس الاستخبارات العربية، التي بدت هاوية في المجال، فضلا عن ضعف كفاءة رجالها، وقد أطلق مانور على محاولاتها في جمع المعلومات عن إسرائيل اسم «التجسس التوراتي».

تم تعيين مانور لاحقا كنائب لرئيس الشاباك دوروت، وعند تقاعده في سبتمبر/أيلول عام ١٩٥٣م، تم انتخابه ليحل محله. وقد كانت هذه ترقية مثيرة للاستغراب، ليس فقط بسبب صغر سنه، ولكن أيضًا بسبب خلفيته. فعلى عكس معظم رفاقه في الجهاز، لم يخدم مانور في وحدة «شاي» أو البلماح أو الجيش البريطاني، ولم يشارك في حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، بل كان أحد الناجين من المحرقة، ومهاجر جديد، يتحدث بلهجة مجرية ثقيلة.

جهاز الشاباك

كان جهاز الأمن العام «الشاباك» في بداياته تنظيما صغيرا، يوظف عدة مئات من العمال، بميزانية صغيرة ووسائط تكنولوجية محدودة وقديمة. وعلى الرغم من ذلك، تم تكليفه بالعديد من المهمات، في كثير من الأحيان. وكان الشاباك ينقسم إلى هيئتين اثنتين: العمليات والخدمات. أما هيئة الخدمات فتضم أقسام الإدارة، والاستشارات القانونية، والتخطيط، والتدريب والتنسيق، وقسم فني. بينما تتكون هيئة عمليات الشاباك من ثلاثة أقسام:

الأول: قسم الأمن والتأمين والحماية: وكان مسؤولا عن تأمين وحماية البعثات الإسرائيلية في الخارج، وحماية رئيس الحكومة ووزرائها، وحراسة الصناعات الأمنية الإسرائيلية.

الثاني: قسم الشؤون العربية: وكانت مهمته الأساسية مراقبة وتعقب الأقلية العربية، التي عاشت تحت الحكم العسكري حتى عام ١٩٦٦، ومنع الأعمال التخريبيّة من جانبها.

الثالث: قسم الشؤون غير العربية: وكان الأكبر وقتها، والأكثر أهمية بين أقسام الشاباك. وقد كان مسؤولا عن زرع

مخبريـن في التنظيـمات السياسـية المتطرفـة، ومكافحـة التجسـس، وكشـف الخونـة، ومراقبـة وتعقـب الدبلوماسـيين الأجانـب.

مـن الواضـح أنّ مانـور وهاريـل كانـا في وضـع متسـاو، حيـث كان كل منهـما يـترأس وكالـة منفصلـة. لكـن هاريـل في الواقـع كان هـو الحاكـم الفعـلي، فقـد كان أكـثر مـن ألـف موظـف في الموسـاد والشـاباك يقدمـون تقاريرهـم إليـه مبـاشرة. كـما أنـه قـد تـرأس «لجنـة رؤسـاء الأجهـزة»، وشـعر بأنـه ملـزمٌ بتقديـم التقاريـر فقـط إلى رئيسـه المبـاشر، رئيـس الـوزراء. وقـد اعـترف الجميـع، بمـا في ذلـك مانـور نفسـه، بتفـوق إيـسر الصغـير. بينـما اسـتمرت الاسـتخبارات العسـكرية فقـط في الحفـاظ عـلى اسـتقلاليتها بحـماس. وفي عـام ١٩٥٧ ابتكـر بـن غوريـون لقبـا خاصـا لهاريـل: «مفـوض الأجهـزة الأمنيـة»، وأعلـن ذلـك في خطـاب ألقـاه في الكنيسـت. لقـد كان اللقـب نـزوة مـن بـن غوريـون؛ فهـو لم يكـن رسـميًّا أو قانونيًّـا، حيـث أنـه لم يتـم بقـرار حكومـي ولم يحصـل عـلى موافقـة الكنيسـت، لكنـه دخـل حيـز الاسـتخدام بالفعـل، وكان يميـز هاريـل.

تجسس سياسي

ركّز إيسر هاريل في يده قوة هائلةً، أكثر من أي رئيس مخابرات غربي آخر. وللمقارنة، فقد كان لديه في وقت معين صلاحيات قُسمت في الولايات المتحدة بين إدغار هوفر[(١)]، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية «إف بي آي» وألين دالاس[(٢)]، رئيس الـ «سي آي إي».

كان بن غوريون والآباء المؤسسين لحركات العمل في فلسطين ديمقراطيين حقًّا، لكن هذه الديمقراطية كانت مقيدة، وغالبًا ما كان يتم ربط مصالح الدولة مع أهداف أحزابهم.

لقد كان حزب عمال أرض اسرائيل «مباي» في نظر معظم الإسرائيليين، اسمًا مرادفًا للحكم والدولة. تمتع هاريل بتقدير وثقة بن غوريون اللامحدودة له، وقدم التجارة تعويضًا لهذا. إذ وافق على القيام بأيّ مهنة تقريبًا من أجل سيده، وإن كان ليس من الضروري في أوساط الاستخبارات التي تعتز بنفسها، وفي دولة ديمقراطية، القيام بمثل هذا الشيء.

---

(١) إدغار هوفر John Edgar Hoover (١٨٩٥ - ١٩٧٢م): كان أول رئيس لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي «إف بي آي».

(٢) ألين دالاس Allen Dulles (١٨٩٣ - ١٩٦٩م): هو محام من الولايات المتحدة الأمريكية، شغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية «سي آي إي».

كثيرًا ما شارك هاريل في المشاورات التي دعا إليها بن غوريون، والتي كانت تحمل طابعًا حزبيًّا واضحًا، بما فيها نقاشات أمانة سر حزب العمال. هو لم يكن ينظر له كرئيس سلطة في الدولة، بل كواحد من حزب العمال، واقترح هاريل خلال هذه المناقشات طُرقًا، لزيادة قوة الحزب، وقدم لـ «العجوز» تقريرًا عن الوضع في الحزب، وعن الأعمال الداخلية والصراعات الشخصية، وعرض وجهة نظره حول الطريقة التي يحتاجها حزب العمال لإدارة عملية الانتخابات. وفي عام ١٩٥٧، وبسبب استياء عاموس مانور، شرع في تأسيس صحيفة أسبوعية بعنوان «ريمون» والتي كانت مهمتها الوحيدة محاربة والتأثير على شعبية صحيفة «هذا العالم» المملوكة لأوري أفنيري[(١)]، والذي لم يوفر حتى عائلته من الحزب الحاكم.

كانت الأموال تصل من شركات الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال) ومن حزب العمال، وعلى الرغم من معارضتهم، قام هاريل بتطويع رجال الأمن العام «الشاباك» لمحاربة السوق السوداء وعمليات تهريب العملة، التي أضرت بنظام التقشف المعمول به في إسرائيل.

لقد رأى هاريل بدعم ترسيخ حكم حزب العمال إحدى

(١) أوري أفنيري **אורי אבנרי** (١٩٢٣ – ٢٠١٨م): هو صحفي إسرائيلي وأحد أشهر ناشطي اليسار في إسرائيل، كما أنه عضو كنيست سابق. كان سابقًا عضوًا في الحركة الصهيونية التعديلية. كما انخرط في صفوف ميليشيات الإرغون الإرهابية وهو في سن الخامسة عشر. وقد شارك لاحقًا في حرب ١٩٤٨م.

أهـم مهامـه، وتحـت قيادتـه أصبحـت أقسـام الاسـتخبارات أداة سياسـية مذهلـة، لتكـون ذراع وأداة خدمـة الحـزب الحاكـم.

تبنـى بـن غوريـون وحـزب العـمال مقاربـة تبسـيطية وبحسـبها «مـن ليـس معـي، فهـو ضـدي»، وغالبًـا مـا كانـوا يـرون ظـل الجبـل كالجبـل. وكان مـن الممكـن تحديـد توجهـات الشـمولية في لقاءاتهـم. وكل تعبـير انتقـادي كان يتخـذ كعدائيـة. واتفاقـا مـع هـذا أرسـل هاريـل رجـال «الشـاباك» للتسـلل في بقيـة الأحـزاب وخصـوم الحـزب الحاكـم. بدايـةً، توجـه للعـلاج في اليمـين. ودُعيت الوحـدة الخاصـة التابعـة لــ «الشـاباك» التـي كانـت مهمتهـا التجسـس السـياسي بــ "نيتسـاح - الأبـد».

نتيجـة للعدائيـة المشـتعلة منـذ فـترة الاسـتيطان ضـد المنظمـة العسـكرية الوطنيـة «إيتسـل»، اسـتمر بـن غوريـون بالتشـكيك في نوايـا حركـة «حـيروت»، وزعيمهـا مناحيـم بيغـن[1]. وخـشي هاريـل، وتحـت غطـاء برلمـاني - ديمقراطـي، أن يبقـوا متمسـكين بالأسـاليب الإرهابيـة والحـركات السريـة، وينتظـرون فقـط الفرصة الملائمـة للسـيطرة عـلى الحكـم. وفي بدايـة عـام ١٩٥٠ قـدم هاريـل تقريـرًا لرئيـس الحكومـة، عـن عـزم «حـيروت» تشـكيل حركـة سريـة صغـيرة داخـل الجيـش الإسرائيـلي. والتقريـر الموسـع عـما كان يجـري في الحـزب اسـتمر أيضًـا في عـام ١٩٥٢.

(١) مناحيـم بيغـن מנחם בגין (١٩١٣ - ١٩٩٢م): كان سياسـيا إسرائيليـا ومؤسـس حـزب الليكـود وسـادس رؤسـاء وزراء إسرائيـل. وقبـل قيـام دولـة إسرائيـل كان قائـد المنظمـة العسـكرية القوميـة «إرجـون».

لكـن التخوفـات مـن «حـيروت» لم تكـن عـلى الإطـلاق مـن دون أسـاس. فقـد تـم في أكتوبـر عـام ١٩٥٢ إلقـاء القبـض عـلى دوف شيلانسـكي[١]، أحـد الناجـين مـن المحرقـة وعضـو المنظمـة العسـكرية الوطنيـة «إيتسـل» ورئيـس الكنيسـت لفـترة مـن الفـترات، بمحاولـة إدخـال مـادة متفجـرة إلى وزارة الخارجيـة في «الكريـا» في تـل أبيـب، احتجاجًـا عـلى العلاقـات المتناميـة بـين إسرائيـل وألمانيـا. وحكـم عليـه بالسـجن لمـدة ٢١ شـهرًا.

تأسسـت أيضًـا في نفـس شـتاء عـام ١٩٥٢ منظمـة إرهابيـة، أثنـاء لقـاء غـير منظـم في سيدروت حاييـم نحـمان في تـل أبيـب، حيـث جلـس كل مـن يعقـوب حـيروتي[٢] وشـمعون باخـار[٣] معًـا، وهـما عضـوان سـابقان في منظمـة «ليحـي» (المحاربـون مـن أجـل حريـة إسرائيـل) عـلى المقعـد في الجـادة وشرعـا بالحديـث. يتذكـر حـيروتي ذلـك، قائـلا:» بدأنـا بالحديـث عـن هـذا، أن العـرب قتلـة ويطلقـون النـار، والدولـة لا تـرد»، وقـرر الاثنـان القيـام بفعـل مـا. «قلنـا يجـب أن يتـم تأسـيس منظمـة». وهكـذا أُقيمـت المجموعـة التـي عُرفـت باسـم «مملكـة إسرائيـل» أو «حركـة تسريفـين السريـة».

(١) دوف شيلانسكي **דב שילנסקי** (١٩٢٤ - ٢٠١٠م): كان سياسيا وشخصية عامة إسرائيليا، شغل منصب رئيس الكنيست ونائب وزير في مكتب رئيس الوزراء.

(٢) يعقوب حيروتي **יעקב חרותי** (ولد عام ١٩٢٧م): هو محام إسرائيلي كان محاربا في منظمة «ليحي» ومؤسس حركة «تسريفين» السرية.

(٣) شمعون باخار **שמעון בכר** (١٩٢٣ - ١٩٩٥م): كان محاربا في منظمة «ليحي» وعضوا في حركة «تسريفين» السرية.

درس حيروتي المحاماة في بريطانيا، وفي نفس الوقت تلقى مهام من منظمة «ليحي»، تضمنت مخططات لاغتيال كل من وزير الخارجية إرنست بفين[١]، وروي فاران[٢]، وهو ضابط شرطة بريطاني قام بتعذيب سجناء منظمة «ليحي». غير أن القنبلة التي تم إعدادها قتلت شقيق فاران.

عاد حيروتي خلال حرب ٤٨ من لندن وشارك في محاولة الاختراق الفاشلة للمدينة القديمة في القدس، خلال عملية مشتركة بين «الهاغانا» و «إتسل» و «ليحي». وبسبب انتهاء الحرب وبعد قيام عناصر «ليحي» باغتيال مبعوث الأمم المتحدة في القدس الكونت السويدي فولك برنادوت[٣]، أصدر بن غوريون أوامره لـ "هاريل» بحل منظمة «ليحي»، وتم اعتقال الكثير من أعضاء المنظمة ومن بينهم حيروتي، ووضعوا في معتقل يافا.

في السنوات الأولى بعد الحرب، نشط حيروتي في دائرة تركزت حول إسرائيل إلداد[٤] ونشر صحيفة «سُلّم». وفي عام ١٩٥٢،

(١) إرنست بفين Ernest Bevin (١٨٨١ - ١٩٥١م): هو رجل دولة بريطاني ورئيس اتحاد نقابة العمال وحزب العمال.

(٢) روي فاران Roy Alexander Farran (١٩٢١ - ٢٠٠٦م): كان أحد أفراد القوات الخاصة البريطانية ومن أبطال الحرب العالمية الثانية، وخلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين خدم في شرطة الانتداب. ثم أصبح بعدها شخصية عامة كندية.

(٣) فولك برنادوت Folke Bernadotte (١٨٩٥ - ١٩٤٨م): هو دبلوماسي سويدي ترأس الصليب الأحمر السويدي.

(٤) إسرائيل إلداد ישראל אלדד (١٩١٠ - ١٩٩٦م): كان من زعماء منظمة «ليحي»، كما كان كاتبا وشاعرا ومعلما وصحفيا ومترجما. اشتهر بترجمته لكتابات فريدريك نيتشه

بعد اللقاء على المقعد في المدينة مع باخار صديقه في منظمة «ليحي»، عاد حيروتي ثانية إلى الحركة السرية.

كان هدف الحركة السرية مضاعفًا: الأول، إلحاق الضرر بممثليات الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا احتجاجًا على موجة معاداة السامية في الكتلة الشيوعية[1]. والثاني، كان الرد بإطلاق النار على جنود الجيش الأردني شرق القدس، في أي وقت يقوم به هؤلاء بالإطلاق باتجاه غرب المدينة. لقد كان حيروتي وباخار مخلصين لمبادئ التقسيم والسرية، وقاموا بتجنيد العشرات من أصدقائهم السابقين في منظمة «ليحي» وأنشأوا منظمة الحارس الصغير، من أجل الحركة الشبابية.

وضع في خدمة المجموعة سلاح، ومواد متفجرة، كانت قد أخفتها منظمة «ليحي» في المغارات في قطاع القدس منذ حرب ٤٨. وحقًّا، وفي أعقاب إطلاق النار من أحد مواقع الجيش الأردني، والذي أسفر عن مقتل إحدى قاطنات حي «موسراره» في القدس، قام أعضاء الحركة السرية بإخراج السلاح من مخابئه، وأطلقوا على موقع للجيش أردني، حيث أبلغ الأردنيون عن وقوع إصابتين اثنتين.

استمرت الحركة السرية بالعمليات، ففي مساء ٩ فبراير

إلى اللغة العبرية.

(١) أصدر نظام ستالين في عام ١٩٥٢ أمرًا يقضي بقتل أدباء ومثقفين يهود، بينما تم توجيه تهمة الخيانة لسكرتير الحزب الشيوعي في براغ رودولف سلانسكي، الذي كان من أصل يهودي.

عام ١٩٥٣، وفي جو عاصف، تم وضع قنبلة تزن حوالي ١٥ كغ في حديقة ممثلية الاتحاد السوفييتي في سيدروت روتشيلد ٤٦ في تل أبيب. وحدث ضرر بالغ للبناء.

عاد حيروتي بذاكرته، قائلًا: «لقد كان الدخول إلى المكان صعبًا، وعلى الرغم من وضع شرطي هناك، دخلنا من الجانب الخلفي بعد أن اخترقنا الأسلاك الشائكة. استخدمنا عبوة ناسفة كبيرة وتمكّنا من وضعها في المكان الذي نريد. واستطعنا إسقاط ضحايا، لكننا وعن قصد قمنا بوضعها في الحديقة، على بعد عشرة أمتار من المبنى. لقد كان الهدف تنفيذ عملية احتجاجية جدية». ردّ الاتحاد السوفييتي بغضب وقام بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل. ومن وجهة نظر حيروتي ورفاقه فإن العملية نجحت نجاحا فاق التوقعات. بينما كان الانفجار في نظر حكومة بن غوريون يمثل تهديدًا على النظام الديمقراطي ذاته، وتم تسريع الجهود للقبض على المسؤولين عن العملية. وفي منتصف ليل ٢٦ مايو نجحت الشرطة بإلقاء القبض على اثنين من طلاب المدارس الدينية «تحالف الكارهين»، وبحوزتهما مواد متفجرة. كان «تحالف الكارهين» عبارة عن منظمة صغيرة لطلبة متدينين، حاربت البعثات المسيحيّة، والمتاجر التي تبيع لحم الخنزير. وخططوا لتدمير مبنى وزارة التعليم احتجاجًا على تعليم الدولة. كما تم العثور في حوزة الموقوفين على قائمة بأسماء الأعضاء. كان

أحـد هذيـن الموقوفـين عضـوًا في منظمـة «ليحـي»، والـذي عُـيّن مسـؤولا عـن مخـزن أسـلحة تابـع لتنظيـم «مملكـة إسرائيـل». وفي أعقـاب التحقيقـات نجـح «الشـاباك» والشرطـة باعتقـال معظـم أعضـاء الحركـة السريـة، ومـن بينهـم القياديـين حـيروتي وباخـار. وفي جلسـة خاصـة في ٨ يونيـو أعلنـت الحكومـة اعتبـار «مملكـة اسرائيـل» منظمـة إرهابيـة.

تمت محاكمـة الموقوفـين في محكمـة عسـكرية خاصـة، والتـي اجتمعـت في معسـكر «تسريفـين»، ومـن هنـا التصـق اسـم «حركـة تسريفـين السريـة» بهـذه المجموعـة. وقـد أشـار حـيروتي، قائـلًا: «لم نعـترف إطلاقًـا، ورفضنـا الاعـتراف بسـلطة المحكمـة العسـكرية لمحاكمـة مدنيـين». وفشـل الادعـاء بصلـة المتهمـين في عمليـة تفجـير الممثليـة السـوفييتية، وأدينـوا كأعضـاء في منظمـة إرهابيـة، وحيازتهـم عـلى سـلاح ومـواد تفجـير. تـم الحكـم عـلى باخـار، الـذي فـر أثنـاء المحاكمـة وألقـي القبـض عليـه ثانيـةً، بالسـجن لمـدة ١٢ عـام، و١٠ أعـوام عـلى حـيروتي. وحكـم عـلى الآخريـن بالسـجن لفـترات قصـيرة. وبعـد مـرور حـوالي السـنتين في سـجن «تـل مونـاد»، تـم إخـلاء سـبيل كل معتقـلي «مملكـة إسرائيـل»، بعـد أن حصلـوا عـلى عفـو مـن وزيـر الدفـاع بنحـاس لافـون[1].

بالتـوازي مـع معالجـة اليمـين، توجـه هاريـل للعمـل باليسـار

(١) بنحـاس لافـون **פנחס לבון** (١٩٠٤ - ١٩٧٦م): سـياسي ووزيـر دفـاع إسرائيـلي سـابق، اقـترن اسـمه ب «فضيحـة لافـون» أو «عمليـة سـوزانا».

الإسرائيـلي أيضًـا، وأحزابـه ومنظماتـه. فقـد اتهـم في أوائـل الخمسـينيات عـددًا مـن أعضـاء الحـزب الشـيوعي الإسرائيـلي بالتجسـس لصالـح الاتحـاد السـوفييتي ودول التكتـل السـوفييتي. وكان هـذا كافيًـا للمصادقـة عـلى قـرار «الشـاباك» بجعـل هـذا الحـزب الصغـير أحـد أهدافـه، والتنصـت عـلى المكالمات الهاتفيـة ومراقبـة البريـد وتعقـب أعضائـه.

لكـن هاريـل ذهـب بعيـدًا عندمـا وجـه أضـواءه الاسـتقصائية لكشـف أعضـاء سرّيـين لصالـح حـزب العـمال الموحـد «مبـام».

لم يبـد رئيـس الشـاباك وقتهـا إيـزي دوروت أيـة مقاومـة، وقـام بتشـغيل رجالـه وفـق أوامـر هاريـل، وعـلى الرغـم مـن سـعيه للتمسـك بالقيـم الاشـتراكية وأخـوّة الشـعوب والتضامـن مـع الاتحـاد السـوفييتي تحـت قيـادة سـتالين، إلا أن حـزب العـمال الموحـد «مبـام» كان حزبًـا صهيونيًّـا وجـزءًا مـن الدولـة. وكان هـذا الحـزب نشـطًا أكـثر مـن أيّ حركـة سياسـية أخـرى في إقامـة المسـتوطنات، ووصـل أعضـاؤه لمراكـز رفيعـة جـدًّا في الجيـش الإسرائيـلي.

في ٢٩ ينايـر ١٩٥٣، وخـلال مؤتمـر صحفـي، لـوّح أمـين سر حـزب «مبـام» ناتـان بيليـد[١] بيـده بحركـة دراميـة، وقـدم جهـاز إرسـال صغـير. وقـال بـأن جهـاز الإرسـال كان موضوعًـا في جانـبٍ

(١) ناتـان بيليـد **נתן פלד** (١٩١٣ -١٩٩٢م): كان دبلوماسـيا وسياسـيا إسرائيليـا وعضـو كنيسـت عن حـزب «مبـام».

مخفي أسفل طاولة رئيس الحزب مئير يعاري[١]. ووفقًا لأقوال بيليد، فإن أعضاء الحزب تخوّفوا منذ زمن بعيد من أنّ أسرار نقاشاتهم كانت تصل لبن غوريون. فقام أعضاء حزب «مبام» بتفتيش شامل وبعد أن اكتشفوا جهاز الإرسال قاموا بنشر الكمائن حول المبنى. وفي إحدى الليالي ظهر رجلان مزوّدان بمفاتيح وأدوات اقتحام، حاولا الدخول إلى مقر الحزب. فتم إلقاء القبض عليهما وتحويلهما إلى مركز الشرطة. وقُدّمت ضدهما لوائح اتهام، لكن المحكمة، ولسبب ما، حكمت عليهما بغرامات خفيفة والسجن لأسبوعين، دون محاولة توضيح من قام بإرسالهما ولأي سبب آخر. لقد كان الاثنان من رجال وحدة العمليات التابعة للشاباك.

عارض مانور، كرئيس للشاباك، سياسات هاريل تلك، وأعرب أنه على الشاباك التوقف عن الدخول في ورطات سياسية، واستطاع التغلب في نهاية الأمر على هاريل. وبناءً على أوامره فقد تم في عام ١٩٥٣، تدمير ملفات كثيرة كانت محفوظة في أرشيف المنظمة، والتي احتوت على مادة سياسية هائلة عن شخصيات وأحزاب يمينية ويسارية. ومع ذلك، حتى في فترة مانور استمر الشاباك في تعقب الحزب الشيوعي والحركات السياسية غير الممثلة برلمانيًا، وخاصة الهامشية

---

(١) مئير يعاري **מאיר יערי** (١٨٩٧ - ١٩٨٧م): كان ناشطا صهيونيا وصحفيا إسرائيليا وعضو كنيست عن حزب «مبام»، كما كان من رؤساء حركة الشباب «هشومير هتسعير/ الحارس الشاب» وحزب العمال الموحد «مبام».

والتـي أُطلـق عليهـا «الهوامـش المجنونـة». واسـتمرت تدخـلات الشـاباك لعقديـن آخريـن، حتـى النصـف الثـاني مـن السـبعينيات. ولم تكـن الأسـباب مقنعـة دائمًـا، وهـي أن نفـس الحـركات كانـت تشـكل خطـرًا عـلى الديمقراطيـة الإسرائيليـة.

قـام الشـاباك بتجنيـد خمسـين عميـل ورجـل اسـتخبارات في ٣٥ منطقـة مـن مناطـق المعابـر السـكنية والأحيـاء، التـي يقطـن معظمهـا المهاجـرون مـن الـدول الإسـلامية، والذيـن قدمـوا تقاريـر عــن «مثـيري الشـغب». لاحقًــا في عــام ٢٠٠٨، كشــف إيتــان غـلازر[١]، الـذي كان رئيـس قسـم البحـوث والتوثيـق التاريخـي في الشـاباك سـابقًا، في مقـال لـه، عـن العمـل الـذي كُلـف بـه جهـاز الشـاباك، قائـلًا: «تـم تكليـف الشـاباك بتقديـم المسـاعدة للشرطـة في منـع سـكان المعابـر مـن الإخـلال بالنظـام، بعـد أن احتجـوا ضـد الحكومـة عـلى التمييـز العرقـي والاقتصـادي داخـل المهاجريـن الجـدد، حيـث تمـت إثارتهـم بسـهولة مـن قبـل مصـادر المعارضـة وخاصـة الشـيوعيين». («خدمتـي في الأمـن: إقامـة الشـاباك مـن ضمـن «مهنـة فكريـة»: ٦٠ عامـا للاسـتخبارات الإسرائيليـة – نظـرة مـن الداخـل»، عقـل ومركـز الـتراث الاسـتخباراتي، ٢٠٠٨م). وتـم نقـل المعلومـات التـي جمعهـا عمـلاء الشـاباك إلى الشرطـة، التـي اعتقلـت أو اسـتجوبت «مثـيري الشـغب».

تـم تكليـف هـؤلاء العمـلاء بمهمـة هامـة وخاصـة، وهـي قمـع

(١) إيتان غلازر **איתן גלזר**: كان رئيس قسم البحوث والتوثيق التاريخي في الشاباك.

تمرد نشب في وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٩، والذي امتد أيضًا لمستوطنات أخرى يوجد فيها تجمعات سكانية لمهاجرين من شمال أفريقيا. لقد كانت كلمة السر لعمليات الشاباك جالوت «منفى». إن خلفية هذا التمرد كان الشعور بالظلم الشديد، لكن الشاباك رأى في ذلك محاولة لإسقاط نظام بن غوريون. وحذر رئيس وحدة القطاع الشمالي لجهاز الشاباك أن هذا التمرد «سيضر إلى حد ما بأمن الدولة». وعلى الرغم من موقفه المبدئي ضد التجسس السياسي، وافق مانور على أن يقوم رجاله بعمليات جمع معلومات استخباراتية، لكن يجب «حصر التغطية الاستخباراتية بالمتورطين» في أحداث حددها كشرعية أو أقل أو أكثر.

يشير العدد الكبير من العملاء إلى الأهمية والجهد والموارد الكبيرة التي استثمرتها المنظمة، التي كانت ضعيفة الوسائل والقوى البشرية، لإخضاع أعمال الشغب (يائير شبيغل، «أيام عاموس: رئيس الشاباك الثالث - عاموس مانور، العمليات والقضايا ١٩٥٣ - ١٩٦٣م، مودان، ٢٠١٧م). أما الشخص الذي كان مسؤولًا عن مخزن العملاء فهو «تسمحوني»، الاسم الحركي لأبراهام أحيتوف[1]، والذي تسلم فيما بعد رئاسة الشاباك عام ١٩٧٤م.

(١) أبراهام أحيتوف **אברהם אחיטוב** (١٩٣٠ - ٢٠٠٩م): رجل استخبارات إسرائيلي، شغل منصب رئيس جهاز الأمن العام «الشاباك» بين عامي ١٩٧٤ - ١٩٨٠م.

استمرت المراقبة أيضًا في ذلك الوقت على المنظمات اليسارية المتشددة مثل سرايا البوصلة «ماتسبين»، وعلى اليمين المتطرف الذي ازدهر في هوامش الحركة الاستيطانية في المناطق العربية، وعلى حركة الفهود السود. ولاحق أيضًا من وقت لآخر الأحزاب اليمينية البرلمانية، منها هذه المعروفة باسم الحزب الديني القومي «مفدال» وحتى الليكود.

ولم يتوقف هذا النهج السيء تمامًا، إلا عندما نجح بيغن والليكود في انتخابات عام ١٩٧٧ وشكلوا الحكومة. مع هذا، فإن سياسة مانور في تقليص التجسس السياسي قد ساعدت هاريل في التحرر جزئيًا من الانحياز السياسي لديه ومحاولة التحول إلى رجل دولة وأكثر مهنية، وفي عام ١٩٥٥، وبعد شعوره بأنه أزاح تهديد الحركات السرية اليمينية ودرء خطرها، بدأ هاريل بتجنيد رجال «ليحي» و»إتسل»، لما يمتلكونه من خبرة في العمل السري والعمليات الخاصة. أما أهم المجندين فكان إسحاق شامير «يازرنيتسكي[١]»، الذي كان قائدًا لمنظمة «ليحي». أقنع شامير بدوره مرؤوسيه الذين قادهم أيام الحركة السرية، ومن بينهم هرتزل أميكام[٢] وديفيد شومرون[٣]

(١) إسحاق شامير (يازرنيتسكي) **יצחק שמיר (יזרנצקי)** (١٩١٥ - ٢٠١٢م): رئيس الوزراء الإسرائيلي السابع بين عامي ١٩٨٣ - ١٩٨٤م، وفي الفترة الثانية من ١٩٨٦م إلى ١٩٩٢م.

(٢) هرتزل أميكام **הרצל עמיקם** (١٩١٨ - ١٩٨٦م): كان دبلوماسيا إسرائيليا وعضوا في منظمة «ليحي».

(٣) ديفيد شومرون **דוד שומרון** (١٩٢٤ - ٢٠٢٠م): كان رجل أمن إسرائيلي وعضوا في قيادة عمليات منظمات «ليحي»، تم تجنيده في الموساد حيث شغل مناصب عملياتية كبيرة.

ويعقـوب (يشـكا) إليـاف[1]، بـأن يحـذوا حـذوه. كذلـك عـلى سـبيل المثـال، يهوشـع كوهـين[2]، الـذي شـارك عـام ١٩٤٨ في عملية اغتيـال برنـادوت، جُنّـد في الشـاباك وأصبـح حارسًـا شـخصيًا لـبن غوريـون.

لاحقًـا في عـام ١٩٥٩، تـم إرسـال شـامير إلى باريـس ليـترأس وحـدة عمليـات صغـيرة تدعـى «مفراتـس»، والتـي كانـت مهمتهـا إدخـال جواسـيس إلى الـدول العربيـة والتخطيـط لأعـمال تخريبيـة واغتيـالات. وكانـت هـذه وحـدة العمليـات الأولى للموسـاد.

لم يكـن تجنيـد رجـال اليمـين في الموسـاد مجـرد صدفـة. فهاريـل لم يثـق بهـم حتـى النهايـة: لقـد خـشي منهـم في العمليـات الأمنيـة الداخليـة ألا يكونـوا في اللحظـات الحاسـمة مخلصـين للحكومـة برئاسـة بـن غوريـون.

(١) يعقـوب (يشـكا) إليـاف **יעקב** (**ישקה**) **אליאב** (١٩١٧ - ١٩٨٥م): كان مسؤولا عـن نشـاطات منظمـة «إتسـل» في القـدس، وأحـد مؤسـسي منظمـة «ليحـي».

(٢) يهوشـع كوهـين **יהושע כהן** (١٩٢٢ - ١٩٨٦م): كان عضـوا قياديـا في منظمـة «ليحـي»، والحـارس الشـخصي لدافيـد بـن غوريـون

وحدة المستعربين

بعد فترة وجيزة من عودته إلى إسرائيل قادما من المهمة في العراق، في النصف الثاني من عام ١٩٤٩، تم استدعاء شموئيل موريه إلى اجتماع في القدس، مقهى في جادة القدس، ليس بعيدا عما يعرف اليوم بسوق السلع المستعملة، والذي يقع ضمنه، في شارع بسترس (حاليا شارع ديفيد رازيل)، مقر قيادة الجهاز. وخلال الاجتماع الذي استمر لمدة عشرين دقيقة مع إيسر هاريل، تم الاتفاق فيه على انضمام موريه إلى القسم العربي (فيما بعد الفرع العربي)، وتحديدًا إلى الوحدة التي تتعامل مع إحباط أعمال التجسس من قبل الدول العربية.

في أواخر عام ١٩٥٠، عندما كان موريه في دورة الاستخبارات العليا، شرع هاريل في إنشاء وحدة مستعربين، كانت مصممة ليتسلل أفرادها بهويات مزورة إلى تجمعات الأقليات العربية في إسرائيل، والتي عاشت بعد حرب ٤٨ تحت الحكم العسكري. وقد قام هاريل بتكليف موريه بالمهمة.

حتى قبل قيام الدولة، عمدت كل من الوكالة اليهودية و «الهاغانا» إلى إنشاء وحدة المستعربين المعروفة التابعة للبلماح، والتي في نهاية المطاف لم تؤت ثمارا عملياتية حقيقية.

وخلال حرب ٤٨ وما بعدها، استغل كل من الجيش الإسرائيلي والدائرة السياسية التابعة لوزارة الخارجية موجات اللاجئين الفلسطينيين، لإدخال عملاء يهود إلى الدول العربية المجاورة. حيث حصل أولئك العملاء على هويات عربية مستعارة من اللاجئين. وقد توفي بعضهم في ظروف غامضة أو أعلن عن فقدانهم.

أحدهم كان يعقوب بقاعي[١]. وقد كان في وحدة المستعربين في البلماح، وتم إدخاله إلى الأردن كضابط استخبارات بهدف الحصول على المعلومات. وفي مايو عام ١٩٤٩ تم اعتقاله من قبل الفيلق العربي، فتم تقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالإعدام. حيث تم إعدامه شنقا في ٣ أغسطس/ عام ١٩٤٩. ولم يعرف مكان دفنه حتى يومنا هذا.

في عام ١٩٥٠ جند موريه ١٣ مرشّحًا شابًّا، ممن ولدوا في بلدان عربية ويتحدثون اللغة العربية، وحاصلين على شهادة تعليم ثانوي، بعد أن خضعوا لتقييم نفسي وخطي[٢]، حيث

(١) يعقوب بقاعي **יעקב בוקעי** (١٩٣٠ - ١٩٤٩م): كان فردا في وحدة المستعربين التابعة للجيش الإسرائيلي تم إرساله في مهمة استخباراتية في المملكة الأردنية. لكن المهمة فشلت بعد أن تم إلقاء القبض عليه من قبل الأردنيين. وتم الحكم عليه بالإعدام.

(٢) دراسة الخط أو الجرافولوجي (Graphology): هو علم تحليل الشخصية من خلال الصفات الفيزيائية خط اليد، وهو علم يستخدم للكشف عن الحالة النفسية لكاتب النص وقت كتابته له أو حتى لتقييم صفاته الشخصية. بشكل عام هو يعتبر علم زائف، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7 %D8%A7 - cite_note-nevo1986-2 وهذا المصطلح قد يستخدم بشكل خاطئ للفحص العلمي للوثائق التاريخية.

قام مدرسو لغة عربية وخبراء في التاريخ الإسلامي بإلقاء محاضرات للمجندين في مواضيع مختلفة، من تعليم اللهجة الفلسطينية وحتى الدراسات الدينية وتحفيظ سور من القرآن الكريم. كما تعلموا أيضًا أساسيات علم الاستخبارات: تمييز المراقبة، والتهرب منها، وتشغيل جهاز اللاسلكي، واستخدام الكتابة المشفرة، وفك تشفير عمليات الإرسال المشفرة، وترتيب الاجتماعات السرية. وقد قال موريه: «استمر التدريب لبضعة أشهر، وفي نهايته تم منح كل مستعرب هوية جديدة وقصة تغطية».

أكمل عشرة من المجندين الدورة، وتم تجهيزهم بأجهزة لاسلكية لاستخدامها في حالات الطوارئ، وأُرسلوا إلى وجهاتهم: تم إرسال أحدهم ليكون حارس غابة في جبل الجرمق[1]، وتسلل آخرون إلى الناصرة وحيفا وشفا عمرو والتجمعات البدوية في النقب. حيث عمل بعضهم تحت ستار معلمين في المدارس.

كانت درجة السرية في تشغيل المستعربين كبيرةً جدًّا، لدرجة أن عائلاتهم لم تكن تعرف مهنتهم الحقيقية. وقد كان موريه يأتي بنفسه كل شهر إلى منازل العائلات ليسلمهم رواتب أبنائهم نقدًا. ولم تجر محاولات لإشراك أحد أفراد الأسرة

(١) جبل الجرمق: هو أعلى جبال فلسطين، ويقع في شمال غرب الجليل، ويبلغ ارتفاعه ١٢٠٨ مترًا. يطلق الإسرائيليون عليه اسم جبل ميرون.

سرًّا إلا في وقت لاحق.

قال موريه: «بدأت المشاكل بسرعة كبيرة، فأنت تأخذ شابًّا مفعمًا بالحيوية وترمي به في بيئة عربية. يصل إليها الشباب عازبين وغير معروفين. هذه البيئة شكّاكة للغاية. وشيئًا فشيئًا يتشكل عليهم ضغط مجتمعي. إذ يسأله جيرانه وأصدقاؤه الجدد، لماذا لا تجد فتاة، ويبدأون محاولة ربطه بعلاقة مع فتاة بشتى الطرق، فيتوتر الشاب ويستجيب للضغط. صحيح أنك عندما ترسله في المهمة، لا تأمره بالزواج، لكن من الواضح لكلا الطرفين أن هذا الأمر وارد، فهذا سيجعله يؤدي عمله بشكل أفضل».

يتذكر موريه حالة معقدةً جدًا لمستعرب اضطر أن يخبر جيرانه بأنه قد خطب ابنة عمه قبل الحرب، لكنها فرت مع عائلتها إلى غزة. فما كان من وجهاء الحي إلا أن توجهوا دون علم المستعرب إلى منسق الشاباك، الذي كان مسؤولا عنهم، وطلبوا منه ترتيب تصريح خروج خاص للشاب ليحاول تحديد مكان خطيبته ويحضرها. «حصل المستعرب على التصريح، وغادر المكان، وتجول هنا وهناك لمدة أسبوع. وعند عودته قدم للمحيطين به عذرا واهيًا بأنه لم يعثر على ابنة عمه وأن آثارها قد اختفت».

قام بعض المستعربين، إما بمحض إرادتهم أو بدافع الرغبة في تلبية توقعات المسؤولين عنهم، بالزواج من شابات

محليات وكونوا عائلات. وقد نشأت المشاكل عندما تقرر حل الوحدة وإعادة المستعربين. فبينما عاد العازبون واندمجوا في المجتمع اليهودي مرة أخرى، وبقي بعضهم للعمل في الشاباك، وغادر البعض الآخر، فقد واجه المتزوجون وأصحاب العائلات معضلات صعبة. وقد قال موريه: «من أحمد عليك فجأة أن تعود لتكون آفي مرة أخرى. وعليك فجأة أن تخبر زوجتك بالحقيقة. أنك ليس فقط لست القومي العربي الذي تظاهرت أنك هو، والذي كانت تعشقه، بل وأيضا يهودي. هذا ليس أمرا سهلا. وماذا عن المرأة، التي عليها أن تقرر ما إذا كانت ستنفصل عن عائلتها المسلمة العربية وتنضم إلى زوجها اليهودي؟»

قرر الشاباك أن كل مستعرب سيقرر مستقبله ومستقبل عائلته. ويتذكر موريه ذلك، قائلا: «عائلات تفرقت وتمزقت. لكن ماذا عن الأطفال؟ ما هي هويتهم؟ كل صبي بلغ سن التجنيد، كان عليه أن يقرر ما إذا كان سيتجنّد أم لا. إنه يعلم أن والدته عربية ووالده يهودي. هكذا يسأل نفسه في أي اتجاه سيصوب بندقيته. لقد نشأت حالات صعبة من انفصام الشخصية».

كان هذا هو الحال بالنسبة إلى أوري يسرائيل، الذي كان موريه يعرف عائلته من العراق. عمل يسرائيل في قطار في حيفا وكانت قصة التغطية الخاصة به لفارس في الشرطة،

وهـي هويّـة سـمحت لـه بركـوب حصانـه، والتنقـل بـين القـرى العربيـة. ثـم سـقط في وقـت لاحـق عـن الحصـان وأصيـب، فاضطر إلى ترتيـب قصـة تغطيـة جديـدة لـه. فانتقـل إلى يافـا، وعـاش مـع عائلـة مسـيحية ثريـة، ووقـع في حـب إحـدى بنـات العائلـة. سـمح لـه الشـاباك بالـزواج، فانتقـل مـع زوجتـه إلى البرازيـل عـام ١٩٥٦، حيـث كانـت للعائلـة أعـمال تجاريـة كبـيرة. أبـلى يسرائيـل بـلاء حسـنًا في مجـال الأعـمال التجاريـة، ولكـن عندمـا وُلـد ابنـه، وبالتنسـيق مـع مشـغليه في الشـاباك، انتقـل إلى لبنـان، بذريعـة أنـه يريـد تربيـة أبنائـه في بلـد عـربي، وفي جـو مناسـب.

في لبنـان، واصـل يسرائيـل العمـل كجاسـوس إسرائيـلي، وكان مـن بـين أوائـل الذيـن أبلغـوا عـن تنظيـم الشـباب الفلسـطينيين، ومـن بينهـم يـاسر عرفـات[١]، والذيـن سيشـكلون فيـما بعـد حركـة فتـح. وأثنـاء إحـدى عمليـات الإرسـال بشـيفرة مـورس، التـي كان يبثهـا إلى مشـغليه، دخلـت زوجتـه إلى الغرفـة. فاعـترف لهـا أنـه ليـس قوميـا فلسـطينيًا، بـل جاسـوس يهـودي في خدمـة إسرائيـل. أصيبـت زوجتـه بالصدمـة، لكنهـا سرعـان مـا عـادت إلى رشـدها، وأخبرتـه أنهـا تقيـم علاقـة غراميـة مـع هـاني الحسـن[٢][٣]، وهـو شـاب فلسـطيني مـن المجموعـة المؤسسـة لحركـة فتـح.

---

(١) يـاسر عرفـات (١٩٢٩ - ٢٠٠٤م): اسـمه الحقيقـي محمـد عبـد الـرؤوف عرفـات القـدوة الحسـيني. يُكنـى بـأبي عـمار ويُلقـب بالختيـار. هـو سـياسي وعسـكري فلسـطيني لاجـئ وأحـد مؤسـسي حركـة «فتـح» وجناحهـا المسـلح (العاصفـة).

(٢) هـاني الحسـن (١٩٣٩ - ٢٠١٢م): سـياسي فلسـطيني يعتـبر مـن الرعيـل الأول المؤسـس لحركـة فتح

وفي محاولة لرأب الصدع، هاجرت العائلة إلى باريس. وهناك، بعد أزمة أخرى في حياتهما الزوجية، وافقت الزوجة على التحول إلى الديانة اليهودية، فتم إرسال حاخام من إسرائيل وقام بتهويدها. ثم عاد الزوجان إلى إسرائيل، لكنهما تطلقا في نهاية المطاف.

في عام ١٩٥٧ توصل مانور إلى استنتاج مفاده أن وحدة المستعربين تشكل عبئًا أكثر من كونها ذات قيمة استخباراتية، وسعى إلى تفكيكها. حيث قال: «أنا أعترف بأن هذه القصة كلها، والتي لم أكن أعرف تفاصيلها كاملة بسبب مبدأ التقسيم والتجزئة، أصبحت مصدر إزعاج كبير خلال ولايتي. لقد كانت مثل شوكة في العنق». غير أن هاريل كان مترددًا. لكنه بضغط من مانور، وافق على تعيين شخصية عامة مقبولة لدى كل من الحكومة ومجتمع الاستخبارات، لفحص وظيفة الوحدة وضرورتها. لم يتوصل الفاحص إلى نتائج حاسمة، واستمرت المسألة لمدة ثلاث سنوات كاملة، إذ تقرر نهاية عام ١٩٥٩ حل وحدة المستعربين.

أضاف مانور: «حتى بعد التفكيك، ظلت المشاكل تطاردني. لم نكن نريد الكذب وخداع الحاخامية، ولذلك تقرر إخضاع العائلات لعملية التهويد الشاقة، وقد استغرق هذا الأمر وقتا. حاولنا إعادة تأهيل الأشخاص، لكن الأمور لم تسر دائما على ما يرام. فالناس في مثل هذه المواقف يشعرون بأن الدولة

مدينة لهم بلا حدود. وأنا لا ألومهم. هذا هو شعورهم، ويجب أن نتعامل مع الوضع. أتذكر بشكل خاص شابا حاولنا مساعدته مرارا وتكرارا. فتحنا له عملا وفشل. ثم ساعدناه في عمل آخر، لكنه هنا أيضا أفلس. وقد استمر طوال الوقت بالقدوم إلينا بالمطالب».

بحسب موريه: «لم تحل المشاكل لبضع سنوات أخرى وبقيت تطاردني خارج البلاد أيضا. لقد سمعت من العديد من الأشخاص بأن الجهاز لم يتصرف بشكل لائق مع المعاد تأهيلهم. فليفهموا أن الزنجي قد قام بعمله، الزنجي يمكنه أن يذهب. (تعبير يصف موقفًا يتلقى فيه الشخص معاملة مشينة وغير محترمة بعد خدمة أو عمل قام به لشخص ما). كان هناك إهمال وعدم حساسية تجاه مشاكلهم. لقد تمكنا من حل المشاكل المالية للمستعربين، لكن كان من الصعب التعامل مع عملية إعادة التأهيل الشخصي. الثمن الشخصي، التضحية الشخصية، الذي كان على المستعربين أن يدفعوه، كان باهظا للغاية. بالعودة إلى الماضي، من الواضح لي أنه فيما يتعلق بالجهود التي بذلناها في تدريب المستعرب والأضرار التي سببناها له، فإن العمل برمته لم يكن مجديا».

استمرت ملاحق القضية في الظهور على أفواه أولئك الذين ترأسوا وحدات القوى البشرية في الشاباك حتى سنوات السبعينيات والثمانينيات. ويرجع ذلك جزئيا إلى أطفال الأزواج

المعنيين، الذين كان منهم من وجدوا أنفسهم عالقين في عالم الجريمة وتعاطوا المخدرات وحكم عليهم بالسجن، وطلبت العائلات من الشاباك أن يساعدهم.

بالإضافة إلى الجانب الإنساني من القضية، هناك أيضا السؤال الجوهري: لماذا احتاج الشاباك إلى وحدة تعمل بين مواطني الدولة؟ ألم تكن آليات الرقابة المعتادة للحكم العسكري والشاباك كافية، مما فرض عبئا على عرب إسرائيل وأثقل كاهلهم؟ وفي نهاية المطاف، اعترف مانور وموريه أن استخدام أسلوب العمل هذا ضد مواطني الدولة كان خطأ. «لا شك بأن الفكرة بأكملها وتنفيذها كان خطأ كبيرا».

الجثة والنازي

كانت المهمة رقم واحد للشاباك في الخمسينيات والستينيات، وحتى حرب الأيام الستة (نكسة يونيو ٦٧)، هي كشف الجواسيس، وإحباط عمليات التجسس ضد إسرائيل، ومراقبة الدبلوماسيين الأجانب ومنشورات موظفي الأمم المتحدة، وتجنيد عملاء من بينهم.

ولحسن حظ «إسرائيل»، كانت أجهزة مخابرات الدول العربية مقيّدةً بشكل كبير. فهي تقريبًا لم تحاول إدخال جواسيس إلى فلسطين أو تجنيد عملاء محليين. وعندما حاولوا هنا وهناك القيام بذلك في بعض الأحيان، تلقوا مساعدة بشكل أساسي من عرب ٤٨، وهؤلاء هم من كان تحت المراقبة الحثيثة للشاباك والسلطة العسكرية.

أما المذهلة فكانت هي المخابرات المصرية. حيث كان المركز الأوروبي للمخابرات المصرية في السفارة في روما، والتي وصل إليها في نوفمبر عام ١٩٥٤ إيفور (أفنير) ألكسندر يسرائيل[١].

(١) إيفور (أفنير) ألكسندر يسرائيل **איבור (אבנר) אלכסנדר ישראל**: كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي وسعى للتجسس لصالح مصر مقابل أموال. قام عملاء الموساد باختطافه من أوروبا عام ١٩٥٤م وتخديره ونقله إلى طائرة إسرائيلية، إلا أنه «توفي» في الطائرة لأسباب لم تتضح، وقام عملاء الموساد بإلقاء جثته في عرض البحر المتوسط.

كان مـن مواليـد بلغاريـا. درس الهندسـة وهاجـر إلى فلسـطين في عـام ١٩٤٩. التحـق بالجيـش الإسرائيـلي، وتقلـد رتبـة نقيـب وعُـيّن في سـلاح البحريـة، وهنـاك بـرز كضابـط متميـز وعمـل في تطويـر وسـائط الحـرب الإلكترونيـة، والتـي حينهـا كانـت لاتـزال في مهدهـا. وفي عـام ١٩٥٣، تـزوج مـن مهاجـرة جديـدة مـن بلغاريـا، وسـكن الزوجـان في حيفـا.

لكـن، تخفّـت تحـت عبـاءة الضابـط شـخصية معقـدة وغـير مباليـة. وبعـد انتهـاء خدمتـه في الجيـش، توجـه للأعـمال الحـرة وفشـل فيهـا. ومـن أجـل التخلـص مـن الديـون، انتحـل شـخصية وكيـل شركـة ثلاجـات وأخـذ مـن العمـلاء سـلفا نقديـة مسـبقة تقـدر بـآلاف الجنيهـات.

تراكـم لـدى الشرطـة ضـده قضايـا وفُتحـت ملفـات، وريثـما تم تقديـم لوائـح الاتهـام وإعـلان إفلاسـه، تمكـن ألكسـندر يسرائيـل مـن الاختفـاء. حيـث اسـتغل علاقتـه بموظفـة في القنصليـة الإيطاليـة في حيفـا، فعـرض عليهـا الـزواج، دون أن يخبرهـا بأنـه متـزوج. طلبـت منـه الفتـاة أن يتحـول للنصرانيّـة ووافـق عـلى الفـور. وتـم تعميـده في الديـن المسـيحي في كنيسـة تـيرا سـانتا في القـدس. وقـام بتغيـير اسـمه إلى ألكسـندر إيفـور، وحصـل بمسـاعدة الكنيسـة عـلى جـواز سـفر يحمـل اسـمه الجديـد، فـرّ مـن خلالـه مـن فلسـطين. مخلّفًـا وراءه امـرأة، لم يبـالي بتركهـا، مـع ولدهـما ذو العـام الواحـد، وكذلـك خطيبـةً كان قـد وعدهـا

بالـزواج.

بعـد وصولـه إلى إيطاليـا بوقـت قصـير، فقد ألكسـندر كل شيء، وقـرر عـرض خدماتـه عـلى المخابـرات المصريـة. فالتقـى بالملحـق العسـكري في السـفارة المصريـة في رومـا، وادعـى أنـه يمتلـك وثائـق سريـة حـول تطويـر برنامـج حـرب إلكترونيـة في سـلاح البحريـة، وحـول تطويـرات متقدمـة في سـلاح الجـو. وطلـب مقابـل ذلـك الكثـير مـن المـال، وحيـاة أخـرى جديـدة في أمريـكا الجنوبيـة.

وافـق الملحـق العسـكري المـصري عـلى طلبـه، ودفـع لـه مقدّمًـا ١٥٠٠ دولار، وأعلمـه أنـه سـيتم ترتيـب رحلـة لـه إلى مـصر لمزيـد مـن الاسـتجواب والعمـل.

مـا لم يكـن يعلمـه المصريـون في الحقيقـة هـو أن الموسـاد الإسرائيـلي كان قـد نجـح قبـل ذلـك في تجنيـد موظـف يعمـل في السـفارة المصريـة، كمسـؤول عـن إرسـال البرقيّـات المشـفرة. وقـد قـام هـذا الموظـف بإبـلاغ مشـغليه في «الكريـاه» في تـل أبيـب بأن ضابطًـا إسرائيليًّـا يدعـى إيفـور أو إيفـون يحـاول بيـع معلومـات عسـكرية سريـة. وبعـد مـرور عـدة أيـام أبلـغ الجاسـوس المـصري بـأن الملحقيــة العسـكرية اشـترت تذكـرتي طـيران مــن شركــة «TWA» إلى القاهـرة للضابـط الإسرائيـلي ولمرافقـه، الملحـق العسـكري.

قـرر إيـسر هاريـل أنـه يجـب منـع إيفـور مـن الوصـول إلى مـصر بـأي ثمـن. وبسـبب ولعـدم وجـود وحـدة عمليـات خاصـة

في الموساد وقتها، قام إيسر هاريل وعلى وجه السرعة بإرسال عدد من رجال وحدة العمليات الخاصة التابعة للشاباك. وانضم إليهم أيضًا رئيس الشاباك عاموس مانور، لمتابعة العملية عن كثب. تم في قيادة الموساد طرح فكرة تصفية إيفور على الأراضي الأوروبية، لكن هاريل رفض هذا على الفور. «نحن دولة ديمقراطية ولن نقبل بقتل مواطنين إسرائيليين دون محاكمة».

مجيبًا ومحددًا القاعدة الحديدية للاستخبارات الإسرائيلية. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن لم تقم الاستخبارات الإسرائيلية بتصفية أي مواطن إسرائيلي. لقد أمر هاريل باختطاف إيفور وإحضاره إلى فلسطين المحتلة.

تم تعيين رافي إيتان[1]، الذي كان من أوائل المنضمين إلى الخلية العملياتية التابعة للشاباك، رئيسًا للعملية، كما طُلب من كل الممثليات الدبلوماسية وضباط الاستخبارات الإسرائيليين في أوروبا، تسخير كل الوسائل الممكنة لإيجاد المطلوب. قال إيتان لاحقًا: «لم يكن لدينا أية فكرة أين يتجول، كنّا كالذي يبحث عن إبرة في كومة قش».

(١) رافي (رفائيل) إيتان **רפי איתן** (١٩٢٦ - ٢٠١٩م): سياسي ورجل أعمال وضابط مخابرات إسرائيلي، وكان قائدًا لحزب غيل، كما شغل منصب وزير شؤون المتقاعدين. كان مسؤولًا عن عملية الموساد التي أدت إلى القبض على أدولف أيخمان. شغل منصب مُستشار في الإرهاب لرئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن، وفي عام ١٩٨١م عُينَ رئيسًا لمكتب العلاقات العلمية (لاكام)، ثم في الاستخبارات مع الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية والشاباك.

لكـن الحـظ ابتسـم لهـم. حيـث قـال مانـور: « في عمليـات المخابـرات، أحيانًـا مـا تكـون عطايـا آلهـة الحـظ هـي التـي تفصـل بـين الفشـل والنجـاح». فقـد تعرفـت زوجـة أحـد رجـال الاسـتخبارات الإسرائيليـين الـذي كان مُعيّنًـا في السـفارة في فيينـا عـلى إيفـور مصادفـةً، عـبر أحـد محـلات الفسـاتين، تحدثـت معـه بإعجـاب، وافترقـا عـلى أمـل بلقـاء جديـد. أسرعـت الزوجـة لتبلـغ زوجهـا، والـذي سـارع بـدوره إيصـال المعلومـة للمختصـين. أخـبر إيفـور زوجـة السـفير في لقائهـما الثـاني بأنـه يسـتعد للسـفر في اليـوم التـالي مـن فيينـا إلى باريـس. انقسـم عنـاصر الخليـة العملياتيـة، والمتمركـزة في رومـا إلى مجموعتـين: واحـدة سـافرت إلى فيينـا والثانيـة إلى باريـس.

أثنـاء الرحلـة مـن فيينـا صعـدت مـع إيفـور إحـدى الفتيـات. جلسـت بجانبـه وشرعـت تبـدي إعجابهـا بـه. ثـم في نهايـة حديثهـما أخبرتـه بـأن أصدقاءهـا ينتظرونهـا في المطـار في باريـس، وأنهـا سـتكون سـعيدة بإيصالـه في طريقهـا. اغتنـم إيفـور الفرصـة. ودخـل إلى السـيارة مـع صديقتـه الجديـدة، والتـي كان أصدقاؤهـا هـم عنـاصر المهمـة، والذيـن قامـوا بنقلـه إلى شـقة مخفيّـة. تـم تخديـره مـن قبـل الدكتـور يونـا إليـان[١]، ثـم وضـع في صنـدوق خشـبي. قـام كل مـن إيتـان ومانـور باسـتجواب إيفـور في الشـقة المخفيـة، حيـث بـرّر أن الدافـع وراء سـلوكه كان المـال.

---

(١) يونـا إليـان **יונה אליאן** (١٩٢٣ - ٢٠١١م): كان طبيبـا إسرائيليـا، شـارك في خمسـينيات وسـتينيات القـرن المـاضي، كجـزء مـن مهنتـه، في عمليـات سريـة لصالـح الموسـاد.

في أثناء التجهيز للعملية كانت تنتظر في المطار العسكري بالقرب من باريس طائرة داكوتا «دوغلاس» تابعة لسلاح الجو. حيث تم تنويم إيفور بمادة الكلوروفورم المخدرة، ووضع في الصندوق، الذي تم حزم الصندوق الخشبي كطرد بريدي دبلوماسي، من أجل منع على السلطات المحلية من تفتيشه، وتم إصعاده على متن الطائرة. وبسبب المسافة، توقفت الطائرة في محطتين على الطريق، في روما وأثينا. حيث كان يتم في كل محطة حقن إيفور بجرعة من الكلوروفورم مرة أخرى. وبعد الإقلاع من أثينا بدأ إيفور بالاختلاج. وعلى الرغم من محاولات الإنعاش التي أجراها الدكتور إليان، والذي جعل الطائرة تهبط في مطار دوف، كان إيفور قد فارق الحياة. ويستذكر إيتان ذلك، قائلا: «كان هناك برد قارس على متن الطائرة، لقد خرج البرد والروح من فتحات صفقات الباب. جلس الجميع يرتدون المعاطف ويلتفون بالأغطية».

أبلغ المسؤولون عن العملية إيسر هاريل، فأمر بإرسال طاقم جوي جديد، ثم أمرهم بالإقلاع فوق البحر المتوسط وإلقاء جثة إيفور في البحر. وبرباطة جأش شديدة، وكي يجنب نفسه وحكومة بن غوريون الإحراج، أمر هاريل كما أمر بعدم إبلاغ العائلة بأي شيء، ثم قام بعدها بزرع معلومات في الصحف عن ضابط إسرائيلي غرق بالديون وبقضايا رومانسية، تنصر وفرّ من إسرائيل واختفى أثره. وبعد مرور سنوات

عدة، تم ترتيب وثيقة طلاق لزوجته المعلقة. وبعد حوالي خمسين عامًا من الحادثة تم إعلام ابنه موشيه زيفر بالقضية كاملةً، وسمح له الموساد بالاطلاع على عدد من الملفات.

على الرغم من ذلك، قدم هاريل على الفور تقريرا حول الحادث إلى رئيس الحكومة موشيه شاريت. وكروتين يومي معتمد آنذاك، أوعز إلى اثنين من السياسيين من حزب «مباي» (حزب عمال إسرائيل)، هما عضوا الكنيست يعقوب شمشون شابيرا[1] وكاديش لوز[2]، ليكونا بمثابة لجنة تحقيق سرية. فقاما بالاستماع إلى شهادات المشتركين في العملية، والنظر في تقارير الاستخبارات، خلص التحقيق في قضية موت إيفر إلى أن هاريل ورجاله تصرفوا بشكل صحيح. فيما تم إلقاء المسؤولية على طبيب التخدير، الذي قدّر بأن سبب الوفاة هو مزيج مواد التخدير والبرد واختلافات الضغط الجوي. تم قبول التوضيح، واستمر في مرافقة عمليات الموساد، ومن بينها عملية القبض على أيخمان[3]. وقال إيتان بعد مرور سنوات

(١) يعقوب شمشون شابيرا **יעקב שמשון שפירא** (١٩٠٢ - ١٩٩٣م): سياسي إسرائيلي من أصل روسي. هو أول مدع عام في إسرائيل، وكان وزيرا للعدل بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٧٣م.

(٢) كاديش لوز **קדיש לוז** (١٨٩٥ - ١٩٧٣م): كان سياسيا إسرائيليا، شغل منصب وزير الزراعة ورئيس الكنيست.

(٣) أدولف أيخمان (١٩٠٦ - ١٩٦٢): أحد المسؤولين الكبار في ألمانيا النازية، وضابط في القوات الخاصة الألمانية المسماة قوات العاصفة. تعود إليه مسؤولية الترتيبات اللوجستية كرئيس جهاز البوليس السري «الجيستابو» في إعداد مستلزمات المدنيين في معسكرات الاعتقال، وإبادتهم فيما يعرف آنذاك بالحل الأخير. هرب آيخمان سرًّا إلى عدة دول، إلى أن استقر في الأرجنتين متخفيًّا باسم جديد وشخصية جديدة حتى العام ١٩٦٠، عندما قبض عليه

مـن عمليـة إحضـار ألكسـندر إسرائيـل: «كانـت هـذه إحـدى عملياتنـا المحرجـة، ويجـب التأسـف لذلـك».

بعدهـا بثلاث سـنوات، تـم تنفيـذ عمليه أخـرى، ولكـن هـذه المـرة بنجـاح كبـير.

ولـد أولريـخ شـنافت[1] في ألمانيـا، وانضـم إلى «فافـن إس – إس» (الجنـاح العسـكري للحـزب النـازي)، وحـارب في الاتحـاد السـوفييتي ويوغسـلافيا ووقـع في أسر الجيـش الأمريـكي في إيطاليا.

وفي عـام ١٩٤٧، أُطلـق سراحـه دون محاكمـة، وانجـرف مـع تيار ملايـين اللاجئـين الألمـان الباحثـين عـن المـأوى والغـذاء. اسـتأجر غرفة في ميونخ وعاش بفقر مدقع. وكان ش ريكـه في الغرفـة يهوديًـا، وتعـرف منـه عـلى الجمعيـات الخيريـة ومنظـمات الإغاثـة اليهوديـة، حيـث توجـه إلى إحداهـا، وأخبرهـم بـأن نسـبه يعـود لأب يهـودي وأم مسـيحية، واسـتلم طـرودًا غذائيـة. وبعـد سـماعه أن للاجئـين والنازحـين اليهـود فرصـة الوصـول إلى فلسـطين، قـرر أن يفتـش عـن حظـه هنـاك.

أطلـق عـلى نفسـه اسـم غابرييـل زيسـمان، وصعـد عـلى مـتن سـفينة مهاجريـن غـير شرعيـين نظمتهـا «منظمـة الهجـرة (ب)»

عمـلاء للموسـاد، ونقلـوه إلى فلسـطين المحتلـة، حيـث حوكـم وأديـن وشُـنق في العـام ١٩٦٢. ثـم أحرقـت جثتـه وألقـي بالرمـاد في البحـر الأبيـض المتوسـط. (ويكيبيديـا بتـصرّف)

(١) أولريـخ شـنافت **אולריך שנפט** (ولـد عـام ١٩٢٣م): كان جنديـا في قـوات الأمـن الخاصـة النازيـة «إس إس»، ثـم أصبـح بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة ضابطـا في الجيـش الإسرائيـلي وجاسوسـا لصالـح مـصر. وكان يطلـق عـلى نفسـه اسـم غابرييـل زيسـمان.

في ديسمبر عام ١٩٤٧، غير أن البريطانيين لم يسمحوا للسفينة أن ترسوا على شواطئ فلسطين، فتم إرسال مهاجريها غير الشرعيين إلى معسكر اعتقال في قبرص. ومع قيام الكيان وإنهاء المعسكرات في قبرص، هاجر غابرييل زيسمان إلى فلسطين المحتلة، وانضم إلى مستوطنة كريات عنافيم، وتعلم اللغة العبرية وتجند في الجيش. واجتاز اختبار الضباط بشكل متميز وعين برتبة ملازم في سلاح المدفعية.

بعد انتهاء خدمته في عام ١٩٥٢، أقام زيسمان في عسقلان. وكان يجاوره في السكن زوجان مهاجران من ألمانيا، ونشأت بين زيسمان والمرأة رواية عاصفة. انتقل الاثنان إلى حيفا، وفي عام ١٩٥٤ قررا العودة إلى ألمانيا، فأبحرا إلى جنوة في إيطاليا، وكان زيسمان يحمل جواز سفر إسرائيلي، فتوجه إلى قنصلية ألمانيا الغربية في المدينة وطلب تأشيرة دخول لكنه مُنع. في هذه الأثناء، وفي غياب العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، حظرت إسرائيل على مواطنيها الدخول إلى ألمانيا.

وعندما اتضح له الأمر، كشف زيسمان شنافت عن هويته الحقيقية للقنصل. فاعتقد القنصل أن الذي يقف أمامه هو رجل محتال ومنتحل شخصية، وبقي على موقفه. حينها قرر الحبيبان أن تسافر المرأة، التي كانت تحمل جواز سفر ألماني، إلى ألمانيا وتنتظره هناك.

وعندما خاب أمل زيسمان شانفيت بالعودة إلى ألمانيا، ولم

يكن بحوزته سوى ٢٠ دولارا فقط، توجه إلى القنصل المصري في جنوة، واقترح تقديم معلومات للمخابرات المصرية عن إسرائيل، مقابل دفع مبلغ مالي ومساعدته بالانتقال إلى ألمانيا الغربية. قام القنصل بنقله إلى رعاية الملحق العسكري في روما، الذي اقترح عليه السفر إلى مصر. وصل زيسمان شنافت إلى القاهرة بجواز سفر مصري يحمل اسم روبرت خياط واستمر التحقيق معه لمدة شهر، خوفًا من أن يكون قد تم إرساله من قبل الاستخبارات الإسرائيلية كعميل مزدوج، وفي النهاية اقترحوا عليه العودة إلى فلسطين المحتلة، ومحاولة الالتحاق مجددًا بالجيش بشكل دائم والعمل كجاسوس.

طلب زيسمان التفكير في الاقتراح. من ثم عاد إلى إيطاليا واستلم من القنصلية المصرية جواز سفره الإسرائيلي الذي بقي لديهم كوديعة، وأخذ عدة مئات من الدولارات مقابل المعلومات التي قدّمها، ووثيقة سفر تُمكّنه من السفر إلى ألمانيا. وصل إلى برلين في مارس عام ١٩٥٤ وعاد إلى حضن حبيبته، التي كشف لها عن هويته الحقيقية، وعن العرض الذي قدمته له المخابرات المصرية. حينها قررت المرأة المصدومة الانفصال عنه والعودة إلى زوجها. فأخبرها زيسمان شنافت اليائس أنه سينتقل إلى فرانكفورت، حيث كان لدى زوجة أبيه صيدلية. عادت المرأة إلى زوجها وقصّت له كل ما جرى. فقام بدوره بعد مرور حوالي السنة والنصف في أغسطس عام ١٩٥٥

بكتابة رسالة مفصلة للشاباك يكشف فيها القضية برمتها، ومرفقًا صورًا حديثة لشنافت، أخذها من زوجته.

في اختتام المشاورات قرر مانور وهاريل إلغاء جدول الأعمال بسبب خيانة زيسمان – شنافت وأمروا بالتخطيط لإحضاره إلى إسرائيل. كان في الواقع ضابطا برتبة صغيرة والمعلومات التي كانت في حوزته ضئيلة، لكن أفعاله شكلت خرقًا للأمن، كان للعملية غرض نفسي وإدراكي: معاقبة الجواسيس والخونة بغض النظر عن الضرر الحقيقي الذي تسببوا به، ومن أجل أن يروا ويعلموا أن للاستخبارات الإسرائيلية يدا طويلة بإمكانها الوصول لكل مكان. وسيؤثر هذا النهج مرة تلو الأخرى على حسابات المخابرات في السنوات القادمة.

ألقيت المهمة على عاتق شموئيل موريه، وفي عصر ما قبل الحاسوب اختار للعملية اسما ليس رمزيًا إلى هذا الحد: «حوكن – حقنة». وفي أثناء التخطيط اقترح إرسال مجموعة اغتيال لتصفية شنافت، لكن هاريل، وكما حصل في حادثة ألكسندر (إيفور) يسرائيل، رفع الفيتو.

تم إرسال خلية عملياتية إلى فرانكفورت، فحددت منزل الصيدلانية زوجة أب شنافت، ومن هناك وصلت إلى عنوانه. حيث قام رجال الخلية بتعقبه لعدة أسابيع وتعلموا روتين حياته اليومي. ثم في المرحلة التالية أقام رجل الموساد علاقة مع شنافت، وأصبح الاثنان صديقين، وبدأ بالخروج والتنزه

سـويةً، وقـد كان شـنافت فقـيرًا متمـردًا وسـعيدًا بالعلاقـة.

عندئـذ دخـل موريـه في الصـورة وانتحـل شـخصية «كابـتن عدنـان»، ضابـط في الجيـش العراقـي. جمعـه «الصديـق» الجديـد لشـنافت مـع «كابـتن عدنـان» والـذي قـام هـو بدعوتـه أيضًـا إلى النـوادي الليليـة والمطاعـم. قـص شـنافت لموريـه أنـه كان في الــ «فافـن إس - إس» وخـدم أيضًـا كضابـط في الجيـش الإسرائيـلي، وعـرض عليه موريـه، أن يرسله بمهمـة إلى إسرائيـل. كان الهـدف، كـما شرح موريـه، هـو جمـع معلومـات عـن برنامـج إسرائيـل للتنقيـب عـن النفـط، حيـث تـم اكتشـاف النفط مؤخـرًا في حقـل حلتس في النقـب الغـربي. وأوضـح موريـه في حديثـه لـه أن العراق قلقـة جـدًا مـن المنافسـة الجديـدة لهـا.

أجـاب شـنافت بطيـب خاطـر، وزوده موريـه بتذاكـر طـيران ومـال، وفي الأول مـن يناير/كانـون الثـاني عـام ١٩٥٦م سـافر مـن باريـس في طائـرة «إيـر فرانـس» وعنـد هبوطـه في مطـار اللـد أُلقـي القبـض عليـه مـن قبـل رجـال الشـاباك. وقـدم إلى المحاكمـة وأقيمـت لـه محاكمـة مغلقـة في محكمـة المنطقـة في تـل أبيـب، وحُكـم عـلى شـنافت زيسـمان بالسـجن لمـدة سـبعة أعـوام. وبعـد تخفيـض ثلـث العقوبـة خـرج في عـام ١٩٦١م وعـاد إلى ألمانيـا. توقـف الشـاباك بعدهـا عـن الاهتـمام بـه، ولم يُعـرف مـا حـدث لـه. وبحسـب أحـد التقاريـر، تابـع حياتـه ككاهـن لوثـراني «بروتسـتانتي» يُحـب إسرائيـل.

شيوعيون من حولك

بالمقارنة مع التجسس العربي ضد إسرائيل، الذي كان معظمه يتم بطريقة هاوية، علم الشاباك أن التجسس السوفييتي في إسرائيل كان من الصعب جدًّا كسره. وقد قال يائير راحيلي[1]، الذي انضم إلى وحدة العمليات في الشاباك في أوائل خمسينيات القرن الماضي: «ما لم نكن قد تعلمناه بعد، كانوا في الكي جي بي (الاستخبارات السوفييتية) وأجهزة الدول الشيوعية قد نسوه بالفعل». كانت المهمة الرئيسة للوحدة هي في مجال مكافحة التجسس (التجسس المضاد): مراقبة وتعقب الدبلوماسيين وعملاء الاستخبارات التابعين للكتلة الشيوعية.

على النقيض من الدول الغربية، عملت المخابرات السوفييتية على مبدأ «الكم قبل الكيف». حيث حاولت تجنيد كل من تستطيع تجنيده. ومع ذلك، فإن المهنيين العاملين في ال «كي جي بي» كانوا على علم بأن مخزونهم الطبيعي، أعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي والأحزاب الاشتراكية اليسارية، تم اعتبارهم

---

(١) يائير راحيلي **יאיר רחלי** (ولد عام ١٩٢٩م): هو جندي وكاتب إسرائيلي، خدم في أجهزة الأمن وحصل على وسام بطل إسرائيل.

«مشتبهًا بهم مباشرين»، وأنّ وصولهم إلى المعلومات القيمة محدود. وقد ازدادت حدة هذه الرؤية منذ عام ١٩٥١م، عندما غير بن غوريون، في أعقاب الحرب الكورية، توجه السياسة الخارجية الإسرائيلية، وتحرك نحو دعم واضح لا لبس فيه للولايات المتحدة الأمريكية والغرب، على حساب العلاقات المتوترة بشكل متزايد مع الاتحاد السوفييتي وملحقاته.

وعلى الرغم من ذلك، كانت الاستخبارات السوفييتية تستخدم أعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي بشكل دوري لتنفيذ مهمات منخفضة القيمة. ووفقا لوثائق من الأرشيف الرسمي للحزب ولل «كي جي بي»، تم نشرها في أوائل التسعينات، فقد استعانت الاستخبارات السوفييتية بأعضاء كنيست من هذه الأحزاب، وعلى رأسهم موشيه سنيه[1]، لمواكبة المستجدات التي كانوا يسمعونها خلال المراجعات والإحاطات والمزاج السياسي. لكن من الصعب أن نطلق على أعضاء الكنيست أو كبار أعضاء الحزب هؤلاء اسم «جواسيس»؛ بل هم في أحسن الأحوال كانوا «عوامل تأثير».

كان من بين هؤلاء أهارون كوهين[2] من كيبوتس «شاعر

(١) موشيه سنيه **משה סנה** (١٩٠٩ - ١٩٧٢م): كان طبيبا وسياسيا إسرائيليا، وشخصية عامة، وعضو كنيست.

(٢) أهارون كوهين **אהרון כהן** (١٩١٠ - ١٩٨٠م): كان سياسيا ومستشرقا إسرائيليا وعضوا في حزب «مبام»، تمت إدانته والحكم عليه بالسجن بتهمة تسليم معلومات إلى عميل أجنبي، قبل أن يتم العفو عنه.

هعماكيم»، وهو مستشرق من حزب «مبام» (حزب العمال الموحد) وأحد أتباع الاتحاد السوفييتي. وقد اجتمع لإجراء محادثات مع دبلوماسي سوفييتي، كان في الواقع رجل مخابرات. لم يكن بوسع كوهين الوصول إلى معلومات سرية، لكن حقيقة أن الاجتماعات كانت تعقد سرًّا، في منتصف الليل، قد سببت له المتاعب. حيث تم اعتقاله عام ١٩٥٨م، وأدين بتهمة التجسس وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات. لكن كوهين استأنف الحكم، فقامت المحكمة العليا بتخفيف مدة حكمه إلى النصف. وقد جاء في نص الحكم أن القانون لا يميز بين التواصل مع عميل أجنبي وتسليم معلومات لذلك العميل، ويفترض تلقائيًّا أن تواصلا كهذا يعني التجسس. ولم يتم تغيير القانون إلا في عام ١٩٦٧م، بحيث اعتبر الاتصال مع عميل أجنبي، حتى لو لم يتم تقديم معلومات سرية خلاله، جريمة، ما لم يثبت عدم وجود نية للإضرار بأمن الدولة.

استثمرت المخابرات السوفييتية معظم جهودها في تجنيد جواسيس من التيارات الرئيسة في المجتمع الإسرائيلي وزرعهم فيه. وكانت فروعها في إسرائيل موجودة في السفارة في تل أبيب، ومكاتب الكنيسة الروسية الأرثوذكسية (البرافوسلافية) في مجمع أبو كبير جنوب تل أبيب، والمجمع الروسي (المسكوبية) في القدس. وعلى مدى ما يقرب من ثلاثة عقود، حتى ثمانينيات القرن الماضي، وخصوصا من خلال استغلال موجات الهجرة،

أدخـل السـوفييت مئـات الجواسـيس إلى إسرائيـل.

قـام كثـيرون منهـم بتسـليم أنفسـهم للشـاباك بمجـرد نزولهـم مـن الطائـرة؛ ففـي عدد مـن الغرف المعزولـة في المطـار كان يجلس محققـو الشـاباك، الذيـن طلبـوا مـن المهاجريـن أن يخبروهـم مـا إذا كانـوا قـد أجـبروا عـلى الموافقـة عـلى أن يكونـوا جواسـيس، كـشرط مـن شروط تصريـح الهجـرة. واعـترف آخـرون في وقـت لاحـق، بعـد أن تـم دمجهـم في البـلاد، بعلاقاتهـم مـع المخابـرات السـوفييتية. كـما كان هنـاك مـن لم يعترفـوا أبـدًا، لكنهـم بـادروا إلى قطـع علاقاتهـم مـع المشـغلين.

تشـير التقديـرات إلى أن العـشرات ممـن تـم زرعهـم قـد واصلوا العمـل كجواسـيس في إسرائيـل، أو انتقلـوا إليهـا ليصبحـوا مواطنـين إسرائيليـين بموجـب قانـون العـودة ويحصلـوا عـلى جـوازات سـفر، ثـم انطلقـوا، بعـد اندماجهـم في البـلاد، إلى المهـمات التـي تـم تكليفهـم بهـا في الـدول الغربيـة. ومـن بينهـم، بالطبـع، مـن لم يتـم كشـفهم إطلاقـا وألحقـوا أضرارًا جسـيمة بمصالـح إسرائيـل الأمنيـة أو العسـكرية أو السياسـية أو الاقتصاديـة. ولم يتـم إلقـاء القبـض إلا عـلى عـدد قليـل منهـم فقـط. وقـد أشـار اعتقالهـم إلى أنهـم تمكنـوا مـن التسـلل إلى بعـض أكـثر المؤسسـات حساسـية في البـلاد.

مـن «الجواسـيس النوعيـين»، حسـب التعبـير السـوفييتي، كان زئيـف أفنـي[1].

(١) زئيـف أفنـي **זאב אבני** (١٩٢١ - ٢٠٠٧م): كان جاسوسـا شـيوعيا، ويهوديـا إسرائيليـا،

ولـد زئيـف في لاتفيـا عـام ١٩٢١م تحـت اسـم وولـف غولدشـتاين. وعندمـا كان صبيًّـا صغـيرًا، هاجـر والـداه الشـيوعيان المتعصّبـان إلى سـويسرا، حيـث درس الاقتصـاد. وخـلال الحـرب العالميـة الثانيـة، كان غولدشـتاين عضـوًا في الحركـة السريـة للشـباب اليهـود، الذيـن عملـوا عـلى محاولـة تعطيـل العلاقـات بـين سـويسرا المحايـدة وألمانيـا.

قادهـم هـذا النشـاط إلى إجـراء اتصـالات مـع كارل فيبريـل[1] وهـو لاجـئ تشـيكي، كان عقيدًا في الاسـتخبارات العسـكرية للاتحاد السـوفييتي (لاحقًـا GRU «مديريـة المخابـرات الرئيسـة»). أطلـق فيبريـل عـلى غولدشـتاين لقـب «تـوني»، وجعلـه جاسوسًـا لـه. وقد علمـه اللغـة الروسـية، ودربـه عـلى أساسـيات العمل الاسـتخباراتي: التصويـر والتصغـير، اسـتخدام اللاسـلكي، التعقـب والتهـرب منـه، كتابـة وفـك رمـوز الشـيفرات. وقبـل أن يعـود فيبريـل إلى موسـكو أعطـاه كلمـة سر، إذا سـمع نصفهـا الأول فسـيتعين عليـه اتبـاع التعليـمات. كـما أوصـاه فيبريـل أيضًـا بالسـفر إلى إحـدى دول أمريـكا الجنوبيـة أو الـشرق الأوسـط.

في عـام ١٩٤٨، في خضـم حـرب ٤٨، هاجـر غولدشـتاين مـع زوجتـه إلى إسرائيـل واسـتقر في كيبوتـس هزوريـع، لكنـه طـرد مـن هنـاك بعـد حـوالي عامـين بعـد أن اكتشـف أعضـاء المسـتوطنة

لحساب المخابرات السوفييتية. اسمه الأصلي وولف غودلشتاين.

(١) كارل فيبريـل **קארל ויברל**: لاجئ تشـيكي، كان عقيـدا في الاسـتخبارات العسـكرية للاتحـاد السـوفييتي (لاحقـا GRU «مديريـة المخابرات الرئيسـية»).

الزراعيـة، الذيـن كانـوا متمسـكين بمفهـوم «الإجـماع الأيديولوجي» الـذي ابتكرتـه حركـة «هشـومير هتسـعير/الحارس الشـاب»، أنـه يتعاطـف مـع الشـيوعية.

مـع شـهادة جامعيـة في الاقتصـاد وبتوصيـة مـن صديـق، انضـم غولدشـتاين إلى القسـم الاقتصـادي التابـع لـوزارة الخارجيـة، وقـام بعبرنـة اسـمه ليصبـح زئيـف أفنـي. فكيـف حـدث وتمكن جاسـوس سـوفييتي مـن التسـلل إلى أحـد الأماكـن المقدسـة في الحكومـة ومؤسسـات الدولـة؟ لـو حـدث ذلـك اليـوم، لـكان مـن شـأنه أن يثير مزاعـم خطيرة بالفشـل، لكـن في ذلـك الوقـت، عندمـا كانـت الاسـتخبارات، كـما الدولـة، في بداياتهـا، لم يتـم إجـراء تحقيقـات أمنيـة شـاملة.

في عـام ١٩٥٢ تـم تعيـن أفنـي ملحقـا تجاريـا بدرجـة سـكرتير ثـان في السـفارة الإسرائيليـة في بروكسـل. وهنـاك اسـتأنفت الاسـتخبارات السـوفييتية الاتصـال بـه. ففـي منتصـف الليـل، قـام شـخص مجهـول بالتواصـل مـع أفنـي، حيـث أسـمعه كلمـة السر وأمـره بالحضـور إلى مـكان اجتـماع في المدينـة.

حـضر إلى الاجتـماع بوريـس ساجرافسـكي[1]، الـذي كان ضابـط مخابـرات لـدى «المركـز» في موسـكو وكان يعمـل تحـت غطـاء أحـد أعضـاء البعثـة التجاريـة السـوفييتية في العاصمـة البلجيكيـة. مـن هنـا، وعـلى مـدار عامـين، نقـل أفنـي معلومـات عـن عملـه

(١) بوريس ساجرافسكي **בוריס סאגרבסקי**: كان ضابط مخابرات سوفييتيا.

في وزارة الخارجيـة الإسرائيليـة. ليسـت أسرارا كبـيرة، لكـن أحيانـا معلومـات مثـيرة للاهتـمام أيضـا، مثـل المعلومـات عـن صفقـة أسلحة حصلـت خلالهـا إسرائيـل عـلى المعرفـة لتصنيـع أسـلحة خفيفـة مـن المصنـع البلجيـكي «إف إن FN». وقـد كانـت بندقيـة FN طـوال سـنوات هـي السـلاح الرئيـسي لجنـود الجيـش الإسرائيـلي.

بعـد حـوالي عامـين، تـم وضـع أفنـي في موقـع مماثـل ضمـن المفوضيـة الإسرائيليـة في بلغـراد، عاصمـة يوغسـلافيا، حيـث تصاعـدت أعمالـه التجسسـية. وبسـبب النقـص في القـوى العاملـة، أتيحـت لأفنـي إمكانيـة الوصـول إلى غرفـة الاتصـالات والرمـوز السريـة لـوزارة الخارجيـة. وهـذه الرمـوز هـي أهـم شيء لحفـظ الأسرار. فمـن يسـتطيع الوصـول إليهـا هـو كمـن حصـل عـلى مفتـاح غرفـة نـوم عـدوه. حتـى أن انتصـار الحلفـاء عـلى ألمانيـا النازيـة في الحـرب العالميـة الثانيـة كان إلى درجـة كبـيرة بفضـل الاسـتخبارات البريطانيـة، التـي قامـت بفـك رمـوز آلـة التشـفير الألمانيـة «إنجـما».

خـلال السـنوات التـي قضاهـا في وزارة الخارجيـة، وبسـبب إجادتـه لعـدة لغـات وخاصـة الألمانيـة، طلـب الموسـاد مـن أفنـي أيضـا تنفيـذ مهـمات لصالحـه. ومـن بـين أمـور أخـرى، تـم إرسـاله مـن قبـل بعثـة الموسـاد في باريـس لمحاولـة تجنيـد فنيـين ألمانيـين اثنـين مـن خلفيـة نازيـة، كانـا يعمـلان في مشـاريع تطويـر الأسـلحة

في مـصر.

أثـار الارتبـاط بالموسـاد حماسـة أفنـي، الـذي أدرك أنـه مـن خلالـه سـيكون بإمكانـه الوصـول إلى معلومـات ذات جـودة أفضـل بكثـير. وقـد حـاول عـدة مـرات الانتقـال إلى الموسـاد، كـما أرسـل أصدقـاؤه مـن البعثـة في باريـس توصيـات بذلـك إلى إيـسر هاريـل.

في أبريل/نيسـان عـام ١٩٥٦م، وبنـاء عـلى طلـب آخـر مـن أفني للقـاء رئيـس الموسـاد، اسـتدعاه هاريـل مـن بلغـراد إلى اجتـماع في مكتبـه في «الكريـاه». لكـن هـذا كان مجـرد ذريعـة كاذبـة؛ حيـث أجـرى الشـاباك دراسـة شـاملة حـول أفنـي وظهـرت شـكوك بأنـه جاسـوس شـيوعي. وأثنـاء اللقـاء، عمـد هاريـل إلى مواجهـة أفنـي بهـذه الشـكوك، فقـام بنفيهـا. لكـن هاريـل لم يكـن ليـدع الأمـر يمـر وشـأنه، فقـرر اعتقالـه ونقلـه إلى الشـاباك والشرطـة لاسـتجوابه، وقـد أطلقـوا عليـه لقـب «بجماليـون». وكان مـن بـين مـن المحققـين كل مـن عامـوس مانـور والمقـدم يهـودا بـراغ[1]، لكـن أفنـي لم ينكـسر. وبخـلاف الحـدس، لم يكـن لـدى محققيـه أي شيء ضـده.

حـاول بـراغ إقنـاع أفنـي بـأن الشـيوعية هـي أيديولوجيـة خاطئـة، وقـدم لـه أدلـة مـن الخطـاب المدهـش لزعيـم الاتحـاد السـوفييتي نيكيتـا خروتشـوف[2] في المؤتمـر العشريـن للحـزب

(١) يهـودا بـراغ יהודה פראג (١٩١٥ - ٢٠٠٤م): كان ضابطـا في الشرطـة الإسرائيليـة، عمـل بعـد تقاعـده لصالـح الموسـاد.

(٢) نيكيتـا خروتشـوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م): زعيـم شـيوعي ورجـل دولـة سـوفييتي، حكـم الاتحـاد

الشيوعي السوفييتي. حيث كشف خروتشوف في خطابه عن جميع جرائم ستالين ضد شعبه وضد الشيوعيين في كافة أنحاء العالم. وقد تحطمت حياة أفني مع اكتشافه الطبيعة الحقيقية للنظام الشيوعي. وبعد الكثير من المداولات والاضطرابات أبلغ براغ ومانور أنه قرر التخلي عن الشيوعية، وأدلى باعتراف مفصل عن السنوات التي قضاها كجاسوس.

جرت محاكمته خلف أبواب مغلقة في محكمة المدينة في تل أبيب. وبعد أن أعرب عن ندمه، حكم عليه بالسجن لمدة ١٤ عاما. وفي عام ١٩٦٣م، تم تخفيف الحكم الصادر بحقه والإفراج عنه. خلال السنوات التي قضاها في السجن، درس أفني علم النفس بالمراسلة في الجامعة العبرية، وبعد إطلاق سراحه عمل كأخصائي نفسي سريري (إكلينيكي). وخلال حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣م (حرب تشرين التحريرية/حرب أكتوبر)، انضم إلى قوة قاتلت في سيناء وعالج مصابي الحرب.

تم فرض تعتيم شديد على القضية برمتها لمدة أربعين عاما تقريبا. وفقط في عام ١٩٩٣م، سمحت الرقابة لأفني بنشر بعض مذكراته في كتاب «قضية بجماليون: قصة جاسوس سوفييتي في السلك الدبلوماسي الإسرائيلي» (عيدانيم/يديعوت أحرونوت، ١٩٩٣م).

السوفييتي بين عامي ١٩٥٣ - ١٩٦٤م وتميز حكمه بالمعاداة الشديدة للستالينية وبإرساء الدعائم الأولى لسياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي.

ارتفعت مكانة هاريل كصائد جواسيس. فبعد ذلك بوقت قصير، كان شريكا في كشف جاسوس كبير آخر، قد تسبب أيضا بإحراج كبير جدا لمجتمع الاستخبارات الإسرائيلي بشكل عام وللشاباك بشكل خاص. حيث كان ليفي ليفي[1]، عضو فريق العمليات في الشاباك، مثل القطة التي سمحوا لها بحراسة القشدة.

ولد تحت اسم لوسيان ليفي في مدينة رادوم ببولندا عام ١٩٢٢م. وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية، هرب مع عائلته إلى الاتحاد السوفييتي وتجند في الجيش الأحمر، ثم أصيب وتم تسريحه من الخدمة. وبقي حتى نهاية الحرب مدير مسرح ورئيس فرع للصليب الأحمر. ومن حين لآخر، كان لديه اتصالات طبيعتها غير واضحة مع جهاز المخابرات السوفييتي NKVD (المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية). قبل أن يعود إلى وطنه في عام ١٩٤٥م، حيث تزوج، ثم تطلق بعد ثلاث سنوات.

التحق بحركة الشباب الصهيونية «جوردونيا» في مدينة لودز. ونظرا لخبرته العسكرية، تم تعيينه مسؤولا عن وحدة الدفاع عن النفس في القيادة العليا للهاغانا، التي كانت تعمل سرا في بولندا. وفي إطار وظيفته كان يحمل سلاحا بالسر، وقد

(١) ليفي ليفي **לוי לוי** (١٩٢٢ – منتصف الثمانينيات): كان جاسوسا لصالح المخابرات البولندية داخل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.

خرجت منه رصاصة عن طريق الخطأ. وعندما تم اكتشاف الأمر، قدم إفادة كاذبة عن ملابسات القضية. لفت هذا الأمر انتباه المخابرات البولندية «AW»، التي استغلت ذلك لابتزازه وأجبرته على العمل كمخبر حمل الاسم الرمزي الأرمني «أروستاميان».

كانت وظيفته الإبلاغ عن النشاطات الصهيونية لرفاقه أعضاء الحركة. وفي عام ١٩٤٨م، عندما كان رفاقه يستعدون للهجرة إلى إسرائيل، عرض ليفي على مشغليه الاستمرار في الخدمة كعميل في إسرائيل أيضا. فوافقوا، وأعطوه اسما رمزيا جديدا، هو «صموئيل»، وكلفوه بالانضمام إلى أجهزة الأمن الإسرائيلية.

عند هجرته إلى إسرائيل، قام لوسيان بعبرنة اسمه الأول ليصبح ليفي، وخدم في الجيش الإسرائيلي لفترة قصيرة، ثم عمل في شركة بناء. وفي عام ١٩٥٠م، من خلال اتصالاته مع أصدقائه السابقين في «جوردونيا»، تم تجنيده في الشاباك ووضعه في وحدة العمليات. حيث تم تعيينه قائدا لمجموعة وكان مسؤولا عن مراقبة، وبشكل خاص عمليات اقتحام، ممثليات الدول الشيوعية. وخلال عمليات الاقتحام هذه، قام ليفي ورفاقه بتصوير وثائق وتركيب كاميرات وأجهزة تنصت. وقد قام ليفي بنقل كل ما فعله وسمعه وعرفه، بما في ذلك الأساليب التي استخدمها هو ورفاقه لإبعاد الحراس عن

المباني، إلى مشغليه البولنديين. ومن هناك، تم نقل المعلومات إلى الاستخبارات السوفييتية.

خلال السنوات السبعة التي عمل فيها لصالح المخابرات البولندية، كان لديه أربعة مشغلين، جميعهم موظفون في البعثة الدبلوماسية البولندية في إسرائيل. ولم يتردد في عقد الاجتماعات معهم في ممثلية بولندا في تل أبيب؛ حيث أقنع قادته في الشاباك أن عليه تسوية مشاكل مختلفة لأسرته. عندما أخبر مشغليه عن عمليات اقتحام الممثليات، لم يصدقوه. فاتفق معهم على أنه في الاقتحام التالي للممثلية البولندية، سيترك لهم علامة. وقرروا أن يقوم بتعديل وضعية القلم الذي يتم وضعه منتصبا بشكل دائم على مكتب السفير.

في عام ١٩٥٥م، سافر ليفي إلى فرنسا، بزعم أنها زيارة عائلية. حيث التقى هناك بمشغل آخر، هو الكابتن فلاديسلاف ماروز. وعندما عاد من الزيارة، أحضر معه النقانق والجبن والمربيات التي لم تكن موجودة في البلاد، ووزعها على أصدقائه. كما أحضر معه كاميرا صغيرة من نوع «مينوكس». ومن وقت لآخر، وخلافا لمبادئ السرية، كان يقنع أصدقاءه في الوحدة بالتقاط الصور في المناسبات الاجتماعية. حيث كان يتم نقل الصور إلى المخابرات البولندية، ومنها إلى «الكي جي بي». وهكذا تم كشف الوحدة العملياتية في الشاباك بأكملها.

إنجاز آخر ل «صموئيل» كان الكشف عن أن أحد موظفي

البعثة الدبلوماسية البلغارية في إسرائيل هو عميل للشاباك. وقد أشاد به مشغلوه في التقارير، التي تم الكشف عنها بعد سقوط الشيوعية في بولندا. حيث كتب عنه أنه «قدم معلومات عملياتية قيمة حول: أ. الهيكل والقوى البشرية وأساليب العمل الخاصة بالتجسس المضاد لإسرائيل. ب. عن نجاحات وإخفاقات التجسس المضاد ضد مؤسساتنا. ج. أسماء عناصر المخابرات في البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في البلدان الاشتراكية». ويؤكد التقرير البولندي على أن ليفي قد حصل خلال كامل فترة عمله على ستة آلاف جنيه إسرائيلي، والتي تعادل قيمتها اليوم حوالي مئة ألف دولار.

في عام ١٩٥٧م، خلال موجة الهجرة من بولندا، وصل إلى إسرائيل اثنان من اليهود كانا يعرفان ليفي من خلال خدمة مشتركة في المخابرات البولندية «AW». حيث قام أحدهما، وهو يفيم (جوزيف) جيلدينر، بالتبليغ عنه للشاباك. وبناء على طلب هاريل ومانور، تم فتح تحقيق، لكن الشاباك فشل في إثبات الأدلة ضد ليفي. وعلى الرغم من ذلك تقرر اعتقاله. وقد تم استجوابه مطولا من قبل تسفي أهاروني[1] ومانور، وتعرف عليه جيلدينر خلال إجراء استعراض للتعرف على الهوية، لكن ليفي لم يعترف بالاتهامات الموجهة إليه.

(١) تسفي أهاروني **צבי אהרוני** (١٩٢١ - ٢٠١٢م): رئيس شعبة التحقيقات في جهاز الأمن العام، ورئيس وحدة قيسارية في الموساد، ولعب دورا في عملية اختطاف أدولف أيخمان.

جـرت محاكمتـه كالعـادة خلـف أبـواب مغلقـة. وعـزت الوثائـق البولنديـة ذلـك، وهـي محقـة فيـه، إلى «الإحـراج والعـار» لقـادة الاسـتخبارات الإسرائيليـة، لكنهـم أخطـأوا عندمـا قـدروا أن مانـور سيضطر للاستقالة عـلى خلفيـة ذلـك. وفي خضـم المحاكمة، هـرب الكابـتن مـاروز إلى فرنسـا، وقامـت المخابـرات الفرنسـية بتسليم المعلومـات إلى إسرائيـل. فسـافر مانـور إلى فرنسـا وحصـل مـن مـاروز عـلى إفـادة خطيـة بـأن ليفـي كان ضابـط مخابـرات في جهـاز الأمـن البولنـدي. وبنـاء عـلى كل هـذا، حكمـت عليـه محكمـة تـل أبيـب المركزيـة بالسـجن لمـدة عـشر سـنوات.

كان الـضرر الـذي أحدثـه ليفـي فادحـا. ليـس فقـط بسـبب صـور رفاقـه وأسـاليب العمـل التـي كشـفها، ولكـن بشـكل خـاص لأن أجهـزة مخابـرات أوروبـا الشرقيـة، التـي علمـت أن الشـاباك كان يتسـلل إلى بعثاتهـم الدبلوماسـية، قـد تركـت في مكاتبهـم معلومـات مـزورة تهـدف إلى إربـاك وتضليـل الشـاباك.

بعـد قضـاء ثلثـي مـدة العقوبـة، تـم إطـلاق سراح ليفـي ووضعـه عـلى مـتن سـفينة أبحـرت إلى قـبرص، ومـن هنـاك واصـل طريقـه إلى أسـتراليا، حيـث اجتمـع بأسرتـه، كـما تـوفي هنـاك أيضـا. وعـلى الرغـم مـن أن الشـاباك في السـنوات الأخـيرة كان يكشـف عـن قضايـا مـن المـاضي وينشرهـا عـلى صفحـة الـتراث عـلى موقعـه عـلى الإنترنـت، إلا أن قضيـة ليفـي (لوسـيان) ليفـي لم يـرد ذكرهـا هنـاك.

واصلت الاستخبارات العسكرية للاتحاد السوفييتي، «الكي جي بي» و «مديرية المخابرات الرئيسية GRU»، تجنيد وتشغيل عملاء في إسرائيل طوال سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. وكان من أبرزهم كورت سيتا[1]، وهو بروفيسور تشيكي غير يهودي كان يقوم بتدريس الفيزياء في التخنيون (معهد إسرائيل التكنولوجي). حيث تم كشفه من قبل وحدة مكافحة التجسس التابعة للشاباك عن طريق الصدفة.

في فبراير/شباط عام ١٩٦٠م، كان أعضاء الفريق ينفذون تدريب مراقبة وتعقب في حيفا، عندما لاحظوا فجأة سيارة متوقفة تحمل لوحة ترخيص تابعة لسفارة تشيكوسلوفاكيا في تل أبيب. فتحول النشاط التدريبي إلى عملياتي، وتم اكتشاف أن من وصل بالسيارة هو ضابط مخابرات تشيكي كان يعمل تحت غطاء دبلوماسي. وبمواصلة المراقبة، تبين أنه التقى مع شخص مجهول. فقام الفريق بتعقب الشخص المجهول ووجدوا أنه البروفيسور سيتا.

استمرت المراقبة لمدة ثلاثة أسابيع تقريبا، التقى خلالها سيتا مرة أخرى مع ضابط المخابرات نفسه، إلى أن تقرر اعتقاله في يونيو/حزيران عام ١٩٦٠م. وقد اشتبه المحققون بأن مهمته كانت الحصول على معلومات عن مفاعل ديمونا

(١) كورت سيتا **קורט סיטה** Kurt Sitte (١٩١٠ - ١٩٩٣م): كان عالم فيزياء إسرائيلي من أصل ألماني سودتي، عمل بتدريس الفيزياء في التخنيون (معهد إسرائيل التكنولوجي) وانشغل بأبحاث الأشعة الكونية، تمت إدانته بتهمة التجسس لصالح تشيكوسلوفاكيا.

النووي وعن العلاقات العلمية بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. لكن لم يكن لديهم دليل يثبت ذلك.

ادعى سيتا براءته. وصدقه الكثيرون في المجتمع العلمي في إسرائيل، بما في ذلك إيري جابوتينسكي[١]، نجل مؤسس الحركة التصحيحية (الصهيونية التصحيحية). وقد أدانته المحكمة بجرم الاتصال مع عميل أجنبي وحكمت عليه بعقوبة مخففة بالنسبة لخطورة الشبهات، هي السجن لمدة خمس سنوات.

استمر الاختراق الشيوعي في إحراج المؤسسات الأمنية للدولة، حيث تم اعتقال يسرائيل بير[٢] بعد أقل من عام على ذلك. وقد كان صحفيا ومؤرخا عسكريا محترما وضابطا سابقا برتبة مقدم. وكانت لديه غرفة في وزارة الدفاع في «الكرياه» بتل أبيب، حيث كتب التاريخ الرسمي لحرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨). وكانت غرفته تقع في مكان غير بعيد عن مكتب وزير الدفاع ورئيس الحكومة بن غوريون.

منذ منتصف الخمسينيات، اشتبه هاريل في أن بير جاسوس سوفييتي. وما زاد الشكوك حوله كان أسلوب حياته المتفاخر. حيث كان يمضي وقته في الحانات والنوادي الليلية ويسرف في الشرب ويقيم علاقات مع النساء رغم كونه متزوجا. وقد

---

(١) إيري جابوتينسكي עַרִי ז'בוטינסקי (١٩١٠ - ١٩٦٩م): سياسي إسرائيلي، كان ناشطا في الحركة الصهيونية وفي الحركة التصحيحية (الصهيونية التصحيحية)، وعضو كنيست، وعالم رياضيات.

(٢) يسرائيل بير ישראל בר (١٩١٢ - ١٩٦٦م): كان صحفيا ومؤرخا عسكريا وضابطا كبيرا في الجيش الإسرائيلي وناشطا سياسيا، تم كشفه وإدانته كجاسوس لصالح الاتحاد السوفييتي.

دعاه هاريل إلى عدة محادثات تحذيرية، لكن بير كان ينكر ولم يتم العثور على أي دليل إدانة ضده.

تم اعتقاله في مارس/آذار عام ١٩٦١م، بعد لقاء على ضفاف نهر اليركون (نهر العوجا) شمال تل أبيب مع مشغله فلاديمير سوكولوف، وهو ضابط في «الكي جي بي» كان يعمل تحت غطاء دبلوماسي في سفارة الاتحاد السوفييتي في تل أبيب. وخلال استجوابه، أنكر بير مرارا وتكرارا الادعاءات الموجهة ضده. غير أن ما كسره كان دحض حجة الغياب التي قدمها لمحققي الشاباك، وعلى رأسهم فيكتور كوهين وأرييه هدار («فاشوش»).

ادعى بير أنه في الوقت الذي يقول الشاباك أنه التقى فيه مع سوكولوف، كان في فرع «شوفرسال» (أكبر سلسلة سوبر ماركت في إسرائيل) في شارع ابن جبيرول، حيث اشترى زجاجة مشروب «تشينزانو» إيطالية. فقام محققو الشاباك بالتحقيق في الادعاء، ليتبين لهم أن ذلك الفرع لا يمتلك الفيرموت المذكور على الإطلاق. وقد أدانت محكمة تل أبيب المركزية بير بتهمة التجسس، وحكمت عليه بالسجن لمدة عشر سنوات. واستأنف كل من بير والدولة الحكم، فقامت المحكمة العليا بتشديد عقوبته إلى ١٥ عاما.

أثار قرب غرفتي بير وبن غوريون موجة من الادعاءات في الصحف الإسرائيلية والعالمية حول اكتشاف جاسوس نوعي في

مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي. وقد اضطر بن غوريون إلى إنكار أن بير كان مستشاره.

اتضح خلال المحاكمة أن الضرر الرئيسي الذي تسبب به بير لم يكن لأمن إسرائيل، بل للولايات المتحدة الأمريكية تحديدا. حيث قام بتسليم مشغليه السوفييت مخططات قواعد الصواريخ النووية التي بنتها الولايات المتحدة في تركيا. وقد حصل على هذه المخططات عن طريق صديق، هو موظف في شركة «سوليل بونيه»، التي كانت أحد المقاولين الفرعيين في المشروع.

توفي يسرائيل بير في السجن عام ١٩٦٦م. وقد ترك وراءه مؤلفا استراتيجيا - سياسيا - عسكريا مؤثرا بعنوان «أمن إسرائيل: أمس اليوم غدا»، ادعى فيه أنه كان وطنيا وأن جميع أفعاله كانت نابعة من القلق على إسرائيل ومستقبلها.

يعود الفضل في نجاح الشاباك في كشف بير إلى طريقة مراقبة وتعقب جديدة، أطلق عليها اسم «المشط». وكان مخترع هذه الطريقة هو رئيس وحدة العمليات تسفي ملحين[1]. وقد قال عضو الوحدة يائير راحيلي: «طوال سنوات، قام ضباط المخابرات من الكتلة الشرقية بإحباطنا. ونظرا لكونهم من ذوي الخبرة الكبيرة، فقد كانوا يعلمون كيفية

---

(١) تسفي ملحين **צבי מלחין** (١٩٢٧ - ٢٠٠٥م): أو بيتر تسفي مالكين. هو فنان وعميل سري إسرائيلي، كان محاربا في الموساد، ثم بعد ذلك رسام معروف في نيو يورك. اشتهر بفضل دوره في عملية اختطاف أدولف أيخمان في الأرجنتين عم ١٩٦٠م وإحضاره للمحاكمة في إسرائيل.

التعـرف عــلى المتعقبــين وآلياتهــم، وتضليــل المتعقبــين الخاصــين بنــا والتخلــص منهــم. عــلاوة عــلى ذلــك، كانــت القــوى البشريــة المتوفـرة لدينـا محـدودة، وعـدد سـياراتنا كان قليـلا، وبعضهـا كان قديمـا وأعطالـه كثـيرة، كـما أن وسـائط الاتصـال المتاحـة لنـا كانـت قديمــة أيضــا».

للتغلــب عــلى نقــاط الضعــف، اقــترح ملحــين أنــه بــدلا مــن أن تقـوم فـرق التعقـب والمراقبـة بملازمـة ضبـاط المخابـرات سـيرا عــلى الأقــدام وفي الآليــات، فســيحاول عنــاصر الشــاباك انتظارهــم في المناطـق التـي مـن المتوقـع أن يصلـوا إليهـا. وبنـاء عـلى دراسـة دقيقـة للقـاءات السـابقة التـي تـم الكشـف عنهـا بـين المشـغلين وعملائهــم، تــم تقســيم إسرائيــل، وخاصــة المــدن الكــبرى، إلى خلايــا ميدانيــة. وقــد علــم الشــاباك أن ســوكولوف كان يــأتي في كثــير مــن الأحيــان إلى منطقــة اليركــون، ولذلــك انتظــروه هنــاك ورصــدوا اللقــاء مــع بــير. كــما أثبتــت الطريقــة نجاحهــا في عــدة مناســبات أخــرى. وكان الشــاباك يميــل إلى الاحتفــال بنجاحاتــه وتعزيزهــا. هــذه هــي طبيعــة منظمــة بيروقراطيــة كانــت مهمتهــا الرئيســية، في الســنوات التــي ســبقت حــرب الأيــام الســتة (نكســة حزيــران ٦٧)، إحبــاط التجســس ضــد إسرائيــل.

لكــن الحقيقــة هـــي أن نظــرة موســكو إلى إسرائيــل كانـــت مختلفــة. فبســبب علاقــات إسرائيــل الاســتراتيجية مــع الولايــات المتحــدة، رأى فيهــا الاتحــاد الســوفييتي وجهــة يســهل فيهــا

الحصول على المعلومات مقارنة بالدول الغربية الأخرى. وقد كانت إسرائيل بمثابة «دولة قاعدة»، نوع من نقطة انطلاق ملائمة لإعادة توجيه العملاء، تحت ستار المهاجرين الجدد، الذين هاجروا لاحقا منها إلى «بلد المقصد» في الغرب. وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي، اعترف رئيس «الكي جي بي» فلاديمير كريتشكوف[(١)][(١٥)] في عام ١٩٩٧م، بأن النشاط السوفييتي في إسرائيل كان محدودا؛ فإسرائيل لم تكن مهمة جدا بالنسبة للقوة العظمى السوفييتية.

(١) فلاديمير كريتشكوف (١٩٢٤ - ٢٠٠٧م): كان رجل حكم سوفييتي، شغل منصب رئيس ال «كي جي بي»، ورئيس جهاز المخابرات الخارجية للاتحاد السوفييتي.

توحيد القوات

كانت بداية أهم تحالف استراتيجي لقيام دولة الكيان الصهيوني في اجتماع سري بالقرب من نصب لينكون التذكاري في واشنطن. حيث فاجأ رئيس حكومة إسرائيل محاوريه، قائلا: «نحن مهتمون جدًّا بإقامة تعاون مشترك معكم». كان هذا في مايو عام ١٩٥١، في مكاتب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إي»، التي تم إنشاؤها بموجب قانون قبل حوالي أربع سنوات فقط، خلفًا لقوات الأمن الخاصة «أو إس إس».

وصل بن غوريون إلى الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة غير رسمية، للمشاركة في مراسم افتتاح شركة التنمية لإسرائيل - صندوق السندات الإسرائيلية المعروف باسم (بوندوس)، واستثمار الرحلة لأمور سياسية، كان من المقرر أن يجري «العجوز» محادثات مع الرئيس هاري ترومان[1]، ثم التقى

---

(١) هاري ترومان Harry S. Truman (١٨٨٤ - ١٩٧٢م): هو الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. أشرف ترومان على إنهاء الحرب العالمية الثانية واستسلام كلٍ من ألمانيا النازية واليابان، كما أمر بإطلاق قنبلتي هيروشيما وناجازاكي في أغسطس/آب عام ١٩٤٥م، وعمل على إنشاء منظمة حلف شمال الأطلسي في عام ١٩٤٩م، كذلك بدأت في عهده الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كما ساهم في التدخل العسكري في الحرب الكورية عام ١٩٥٠م.

رئيس المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إي» الجنرال والتر بيديل[1] سميث، ونائبه ألين دالاس.

قبل مغادرته إسرائيل، اقترح رؤوفين شيلواح على بن غوريون أن يقترح تعاونًا استخباراتيا بين كلا الدولتين. كان هذا اقتراحا بعيد المدى، حيث أن إسرائيل في بداية الخمسينيات كانت تعتبر في نظر الولايات المتحدة ودول غربية أخرى على أنها دولة اشتراكية؛ فقد كان ينظر إلى الكيبوتس على أنه تجسيد للنظام الشيوعي، وكانت «الرأسمالية» و «السوق الحرة» تعتبر مصطلحات فظة في معجم إسرائيل.

في المقابل، تم تقديم اقتراح مماثل من الجانب الأمريكي من قبل لاعب البيسبول اليهودي المشهور مو بيرغ[2]. الذي كان قد تجند خلال الحرب العالمية الثانية في قوات الأمن الخاصة «أو إس إس»، واقترح في عام ١٩٥٠ أن تعينه وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «سي آي إي» كضابط ارتباط، لتطوير التواصل الاستخباراتي بين كلا الدولتين.

لقد ادعى بحماس أن هويته اليهودية ستسهل عليه كسب ثقة قادة وضباط الاستخبارات الإسرائيليين. لكن مدراءه في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية رفضوا الاقتراح. وظل بيرغ حتى آخر يوم في حياته مرتبطة روحه بإسرائيل. وتوفي

(١) والتر بيديل سميث Walter Bedell Smith (١٨٩٥ - ١٩٦١م): كان دبلوماسيا وعسكريا أمريكيا، شغل منصب مدير وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي» بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٥٣م.

(٢) مو بيرغ Moe Berg (١٩٠٢ - ١٩٧٢م): كان لاعب بيسبول وجاسوس أمريكي-يهودي.

في سنة ١٩٧٢. وبناء على طلبه، تم نثر رماد جثته فوق جبل المشارف في القدس.

لقد بدت مدى بصيرة كل من بيرغ وشيلواح. وفي يونيو من عام ١٩٥١، وبعد حوالي شهر من زيارة بن غوريون، وصل شيلواح إلى واشنطن لبلورة تفاصيل اتفاق إطار التعاون المشترك. وتقرر إجراء محادثات مطولة بينه وبين رئيس وكالة الاستخبارات المركزية ونائبه، وبشكل خاص مع جيمس جيسس أنغليتون[1]، رئيس مكافحة التجسس.

كان أنغليتون مثقفًا، جمع حوله مجموعة لقائمة من الشعراء والأدباء مثل عزرا باوند[2] وأرشيبلد ماكليش[3] وويليام كارلوس ويليامز[4] وإي. إي. كامينجز[5]. وقد قام أحد معلميه

(١) جيمس جيسس أنغليتون James Jesus Angleton (١٩١٧ - ١٩٨٧م): كان رئيس هيئة مكافحة التجسس في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية «سي آي إي» بين عامي ١٩٥٤ - ١٩٧٥م.

(٢) عزرا باوند Ezra Pound (١٨٨٥ - ١٩٧٢م): شاعر وناقد أمريكي مغترب، اعتبر أحد أهم شخصيات حركة شعر الحداثة في الأدب العالمي في أوائل وأواسط القرن العشرين.

(٣) أرشيبلد ماكليش Archibald MacLeish (١٨٩٢ - ١٩٨٢م): وهو شاعر وكاتب وناقد ومسرحي أمريكي، يرتبط اسمه بالمدرسة الشعرية الحداثية.

(٤) ويليام كارلوس ويليامز William Carlos Williams (١٨٨٣ - ١٩٦٣م): هو شاعر أمريكي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحداثة والتصويرية. كما أنه كان طبيبًا للأطفال وممارسًا عامًا حصل على شهادة في الطب من كلية الطب بجامعة بنسلفانيا.

(٥) إي. إي. كامينجز E. E. Cummings (١٨٩٤ - ١٩٦٢م): هو شاعر أمريكي ورسام وكاتب ومؤلف وكاتب مسرحي. تشمل أعماله على ما يقرب من ٢٩٠٠ قصيدة وروايتي سيرة ذاتية إضافةً إلى أربع مسرحيات وكتب العديد من المقالات، فضلًا عن العديد من الرسومات واللوحات. وهو يعد من أبرز شعراء القرن العشرين.

في جامعــة يــل بتجنيــده في عــام ١٩٤٣ لــدى قســم مكافحــة التجســس في «أو إس إس». كانــت لديــه ســمة أساســية حولتــه إلى رجـل اسـتخباراتي مرمـوق: فقـد كان لـه عقـل شـكاك، يسـعى دائمـا للبحـث وراء الأسـباب العميقـة أكـثر مـن تلـك التـي كانـت تبـدو عـلى السـطح.

خـدم أنغليتـون في «أو إس إس» في إنجلـترا وفي إيطاليـا، وجنـد هنــاك عمــلاء وكشــف شــبكات تجســس نازيــة وفاشســتية. وتعـرف في إيطاليـا عـلى عمـلاء منظمـة الهجـرة (ب) والتجـار الذيـن عملـوا عـلى تهريـب اليهـود والسـلاح إلى إسرائيـل. وأعجـب أنغليتـون بهـم كثـيرًا. أحدهـم كان تيـدي كوليـك[١]، عنـصر الدائـرة السياسـية في الوكالـة اليهوديـة، ومـن مسـاعدي بـن غوريـون لفـترة مـن الفـترات، ورئيـس بلديـة القـدس. حيـث روى كوليـك: «لقـد مـشى جيـم ضـد التيـار ورأى في إسرائيـل حليفًـا حقيقيًّـا في أوقـات كان مـن الصعـب إقنـاع الإدارة الأمريكيـة بجـدوى هـذه العلاقـة».

لكـن وقـف في طريـق التعـاون الاسـتخباراتي المشـترك عائقـان كبـيران، مـن مدرسـة مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي «FBI».

أحدهــما كان نشــاط الاســتخبارات الإسرائيليــة في الولايــات المتحـدة. فقبـل قيـام الدولـة وخـلال حـرب 48 نشـطت شـبكة مخابـرات في الولايـات المتحـدة برئاسـة كوليـك، والتـي اشـترت

(١) تيـدي كوليـك **טדי קולק** (١٩١١ - ٢٠٠٧م): كان سياسـيًّا إسرائيليًّـا، شـغل منصـب عمـدة بلديـة القـدس بـين عامـي ١٩٦٥ - ١٩٩٣م، وهـو مؤسـس مؤسسـة القـدس.

سـلاحًا وعتـادًا عسـكريًّا، وبالتحديـد طائـرات، وقامـت بتهريبهـا إلى إسرائيـل. وقامـت الشـبكة بتجنيـد يهـود أمريكيـين وسـاعدها رجـال مـن المافيـا اليهوديـة والإيطاليـة. وقـام مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة بمراقبـة نشـاطات تلـك الشـبكة واعتقـل عـددًا مـن عناصرهـا، وقُدّمـوا للمحاكمـة.

بعـد انتهـاء الحـرب، وعندمـا افتتحـت إسرائيـل سـفارتها في واشـنطن، ظهـر عـدد مـن دبلوماسـييها كرجـال اسـتخبارات، كانـت مهمتهـم تجنيـد عمـلاء مـن داخـل الدبلوماسـيين والملحقين العسـكريين لـدول غربيـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. كان العميـل الرئيـس هـو إلياشـيف بـن حوريـن[١]، وكان غطـاؤه الدبلومـاسي هـو ممثـل القسـم السـياسي لـوزارة الخارجيـة الإسرائيليـة في سـفارة إسرائيـل بواشـنطن. كان أحـد أهدافـه المركزيـة هـو الملحـق العسـكري الأردني. وقـد عـرف مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة بذلـك في وقـت مسـبق، وتقـرر نصـب كمـين لـه، بتمريـن «لسـعة» بسـيطة.

في عـام ١٩٥٠، التقـى بـن حوريـن والملحـق الأردني في أحـد المطاعـم في المدينـة، ونشـب بينهـما أثنـاء اللقـاء جدال حـاد. حاول الأردني تهدئـة بـن حوريـن، لكنـه لم يهـدأ فحسـب، بـل أشـهر مسدسًـا. فـما كان مـن فريـق مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة الـذي

(١) إلياشـيف بـن حوريـن **אלישיב בן-חורין** (١٩٢١ - ١٩٩٠م): كان دبلوماسـيا إسرائيليـا، شـغل منصـب سـفير إسرائيـل في ألمانيـا الغربيـة، ونائـب مديـر عـام وزارة الخارجيـة.

كان يراقب الاجتماع، إلا أن تدخل. وعلى الفور تم تحويل بن حورين للتحقيق، وبسبب صفته الدبلوماسية لم يتم توقيفه، وبدلا من هذا، أعلن أنه شخص غير مرغوب فيه، وتم طرده من الولايات المتحدة.

كما كان الملحق العسكري في السفارة العقيد حاييم هرتزوج مراقبًا أيضًا، بعدما أثار الشكوك بأنه يحاول سرقة أسرار الصناعة العسكرية الأمريكية والحصول على معلومات عن التطويرات الجديدة للجيش. وبعد عدة شهور من إبعاد بن حورين إلى إسرائيل، أفهموا هرتزوج وقسم مخابرات الجيش الإسرائيلي أنه من المستحسن أن يعود هو أيضًا إلى وطنه.

العائق الثاني، كان خشية وكالات المخابرات الأمريكية من دخول جواسيس شيوعيين بين أمواج الهجرة إلى إسرائيل، الذين هدفهم النهائي هو الولايات المتحدة. المرتاب الأكبر من بينهم كان أنغليتون نفسه، رئيس مكافحة التجسس، المعروف بكراهيته للشيوعية. وأصبحت إسرائيل بنظره خطرًا أمنيًّا. وقد أوصت مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية لملحقيها العسكريين في تل أبيب «بمراقبة النشاطات السوفيتية وتكتيكاتها». فواشنطن واثقة بأن الروس تسللوا أيضا إلى دوائر الجيش الإسرائيلي.

تأكد لشيلواح، الذي كان يعلم بمخاوف الأمريكيين، أن على الشاباك مراقبة المهاجرين من أجل تحديد الجواسيس. ولكن ما أقنع أنغليتون و «CIA» في النهاية كان المنطق بأنه ليس

هناك من داع للقلق من المهاجرين الجدد فحسب، بل يمكن الاستفادة منهم. فباستطاعتهم تزويد الغرب بأحدث المعلومات عما يحدث خلف الستار الحديدي. في المجمل، فإن اليهود جاؤوا من مختلف جوانب الحياة ويحملون في جعبتهم من مصدرهم الأول علومًا متنوعة، في السياسية والاقتصاد والعلوم والجيش وشعب المخابرات للاتحاد السوفييتي وكتلة الدول الشرقية. وبدأت إسرائيل بتزويد الولايات المتحدة الأمريكية بمعلومات عن تلك المجالات. ومن أجل تشجيع الأمريكيين على إدراك مدى أهمية التواصل معهم وأنه لخدمتهم، سمح شيلواح لوكالة CIA باستخدام الدبلوماسيين الإسرائيليين وعملائها في الكتلة السوفييتية في مهمات تجسس، وإن كان هذا يشكل خطرًا عليهم.

الذي لم يوافق على هذا العطاء، كان إيسر هاريل المرتاب، بصورة طبق الأصل عن تخوفات أنغليتون. حيث اعتقد هاريل بأن الأمريكيين غير مهتمين بحق وبصدق بالتعاون المتبادل، بل فقط بنقل أحادي الجانب للمعلومات من الاستخبارات الإسرائيلية. فهو لم يثق بهم وخشي منهم في عام ١٩٥٤ من التخطيط للقيام بانقلاب في إسرائيل، كالذي فعلوه في غواتيمالا.

لكن يد شيلواح كانت هي الأعلى في هذا الجدال، حتى بعد انتهاء خدمته كرئيس للموساد وخلفه هاريل نفسه. فالإصرار

آتى أكلـه. ورغـم كل المطبـات، نجـح شـيلواح في إقنـاع محـاوره بالموافقـة عـلى إقامـة اتصـالات بـين مخابـرات كلا الطرفـين. ولم يكـن ذلـك اتفاقـا مكتوبًـا، بـل مجـرد تفاهـم شـفهي، حيـث حـدد كلا الجانبـين بـأن يقومـا بتبـادل المعلومـات الحيويـة، ويقـدم كل منهـما للآخـر تقاريـر حـول مواضيـع ذات شـأن مشـترك. كـما التـزم كل مـن CIA والموسـاد بعـدم تجسـس أحدهـما على الآخـر، وعدم تجنيـد عمـلاء محليـين في منظماتهـم. غـير أنـه اتضـح في المسـتقبل بـأن كلا الجانبـين، وخاصـة إسرائيـل، لم يلتزمـا بتعهداتهـما.

اتفقــت أيضًــا إسرائيــل والولايــات المتحــدة الأمريكيــة عــلى تبــادل ضبــاط ارتبــاط فيــما بينهــما. وكان الممثـل الرسـمي الأول للاسـتخبارات الإسرائيليـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ورجـل الارتبـاط لوكالـة CIA هـو مئير (ممـي) دي شـاليط[1] مـن القسـم السـياسي لـوزارة الخارجيـة. وعمـل إلى جانبـه كوليـك في إسرائيـل وواشـنطن.

كان المسـؤولان عـن الارتبـاط في إسرائيـل هـما مانـور وشـيلواح، حتـى وفاتـه في عـام ١٩٥٩. وفقـط عنـد إعفـاء مانـور مـن وظيفته في عــام ١٩٦٣، تــم نقــل مســؤولية الارتبــاط إلى الموســاد. والــذي كان معيّنًـا مـن قبـل CIA عـلى «الملـف» الإسرائيـلي هـو أنغليتـون نفسه .

---

(١) مئـير (ممــي) دي شــاليط **מאיר (ממי) דה-שליט** (١٩٢١ - ٢٠٠٧م): كان رجـل اسـتخبارات ودبلوماسـيا إسرائيليـا.

كان لقرار CIA بتعيين أنغليتون لهذه المهمة منطق محدد. حيث كان نهج واشنطن ما يزال هو عدم الوثوق بإسرائيل، جراء علاقتها بالكتلة السوفييتية، وبناء على ذلك فضلت CIA بأن يشغل هذه الوظيفة من هو مسؤول عن مكافحة التجسس، من حيث مكانته وشكه. وفقط في أواخر سنوات السبعينيات، تم نقل مسؤولية الارتباط مع إسرائيل إلى يد جناح الشرق الأوسط.

كان قرار إبقاء مسؤولية الارتباط بيد مانور مدهشًا بشكل خاص. فمانور الذي هاجر من هنغاريا وأصبح خلال أربع سنوات رئيسًا لمنظمة مكافحة التجسس في إسرائيل، كان من شأنه أن يثير شكوكًا كبيرة. وفي الواقع، فإن المخابرات الأمريكية خشيت أن يكون مانور هو «الخلد» الشيوعي، وفي عام ١٩٥٢ رفض مكتب التحقيقات الفيدرالية منحه تأشيرة للدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي أبريل عام ١٩٥٢، وصل أنغليتون في الزيارة الأولى إلى إسرائيل. وعلى ما يبدو، كان هدفه هو التعرف عن كثب على رؤساء المؤسسات الاستخباراتية، وإجراء محادثات حول زيادة التعاون المشترك، لكن في الواقع كان لديه هدف آخر. قال مانور: «هو في الحقيقة لمعرفة المزيد عني».

حتى ولو تفاجأ أنغليتون عندما استقبله مانور ومعه شيلواح في المطار، فإنه لم يبد أي علامة على ذلك. وقد قاما

بمرافقته إلى فندق «هشارون» في هرتسيليا، والذي كان يعد الأكثر فخامة في إسرائيل. ويروي مانور: «إنه باستثناء الليلة التي أمضاها على سريره في غرفة الفندق، وعدة لقاءات أخرى، فقد أمضى أنغليتون معظم وقته الذي قضاه في إسرائيل في شقتي الصغيرة المكونة من غرفتين، في شارع فاينسكر في تل أبيب، لقد كانت تلك زيارة سرية، وعدد قليل من الأشخاص الذين عرفوا بذلك، لقد كان طيبًا جدًّا. كان يصل إلى شقتي عند الساعة الحادية عشر ليلا، ويبقى حتى الساعة الرابعة قبل بزوغ الفجر، عندئذ كنت أوصله إلى الفندق، وزوجتي تسيبورا متواجدة في الغرفة المجاورة، وكانت من حين إلى آخر تصنع لنا القهوة. كان جيم محضرًا معه زجاجة ويسكي يمزج لنفسه منها مع الثلج طوال الوقت. رجل واحد فقط يستطيع أن يشرب كل هذا القدر ويبقى محافظا على وعيه. أنا لا أشرب وكان صعبا على جيم تقبل هذا الأمر. وحاول مرارًا وتكرارًا أن يمزج لي كأسًا ويقنعني بالانضمام إليه».

تكسر الجليد، وتحولت العلاقات بين أنغليتون ومانور إلى صداقة عميقة. وتبخرت معها أيضا الشكوك بين إدارات مخابرات كلا البلدين. وقصّ كوليك: «لقد تحدثنا مع المهاجرين، وقمنا بترجمة ما رووه لنا إلى اللغة الإنجليزية، وأعطيناه للأمريكيين، كانت CIA مهتمة بكل تفصيل صغير حول ما يحدث خلف الستار الحديدي. من أسعار الخبز

مـرورًا بمواعيـد رحـلات القطـارات إلى لوائـح المناوبـات في متاجـر الأغذيـة». وفي تقديـره، إن ربـع المعلومـات التـي جمعتهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في سنوات الخمسـينيات عـن الكتلـة السـوفييتية قدمـت بمسـاعدة إسرائيـل.

كانـت كلمـة السر التي وضعهـا الشـاباك لنقـل المعلومـات إلى الأمريكيـين هـي «عمليـة بلسـم». وبحسـب أقـوال مانـور: «كانـوا متطلبـين جـدًّا. لقـد قالـوا لي بـأن عـليّ جمـع معلومـات عـن الكتلـة السـوفييتية ونقلهـا لهـم. في البدايـة لم أعـرف بالضبـط مـا العمـل. لكـن آنـذاك لمعـت لـديّ فكـرة، بنقـل المعلومـات إليهـم مـع تأخـير لمـدة عـام تقريبًـا، مـا تـم جمعـه قبـل سـنة، نقـل إليهـم. وفي بعـض الأحيـان، أرسـل لهـم معلومـات عـن خطـط الاتحـاد السـوفييتي ودول الكتلـة السـوفييتية، باسـتخدام إسرائيـل كمحطـة عبـور للالتفـاف عـلى الحصـار الأمريـكي المفـروض عـلى التجـارة. قمنـا بمعالجـة المعلومـات، وأجرينـا التصحيحـات المطلوبـة، وعندئـذ قمنـا بإرسـالها إلى المخابـرات الأمريكيـة، مـع التشـديد عـلى عـدم كشـف المصـادر التـي زودتنـا بالمعلومـات». اللقـب الـذي أعطـي للـمادة التـي تـم إرسـالها كان «المظـلات».

رويـدًا رويـدًا، تغلغلـت لـدى أنغليتـون معرفـة مـدى قيمـة مانـور والاسـتخبارات الإسرائيليـة.

كانـت النتيجـة الفوريـة للانطبـاع الجيـد الـذي تركـه مانـور لـدى أنغليتـون هـي موافقتـه عـلى أن تقـوم الولايـات المتحـدة

الأمريكيـة بتدريـب رجـال مـن الشـاباك عـلى أسـاليب تحقيـق كانـت تعتـبر آنـذاك متطـورة. وفي أكتوبـر عـام ١٩٥٢ ذهـب ستة محققـين مـن الشـاباك للتـدرب في واشـنطن، لكـن الـدورة كانـت «مملـة» بالنسـبة لهـم و«نظريـة للغايـة»، فطلبـوا العـودة إلى الوطـن. اتصـل أنغليتـون المنبهـر بمانـور.« لقـد طلـب منـي الحضـور فـورًا إلى واشـنطن، وقـام بإرسـال تذكـرتي طـيران، لي ولزوجتـي، وأكـد أننـا سـنمضي أوقاتـا هانئـة». طـار مانـور إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة للمـرة الأولى في حياتـه، ووبـخ رجالـه «المتمرديـن». لم يقتـصر الأمـر عـلى أنهـم اقتنعـوا بمواصلـة دراسـتهم، ولكـن مانـور نفسـه حظـي بفرصـة التعـرف عـلى جهـاز جديـد: آلـة الحقيقـة (جهـاز كشـف الكـذب).

أجـرى لـه أنغليتـون ومعـه خبـير مـن CIA تدريبًـا مكثفًـا. يـروي مانـور ذلـك، قائـلا: «كنـت متحمسًـا جـدًّا لهـذه اللعبـة الجديـدة، وطلبـت السـماح لأحـد موفدينـا بإجـراء دورة تدريبيـة عـلى تشـغيل الجهـاز». تـم إيفـاد تسـفي أهـاروني، الـذي كان في وقـت سـابق أحـد عنـاصر المجموعـة العملياتيـة التـي قبضـت عـلى أيخـمان، لإجـراء دورة تدريبيـة أقيمـت في شـيكاغو، وعـاد بهديـة شـخصية مـن أنغليتـون: جهـاز كشـف الكـذب الأول الـذي وصـل إلى إسرائيـل. ازداد جشـع مانـور الـذي طلـب واسـتلم مـن أنغليتـون هدايـا إضافيـة: ميكرفونـات صغـيرة وأجهـزة بـث ومزيـد مـن عتـاد التنصـت، بالإضافـة إلى كامـيرات حديثـة ومتطـورة أيضًـا،

حتى العتاد المكتبي، من ورق طباعة (نسخ - كوبي)، وأفلام تصوير.

لكن على الرغم من حرارة التعاون الاستخباراتي المشترك، لاتزال هناك عدم ثقة كاملة بين أوساط المخابرات. كان الجانب الإسرائيلي راضيًا عن المساعدة التكنولوجية التي تلقاها، لكنه لم يجرؤ على طلب مادة استخباراتية، بالتأكيد ليست خام، خوفًا من أن يطلب الجانب الأمريكي مادة استخباراتية خام عن العالم العربي. ومن جراء هذا النهج، تولد شعور بأن إدارة الأمن القومي والموساد كانا قادرين على الحصول على معلومات خاصة، وهي الأفضل في العالم - والتي اعتبرت في بعض الأحيان من حيث التفاخر لا تساوي شيئا. لكن، عندما يتم نقل معلومات ذات قيمة، هناك دائما خطر أن يمارس متلقي المعلومات ضغوطا شديدة للكشف عن المصادر. ومع مرور السنين، استاء الأمريكيون من أن الاستخبارات الإسرائيلية «بخيلة» في إعطاء المعلومات، وأن القليل الذي يتم إرساله يعالج ويقيم، ما يجعله قليل القيمة، ومتلاعَبٌ به وحتى خاطئ بشكل مقصود.

طلب أنغليتون في عام ١٩٥٤ شيئًا آخر: وهو أن تقيم الاستخبارات الإسرائيلية والموساد «محطات» سرية في الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية، يتمركز فيها ضباط جمع استخباراتي إسرائيليون، ويجندون عملاء محليين ويشغلونهم. في

إسرائيل تباحثوا في الأمر. ويقول مانور: «في النهاية قررنا القيام بذلك، أنا شخصيا جندت وسألت ووجهت عدة أشخاص وقمت بإرسالهم كممثلي شاباك يعملون بغطاء دبلوماسي في سفاراتنا في عواصم شرق أوروبا. هكذا أدخلنا رجالا إلى وارسو وبراغ وبودابست وبوخارست وصوفيا. لكن، لم أوافق على إرسال رجال إلى موسكو. خشيت من أن يتفوق جهاز الاستخبارات الروسية KGB علينا ويعتقل رجالنا». لقد وجه مانور رجاله بعدم تعريض أنفسهم للخطر، حيث قال: «ابحثوا عن الاتصالات والعلاقات التي يمكن أن تقام في إطار التغطية الدبلوماسية، حاولوا الحصول على المعلومات السياسية. لم يخطر لي ولا حتى في أجمل أحلامي أن يحاولوا الحصول على معلومات عسكرية».

في حقيقة الأمر، يمكن القول إن ضباط الاستخبارات الإسرائيلية خدموا بشكل أساسي المخابرات الأمريكية. لقد كانوا «طفيليات «وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA». كان جهاز مكافحة التجسس التابع للاتحاد السوفييتي ودول شرق أوروبا يشك بالدبلوماسيين الأمريكيين، وكان من السهل جدا على CIA جمع المعلومات من خلال المبعوثين الإسرائيليين. هذا الترتيب، والذي بحسبه يعمل ضباط جمع المعلومات الاستخباراتية التابعين للشاباك بشكل غير مباشر لصالح المخابرات الأمريكية، استمر حتى عام 1967. ففي أعقاب

حـرب الأيـام السـتة (نكسـة ٦٧)، قطـع الاتحـاد السـوفييتي وبقيـة دول الكتلـة الشرقيـة، باسـتثناء رومانيـا، العلاقـات الدبلوماسـية مـع إسرائيـل، وعـاد الجواسـيس إلى البـلاد.

كـما قـدم ممثـلي «نتيـف» مسـاهمة إضافيـة في التعـاون الاسـتخباراتي بـين كلا البلديـن، حيـث اسـتمروا بالعمـل في الاتحـاد السـوفييتي وشرق أوروبـا حتـى عـام 1967. وكانـت مهمتهـم الأساسـية، محاولـة إقامـة اتصـالات مـع الجماعـات اليهوديـة، وقـد نجحـوا مـن حـين لآخـر في تقديـم معلومـات ذات طابـع سـياسي وحتـى عسـكري، ولسـبب مـا ففـي سـنوات الخمسـينيات والسـتينيات، وبمـا يتعـارض مـع اتفاقيـة فيينـا، تـم اعتقـال عـدد مـن رجـال «نتيـف» والتحقيـق معهـم، وطـردوا إلى إسرائيـل.

إن أبـرز نجاحـات الشـاباك في الكتلـة الشرقيـة، وبالتأكيـد أحـد أهـم أعمالـه الكـبرى حتـى اليـوم، التـي سـاهمت بشـكل منقطـع النظـير في تأسـيس علاقـات اسـتخباراتية بـين كلا البلديـن، حدثـت في خريـف عـام ١٩٥٦.

شيء ما وصل من وارسو

دخـل زليـج كاتـس (كارمـي) في سـاعات مـا بعـد ظهـر يـوم الجمعـة الموافـق ١٣ أبريل/نيسـان عـام ١٩٥٦م إلى مكتـب عاموس مانـور في يافـا. وقـد سـأل مانـور سـكرتيره عـما إذا كانـت قـد وصلـت أي مـواد مـن أوروبـا الشرقيـة، فـرد كارمـي بالإيجـاب. وتسـاءل مانـور عـما إذا كان هنـاك شيء مثير للاهتـمام؟ فأجـاب كرمـي أن شـيئًا مـا وصـل مـن وارسـو، إنـه ليـس إلا خطـاب خروتشـوف.

صـاح مانـور: «مـاذا؟ أيـن المـادة؟ أحضرها عـلى الفـور!»، فركض كارمـي وعـاد ومعه سـبعين صفحـة باللغـة البولندية. يـروي مانور: «قلـت لـه، أنـت أحمـق، إنـك تحمـل في يـدك أحـد أهـم الأسرار في العـالم». وقـد اشـتد اسـتغراب مانـور وغضبـه عندمـا علـم أن الخطـاب قـد أرسـل قبـل ثلاثـة أيـام. ثـم تابـع قائـلًا: «قلـت لزليج، اتصـل بدوفيـد، فليـأت إلى هنـا عـلى الفـور».

دوفيـد هـو ديفيـد شـويرتزر، لاعـب كرة قـدم في نـادي هبوعيل تـل أبيـب ثـم بعـد سـنوات مـدرب المنتخـب الوطنـي الإسرائيـلي، والـذي كان آنـذاك مسـؤولًا عـن مختـبر التصويـر في الشـاباك. قـام كارمـي، المولـود في بولنـدا، بترجمـة النـص لمانـور، و «كلـما تقـدم

في الترجمة، شتمت أكثر فأكثر». وعندما وصل شويرتزر، «قلت له، خذ نسخة واحدة وأظهرها في أسرع وقت ممكن، يجب أن أحضرها إلى بن غوريون». وبعد حوالي ساعتين، في الساعة السادسة، استقل مانور سيارة فوكسهول وتوجه إلى منزل رئيس الوزراء في جادة الصندوق القومي اليهودي (كيرين كييميت) بتل أبيب. «قلت له، لقد حصلنا على خطاب خروتشوف في المؤتمر العشرين. لا أعرف ما إذا كانت نسخة حقيقية».

كان مانور حذرا. «كما أخبرت بن غوريون أيضًا أنني لا أعرف ما إذا كان المصدر عميلًا مزدوجًا قام بتسريب الخطاب كمعلومات مضللة، أو ما إذا كان الخطاب أصليًا ولكن تم تسريبه إلينا عن قصد، حتى يصل إلى الغرب. أتذكر أنه سألني ثلاث مرات ما هي المعلومات المضللة، وثلاث مرات شرحتها له. ثم تركت له نسخة وغادرت». بالطبع، كان بن غوريون يجيد اللغة البولندية.

ذهب مانور إلى منزله في شارع إشتوري هبارحي، وفي صباح اليوم التالي ظهر مرة أخرى في جادة الصندوق القومي اليهودي. «قال بن غوريون: ‹إذا كانت هذه نسخة حقيقية، فهي وثيقة تاريخية وبعد ثلاثين عامًا سيكون هناك نظام ليبرالي في موسكو›. ثم أعاد لي المادة دون أن يخبرني ماذا أفعل بها».

يجب أن يُنسب الفضل في هذا الإنجاز – وهو أحد أعظم

الإنجـازات في تاريـخ الاسـتخبارات الإسرائيليـة - إلى فيكتـور جريفسـكي، الـذي وضع يديـه عـن طريـق الصدفـة عـلى الوثيقـة - نـص الخطـاب الـسري لنيكيتـا خروتشـوف، زعيـم الاتحـاد السـوفيتي. ويتذكـر جريفسـكي ذلـك، قائـلًا: «لقـد تصرفـت باندفـاع، دون التفكـير مرتـين».

في الخطـاب، الـذي ألقـاه قبـل حـوالي شـهرين أمـام المؤتمـر العشريـن للحـزب الشـيوعي السـوفيتي، أدان خروتشـوف الجرائـم التـي ارتكبهـا سـتالين ضـد الإنسـانية، بمـا في ذلـك ضـد شـعبه، عـلى مـدى ثلاثـين عامًـا تقريبًـا. لقـد تـصرف جريفسـكي مـن تلقـاء نفسـه، ولم يطلـب منـه أحـد ذلـك. حتـى أنـه لم يكـن ضابـط استخبارات. يقـول جريفسـكي: «بالرجـوع إلى المـاضي، أعلـم أننـي كنـت غبيًـا وشـابًا»، ويضيـف: «لـو أنهـم كشـفوا أمـري، لا أعـرف مـا إذا كانـوا سـيقتلونني، لكننـي ربمـا كنـت سـأمضي سـنوات عديـدة في السـجن».

ولـد جريفسـكي في عـام ١٩٢٥م في كراكـوف ببولنـدا، باسـم فيكتـور سـبيلمان. وقـد كان أحـد أصدقائـه كارول جوزيـف فوتيـلا، حيـث كانـا يخرجـان معـا في رحـلات في الجبـال. وفي وقـت لاحـق، تـم انتخـاب فوتيـلا ليصبـح البابـا يوحنـا بولـس الثـاني. ومـع انـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة، فـر سـبيلمان مـع عائلتـه إلى الاتحـاد السـوفيتي، قبـل أن يعـود في عـام ١٩٤٦م إلى بولنـدا وينضـم إلى الحـزب الشـيوعي. درس الصحافـة ووجـد وظيفـة في

وكالة الأنباء البولندية «باب». «عندما انضممت إلى الحزب، أخبروني أنه مع اسم مثل سبيلمان لن أتمكن من الوصول بعيدًا، لذا قمت بتغييره إلى اسم بولندي - جريفسكي. كلا الاسمين يعني ‹العزف› أو ‹اللعب›».

بدأ كمراسل مبتدئ وتقدم إلى رتبة محرر أول، مسؤول عن قسم الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية. «كان هذا المنصب هو الذي فتح لي الأبواب في الحزب وفي الحكومة». في عام ١٩٤٩م، هاجر والداه وشقيقته إلى إسرائيل، لكنه قرر البقاء في بولندا. ثم في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٥٥م، أصيب والده بمرض خطير. ومن أجل ترتيب الرحلة لزيارته، التقى جريفسكي مع يعقوب بارمور، الذي كان في الظاهر السكرتير الأول في السفارة الإسرائيلية في وارسو، وفي الواقع ممثل الشاباك. وقد هزت الزيارة إلى إسرائيل عالم جريفسكي. حيث أنه عاد إلى بولندا، لكنه اتخذ في قلبه قرار الهجرة إلى إسرائيل.

بعد حوالي أربعة أشهر من تلك الزيارة، وصل جريفسكي كالمعتاد إلى مكان عمل صديقته لوسيا بارانوفسكي ليخرج معها لتناول القهوة. كانت بارانوفسكي، وهي يهودية أيضًا، قد هربت أثناء الحرب من الحي اليهودي في لفيف وانضمت إلى المقاومة، حيث التقت بزوجها. وفي منتصف سنوات الخمسينيات، كانت لفترة قصيرة سكرتيرة مبتدئة في مكتب

الأمين العام للحزب الشيوعي إدوارد أوشاب. كانت تبلغ من العمر ٣٥ عامًا، متزوجة وأم لطفل واحد. وكان زوجها نائب رئيس وزراء بولندا، وقد عاش الزوجان في نفس الشقة، ولكن بشكل منفصل. كان جريفسكي آنذاك عازبًا يبلغ من العمر ثلاثين عامًا. «لم يسر زواجها على ما يرام وكانت صديقتي بكل ما تحمله الكلمة من معنى».

في تمام الساعة ١١:٠٠ من ذلك اليوم، كانت بارانوفسكي مشغولة للغاية بحيث لا تستطيع الخروج لتناول القهوة. «كان مكتب أوشاب في مقر اللجنة المركزية للحزب. وكان الجميع يعرفونني، الحراس، عمال المكتب، لقد كنت تقريبًا من أبناء المنزل هناك. وبينما كنت أتحدث مع لوسيا، لاحظت كتيبًا سميكًا ذا غلاف أحمر كُتب عليه: ‹المؤتمر العشرون، خطاب الرفيق خروتشوف›. بينما كُتب في الزاوية: سري للغاية».

كانت هذه واحدة من النسخ القليلة التي أمر المكتب السياسي السوفيتي (اللجنة المركزية للحزب) بإرسالها إلى قادة دول الكتلة الشرقية. يقول جريفسكي: «مثل الآخرين، وصلت إلي أيضًا شائعات حول الخطاب. ولذلك، عندما رأيت الكتيب الأحمر، فهمت على الفور. لقد أثار اهتمامي بشكل أساسي كصحفي. فقلت للوسيا: سآخذ الكتيب، وأعود إلى المنزل لمدة ساعة أو ساعتين وأقرؤه. فأجابتني، ‹حسنا، لكنني سأعود إلى المنزل في تمام الساعة الرابعة، لذا أعده بحلول ذلك الوقت،

لأنـه يتعـين عـلى وضعـه في الخزنـة». وضعـت الكتيـب تحـت معطفـي وغـادرت المبنـى دون أن يشـك بي أو يفحصنـي أحـد. فبعـد كل شيء، كان الجميـع يعرفوننـي».

عـاد جريفسـكي إلى المنـزل وقـرأ الخطـاب. «شـعرت وكأننـي أحمـل قنبلـة نوويـة. وبمـا أننـي كنـت أعلـم أن العـالم كلـه كان يبحـث عـن الخطـاب، أدركـت أننـي إذا ألقيـت القنبلـة فسـوف تنفجـر. قـررت إعـادة الكتيـب إلى لوسـيا، لكننـي طـوال الطريـق فكـرت كثـيراً، ثـم اتخـذت القـرار الـذي لم أفهمـه حتـى يومنـا هـذا، حيـث قـررت أن أذهـب إلى السـفارة، إلى يعقـوب بارمـور. لم تفعـل بولنـدا شـيئًا سـيئًا بالنسـبة لي، لكـن قلبـي كان مـع إسرائيـل وأردت تقديـم المسـاعدة. فذهبـت إلى السـفارة وقرعـت جـرس البـاب. كان المبنـى محاطًـا بالجنـود والشرطـة البولنديـة، وكانـت هنـاك كامـيرات في كل مـكان تفحـص كل مـن يدخـل». قـام بارمـور المذهـول بتصويـر الكتيـب، وأعـاده إلى جريفسـكي. «غـادرت السـفارة وذهبـت إلى لوسـيا. حيـث وصلـت حـوالي السـاعة الثانيـة والنصـف، أو الثالثـة، وأعـدت لهـا الكتيـب».

في يناير/كانـون الثـاني عـام ١٩٥٧م، هاجـر جريفسـكي إلى إسرائيـل. بينـما بقيـت بارانوفسـكي في بولنـدا وتوفيـت بعـد ١٥ عامًـا بعـد إصابتهـا بمـرض خطـير. وقـد قـال: «لم نتحـدث إطلاقـا عـما حـدث».

لم يطلـب جريفسـكي أي تعويـض عـن أفعالـه. «لقـد كانـت

هـذه باقـة زهـور مـن مهاجـر جديـد إلى دولـة إسرائيـل. مـا مـن جاسـوس محـترف ليتمكـن مـن تحقيـق مـا حققتـه. لقـد كنـت محظوظـًا. لم أكـن بطـلًا، ولم أصنـع التاريـخ. إن الشـخص الـذي صنـع التاريـخ كان خروتشـوف. أمـا أنـا فقـد التقيـت بالتاريـخ لبضـع سـاعات، ثـم افترقـت طرقنـا».

عنـد عودتـه إلى مكتبـه في يـوم الأحـد الموافـق ١٥ أبريـل/نيسـان، أخـبر مانـور رئيـس الموسـاد إيـسر هاريـل عـن الوثيقـة، وعـن المحادثـة مـع بـن غوريـون، وعـن قـراره بتسـليم النسـخة عـلى الفـور إلى وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (سي أي إيـه). «ولكن، مـن أجـل الحفـاظ عـلى أقـصى درجـات السريـة، فضلـت أن يتـم نقلهـا جـوا إلى ممثلنـا في واشـنطن إيـزي دوروت، وعـدم تسـليمها إلى ممثـل وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (سي أي إيـه) في السـفارة الأمريكيـة بتـل أبيـب». وقـد طلـب مـن دوروت تسـليم المـواد إلى جيـم أنغليتـون شـخصيًا.

بعـد يومـين، في ١٧ أبريل/نيسـان، وصلـت الوثيقـة إلى مكتـب رئيـس وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (سي أي إيـه) ألـين دالاس، الـذي سـارع لإبـلاغ الرئيـس دوايـت أيزنهـاور بهـا. وفي نفـس اليـوم، اتصـل أنغليتـون بمانـور وطلـب معرفـة المصـدر الـذي أعطـاه الخطـاب. لكـن مانـور رفـض.

تـم إلقـاء «الخطـاب السري» في وقـت متأخـر مـن بعـد ظهـر يـوم ٢٥ فبراير/شـباط عـام ١٩٥٦م. حيـث تـم اسـتدعاء منـدوبي

المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي البالغ عددهم ١٤٠٠ مندوب إلى جلسة نهائية ومغلقة في مبنى اللجنة المركزية في موسكو. دون أن يسمح لمندوبي الوفود الأجنبية بدخول القاعة. وما إن بدأ خروتشوف خطابه، حتى وجد المندوبون صعوبة في تصديق ما كانوا يسمعونه. بل وكان هناك من أغمي عليهم من الذهول. فمن دون تحضير مسبق، شن خروتشوف هجومًا شرسًا وغير مسبوق على سلفه ستالين، الذي كان قد توفي قبل حوالي ثلاث سنوات من ذلك.

تحدث خروتشوف لمدة أربع ساعات. وقد وصف ستالين بأنه «مستبد» و «مزاجي»، وندد بـ «عبادة الشخصية» واتهمه بالقمع، و «ارتكاب جرائم تسببت في عنف وحشي» وبأنه اخترع مفهوم «عدو الشعب». كما صرح خروتشوف بأنه «شوه مبادئ الحزب بشكل خطير وشديد».

تم تسريب تلميحات أولية حول خطاب سري، تاريخي، عبر الستار الحديدي في غضون أيام قليلة. وقد كانت الإدارة الأمريكية، وكذلك الحكومات الأخرى في الغرب، حريصة على معرفة ما قيل فيه، وتم تكليف الأجهزة الاستخباراتية بالمهمة. غير أن الشاباك الإسرائيلي سبقهم جميعا.

بعد أسبوعين من تلقي الأمريكيين نص الخطاب من إسرائيل، اتصل أنغليتون بمانور مرة أخرى وأبلغه أن الخبراء توصلوا إلى استنتاج مفاده أنها وثيقة أصلية وحقيقية. قال

مانـور: «كانـت فرحـة جيـم تمـلأ عنـان السـماء. وقـد طلـب منـي الإذن بنـشر المـادة». فقـام مانـور باستشـارة بـن غوريـون، الـذي أعطـى موافقتـه عـلى ذلـك. «أبلغـت جيـم بالقـرار، لكننـي طلبـت منـه عـدم ذكرنـا كمصـدر. لم نكـن نرغـب في التـورط».

كانـت العلاقـات بـين إسرائيـل والاتحـاد السـوفيتي مضطربـة للغايـة بسـبب الدعـم السـوفيتي لمصر، وكانـت القيـادة الإسرائيلية تخـشى رد الفعـل السـوفيتي، الـذي يمكـن أن يـضر ليـس فقـط بإسرائيـل ولكـن أيضًـا بيهـود الاتحـاد السـوفيتي بشـكل خـاص. وبعـد أسـابيع قليلـة مـن الـتردد، قامـت وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (سي أي إيـه) في أوائـل يونيو/حزيـران بتسريـب الخطـاب إلى صحيفـة «نيويـورك تايمـز». وقـد أحـدث نـشره ضجـة عالميـة وكان بمثابـة أداة دعايـة رئيسـية في السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة. وتمـت قراءتـه عـلى إذاعـة أوروبـا الحـرة، التـي كان بثهـا مـن ألمانيـا موجهًـا إلى الاتحـاد السـوفيتي وبلـدان الكتلـة الشـيوعية. كـما تـم توزيـع آلاف النسـخ المترجمـة مـن الخطـاب عـبر بالونـات منفوخـة، تـم إرسـالها شرقًـا مـن ألمانيـا والنمسـا. ووفقًـا لخـبراء وكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (CIA)، فقـد كانت انتفاضـة المجر في أكتوبر/تشريـن الأول عـام ١٩٥٦م نتيجـة مباشرة لنـشر الخطـاب.

كتـب دالاس في كتابـه «حرفـة المخابـرات» الصـادر عـام ١٩٦٣م، أنـه اعتـبر الحصـول عـلى الخطـاب مـن أهـم النجاحـات الاسـتخباراتية في عـصره. وقـد تلقـى مانـور منـه نسـخة مـن كتابـه

مـع إهـداء شـخصي إلى «محـترف حقيقـي».

لسـنوات عديـدة، سـعى كثـيرون - صحفيـون وعمـلاء سريـون ودبلوماسـيون ومسـؤولون - لتخصيـص المجـد لأنفسـهم. وقـد كان مـن بينهـم أيضًـا هاريـل، الـذي كان مـترددًا في الثنـاء عـلى الآخريـن، وبالتأكيـد ليـس مرؤوسـه مانـور. وهكـذا كتـب: «في ذلـك الوقـت، زودنـا زملاءنـا الأمريكيـين بوثيقـة مهمـة، تعتـبر مـن أعظـم الإنجـازات في تاريـخ الاسـتخبارات».

تحـول تعاطـف أنغليتـون مـع إسرائيـل بعـد الكشـف عـن الخطـاب إلى إعجـاب. وإذا كان حتـى ذلـك الحـين خائفًـا مـن الدفـاع عـن إسرائيـل في المحادثـات الداخليـة والاجتماعـات مـع أفـراد وزارة الخارجيـة - التـي كانـت مليئـة بالأصـوات المؤيـدة للعـرب - فقـد تجـرأ الآن عـلى التباهـي بـأن العلاقـة مـع إسرائيـل هـي رصيـد اسـتراتيجي.

أخـذت العلاقـات الاسـتخباراتية تتعمـق، وامتـدت مـن أوروبـا الشرقيـة إلى نصـف الكـرة الغـربي، ووصلـت إلى كوبـا.

مثلـما قـام ممثلـو الشـاباك العاملـون في السـفارات الإسرائيليـة في أوروبـا الشرقيـة بنقـل المعلومـات التـي جمعوهـا إلى الولايـات المتحـدة، كذلـك فعـل نـير بـاروخ «رجلنـا في هافانـا» - فهـو لم يمثـل إسرائيـل فحسـب، بـل كان أيضًـا عميـلًا لوكالـة الاسـتخبارات المركزيـة (CIA). وقـد تـم القيـام بذلـك نيابـة عـن مانـور وبموافقـة بـن غوريـون.

ولد باروخ في بلغاريا وهاجر إلى إسرائيل أثناء حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨). ثم انضم بعد الحرب إلى «نتيف» (مكتب الارتباط) وتم إرساله إلى السفارة الإسرائيلية في صوفيا. وهناك، مثل ممثلي «نتيف» الآخرين، بذل جهودًا للتواصل مع الجالية اليهودية ولمساعدة أفرادها على الهجرة إلى إسرائيل، إضافة إلى قيامه بجمع المعلومات العسكرية؛ حيث صور القواعد العسكرية، وتم إرسال أفلام الصور بالبريد الدبلوماسي إلى مقر الشاباك في يافا ومن هناك إلى واشنطن. وفي نهاية سنوات الخمسينيات، انتقل باروخ إلى الشاباك، ليتم تعيينه عام ١٩٦١م مندوبا في البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية في كوبا. وقد قال: «أخبرني مانور أن وظيفتي الرئيسية ستكون جمع المعلومات، والتي سيتم نقلها إلى وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)". وصل إلى هافانا قبل حوالي أسبوعين من محاولة وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) الفاشلة لإرسال الكوبيين المنفيين للإطاحة بالنظام الثوري لفيدل كاسترو، الذي تولى السلطة في عام ١٩٥٩م. حيث كان غزو «خليج الخنازير» في أبريل/نيسان عام ١٩٦١م بمثابة فشل ذريع. يقول باروخ: «على خلفية هذه الأحداث الدرامية، لم يكن لدي الوقت الكافي للتأقلم والاستعداد للمهمة بشكل صحيح. لكن على الرغم من الوضع الصعب، دخلت في غمار العمل على الفور. حيث قمت بتصوير مواقع الصواريخ التي بناها السوفييت، وأبلغت عن المستشارين الروس الذين وصلوا إلى الجزيرة،

وأرسلت تقاريري بشكل مشفر مباشرة إلى ممثل الموساد في السفارة الإسرائيلية في واشنطن. ليتم نقل المواد من هناك إلى أنغليتون ورجاله».

في مرحلة معينة، قامت وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) بتزويد باروخ بجهاز تشفير متقدم، بحيث تكون عمليات الإرسال الخاصة به أكثر سرعة وجودة، وكان يسافر كل بضعة أشهر إلى واشنطن للحصول على التحديثات والإحاطات. «في عدة مناسبات، طلب مني مسؤولو وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) توسيع مهامي. كما طلبوا مني أيضًا أن أعمل وكيلًا ومشغل عملاء وأن ألتقي بعملائهم في كوبا، لتسليم واستلام المواد منهم. لكنني رفضت ذلك. فقد اعتقدت أن الأمر سيكون خطيرًا للغاية».

تصرف أنغليتون بطريقة غريبة، فيها رغبة في السيطرة إلى حد ما، ليس فقط في موقفه تجاه الاتحاد السوفيتي والشيوعية، ولكن أيضًا تجاه إسرائيل. فقد طالب بأن يتولى هو وحده «الملف الإسرائيلي»، في أي مسألة صغيرة أو كبيرة. وعندما كان يكتشف أن أحد زملائه قد أجرى محادثة مع ممثل الموساد في واشنطن أو أرسل برقية لم يتم تمريرها عن طريقه، كان أنغليتون يستشيط غضبًا. وقد اعترف مانور وباروخ وممثلو الموساد في واشنطن، الذين كانوا يعرفون أنغليتون، بأن لديه شخصية «حدية». ولكن من منظور تاريخي، فإن مساهمته

في تعزيـز العلاقـات بـين كلا البلديـن لا تقـدر بثمـن. حيـث كان أنغليتـون واحـدًا مـن الأصـوات القليلـة التـي تـم بفضلهـا اخـتراق جـدار الشـك، وطـوال ٢٥ عامًـا كان مسـؤول الارتبـاط والمدافع عن نزاهـة إسرائيـل في الاسـتخبارات الأمريكيـة. وبعـد نحـو عـام مـن وفاتـه، أقـام أصدقـاؤه نصبًـا تذكاريًـا تخليـدًا لذكـراه ليـس بعيـدًا عـن فنـدق «الملـك داود» في القـدس، حيـث كان يحـب الإقامـة خـلال عـشرات الزيـارات التـي قـام بهـا لإسرائيـل. وقـد نقـش عـلى اللـوح الحجـري «تخليـدًا لذكـرى صديـق عزيـز، جيـم أنغليتـون ١٩١٧ – ١٩٨٧م»، باللغـات العبريـة والإنجليزيـة والعربيـة.

إن أهميـة العلاقـات التـي طورتهـا الاسـتخبارات الإسرائيليـة مـع الأمريكيـين، ولاحقًـا مـع أجهـزة الاسـتخبارات الأخـرى في الغـرب، لا تقتـصر عـلى العلاقـات الثنائيـة فحسـب. حيـث يتمثـل التأثـير الأكـبر لهـذه العلاقـات في وضـع إسرائيـل كأصـل مهـم لتعزيـز مصالـح القـوى الغربيـة في الـشرق الأوسـط.

استخبارات نووية: «لاكام[1]» (مكتب العلاقات العلمية)

كان بنيامين بلومبرغ (فيرد)[2] رجلا غير واضح، نوع من «الرجال عديمي الصفات»، لكنه كان رجل الاستخبارات الذي يقف وراء أهم مشروع استراتيجي لإسرائيل: برنامجها النووي. هذا المشروع الذي لم يكن ليبصر النور لو لم تنجح إسرائيل في تثبيت نفسها كأحد الأصول المهمة للقوى الغربية بشكل عام، ولفرنسا بشكل خاص.

حظي الطموح في الحصول على الطاقة النووية باهتمام كبير من قبل بن غوريون منذ الأيام الأولى للدولة. فبنظره، كان هذا هو أساس استقلال وبقاء أي دولة جديدة في العالم الحديث. وقد كانت القدرة على توليد الكهرباء دون الاعتماد

(١) لاكام **לק"ם**: اختصار ل (**הלשכה לקשרי מדע**) أي (مكتب العلاقات العلمية)، كان وكالة استخبارات إسرائيلية برئاسة بنيامين بلومبرغ ورافي إيتان. جمعت معلومات استخباراتية علمية وتقنية في الخارج من مصادر مفتوحة وسرية على حد سواء، وخاصة بالنسبة للبرنامج النووي الإسرائيلي. تم حلها في عام ١٩٨٦م بعد اعتقال جوناثان بولارد بتهمة التجسس لصالح إسرائيل.

(٢) بنيامين بلومبرغ (فيرد) **בנימין בלומברג** (**ורד**) (١٩٢٣ - ٢٠١٨م): ضابط استخبارات إسرائيلي، كان ضابط أمن وزارة الدفاع، ومؤسس مكتب العلاقات العلمية (لاكام) ورئيسه الأول، وأحد قادة البرنامج النووي الإسرائيلي.

على استيراد الفحم أو النفط تعتبر هدفا هاما في حد ذاتها، لكن تطوير القوة العسكرية كان على رأس أهدافها. حيث كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع يؤمن بأن التطور النووي سيجعل من إسرائيل القوة الأولى الرائدة في الشرق الأوسط؛ فالخيار النووي سيكون بمثابة الضمان النهائي لاستمرار وجود إسرائيل، وسيعوض عن أبعادها الضيقة ونقص الموارد الطبيعية.

في عام ١٩٥٢م، قررت الحكومة إنشاء هيئة الطاقة الذرية. وتم إسناد رئاستها إلى البروفيسور إرنست ديفيد بيرجمان[1]، الذي ولد في ألمانيا عام ١٩٠٣م وهاجر إلى إسرائيل في ثلاثينيات القرن الماضي. وقد كان أحد مؤسسي معهد وايزمان[2] في رحوفوت، وأنشأ سلاح العلوم التابع للجيش الإسرائيلي، وكان أول رئيس لقسم العلوم في وزارة الدفاع. كما كان البروفيسور بيرجمان أيضًا مؤيدا قويا للخيار النووي. وقد أرسلت هيئة الطاقة الذرية علماء شباب من إسرائيل إلى دول أوروبا والولايات المتحدة لتلقي تدريب متقدم في المواضيع المتعلقة بالمجال النووي.

(١) إرنست ديفيد بيرجمان **ארנסט דוד ברגמן** (١٩٠٣ - ١٩٧٥م): كيميائي إسرائيلي وألماني، كان أستاذا للكيمياء العضوية، وأحد مؤسسي البنية التحتية العلمية-الأمنية في إسرائيل. ويعتبر والد البرنامج النووي الإسرائيلي.

(٢) معهد وايزمان للعلوم **מכון ויצמן למדע**: هو معهد موجود في إسرائيل مشهور عالميًا للتعليم العالي والبحث، يقع في رحوفوت في إسرائيل، ويختلف عن غيره من الجامعات الإسرائيلية في أنه يوفر برامج للدراسات العليا فقط ويقتصر على تعليم العلوم الطبيعية فقط.

عبر رئيس الأركان موشيه دايان[١]، وهو أحد أقرب المقربين من بن غوريون، عن الفلسفة المتعلقة بالتسلح النووي بوضوح شديد. حيث رأى أن الخيار النووي يشكل رادعا ضد هجوم شامل تشنه الدول العربية. وبحسب دايان، فإن سباق التسلح التقليدي في الشرق الأوسط يمكن أن يؤدي إلى انهيار إسرائيل. فقد كان يخشى أن تصل إسرائيل إلى وضع يكون فيه في كل فناء منزل في إسرائيل دبابة، وتكون على كل سطح مروحية. وفي مثل هذا الواقع، فإن إسرائيل قد تفشل فشلا ذريعا. وبرأيه، يجب على إسرائيل أن تحتفظ بجيش صغير وفعال ورخيص، بل وحتى محترف، من أجل الأمن الروتيني والحوادث المحدودة، والخيار النووي للصراع الوجودي.

هذا الموقف، الذي تقاسمه كل من بن غوريون ودايان وشمعون بيريز[٢] المدير العام لوزارة الدفاع آنذاك، قوبل بمعارضة من قبل معظم وزراء حزب «ماباي» (حزب عمال أرض إسرائيل)، وعلى رأسهم وزيرة الخارجية جولدا مائير[٣]

---

(١) موشيه دايان **משה דיין** (١٩١٥ - ١٩٨١م): قائد عسكري وسياسي إسرائيلي سابق. تولّى مناصب رئاسة أركان الجيش الاسرائيلي ووزارة الزراعة والدفاع والخارجية. لعب أدوارا أساسية في حروب إسرائيل الأولى، اعتبر بطل النصر في إسرائيل في حرب ١٩٦٧م، وتم تحميله مسؤولية الفشل في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وضمن منصبه كوزير للخارجية ساهم في بلورة اتفاقية السلام بين إسرائيل ومصر.

(٢) شمعون بيريز **שמעון פרס** (١٩٢٣ - ٢٠١٦م): كان سياسيا وشخصية عامة إسرائيلية أيقونية، شغل منصب رئيس الدولة (وهو منصب فخري في إسرائيل) من ١٥ يوليو/تموز عام ٢٠٠٧م وحتى ٢٤ يوليو/تموز عام ٢٠١٤م، كما تولّى رئاسة وزراء إسرائيل مرتين.

(٣) جولدا مائير **גולדה מאיר** (١٨٩٨ - ١٩٧٨م): رابع رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية،

ووزير المالية ليفي إشكول[1]، وكذلك من قبل العسكريين والاستراتيجيين أيضا، مثل إيغال آلون[2]. لكن بن غوريون وبيريز ودايان وبيرجمان واصلوا طريقهم بمفردهم، باحثين عن فرصة للحصول على مفاعل نووي. وقد جاءتهم فرصة كهذه عام ١٩٥٥م.

كجزء من برنامج «الذرة من أجل السلام»، وافق الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور[3] على تزويد إسرائيل بمفاعل نووي صغير، بقدرة ٥ ميغا-واط، لأغراض البحث. حيث تم إنشاء المفاعل في سوريك، بالقرب من مدينة يفنه ومعهد وايزمان. وقد تم تشغيل المفاعل بيورانيوم مخصب بنسبة ٩٣ في المئة تم الحصول عليه من الولايات المتحدة الأمريكية، غير أنه كان أصغر من أن ينتج مواد انشطارية لتجميع الأسلحة النووية.

وهي المرأة الوحيدة التي تولت هذا المنصب.

(١) ليفي إشكول (شكولينك) **לוי אשכול** (١٨٩٥ - ١٩٦٩م): ثالث رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية.

(٢) إيغال آلون **יגאל אלון** (١٩١٨ - ١٩٨٠م): سياسي إسرائيلي، وهو قائد لقوات «البلماح»، ولواء في الجيش الإسرائيلي. وكان أحد قادة حزب «أحدوت هعفوداه» وحزب العمل الإسرائيلي، ورئيس وزراء إسرائيل بالنيابة. كما كان عضوًا في الكنيست ووزيرا للحكومة من الكنيست الثالث إلى التاسعة.

(٣) دوايت ديفيد أيزنهاور Dwight David Eisenhower (١٨٩٠ - ١٩٦٩م): هو سياسي وجنرال أمريكي شغل منصب الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة من عام ١٩٥٣م حتى عام ١٩٦١م. كان قائدا عامًا في جيش الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية، وقائدا أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا. وكان أيضًا مسؤولًا عن التخطيط والإشراف على غزو شمال أفريقيا في عملية الشعلة في عام ١٩٤٢-١٩٤٣م وغزو الحلفاء الناجح لفرنسا وألمانيا في الجبهة الغربية عامي ١٩٤٤-١٩٤٥م. وفي عام ١٩٥١م، أصبح أول قائد أعلى لحلف الناتو.

وعلى أي حال، فقد كان تحت إشراف أمريكي.

حدث المنعطف الكبير في يناير/كانون الثاني عام ١٩٥٦م. حيث وصلت إلى السلطة في باريس حكومة اشتراكية بقيادة جاي موليه[١]، الذي اتخذ موقفا صارما لقمع الانتفاضة في الجزائر. وقد رأى في دعم الرئيس المصري لجبهة التحرير الوطني (FLN)[٢]، التي ناضلت من أجل استقلال الجزائر، خطرا يجب القضاء عليه، ووجد في إسرائيل حليفا لتحقيق هذا الهدف. كما أن حقيقة وجود حكومة اشتراكية في إسرائيل، ساهمت أيضًا في بناء الجسر فوق البحر الأبيض المتوسط. حيث أن الاشتراكية الإسرائيلية - النشيطة، الرائدة، الشابة، المعروفة بنجاحاتها - قد أثارت إعجاب وصداقة الاشتراكية الفرنسية.

كلما كان يتواجد بيريز في باريس، وكان ذلك يحدث كثيرا، لصياغة تفاصيل التعاون السياسي والعسكري والاستراتيجي بين الدولتين، لم يكن ينس أن يذكر رغبة إسرائيل القوية في إنشاء مفاعل نووي. وقد أصبحت طلباته جزءا لا يتجزأ من المؤامرة السرية التي تبلورت بين فرنسا وإسرائيل.

في ٢٢ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٦م، اجتمع حول طاولة

(١) جاي موليه Guy Mollet (١٩٠٥ - ١٩٧٥م): هو سياسي اشتراكي فرنسي. كان زعيم حزب القطاع الفرنسي في أممية العمال (SFIO) من عام ١٩٤٦م حتى عام ١٩٦٩م، ورئيسًا للوزراء من عام ١٩٥٦م حتى ١٩٥٧م.

(٢) جبهة التحرير الوطني الجزائرية (FLN): هي حزب سياسي اشتراكي في الجزائر، وكانت تمثل الجناح السياسي لجيش التحرير الوطني قبل الاستقلال.

أنيقة في فيلا تعود لرجل أعمال يهودي فرنسي في سيفر، إحدى ضواحي باريس الغنية، كل من بن غوريون ودايان وبيريز وحفنة من المساعدين الآخرين. وقد جلس أمامهم كل من رئيس الوزراء الفرنسي جاي موليه، ووزير الخارجية كريستيان بينو[1]، ووزير الدفاع موريس بورجيس مونوري[2]، وعدد من المستشارين بالملابس المدنية والجنرالات بالزي العسكري. وإلى جانبهم كان يجلس وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد[3] ومساعدوه المقربون.

خلال يومين من المحادثات السرية، تم التخطيط للحرب المعروفة في إسرائيل باسم «عملية سيناء» وفي بقية العالم باسم «حرب السويس». وبعد أسبوع من ذلك، في ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول، قامت إسرائيل بإنزال كتيبة مظليين في ممر متلا في سيناء، وأدخلت قوات مشاة ومدرعات من النقب إلى شبه الجزيرة. ووفقا للخطة الموضوعة مسبقا في سيفر، سارعت كل من بريطانيا وفرنسا إلى توجيه إنذار نهائي لإسرائيل ومصر، يطالبهما بالانسحاب ١٥ كيلومترا عن قناة السويس. وقد كان الهدف الحقيقي للندن وباريس هو استعادة السيطرة على القناة، التي كان قد تم تأميمها من قبل الرئيس المصري

(١) كريستيان بينو Christian Pineau (١٩٠٤ - ١٩٩٥م): سياسي فرنسي، كان مقاتلا مشهورا في المقاومة الفرنسية، وشغل فيما بعد فترة مهمة كوزير للخارجية في أواخر الخمسينيات.

(٢) موريس بورجيس مونوري Maurice Bourgès-Maunoury (١٩١٤ - ١٩٩٣م): سياسي فرنسي سابق.

(٣) سلوين لويد Selwyn Lloyd (١٩٠٤ - ١٩٧٨م): سياسي بريطاني سابق.

جمال عبد الناصر[1]. وكما هو متفق عليه، امتثلت إسرائيل للطلب، في حين رفضت مصر الإنذار. فكان ذلك كافيا لتقديم ذريعة لهم لإنزال قوات في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني في منطقة القناة. وعلى الرغم من أن المظليين البريطانيين والفرنسيين قد نجحوا حقا في السيطرة على معظم مدن القناة، إلا أنهم فوجئوا بالمقاومة الشديدة من قبل الجيش المصري والسكان المحليين.

التقدم البطيء، وتردد البريطانيين بشكل خاص، جعل من حرب السويس فشلا ذريعا. حيث تعافى الاتحاد السوفييتي سريعا، بعد أن أنهى الانتفاضة المجرية، وقام بتهديد الحلفاء الثلاثة. كما رفضت الولايات المتحدة، التي لم يتم اطلاعها على العملية، تقديم المساعدة لأصدقائها. فلم تتأخر النتيجة في الظهور.

تعرضت كل من فرنسا وبريطانيا لإذلال سياسي. فقد أجبرتا على سحب قواتهما من الأراضي المصرية، دون تحقيق الأهداف التي حددوها لأنفسهم. فيما بقيت السيطرة على القناة بيد مصر. والرئيس عبد الناصر، المكروه من قبل رئيس الوزراء البريطاني أنطوني إيدن[16]، الذي رأى فيه «هتلر ثان»، بقي في كرسيه وواصل دعم جبهة التحرير الوطني الجزائرية، مما

(١) جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠م): هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة ١٩٥٦م إلى وفاته. وهو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو/تموز عام ١٩٥٢م التي أطاحت بالملك فاروق.

أثار استياء فرنسا. لقد كانت هزيمة فرنسا وبريطانيا المسمار الأخير الذي خفضهما من تصنيف قوى عظمى إلى مجرد قوى.

كانت إسرائيل هي الوحيدة التي حققت بعض الإنجازات في نهاية العملية: حيث تمكنت بسرعة قياسية من احتلال كامل سيناء وقطاع غزة، ورفع الحصار المصري عن الممرات الملاحية إلى إيلات. كان يمكن اعتبار عملية سيناء نجاحا كبيرا من الناحية العسكرية، لكنه محدود من الناحية السياسية. حيث أن الضغوط الدولية، وخاصة من قبل الولايات المتحدة، وتهديدات الاتحاد السوفييتي بقصف تل أبيب، قد أجبرت إسرائيل على الانسحاب في غضون أربعة أشهر، حتى مارس/ آذار عام ١٩٥٧م، من الأراضي التي تم احتلالها. كما لم تتمكن إسرائيل من رفع الحظر الذي فرضته مصر على الرحلات البحرية الإسرائيلية في قناة السويس. وبدافع الانتقام، اقترح أبراهام دار[١]، وهو ضابط استخبارات كان يعمل متخفيا في مصر، خطة وحشية. حيث قال إنه لا ينبغي السماح لعبد الناصر بالاحتفال بانتصاره، الذي تم تفسيره على أنه إخفاق إسرائيلي. فاقترح دار «أن يتم تفجير مبنيين اثنين» في الوقت الذي يتنقل فيه عبد الناصر وحاشيته في أرجاء القاهرة. ومن غير الواضح على من كان مقدرا لهما أن يسقطا، رغم أنه من الممكن التكهن بذلك.

(١) أنطوني إيدن Anthony Eden (١٨٩٧ - ١٩٧٧م): كان سياسيًّا بريطانيًّا من حزب المحافظين، ورئيس الوزراء البريطاني الأسبق.

كان الإنجاز الأهم بالنسبة لإسرائيل هو تعزيز التحالف مع فرنسا. وبنظر بن غوريون، كان هذا الربح يستحق أي ثمن: فقد سمح لإسرائيل بامتلاك سلاح نووي.

في الدقائق الأخيرة من مؤتمر سيفر، بعد أن غادر الممثلون البريطانيون ولم يبق سوى الإسرائيليين والفرنسيين، طلب بيريز من الحاضرين شرب نخب نجاح الحرب وتوريد المفاعل النووي. وبعد نحو عام من ذلك، تم تعيين موريس بورجيس مونوري، أحد أصدقاء إسرائيل الواضحين، رئيسا للوزراء. وكان بجانبه بينو، وزير الخارجية، الذي كان عضوا في «المقاومة الفرنسية»[(١)] وتم سجنه في معسكر اعتقال بوخنفالد، وكان يؤمن بضرورة أن تضمن الدولة اليهودية وجودها بجميع الوسائل.

في الثاني والثالث من أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٧م، وقع بورجيس مونوري وبينو بالنيابة عن فرنسا، وبيريز وممثل وزارة الدفاع في باريس آشر بن ناتان بالنيابة عن إسرائيل، وثيقتين اثنتين: الأولى دبلوماسية، تحدد إطار التعاون العلمي بين البلدين؛ والثانية تقنية، تنظم عملية تزويد إسرائيل بمفاعل نووي كبير، بقدرة ٢٤ ميغا واط، بما في ذلك المعرفة والبنية التحتية اللازمة.

(١) أبراهام دار אברהם דר (١٩٢٥ - ٢٠١٩م): ضابط استخبارات إسرائيلي، كان القائد الأول لشبكة التجسس اليهودية في مصر التي عرفت نشاطاتها وكشف المصريين لها باسم «قضية العار» أو «فضيحة لافون».

مـع الحصـول عـلى المفاعـل المنشـود، بـدأ يتسـلل إلى قلـوب كبـار العلـماء ورجـال الدولـة الخـوف مـن أن يـؤدي ذلـك إلى تسريـع سـباق التسـلح بشـكل عـام، وتطويـر سـباق تسـلح نـووي عـلى وجـه الخصـوص. فاسـتقال سـبعة مـن أعضـاء «هيئـة الطاقـة الذريـة» الثمانيـة في أواخـر عـام ١٩٥٧م. حيـث جادلـوا بأنـه قـد تـم التركيـز أكـثر مـن الـلازم عـلى بنـاء الإمكانـات النوويـة لإسرائيـل. واحتجاجـا عـلى ذلـك، شـكل العلـماء المسـتقيلون «لجنة إخـلاء الـشرق الأوسـط مـن الأسـلحة النوويـة»[١]. غـير أن العامـة لم يعلمـوا شـيئا عـن كل هـذا.

لم يتسـبب نشـاط المعارضـين في إزعـاج بـن غوريـون، ولا حتـى حقيقـة أن البروفيسـور بيرجـمان قـد بقـي وحيـدا في هيئتـه. بـل عـلى العكـس مـن ذلـك، كانـوا سـعداء بتقلـص دائـرة مـن يعرفـون الـسر الأكـثر غموضـا لدولـة إسرائيـل.

لمعرفتـه أن المعلومـات تعنـي القـوة، طالـب بيريـز بـأن تعهـد إليـه مهمـة حفـظ الـسر العظيـم، وقـد كان لـه ذلـك. وبالتـالي، لم يطلـب مـن مجتمـع الاسـتخبارات - كـما هـو متوقـع - أن يشـارك في المـشروع. وعـلى وجـه الخصـوص، سـعى بيريـز إلى إبعـاد خصمه اللـدود، رئيـس الموسـاد إيـسر هاريـل. حيـث رأى بيريـز أنـه مـن أجـل تطويـر قوتهـا النوويـة، سـتحتاج إسرائيـل الآن إلى وحـدة

(١) المقاومـة الفرنسـية **רזיסטאנס**: هـي الاسـم الجامـع لحركـة المقاومـة الفرنسـية التـي حاربـت ضـد الاحتـلال الألمـاني لفرنسـا، ونظـام الحكـم المتآمـر مـن طـرف حكومـة فرنسـا فيـشي خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة.

استخبارات نووية، يمكنه السيطرة عليها. وقد اعترف هاريل، قائلا: «لقد تم إنشاء لاكام (مكتب العلاقات العلمية) من وراء ظهري ودون علمي. وعندما كان بنيامين يراني في الطريق، كان يذهب إلى الرصيف الآخر ليتجنبني».

بنيامين هو بنيامين بلومبرغ، أحد المقربين من بيريز. ولد عام ١٩٢٣م في مكفيه يسرائيل، كما التحق أيضا بأول مدرسة زراعية أنشئت في إسرائيل. وفي عام ١٩٤٠م، ذهب للتدريب في كيبوتس في الجليل الأسفل، وانضم إلى «الهاغانا». وبعد فترة، تم وضعه في وحدة «شاي». وعند اندلاع حرب الاستقلال (حرب فلسطين ١٩٤٨م)، تم تعيينه قائدا لأمن معمل البوتاس في كاليا، على الشاطئ الشمالي للبحر الميت. ومع إنشاء «الشين بيت»، تم ضمه إليه وتعيينه في المقر رقم ٥ (لاحقا: قسم التأمين والحماية)، الذي كان مسؤولا عن الأمن والسلامة في الوزارات الحكومية والجيش الإسرائيلي. ثم بعد ذلك بوقت قصير، تم تعيينه كضابط أمن في وزارة الدفاع.

كلما كانت تتوسع مؤسسات المنظومة الأمنية، كانت تزداد صلاحيات بلومبرغ. وكان أولئك الذين يعرفونه يخاطبونه باسمه الأول. «لقد كان لطيفا ومخلصا للغاية»، هذا ما أفاد به أحد زملائه في الشاباك، وتابع: «مؤدب جدا. لم يسبق أن رفع صوته أبدا، حتى وإن كان غاضبا، وكان محبوبا جدا من قبل العمال. لكن لم تكن له سمات بارزة. ولم يكن يمتلك معرفة واسعة

وغنية. لقد كان ذو شخصية نموذجية كتلك التي يمتلكها أي عضو كيبوتس ذو توجه أمني. متواضع، فعال، مجتهد». لكن أبرز ما كان يميز بلومبرغ هو صمته. وقد أفاد أحد الذين عرفوه عن كثب في وزارة الدفاع: «لا يمكنك إجراء محادثة قصيرة معه. لا أعتقد أنه كان لديه أصدقاء حقيقيين. لقد كرس كل طاقته للعمل».

كان الشخصان الوحيدان اللذان أنشأ معهما تقاربا محددا هما مانور ويوسف هرملين[1]، الذي كان رئيس المقر ٢ (قسم مكافحة التجسس ومنع الاختراقات، «القسم غير العربي»). أما الشخص الثالث الذي أقام معه بلومبرغ علاقة خارجة عن المألوف فقد كان مدير عام وزارة الدفاع، بيريز.

في عام ١٩٥٨م، بدأت أعمال بناء المفاعل في ديمونا. وبالتزامن مع إنشاء الإطار التنظيمي، أمر بن غوريون بإعادة تنظيم هيئة الأبحاث والتصميم، التي كانت مسؤولة منذ عام ١٩٥٢م عن الأبحاث الأمنية في وزارة الدفاع؛ وفي يونيو/حزيران عام ١٩٥٨م، تم إنشاء سلطة تطوير الأسلحة (رفائيل).

كانت هناك وراء تغيير الاسم محاولة منسقة ومتكاملة لتطوير منظومات أسلحة لم تكن لدى إسرائيل آنذاك. وقد

(١) لجنة إخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية **הוועדה לפירוז המזרח התי־כון מנשק גרעיני**: هي منظمة عملت في إسرائيل في ستينيات القرن العشرين بهدف تشجيع إنشاء منطقة خالية من السلاح النووي في الشرق الأوسط.

كتب مونيا (مئير) ماردور[1]، الذي أدار رفائيل، في كتابه «رفائيل» (وزارة الدفاع، ١٩٨١م) بلغة ضمنية، أن المهمة التي أوكلت إليه كانت الحصول على أسلحة متطورة لصالح إسرائيل - أسلحة حديثة - والتي كانت في ذلك الوقت حكرا على القوى العظمى فقط.

تطلبت هذه التطورات بذل جهود أمنية خاصة. فقام بلومبرغ بتجنيد فريق صغير لذلك، وهكذا تم في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي تأسيس الهيئة التي لم يكن لها اسم في البداية. وقد أطلق عليها ألقاب مختلفة، قبل أن تحصل أخيرا على الاسم الرسمي ولكن السري: «مكتب العلاقات العلمية» (لاكام).

كان تأمين الحماية المادية للمفاعل، الذي كان اسمه الرسمي «مركز البحوث النووية»، مهمة سهلة نسبيا، وقد تم تنفيذها من قبل الجيش الإسرائيلي بشكل أساسي. لكن الحفاظ على مؤامرة الصمت كان أمرا صعبا للغاية. فالآلاف من العمال الإسرائيليين والأجانب، ومعظمهم من المهندسين والفنيين الفرنسيين، كانوا يعملون في ديمونا. حيث تم إنشاء حي سكني للعمال الأجانب في بئر السبع، وأقيمت حوله مطاعم ونواد وبيوت دعارة. وفي نظر المسؤولين عن أمن المعلومات، كانت

(١) يوسف هرملين **יוסף הרמלין** (١٩٢٢ - ١٩٩٤م): دبلوماسي إسرائيلي، كان رئيس جهاز الأمن العام لفترتين، وسفير إسرائيل في إيران وفي جنوب إفريقيا.

أماكـن الترفيـه هـذه مصـدرا للمتاعـب.

التقـى بلومبرغ ورجالـه مـن حـين لآخـر مـع العـمال الثرثاريـن وحذروهـم مـن التحـدث عـن عملهـم. لكـن الخطـر الحقيقـي كان مـن جهـازي الاسـتخبارات البريطـاني والأمريـكي، اللذيـن كانـا مهتمـين للغايـة بمـا كانـت إسرائيـل تبنيـه في الصحـراء. فهـما لم يصدقـا أن هـذا كان «معمـل غـزل ونسـيج» يهـدف إلى تأمـين سـبل العيـش للمهاجريـن الجـدد في بلـدة ديمونـا، وأرسـلا طائـرات تجسـس في مهـمات تصويـر فـوق الموقـع.

أصبحـت حمايـة المعلومـات أكـثر صعوبـة مـع مـرور الوقـت، وخاصـة بعـد الانتهـاء مـن بنـاء المفاعـل وعـودة الطاقـم الأجنبـي إلى بلدانهـم. وفي ديسـمبر/كانون الأول عـام ١٩٦٠م، أفـادت تقاريـر إعلاميـة دوليـة، معتمـدة على تسريبـات مصدرهـا الإدارة الأمريكية والحكومـة البريطانيـة، أن إسرائيـل قامـت ببنـاء مفاعـل نـووي في ديمونـا. فاضطـر بـن غوريـون إلى الاعـتراف بذلـك مـن عـلى منصـة الكنيسـت، لكنـه وعـد بـأن المفاعـل مخصـص «للأغـراض السـلمية» وتعهـد بعـدم قيـام إسرائيـل بتطويـر أسـلحة نوويـة.

لم تكـن إسرائيـل تنـوي، كـما بـات معروفـا في وقـت لاحـق اسـتنادا إلى تقاريـر أجنبيـة، الوفـاء بهـذا الالتـزام، وبقـي الهـدف الأصـلي للمفاعـل كـما هـو: إنتـاج أسـلحة نوويـة. كـما اتخـذت حكومـة بـن غوريـون أيضـا قـرارا، التزمـت بـه جميـع الحكومـات اللاحقـة، وهـو الالتـزام بالسياسـة التـي تعـرف باسـم «الغمـوض»:

عدم إنكار أو تأكيد امتلاك إسرائيل لأسلحة نووية، كما يعتقد معظم العالم.

تم توسيع مهام «لاكام» (مكتب العلاقات العلمية) تدريجيا. فقد بقي يمثل السلطة المهنية التي وضعت إجراءات تأمين المفاعل، كما عهد إليه أيضا بتشخيص واختبار مئات العمال الذين تم تعيينهم للعمل فيه. وتحقيقا لهذه الغاية، تم تعيين ضباط أمن تابعين له في كل من «هيئة الطاقة الذرية» و «مركز البحوث النووية».

بعد انتخاب جون كينيدي[١] رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية، بدأت إدارته في الضغط على إسرائيل لفتح مفاعل ديمونا للرقابة الدولية. وفي مايو/أيار عام ١٩٦١م، اضطرت إسرائيل إلى الموافقة على زيارة المفتشين الأمريكيين. وفي نهاية الزيارة، قام المفتشان بوضع تقرير متعاطف، أيد تصريحات بن غوريون المطمئنة التي أدلى بها علانية وخلال المحادثات الثنائية مع الرئيس كينيدي ومع مسؤولين حكوميين آخرين. وقد استمرت زيارات المفتشين للمفاعل حتى عام ١٩٦٩م (عندما أمرت إدارة الرئيس نيكسون بإيقافها)، ولكن تم

(١) جون كينيدي John F. Kennedy (١٩١٧ - ١٩٦٣م): هو سياسي أمريكي تولّى منصب الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة من ٢٠ يناير/كانون الثاني عام ١٩٦١م حتى اغتياله في ٢٢ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦٣م. خدم كينيدي كرئيس في ذروة الحرب الباردة، وركز في جُلِّ فترة رئاسته على إدارة العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. وهو عضو في الحزب الديمقراطي، وقد مثَّل ولاية ماساتشوستس في مجلس النواب ومجلس الشيوخ قبل أن يصبح رئيسًا.

استبدال لهجة التقرير الأول بالشكوك والريبة حول نوايا إسرائيل الحقيقية.

الخوف في إسرائيل من زيارات المفتشين تطلب إعدادا خاصا. ووفقا لتقارير أجنبية، فقد أقيمت في المفاعل جدران وهمية، مثل الخلفيات السينمائية، ووراءها مساحات فارغة، وتم بناء بوابات لا تفضي إلى أي مكان ونوافذ لا تفتح. وفي عام ١٩٩٢م، اعترف وزير الخارجية السابق أبا إيبان[1]، في مقابلة لصالح كتاب تم نشره في الخارج، بأن «الأمر قد كلف الكثير من المال لترتيب عدم اكتشاف المفتشين لحقيقة ما حدث».

استمر الضغط الأمريكي. وخلال زيارة لواشنطن، كانت تهدف إلى إبرام صفقة أسلحة هي الأولى من نوعها - شراء صواريخ مضادة للطائرات من طراز «هوك» - تم نقل بيريز، الذي كان نائب وزير الدفاع في ذلك الوقت، إلى اجتماع مع الرئيس. حيث ضغط عليه كينيدي بشأن البرنامج النووي الإسرائيلي. فأجاب بيريز، وفقا لصيغة محددة سلفا أو ارتجال بارع: «إسرائيل لن تكون البادئة بإدخال أسلحة نووية إلى الشرق الأوسط». وبحسب تقارير أجنبية، ففي ذلك الوقت لم تكن إسرائيل قد جمعت أسلحة نووية بعد، وقد حاول بيريز تفادي الضغوط.

تسببت الرحلات الكثيرة للملحقين العسكريين على طريق

(١) أبا إيبان **אבא אבן** (١٩١٥ - ٢٠٠٢م): دبلوماسي وسياسي إسرائيلي سابق.

بئر السبع-ديمونا في إزعاج بلومبرغ. وقد كان أحد من يقومون بهذه الرحلات هو جون هادون، رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تل أبيب في ذلك الوقت. حيث قال هادون بعد سنوات أن مهمته كانت تصوير المفاعل، وجمع عينات من التربة والمياه والنباتات من المنطقة المحيطة به. وقد قام فريق عمليات من الشاباك مع مروحية تابعة للجيش الإسرائيلي بتعقبه إلى النقب ومراقبة تحركاته.

شعر بلومبرغ أنه بحاجة لاكتشاف ما يعرفه الأمريكيون، وتصرف وفقا لذلك. وبحسب ما تم نشره، فقد حاول ضباط الأمن في إسرائيل تصعيب عملية جمع العينات من قبل الأمريكيين.

وبحسب تقارير أجنبية، مصدرها شخصيات إسرائيلية سربت المعلومات إلى الخارج، مثل العميد يتسحاق (يتسا) يعقوب[1]، الذي كان رئيس قسم البحث والتطوير في وزارة الدفاع - تمكنت إسرائيل من تجميع قنبلتها النووية الأولى خلال عام ١٩٦٦م أو مطلع عام ١٩٦٧م. وقد تم التطوير والتجميع في مفاعل ديمونا ومعمل «رفائيل» في الشمال بسرعة غير عادية - أقل من ست سنوات من لحظة تشغيل المفاعل

(١) يتسحاق (يتسا) يعقوب **יצחק (יצה) יעקב** (١٩٢٦ - ٢٠١٣م): عميد سابق في الجيش الإسرائيلي، من مؤسسي وحدة البحث والتطوير في وزارة الدفاع. كان أول من يشغل منصب كبير العلماء في وزارة التجارة والصناعة وأنشأ «صندوق رأس المال المخاطر (الاستثماري)». بعد نحو ٣٠ عاما من تقاعده، تمت محاكمته بتهمة تسريب معلومات سرية تتعلق بخدمته العسكرية.

في ديمونا. لكنها كانت قنبلة كبيرة وضخمة، ولم يكن لدى إسرائيل أي وسيلة لإطلاقها؛ فطائرات «ميراج ٣»، التي تم شراؤها من فرنسا، لا يمكنها حملها. ولذلك، عشية حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، في مايو/أيار عام ١٩٦٧م، عندما فكروا في المنظومة الأمنية بتهديد مصر بالأسلحة النووية، تم فحص إمكانية حملها على متن مروحية «سوبر فريلون» فرنسية الصنع. وفي كلتا الحالتين، تم تأجيل الفكرة.

منذ اللحظة الأولى، برز استعداد بلومبرغ للخروج إلى الميدان وعدم الاكتفاء بإرسال ضباط الأمن التابعين له بمفردهم. وطوال سنوات الستينيات تقريبا، كان يحاول أن يرافق بنفسه الشحنات المهمة من المعدات والمواد من وإلى المفاعل. وقد كانت إحداها في عام ١٩٦٨م.

كانت مشكلة إسرائيل أن مخزون اليورانيوم اللازم لتزويد المفاعل بالوقود أخذ نفد. وقد وصل الرئيس الفرنسي شارل ديغول[1] إلى السلطة في عام ١٩٥٨م، وبدأ في تغيير السياسة تجاه إسرائيل؛ حيث أنه احترم العقود القديمة لكنه رفض تجديدها. فأصبحت إسرائيل بحاجة إلى مصادر جديدة للإمداد. ولهذه الغاية، استعان بلومبرغ بشبكة من رجال الأعمال الإسرائيليين، الذين طلب منهم، إلى جانب أعمالهم المعتادة، محاولة إجراء

(١) شارل ديغول Charles de Gaulle (١٨٩٠ - ١٩٧٠م): عسكري فرنسي ورئيس الجمهورية الفرنسية السابق.

اتصالات والحصول على ما هو مطلوب للمفاعل.

أحدهم كان إلياهو سخاروف[1]. الذي ولد في القدس عام ١٩١٤م لعائلة تجار ثرية، وانضم إلى «الهاغانا» وكان متورطا بشراء أسلحة في الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية التشيك. وعندما تم تسريحه من الجيش الإسرائيلي برتبة مقدم، دخل في أعمال الأسرة، التي تركزت على استيراد الأخشاب والمواد الكيميائية لصناعة الأثاث. وفي أحد الأيام من عام ١٩٦٢م، بينما كان على متن رحلة جوية من ألمانيا إلى إسرائيل، التقى برئيس الشاباك عاموس مانور. وخلال المحادثة التي دارت بينهما، قال سخاروف أنه التقى بالعديد من الصناعيين من ألمانيا الغربية على صلة بمصانع إنتاج مواد كيميائية. وقد أظهر مانور اهتماما كبيرا بالأمر وقال إنه سيعود إليه.

لكن بعد بضعة أيام، لم يكن رئيس الشاباك من اتصل بسخاروف، وإنما بلومبرغ. وقد التقيا في مكتب بلومبرغ الجديد، في شارع الأربعة بتل أبيب. حيث طلب منه «بنيامين»، كما استمر سخاروف بمناداته لسنوات عديدة، أن يوافق على التطوع لمهمة حساسة وهامة للغاية: اللجوء إلى الصناعيين الألمان الذين التقى بهم، من أجل شراء مواد كيميائية لم يتمكن «لاكام» (مكتب العلاقات العلمية) من الحصول عليها.

---

(١) إلياهو سخاروف **אליהו סחרוב** (١٩١٤ - ٢٠١٨م): صناعي ورجل أمن إسرائيلي سابق.

وقد عرض عليه أن يدفع له تعويضا، لكن سخاروف رفض قبول تعويض مادي مقابل مهمة وطنية.

اتضح أن هؤلاء الصناعيين الألمان كان لديهم ماض نازي. لكن كما في حالات أخرى، فإن غاية إسرائيل قد بررت الوسيلة. وكان لدى الألمان شركة تسمى «كيماويات أسمرة»، وكان مكتبها الرئيسي في مدينة فيسبادن.

كان الوسيط الخاص بسخاروف هو هربرت شولتزن، وهو طيار في سلاح الجو الألماني وعضو سابق في الحزب النازي، تعرض لإصابة بعد تحطم طائرته خلال نشاط عملياتي في الدنمارك. وقد كان شولتزن ذو شخصية منفتحة وغير تقليدية، إضافة إلى كونه رجل أعمال ماهر. كما كانت لديه علاقات جيدة أيضا مع جيش ألمانيا الغربية ومع هيئة الطاقة الذرية التابعة لها.

بناء على توجيهات بلومبرغ، توجه سخاروف إلى شولتزن وأعرب له عن اهتمامه بشراء كميات كبيرة من المواد اللاصقة من «شركة أسمرة» لصالح تجارة الأخشاب الخاصة به. وقام بدعوة شولتزن إلى إسرائيل لإجراء مزيد من المحادثات، كما اقترح عليه أيضا أن يستغل الزيارة لمعرفة ما إذا كان يمكن مساعدته على التعافي من الإصابة التي عانى منها لأكثر من عقدين من الزمن. حيث أوضح له سخاروف أن الطب الإسرائيلي، للأسف، لديه خبرة واسعة في علاج جرحى الحرب.

وقد كان استخدام العلاج الطبي كغطاء، حقيقي أو وهمي، لعملية تجنيد استخباراتية هو أحد أنماط العمل الأصلية والنموذجية والأكثر فاعلية للاستخبارات الإسرائيلية.

تحمس شولتزن للعرض. فبالنسبة له، كانت الدعوة بمثابة الحصول على صك غفران تاريخي. حيث جاء إلى إسرائيل والتقى مع بلومبرغ وتلقى المشورة الطبية. وقد أطلقوا عليه في «لاكام» لقب «الطيار النازي»، لكن ذلك لم يمنعهم من اصطحابه إلى المطاعم وأماكن الترفيه وإلى جولات في أرجاء البلاد.

عندما سئل بلومبرغ وسخاروف عن السبب وراء استعداد النازيين السابقين لمساعدة الدولة اليهودية، كانت إجابتهما مفاجئة: «بعضهم فعل ذلك من منطلق التعاطف مع إسرائيل، والبعض الآخر بدوافع مالية بحتة. على أي حال، عرفنا جيدا كيف نلعب على شعورهم بالذنب. لقد استغلينا ذلك على أكمل وجه».

عملت «شركة أسمرة» في الواقع كواجهة، قام من خلالها بلومبرغ و «لاكام» بشراء المواد المطلوبة، وفي المقابل تمتع الألمان بعمولات دسمة. وقد بدأت الشحنات المشتراة من شركة الكيماويات والمعادن «ديجوسا» تصل عبر الموانئ الأوروبية بعد أن تم تمويهها على أنها معدات لمصنع سخاروف. وكانت كل من «ديجوسا» والشركة التابعة لها قد اكتسبتا سمعة

سيئة نظرا لقيامهما بإنتاج غاز «زيكلون ب "، وكذلك قيامهما بجمع الذهب - الخواتم والأسنان والمجوهرات - من جثث أولئك الذين لقوا حتفهم.

في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٦٥م، قام سخاروف بإبلاغ بلومبرغ ومدراء هيئة الطاقة الذرية بما سمعه من أحد معارفه، وهو رجل أعمال بلجيكي. حيث أخبره عن وجود شحنة فائضة من اليورانيوم تنتظر من يشتريها. وقد كان معظم المسؤولين الكبار متشككين، لكن بلومبرغ قرر تكليف سخاروف بهذه المهمة أيضا.

استغرق الأمر ثلاث سنوات لصياغة الخطة والوصول بها إلى مرحلة النضج العملياتي. وعندما أعطي الضوء الأخضر للتنفيذ، لجأ سخاروف إلى شولتزن، الذي كان سعيدا هذه المرة أيضا بالقيام، مقابل عمولة جيدة، بوضع «شركة أسمرة» في واجهة عملية الشراء. حيث تم استخراج اليورانيوم من الكونغو، التي كانت حتى عام ١٩٦٠م مستعمرة بلجيكية، من قبل شركة بلجيكية تسمى SGM. وقد كانت الشركة حريصة على التخلص من حوالي ٢٠٠ طن من اليورانيوم الطبيعي، الذي تمت معالجته ليصبح «كعكة صفراء»[١] وهو موجود في مستودعاتها منذ عدة سنوات. ولم يكن السعر مرتفعا كثيرا:

(١) كعكة صفراء، أو كعكة اليورانيوم الصفراء Yellow Cake: هو يورانيوم مركز، وهو مسحوق غير قابل للذوبان في الماء ويحتوي على نحو ٨٠ بالمئة من اليورانيت. وهو يستخدم لإعداد وقود للمفاعلات النووية غير أنه يمكن أيضا تخصيبه بهدف تصنيع سلاح نووي.

أربعة ملايين دولار.

أبلغت «أسمرة»، بصفتها وسيطا، شركة SGM أن اليورانيوم سيستخدم في إنتاج أقمشة ملونة من قبل العميل النهائي للصفقة، «سايكا»، وهي شركة إيطالية من ميلانو متخصصة في صباغة الأقمشة. حيث كان مدير الشركة الإيطالية صديقا جيدا لشولتزن. وقد وافقت الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية «يوراتوم»[1] على الصفقة بعد اقتناعها أن المادة المشعة مخصصة للصناعة، وأنها ستنتقل من يد أوروبية أولى (الشركة البلجيكية) عبر وسيط أوروبي (أسمرة) إلى يد أوروبية أخرى (الشركة الإيطالية). ولم يستفسر مفتشو «يوراتوم» أو يكتشفوا أن الشركة الإيطالية كانت على وشك الإفلاس وتفتقر إلى مرافق صناعية مناسبة، ولم يتساءلوا عن التفسير الغريب بأن المواد كانت مخصصة لمعالجة النسيج. فتم تحميل اليورانيوم عام ١٩٦٨م في ميناء بلجيكي على متن سفينة «شيرسبيرغ إي»، التي كان الموساد قد اشتراها. ولكن بدلا من الإبحار إلى جنوة، توجهت السفينة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط. وهناك، في عرض البحر، أفرغت براميل اليورانيوم في سفينة تابعة لشركة «زيم»، والتي أبحرت بهم إلى ميناء أسدود، ليتم نقلهم من

(١) الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية **סוכנות האטום האירופית** "يوراتوم»: هي منظمة دولية تم إنشاؤها بموجب اتفاقية يوراتوم في ٢٥ مارس/آذار ١٩٥٧م بهدف أصلي يتمثل في إنشاء سوق متخصص للطاقة النووية في أوروبا، من خلال تطوير الطاقة النووية وتوزيعها على الدول الأعضاء فيها. وبيع الفائض للدول غير الأعضاء.

هنـاك إلى مفاعـل ديمونـا.

بعـد نحـو أسـبوعين، وصلـت سـفينة «شيرسـبيرغ إي» إلى مينـاء صغـير شرقـي تركيـا. وقـد كانـت فارغـة مـن الشـحنة، حيـث نـزل القبطـان والطاقـم إلى الشـاطئ واختفـوا. اكتسـبت عمليـات التجسـس العلمية-التكنولوجيـة مزيـدا مـن الزخـم بعـد أن وضـع بلومـبرغ رجالـه في السـفارات الإسرائيليـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأوروبـا الغربيـة. حيـث اختـار مهندسـين وفيزيائيـين وكيميائيـين مـن الصناعـات الأمنيـة، وحصلـوا عـلى لقـب «ملحـق علمـي» وحصانـة دبلوماسـية. وقـد اعترضـت وزارة الخارجيـة عـلى ذلـك، لكـن القـرار صـدر مـن رئيـس الـوزراء. وإلى جانـب الـدور الدبلومـاسي، كان مطلوبـا مـن الملحقـين العلميـين مراقبـة وتحديـد أي تطـور علمي-تكنولوجـي في الدولـة التـي وضعـوا فيهـا. كـما تـم في بعـض الأحيـان تشـغيلهم أيضـا في مهـام تجسـس حقيقيـة.

هكـذا تـصرف أبراهـام حرمـوني، الملحـق العلمـي في واشـنطن، والـذي كان رئيسـا لفـرع «لاكام» في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. حيـث شـارك في عمليـة سريـة وناجحـة قـام بهـا «لاكام» والموسـاد، حصلـت خلالهـا إسرائيـل عـلى اليورانيـوم المخصـب مـن شركـة «نيوميـك» – شركـة المعـدات والمـواد النوويـة. ويقـع المعمـل في مدينـة أبوللـو الصغـيرة بولايـة بنسـيلفانيا، وكان مملـوكا للدكتـور زلمـان شـابيرو[1]، وهـو صهيـوني متحمـس وعضـو في «جمعيـة

(١) زلمان شـابيرو **זלמן שפירו** (١٩٢٠ – ٢٠١٦م): كيميـائي ومختـرع يهودي-أمريـكي صهيـوني،

أصدقـاء التخنيـون» في حيفـا.

كان معمـل شـابيرو يـزود المفاعـلات النوويـة في كافـة أنحـاء الولايـات المتحـدة الأمريكيـة باليورانيـوم، ويقـوم بتخزيـن اليورانيـوم المسـتخدم. ولم تنشـأ أي شـكوك عندمـا قـام عـدد مـن الـزوار الأجانـب، معظمهـم مـن إسرائيـل وفرنسـا، بجولـة في المعمـل في النصـف الأول مـن سـتينيات القـرن المـاضي. ليتضـح في وقـت لاحـق أن مـن بـين هـؤلاء الـزوار كان كل مـن رافي إيتـان وأبراهـام حرمـوني.

في وقـت لاحـق فقـط اكتشـف مفتشـون مـن هيئـة الطاقـة الذريـة التابعـة للولايـات المتحـدة الأمريكية أن سـجلات «نيوميك» توثـق فقـدان حـوالي ربـع طن مـن اليورانيـوم المخصب المسـتخدم. وإذا مـا تـم إعـادة تدويرهـا، فيمكـن لهـذه الكميـة إنتـاج عـشر قنابـل نوويـة. لم يتـم إعطـاء أي تفسـير معقـول للاختفـاء الغامض، ومنـذ تلـك اللحظـة، ولمـدة عقـد ونـص تقريبـا، كان شـابيرو تحـت المراقبـة وتـم اسـتجوابه مـرارا وتكـرارا. حيـث اعـترف بأنـه التقـى مـع حرمـوني بحكـم منصبـه ك «ملحـق علمـي»، ولكنـه زعـم أنهـا كانـت زيـارة بريئـة لأغـراض الدراسـة.

لم يتمكـن المفتشـون مـن تحديـد مـا حـدث لليورانيـوم المفقـود بشـكل قاطـع. وعـلى الرغـم مـن ذلـك، كان كبـار مسـؤولي مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي «إف بي آي» ووكالـة المخابـرات المركزيـة «سي

من مطوري المفاعل النووي في الغواصة النووية الأولى «يو إس إس نوتيلوس».

آي إي» يعتقدون منذ سبعينيات القرن الماضي أن المواد قد وجدت طريقها إلى إسرائيل، وأنها استخدمتها كمواد انشطارية لتجميع قنابل نووية.

واصل مكتب العلاقات العلمية «لاكام» برئاسة بلومبرغ العمل بكامل قوته من أجل «معمل النسيج» في ديمونا. وبالتزامن مع تشغيل سخاروف، استعان بلومبرغ برجل أعمال آخر، أكثر حيوية. كان هذا أرنون ميلشان[1] الذي ورث عن عائلته في رحوفوت وكالة تمثل شركات كيميائية دولية. في شبابه، كان ميلشان مولعا بسباق السيارات والنساء، وبالسياسة أيضا. وقد تعرف عن قرب على موشيه دايان وشمعون بيريز، الذي كان معجبا به، حتى أنه أطلق على أحد أبنائه اسم شمعون.

كان بيريز هو من عرف ميلشان على بلومبرغ، الذي أدرك على الفور إمكاناته. وعلى مدى نحو عقدين من الزمن، قام بلومبرغ، ومن بعده خليفته إيتان، بتشغيل ميلشان في إنشاء شركات وهمية لصالح إسرائيل، وفتح حسابات مصرفية سرية في جميع أنحاء العالم، أودعت فيها مئات الملايين من الدولارات، وشراء ما هو مطلوب لمفاعل ديمونا، على أنه لصالح أعماله المدنية.

لسنوات، عمل ميلشان في الخفاء، وقد انتهت العمليات

---

(١) أرنون ميلشان **ארנון מילצ'ן**: هو منتج أفلام، ورائد أعمال، وكاتب سيناريو، وشخصية أعمال، وجاسوس إسرائيلي، ولد في رحوفوت عام ١٩٤٤م.

التي شارك فيها، دون أي استثناء تقريبا، بنجاح ودون ترك بصمات. وكانت إحدى أهم هذه العمليات في عام ١٩٧٢م.

بتوجيه من بلومبرغ، تواصل ميلشان مع مهندس ألماني كان يعمل لدى شركة «أورنكو»، أكبر مصنع في أوروبا لأجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم إلى المستوى المطلوب لإنتاج قنبلة انشطارية نووية. وقد أقنع ميلشان المهندس أن يبيعه، مقابل حوالي ٢٠٠ ألف دولار، الرسوم التوضيحية التي تعلم كيفية تجميع أجهزة الطرد المركزي. فوافق المهندس الفاسد. وفي إحدى عطل نهاية الأسبوع، ترك الباب الخلفي في منزله، الواقع في قرية صغيرة في ألمانيا، مفتوحا. فدخل محاربو الموساد، وأخذوا الرسوم التوضيحية إلى منزل آمن، حيث قاموا بتصويرها ثم أعادوها إلى مكانها. وبمساعدة هذه الرسوم التوضيحية، أنتجت إسرائيل أجهزة طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم في ديمونا.

لكن في عام ١٩٨٥م، لم يبتسم الحظ لميلشان. حيث اكتشفت الجمارك الأمريكية محاولة شركة «ميلكو» من كاليفورنيا تهريب شحنة إلى إسرائيل تضم حوالي ٨٠٠ «مفتاح كريترون» - وهي معدات ذات استخدام مزدوج: في الصناعات الطبية، ولكن أيضا في إنتاج أسلحة نووية. وقد كان ميلشان هو مالك الشركة، وكان الرئيس التنفيذي لها ريتشارد كيلي سميث، وهو كولونيل سابق في القوات الجوية الأمريكية.

فتم اعتقال سميث، ثم أفرج عنه بكفالة تقدر بمئات الآلاف من الدولارات وهرب إلى أوروبا، وفي عام ٢٠٠١م ألقي القبض عليه في إسبانيا. وخلال تلك الفترة، دفعت له وزارة الدفاع، من خلال مكتب ميلشان في إسرائيل، راتبا يقدر بحوالي ٢٠٠٠ دولار شهريا. وقد تم تسليمه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحكم عليه بالسجن.

فتح مكتب التحقيقات الفيدرالي «إف بي آي» تحقيقا حول ميلشان، لكن لم يتم توجيه أي اتهام ضده على الإطلاق. وفور تفجر القضية، اتصل ميلشان بصديقه بيريز، الذي كان حينها رئيسا للوزراء، وطلب مساعدته في تسوية القضية مع إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان[1]. وقد تم أطلاق سراح سميث من السجن في عام ٢٠٠٥م محبطا ومعدوما، مع شعور قوي بأن ميلشان خانه.

في أوج قوته، ركز بلومبرغ بين يديه قوة غير مسبوقة. حيث كان أول وآخر مسؤول في إسرائيل يشغل، في نفس الوقت، ثلاثة من أكثر المناصب سرية. فمنذ بداية الخمسينيات، وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمن، كان ضابط أمن وزارة الدفاع، ورئيس قسم في الشاباك، ورئيس مكتب العلاقات العلمية «لاكام».

في عام ١٩٨١م، بعد أربع سنوات من وصول حزب الليكود

(١) رونالد ريغان Ronald Reagan (١٩١١ - ٢٠٠٤م): سياسي وممثل أمريكي راحل، شغل منصب الرئيس الأربعين للولايات المتحدة في الفترة من عام ١٩٨١م إلى ١٩٨٩م.

إلى السلطة، وضع وزير الدفاع أرئيل شارون[(٣٣)][(١)] حدا لمسيرة بلومبرغ المهنية الطويلة، وعين مكانه صديقه المقرب رافي إيتان. حيث كانت أسباب الإقالة هي قرب بلومبرغ من بيريز ومؤسسة «ماباي»، والشك في أنه يمكن أن يخصص «عمولات للحزب» من الصفقات الضخمة التي تمر عن طريقه.

ظل قرار شارون سريا لعدة أيام، ترددت خلالها في وزارة الدفاع شائعات حول «مسؤول كبير» يوشك الوزير على إقالته. وقام بلومبرغ، الذي ثار فضوله مثل بقية الموظفين، بالاتصال بأحد كبار المسؤولين وسأله عن الشخص المقصود. فأجابه المتحدث: «إنه أنت».

(١) أرئيل شارون אריאל שרון (١٩٢٨ - ٢٠١٤م): من السياسيين والعسكريين المخضرمين على الساحة الإسرائيلية. ورئيس الوزراء الحادي عشر للحكومة الإسرائيلية.

مع المتجهين شرقا

منذ إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ م، والذي اعترف بحق اليهود في «إقامة وطن قومي»، حاول عدد من زعماء الصهاينة التوصل إلى تفاهمات مع زعماء وشخصيات عربية بارزة. ففي عام ١٩١٨م، عقد الدكتور حاييم وايزمان[١]، الذي أصبح لاحقا أول رئيس لدولة إسرائيل، سلسلة لقاءات مع الأمير فيصل بن الحسين[٢] ملك الحجاز. ووقع الاثنان في لندن عام ١٩١٩ م على اتفاق اعتراف متبادل بين الطرفين وتعاون مشترك. كما أدار بن غوريون لقاءات واتصالات مع العرب في إسرائيل.

في الوقت نفسه، تم تأسيس قسم عربي في الوكالة اليهودية. حيث كانت مهمته إقامة اتصالات سرية مع موظفين وزعماء عرب، وقد نجح بتجنيد بعضهم كجواسيس وعملاء مؤثرين. وقبل حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨) مباشرة، التقت جولدا مائير سرا بالملك عبد الله، من أجل منع الأردن من

---

(١) حاييم وايزمان **חיים ויצמן** (١٨٧٤ - ١٩٥٢م): يعد أشهر شخصية صهيونية في التراث الصهيوني بعد تيودور هيرتزل. وكان وايزمان رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٤٦م، ثم انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل في عام ١٩٤٩م.

(٢) الملك فيصل الأول بن الحسين بن علي الهاشمي (١٨٨٣ - ١٩٣٣م): ثالث أبناء شريف مكة الحسين بن علي الهاشمي وأول ملوك المملكة العراقية وملك سوريا.

الانخراط في الحرب. كما استمر بعد ذلك كل من رؤوفين شيلواح وموشيه دايان وآخرين بلقائه. وفي عام ١٩٥٠م، كانوا على وشك التوقيع على اتفاق، لكن عبد الله انسحب بضغط من وزرائه. وفي ٢٠ يوليو/تموز عام ١٩٥١م، اغتيل الملك عبد الله في المسجد الأقصى في القدس، على يد قتلة فلسطينيين أرسلهم مفتي القدس أمين الحسيني[١]. منذ ذلك الحين وحتى اليوم، استمر التاريخ بالشخصيات العربية التي أدارت اتصالات، أو وقعت اتفاق سلام مع إسرائيل، واغتيلت. وأبرزهم كان الرئيس المصري أنور السادات[٢] الذي اغتيل عام ١٩٨١م، وبشير الجميّل[٣] الذي اغتيل عام ١٩٨٢م، بعد حوالي شهر من انتخابه رئيسا للبنان.

خلال فترة الانتداب، ولكن بشكل أكبر أثناء حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨) وما بعدها، تنامت قدرات الاستخبارات الإسرائيلية، وبدأت بالتنصت على محادثات هاتفية لضباط

(١) الحاج محمد أمين الحسيني، أو المفتي (١٨٩٥ - ١٩٧٤م): كان المفتي العام للقدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ورئيس اللجنة العربية العليا، وأحد أبرز الشخصيات الفلسطينية في القرن العشرين.

(٢) محمد أنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١م): هو ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية. خاض حرب أكتوبر ٧٣ (حرب تشرين التحريرية) جنبا إلى جنب مع سوريا ضد إسرائيل. وفي عام ١٩٧٧م، أجرى زيارة تاريخية إلى إسرائيل، قادت إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل.

(٣) بشير الجميّل (١٩٤٧ - ١٩٨٢م): سياسي لبناني، كان زعيم القوات اللبنانية خلال الحرب الأهلية، انتخب رئيسا للبنان عام ١٩٨٢م بدعم عسكري إسرائيلي، إلا أنه اغتيل قبل أن يتسلم مهام منصبه.

رفيعي المستوى في الجيش السوري. وقد أطلق على وحدة التنصت التابعة للاستخبارات العسكرية (استخبارات الإشارات أو سيجينت)، في البداية اسم «شين ميم ٢» (اختصار: جهاز استخبارات ٢). وتم تغيير اسمها لاحقا إلى ٥١٥، ثم إلى ٨٤٨، وهي تعرف في يومنا هذا باسم الوحدة ٨٢٠٠.

في عام ١٩٤٩م، وعلى خلفية الخسائر العراقية وهزيمة سوريا في حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، حدثت في سوريا ثلاث عمليات استيلاء على السلطة، وضعت حدا للحكم الجمهوري-الديمقراطي، وأعلنت بدء حكم الضباط. وقد ساهم في هذه الانقلابات ضباط مخابرات بريطانيون وأمريكيون وفرنسيون. وقامت شخصيات سوريا، بعضهم أكراد كانوا يعملون مع وحدة «شاي»، بطلب المساعدة. كما وصل طلب آخر من رئيس هيئة أركان الجيش السوري العقيد حسني الزعيم[1]. واحتدم الجدال في القيادة السياسية والأمنية في إسرائيل، حول مساعدة المتصلين. حيث كان شيلواح مؤيدا، فيما عارض بن غوريون ووزير الخارجية موشيه شاريت.

من أجل نسج علاقات مع العالم العربي، أنشئت في عام ١٩٤٩م وحدة في شعبة الاستخبارات (أمان) أطلق عليها اسم «شين ميم ١٠». كان قائدها الأول هو ديفيد كارون، الذي كان

(١) حسني الزعيم (١٨٩٧ - ١٩٤٩م): رئيس الجمهورية السوريا الأولى، عبر انقلاب مارس/آذار عام ١٩٤٩م، قبل أن يطاح به بانقلاب أغسطس/آب عام ١٩٤٩م، لتكون فترة حكمه قرابة أربعة أشهر فقط.

من قضاة توبيانسكي. وبعد عدة سنوات، تم تبديل رقمها إلى ١٥٤، ومنذ دمجها مع الوحدة ٥٦٠، التي عملت في التحقيق مع الأسرى، عرفت بالوحدة ٥٠٤. ودعي الضابط في الوحدة باسم «كاتام» – ضابط مهام خاصة.

الوحدة ٥٠٤ هي وحدة استخبارات بشرية. حددت وجندت وشغلت عملاء بالقرب من حدود إسرائيل. وكان مقر قيادة الوحدة في «الكرياه» في تل أبيب، وهي مقسمة لمجالات حسب القطاعات والجبهات: مجال الجنوب وهو معني بالحدود مع مصر في سيناء وغزة. والمجال الأوسط كان مسؤولا عن القدس والضفة الغربية التابعة للمملكة الأردنية. ومجال الشمال شغل العملاء من لبنان إلى هضبة الجولان في سوريا.

عملت الوحدة في السنوات الأولى دون نهج منتظم. وقد كانت الحدود مخترقة، في كلا الاتجاهين. وعلى الرغم من أن ذلك قد سهل تجنيد العملاء، إلا أنه سمح أيضا لعملاء العدو وللمتسللين ولمهربي المخدرات والذهب والسجائر والمشروبات الروحية بالتسلل إلى إسرائيل. كما أن جزءا من تجارة التهريب التي كان مصدرها لبنان قد شقت طريقها من إسرائيل إلى الأردن ومصر.

لقد خدم التهريب الوحدة الى حد معين، حيث أمن غطاء للعملاء، لكن في نفس الوقت، فتح التواصل بين المهربين وضباط الوحدة ٥٠٤ مجالا للرشوة. حيث انتشرت الآفة في

القطـاع الشـمالي خاصـة.

يقـع مقـر الوحـدة في مدينـة صفـد. ويـروي أحـد ضباطهـا، قائـلا: «في تلـك الأيـام السـوداء المظلمـة فعلـت الوحـدة أشـياء كثـيرة وصلـت إلى حـد الجريمـة. لقـد تـورط ضبـاط مـن ضمـن الوحـدة أيضـا بعمليـات تهريـب حقيقيـة. ويجـب الإدراك، أنـه في سـنوات الخمسـينيات، هنـاك أشـخاص عـبروا الحـدود مثـل الطريـق السريـع - لبنـان، سـوريا، إسرائيـل، مـصر. وقـد اجتـاز ضبـاط الوحـدة الحـدود بسـهولة، عـلى سـبيل المثـال، إلى لبنـان. لقـد كان بمـا تفعلـه الوحـدة شيء مـا مغـر جـدا: كان مـن الممكـن إحضـار قطيـع مـن الأغنـام مـن لبنـان وبيعـه في إسرائيـل في أيـام التقشـف. حيـث يتـم إحضـار القطيـع عـن طريـق عميـل، والـذي يقـوم أيضـا بجلـب معلومـات، ثـم يبيـع الأغنـام، وأنـت كمشـغل لـه تحقـق ربحـا شـخصيا مقبـولا أثنـاء ذلـك. كان يحـدث مثـل هـذا».

كـما ذكـر ضابـط آخـر في الوحـدة الأحـداث التـي وقعـت في أخزيـف. ففـي عـام ١٩٥٢م، سـيطر إيـلي أفيفـي[1] عـلى قريـة الزيـب، التـي كان يقطنهـا عوائـل طـردت وهربـت أثنـاء حـرب الاسـتقلال (حـرب فلسـطين ٤٨)، وجعلهـا قريـة اسـتجمام. ويـروي ضابـط مـن الوحـدة: «حاولـت الوحـدة إزالـة أفيفـي، لكنـه كان

(١) إيـلي أفيفـي **אלי אביבי** (١٩٣٠ - ٢٠١٨م): مصـور إسرائيـلي، اشـتهر بشـكل أسـاسي بعـد أن أعلـن نفسـه رئيسـا ل «دولـة أخزيـف» عـلى شـاطئ الجليـل الغـربي.

مصرا ولم يتنازل، وبعدم وجود أي سبب واضح وافقنا على وجوده، وجعلناه شريك سرنا». استلم أفيفي خط هاتف في الوقت الذي كان فيه معظم مواطني إسرائيل ينتظرون الحصول على مثل هذا عشر سنوات وأكثر. وبسبب مشاكل الاتصال أو يوم عاصف، لم يكن العملاء يصلون دائما كما هو متفق عليه منذ البداية. وهكذا، إذا وصل العميل، بقارب صيده «كان أفيفي يرفع سماعة الهاتف ويخبر الوحدة، حيث كان رجالها يسافرون من قاعدة نهاريا أو صفد ويجلسون مع العميل. وبشكل عام، كان هؤلاء الأشخاص يقومون بالتهريب في أثناء ذلك. وكان القيام بمثل هذا العمل - مخابرات وتجارة - تورط كبير. وعبثا كانت الجهود المبذولة في مراقبة التهريب ومحاولة كبحه».

استمرت معاناة الوحدة ٥٠٤ من الهواة. حيث تم إرسال عملاء عرب إلى مهمات بدون تحضير مناسب، فألقي القبض عليهم، وحكم عليهم بالسجن، والإعدام. كما كان هناك نقص في أجهزة الاتصال، ولذلك كان يتم التواصل مع العملاء بمساعدة الحمام الزاجل. حيث ثبتت على الحمام أنابيب محكمة، يوجد بداخلها برقيات توضح توجيهات العمل، وكلمات سر ومواعيد اللقاء. وإن أوقع شخص غريب بالحمامة وحاول فتح الأنابيب، كانت تنفجر وتقتل الحمامة وتدمر البرقية، وفي بعض الأحيان كانت تقتل الشخص الفضولي. وفقط في بداية

سنوات الستينيات، تحسنت البنية التحتية التكنولوجية وتم تزويد العملاء بأجهزة اتصال أو مورس.

في النصف الأول من سنوات الخمسينيات، بذلت «إسرائيل» جهودا لزيادة وتوسيع اتفاقيات الهدنة منذ عام ١٩٤٩م، على الأقل إلى اتفاقيات لا حرب، إن لم تكن حقيقة اتفاقيات سلام. لكن كان هناك شيئان متوازيان أحكما الطوق على أمل الوصول إلى تفاهمات سياسية مع العالم العربي. الأول كان عمليات الجيش الانتقامية في غزة وسيناء والأردن وسوريا، ردا على دخول المتسللين (فدائيون، وبلغة اليوم إرهابيون). أما الثاني؛ فهو طلب الدول العربية من إسرائيل العودة إلى خط التقسيم عام ١٩٤٧م، وأن تستقبل على أراضيها لاجئين فلسطينيين.

إن الأمل بإقامة اتفاقيات سياسية، غير مكانه إلى وجهة جديدة، مختلفة النهج، في التخريب السياسي، وتغلغل المخابرات، وجهود لزعزعة الأنظمة العربية. وكان مركز هذه الجهود، هو رئيس مصر جمال عبد الناصر، الذي اعتبر في إسرائيل العدو الأكبر. فبعد يأسه من استلام دعم ومساعدات من الغرب، طلب عبد الناصر من بريطانيا إخلاء قواعدها من منطقة قناة السويس وأعلن تأميمها ودعمه للمتمردين ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر. وبالتوازي، توجه لأخذ دعم من الاتحاد السوفييتي. كان ذلك هو الخلفية وراء «عملية

سوزانا»، المحفورة في تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية باعتبارها (قضية العار)، وأخذت ضجة كبيرة في تاريخ دولة إسرائيل.

عملية سوزانا «قضية العار»

كان السبب وراء هذه العملية، هو خوف إسرائيل من إخراج البريطانيين من قواعدهم في منطقة القناة. وحين وصل قادة إسرائيل إلى استنتاج بأنه لا يمكن منع حصول ذلك بالطرق الدبلوماسية، تولدت الفكرة بتنفيذ هجمات على مؤسسات أمريكية وبريطانية في مصر. وكانت النية توجيه الشكوك بالقيام بأعمال إرهابية إلى قوى مصرية. لقد اعتقد أصحاب هذا المنطق المجانين أنهم بذلك يستطيعون زعزعة حكم عبد الناصر، ويجعلونه يبدو غير مستقر، ويعطون بريطانيا سببا للبقاء وعدم إخلاء قواعدها.

كانت الجهة التي خططت ونفذت الهجمات في مصر هي الوحدة ١٣١ التابعة لهيئة الاستخبارات الإسرائيلية (أمان)، بقيادة المقدم مردخاي (موتكي) بنتسور[١]. حيث كانت مهمتها الأساسية هي تنفيذ عمليات تخريبية واغتيال ضباط في الدول المعادية، في أوقات السلم والحرب. لقد كانت وحدة

---

(١) مردخاي (موتكي) بنتسور **מרדכי (מוטק'ה) בנצור** (١٩٢١ - ٢٠٠٣م): كان محاربا في البلماح. وفي خمسينيات القرن الماضي كان برتبة مقدم وقائدا للوحدة ١٣١، التابعة لهيئة الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي، وكانت لتنفيذ أعمال خاصة في البلدان المعادية. وكقائد للوحدة كان متورطا في «قضية العار» (فضيحة لافون).

عسكرية لكل شيء، لكن رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) كان يقوم بإطلاع رئيس الموساد على عملياتها منذ البداية، بما فيها المعدة لزمن الحرب، وقد تقرر تفعيلها هذه المرة أيضا.

ألقيت مهمة تنفيذ الهجمات في مصر على عاتق شبكة من الشباب اليهود الصهاينة في القاهرة والإسكندرية، والتي جند أعضاءها أبراهام دار، وهو ضابط من الوحدة ١٣١ وصل إلى مصر في ربيع عام ١٩٥١م. وجاء عدد من أعضاء الشبكة إلى إسرائيل من أجل تلقي التدريبات. وعند عودتهم تم تقسيمهم إلى مجموعتين حسب منطقة سكنهم وأصبحوا مجهزين للعمل بشكل منفرد ومفصول هذا عن ذاك.

أنهى دار وظيفته، وتم تعيين أفري إلعاد (زايدنبرغ)[1] قائدا للعملية، وهو من مواليد النمسا ويتحدث اللغة الألمانية. كان تجنيده في الوحدة ١٣١، والأخطر من ذلك، تعيينه قائدا لعملية حساسة كهذه، إشكالية. فإلعاد كان قد أبعد من الجيش لقيامه بأعمال الدجل والرشوة والنهب. لكن في تلك الأيام، ساد مفهوم أن الأشخاص أصحاب الماضي السيء الراغبين بتطهير أسمائهم يقومون بإظهار جانبهم الأفضل الآخر وتنفيذ مهمات استخباراتية معقدة.

دخل إلعاد الى مصر منتحلا صفة رجل الأعمال باول

(١) أفري إلعاد (زايدنبرغ) **אברי אלעד** (**זיידנברג**) (١٩٢٥ - ١٩٩٣م): كان موفد الاستخبارات الإسرائيلية في مصر، يشتبه في أنه سلم للمصريين شبكة العملاء التي عرفت أنشطتها والكشف عنها باسم «قضية العار» أو «فضيحة لافون».

برينك، ممثل شركة تجارية ألمانية، والذي كان ضابطا سابقا في الفرماخت (القوات المسلحة الألمانية). ومن أجل بناء قصة تغطيته، أجرى عملية ختان وتم قطع غرلته من جديد. وفي يونيو/حزيران عام ١٩٥٤م، أقام اتصالا مع عناصر الشبكة، وعلى عكس المعتاد، لم يراعي التجزئة والتقسيم (عدم معرفة الأشخاص ببعضهم).

في النصف الأول من يوليو/تموز عام ١٩٥٤م، نفذ أعضاء الشبكة ثلاث هجمات: في البريد المركزي في الإسكندرية، وفي المكتبة الأمريكية في القاهرة، وفي المكتبة الأمريكية في الإسكندرية. لم تقع في الحوادث الثلاثة إصابات بشرية. أما العملية الكبرى والمركزية التي تم التخطيط لها، فكانت في ٢٣ يوليو/تموز، «يوم الانقلاب»، ثورة الضباط الأحرار التي أصبحت العيد الوطني لمصر. في هذا اليوم كان من المفترض تنفيذ عدة هجمات في عدة مراكز في نفس التوقيت: في دورين للسينما في القاهرة، ودورين للسينما في الإسكندرية، ومستودع للمواد في محطة قطار القاهرة. لكن العملية فشلت.

أثناء الانتظار بالدور على مدرج سينما «ريو» في الإسكندرية، اشتعلت العبوة التي كان يحملها فيليب نتنازون[1]، أحد أعضاء الشبكة. فتم اعتقاله على الفور، وبغياب التجزئة والتقسيم،

---

(١) فيليب نتنازون **פיליפ נתנזון** (١٩٣٣ - ٢٠٠٤م): كان أحد محكومي القاهرة، الذين أودعوا في السجن المصري في القضية التي عرفت باسم «قضية العار» أو «فضيحة لافون».

تـم إلقـاء القبـض عـلى بقيـة أعضـاء الشـبكة.

وجهـت لهـم المحكمـة العسـكرية تهمـة التجسـس والإرهـاب. وتـم الحكـم عـلى كل مـن مـوسى مـرزوق[1] وشـموئيل عـازار[2] بالإعـدام شـنقا. فيـما حكـم عـلى فيليـب نتنـازون وفكتـور لاوي وروبـرت داسـا بالسـجن المؤبـد. وحكـم عـلى مارسـيل نينـو[3] ومئـير ميوحـاس ومئـير زعفـران بالسـجن لفـترات طويلـة. نجـى اثنـان، بينـما تـوفي عضـو آخـر في الشـبكة يدعـى يوسـف كرمونـا في حجـرة السـجن، ولم يعـرف حتـى يومنـا هـذا إن كان قـد مـات مـن التعذيـب أو أنـه قُتـل أو انتحـر.

وبالتـوازي، اعتقـل أيضـا مئـير (ماكـس) بينيـث (بينـت)[4]، وهـو ضابـط في الوحـدة ١٣١، تـم إدخالـه في عـام ١٩٥٢م إلى مـصر بمهمـة جمـع اسـتخباراتي. وعمـل بمفـرده تحـت غطـاء رجـل أعـمال ألمـاني، كممثـل لشركـة تسـويق أطـراف صناعيـة. وقبـل ذلـك،

(١) مـوسى مـرزوق **משה מרזוק** (١٩٢٦ - ١٩٥٥م): اشـتهر لتورطـه في سلسـلة من التفجيرات الإرهابيـة في العاصمـة المصريـة القاهـرة، والتـي يطلـق عليهـا «عمليـة سـوزانا» أو «فضيحـة لافـون». حيـث تـم الحكـم عليـه بالإعـدام.

(٢) شـموئيل عـازار **שמואל עזר** (١٩٢٩ - ١٩٥٥م): اشـتهر لتورطـه في سلسـلة مـن التفجيرات الإرهابيـة في العاصمـة المصريـة القاهـرة، والتـي يطلـق عليهـا «عمليـة سـوزانا» أو «فضيحـة لافـون». وكان قائـد مجموعـة الإسـكندرية. حيـث تـم الحكـم عليـه بالإعـدام.

(٣) مارسـيل فيكتـور نينـو **מרסיל ניניו**، أو فيكتوريـن نينـو (١٩٢٩ - ٢٠١٩م): يهوديـة مصريـة، ولاعبـة كـرة سـلة، وعميلـة للموسـاد الإسرائيـلي، أحـد أفـراد الوحـدة ١٣١ التـي شـاركت عـام ١٩٥٤م في «عمليـة سـوزانا»، والتـي اشـتهرت فيـما بعـد بفضيحـة لافـون.

(٤) مئـير (ماكـس) بينيـث (بينـت) **מאיר (מקס) בינט** (١٩١٧ - ١٩٥٤م): رجـل اسـتخبارات إسرائيـلي، عمـل في مـصر وألقـي القبـض عليـه في أعقـاب سـقوط شـبكة التخريـب في «عمليـة سـوزانا» والتـي عرفـت باسـم «فضيحـة لافـون».

كلـف بينـت بالعمـل في دول عربيـة أخـرى. وقـد تـم تعذيبـه وانتحـر في السـجن.

كانـت «عمليـة سـوزانا» هـي إحـدى العمليات الغبيـة والأكثر توهـما في تاريـخ الاسـتخبارات الإسرائيليـة. إن مجـرد التفكـير في أن سلسـلة مـن الأعـمال التخريبيـة، وإن كانـت ناجحـة، سـتؤدي إلى إلحـاق الـضرر بنظـام عبـد النـاصر ودق إسـفين بينـه وبـين الغـرب، تشـير إلى عـدم فهـم قوانـين العـالم. لقـد شـوهت العمليـة سـمعة إسرائيـل وأضرت بجسـدها الاسـتخباراتي. لكـن الـذي دفـع الثمـن الباهـظ هـم مجموعـة مـن الشـباب اليهـودي المؤمـن بالصهيونية، الذيـن وثقـوا بمشـغليهم وأرسـلوا إلى مهـمات لا طائـل منهـا.

لم تعـترف إسرائيـل بمسـؤوليتها عـن العمليـة، ومنعـت الرقابـة أي منشـور بمـا يخصهـا. وعـلى الرغـم مـن ذلـك، وجـدت بعـض الصحـف، وفي مقدمتهـا الصحيفـة الأسـبوعية «هـذا العـالم»، طرقـا إبداعيـة للكتابـة عـن الموضـوع بشـكل رمـزي، باسـتخدام الألقـاب. ولقبـت العمليـة بــ «الأعـمال المخجلـة» أو بـدلا مـن ذلـك «القضيـة». وحظـي المتورطـون فيهـا بألقـاب مثـل «الرجـل الثالـث» (إلعـاد)، و «الضابـط الرفيـع» (بنيامـين جيبـلي) وغيرهـا.

عـلى مـدى عـشرات السـنين، بقـي سـؤالان مركزيـان دون إجابـة: مـن خـان الشـبكة؟ ومـن أعطـى الأمـر بتشـغيلها؟

دارت الشـكوك منـذ اللحظـة الأولى تقريبـا حـول أن إلعـاد قـد خـان أعضـاء الشـبكة. لأنـه كان الوحيـد بـين الباقـين الـذي لم

يقبض عليه، وترك مصر بعد مرور حوالي ثلاثة أسابيع، ليس قبل أن رتب سفره بهدوء وباع سيارته. وعاد عبر أوروبا إلى إسرائيل، وصاغ تقريرا كاذبا عما جرى، ووافق على مطابقة الشهادات مع قائده بنتسور ومع رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) جيبلي، كي تقع الشبهات حول تشغيل الشبكة على وزير الدفاع بنحاس لافون. ومن أجل إبعاده من إسرائيل. حرص جيبلي على تعيين إلعاد ممثلا لشركة «إل عال» في ألمانيا والنمسا.

في عام ١٩٥٧م، تم إرسال رجل الموساد ديفيد كمحي[١]، منتحلا شخصية رجل أعمال بريطاني، لتجنيد تقني ألماني للتجسس لصالح إسرائيل في مصر. فرفض الألماني، لكنه أبرز عدة تلميحات فهم منها كمحي أن إلعاد كان يجري اتصالات مع الملحق العسكري المصري في العاصمة الألمانية بون. وقد كان الملحق أيضا أحد رجال المخابرات المصرية الذين حققوا مع أعضاء الشبكة. فقام كمحي بإرسال تقرير حول ذلك إلى إيسر هاريل. وبسبب استياء رجال الوحدة ١٣١، تم إحضار إلعاد إلى إسرائيل، وتم اعتقاله والتحقيق معه بعنف في منزل في براداس بالقرب من تل أبيب. إلا أنه لم يعترف بأنه خان أعضاء الشبكة.

(١) ديفيد كمحي **דוד קמחי** (١٩٢٨ - ٢٠١٠م): هو جاسوس ودبلوماسي من إسرائيل، ولد في لندن، تقلد مناصب قيادية في وكالة المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وفي وزارة الشؤون الخارجية في البلاد، وكان متورطا بشكل عميق في العديد من المؤامرات الخارجية لإسرائيل.

تم تجريم إلعاد بتهمة إقامة اتصالات مع عميل مخابرات أجنبية وحيازة وثائق سرية دون إذن، وحكم عليه بالسجن لمدة ١٢ عاما. وقد تم وضعه في الحبس الانفرادي، وكان واحدا من عدة سجناء أمنيين أطلق عليهم لقب «السجين إكس»، نظرا لأن هوياتهم وأحيانًا حقيقة اعتقالهم ظلوا سريين. أطلق سراحه عام ١٩٦٦ م، وظل إلعاد حتى آخر يوم في حياته عام ١٩٩٣م في كاليفورنيا، يردد أنه لم يخن أعضاء الشبكة.

وكما في كل قضية فاشلة وصادمة، حاول رؤساء الأجهزة المختلفة في الاستخبارات والجيش والحكومة التهرب من المسؤولية واتهام الآخرين. فرئيس الحكومة شاريت لم يكن يعرف شيئا عن العملية ولم يطلب منه أحد المصادقة عليها. وكذلك هاريل، رئيس الموساد، لم يوضع بصورة الأمر. فيما زعم وزير الدفاع لافون أن جيبلي عمل من تلقاء نفسه. كما أن رئيس هيئة الأركان دايان، الذي كان بزيارة في الولايات المتحدة في وقت اتخاذ القرار بتفعيل العملية، ادعى أيضا براءته. وزعم جيبلي أن من أعطاه الأمر كان لافون. بل وقام أيضا بإعطاء أمر لموظفته، وهي جندية باسم داليا كرمل، بتزوير أمر يتضمن ذلك.

تمت إقالة جيبلي وبنتسور من مسؤولياتهم. وتعيين يهوشافات هاركابي[1] رئيسا لهيئة الاستخبارات (أمان)، ويوفال

(١) يهوشافات هاركابي **יהושפט הרכבי** (١٩٢١ - ١٩٩٤م): كان رئيسا للاستخبارات

نئمان[١] نائبا له. كما تم تعيين يوسي هاريل «هامبرغر»[٢]، القائد الأسطوري لسفينة المهاجرين غير الشرعيين «إكسيدوس»، قائدا للوحدة ١٣١، ويوسف ياريف[٣] نائبا له. خفت خدمات الوحدة على خلفية القضية في مصر، وعلى عجل أعاد يوسي هاريل عناصرها الناشطين في الدول العربية. وقد بقيت إسرائيل لفترة من الزمن بغطاء استخباراتي قليل في دول المواجهة. وتم إعادة تنظيم الوحدة من جديد، واتخذت اسما جديدا ١٨١، وبالتدريج تم تجنيد مقاتلين جدد.

أقيل أيضا وزير الدفاع لافون، وعاد بن غوريون من «منفاه» في مستوطنة سادية بوكر في النقب إلى وزارة الدفاع، وبعدها إلى رئاسة الحكومة أيضا. أصر بن غوريون على تشكيل لجنة تحقيق رسمية، لكن أصدقاءه وزراء حزب «ماباي»، ليفي إشكول وجولدا مائير وبنحاس سابير[٤]، عارضوا ذلك.

العسكرية الإسرائيلية من عام ١٩٥٥م إلى عام ١٩٥٩م، وبعد ذلك أستاذ العلاقات الدولية والدراسات الشرق أوسطية في الجامعة العبرية في القدس.

(١) يوفال نئمان יובל נאמן (١٩٢٥ - ٢٠٠٦م): كان فيزيائيا إسرائيليا نظريا وعالما عسكريا وسياسيا، وكان وزيرا في الحكومة الإسرائيلية في الثمانينات وأوائل التسعينات.

(٢) يوسي هاريل (هامبرغر) יוסי הראל (המבורגר) (١٩١٨ - ٢٠٠٨م): كان ضابطا صهيونيا إسرائيليا وضابط استخبارات، وهو قائد عملية إكسدس عام ١٩٤٧م، وعضو قيادي في مجتمع المخابرات الإسرائيلية.

(٣) يوسف ياريف יוסף יריב (١٩٢٣ - ١٩٩٨م): كان قائدا في «البلماح» و «البليام»، ومن رؤساء مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي.

(٤) بنحاس سابير פנחס ספיר (١٩٠٦ - ١٩٧٥م): سياسي إسرائيلي عمل في العقود الثلاثة بعد تأسيس دولة إسرائيل. فقد شغل منصبين مهمين في الحكومة هما وزارة المالية ووزارة التجارة في أكثر من حكومة. فضلا عن شغله مناصب أخرى.

أدى هـذا الأمـر إلى تـشرذم في القيـادة واسـتقال بـن غوريـون في عـام ١٩٦٣ م مـن الحكومـة ومـن الحـزب، وفي نهايـة الأمـر مـن الحيـاة السياسـية.

بالرغـم مـن الصدمـة، لم تغير شـعبة الاسـتخبارات الإسرائيليـة (أمـان) خطـط التجنيـد لديهـا. وكانـت الوحـدة ١٣١ في ضائقـة بسـبب بقـاء إسرائيـل دون بنـى تحتيـة اسـتخباراتية في مـصر. وهكـذا تقـرر تجنيـد مردخـاي كيـدار[١].

ولـد كيـدار في فيلنيـوس (فيلنـا)، في ليتوانيـا، عـام ١٩٢٩م باسـم مردخـاي كرافيتسـكي، وترعـرع في أحضـان جـده وجدتـه، الذيـن هاجـروا الى إسرائيـل وفتحـوا محـل بقالـة في مسـتعمرة الخضـيرة. هاجـر في سـن الـ١٧ عـلى مـتن سـفينة سـويدية، وعمـل عـلى سـطح السـفينة ك (صبـي سـفينة)، وفي حـرب الاسـتقلال (حـرب فلسـطين ٤٨) تجنـد في سـلاح البحريـة. وتعـثر هنـاك بمشـاجرات ومشـاحنات مـع قادتـه، فأرسـل إلى السـجن وانشـق مـن الجيـش.

عـرف في المسـتعمرة كفتـى سريـع الغضـب (بلطجـي)، عربيـد، هـاوي ركـوب الدراجـات الناريـة والنسـاء ذوات الأفـق الفلسـفي. في بدايـة الخمسـينيات قـاد عصابـة إجراميـة، كان مشـتبها بهـا بالسرقـة في «كفـر شـمرياهو» وقتـل سـائق التكـسي يوسـف لفسـكر عـلى الشـاطئ في جفعـات أولغـا وسرقـة بنـك «القـرض

(١) مردخـاي كيـدار **מרדכי קידר** (١٩٢٩ - ٢٠٢١م): كان رجـل اسـتخبارات إسرائيـلي، اتهـم بقتـل وسرقـة مخـبر يهـودي أثنـاء إقامتـه في الأرجنتـين للتحضـير للمغـادرة إلى بلـد هـدف.

والتوفير» في العفولة - لقد كانوا يعرفون في الخضيرة بأن كيدار ورفاقه هم السارقون، وبأنهم هربوا بمسروقات بأكثر من نصف مليون دولار أمريكي، لكن الشرطة لم تستطع إثبات ذلك.

كان أحد أعضاء العصابة من الخضيرة صديقا مقربا لهاركابي، وقد تأثر الأخير بقصص كيدار، فالتقيا هو ونئمان معه. وبناء على توصيات كل من الطبيب النفسي الدكتور ديفيد رودي ورافي إيتان، وعلى الرغم من ماضيه الإجرامي، تقرر تجنيد كيدار. قال إيتان في شهادته: «اعتقدنا أنه يستطيع التكيف مع المهمات الخطرة، خاصة تلك التي فرصة العودة منها ليست كبيرة». إحدى الأسئلة المحددة في الاختبارات النفسية للدكتور رودي كانت متى آخر مرة مارست فيها العادة السرية.

في مارس/آذار عام ١٩٥٧م، وبعد الإعداد، تم إرسال كيدار إلى الأرجنتين من أجل صياغة قصة تغطيته: رجل أعمال صاحب يخت، وكان بلد الوجهة هو مصر. في الأرجنتين، كان عليه الاستعانة بشخص يدعى كلمان كلاين، وهو يهودي ثري ومساعد للموساد، من أجل الحصول على الجنسية الأرجنتينية. استأجر كلاين شقة لكيدار في بيونس آيرس وصادقه. وأخذ كيدار بمغازلة ابنة كلاين.

بعد ستة أشهر من وصول كيدار إلى الأرجنتين، اختفى كلاين. وعندما جاء أقرباؤه للبحث في شقة كيدار، وجدوا

جثة والدهم ممزقة بطعنات سكين. كما اختفت حوالي ١٥ ألف دولار كان قد سحبها كلاين من البنك لنقلها لكيدار، مثلما اختفى كيدار أيضا، فقررت ابنة كلاين التي خشيت من تقديم شكوى إلى الشرطة، التوجه إلى السفارة الإسرائيلية.

بعد مرور عدة أيام، اتصل كيدار بمشغليه في تل أبيب وأخبرهم بأنه اضطر للفرار من الأرجنتين بعد أن وصلت إليه معلومات بأن السلطات قد اشتبهت بأنه صديق للمتورطين في محاولة الانقلاب. تظاهر كل من يوسي هاريل وقائد الوحدة يوسف ياريف وإيسر هاريل بتصديقه، وطلبوا منه العودة فورا إلى إسرائيل. وبالتوازي، أمروا بفتح تحقيق سري في الأرجنتين. اعتقل كيدار عند هبوطه في البلاد، وتم التحقيق معه وتجريمه بالقتل. والدليل الأساسي ضده كانت الأوراق النقدية التي وجدت في جيبه، والتي سحبها كلاين من البنك؛ حيث كان قد طلب كيدار منه «قرضا» ليدفعه لضابط عربي رفيع، زعم أنه يسعى لتجنيده.

أصبح كيدار «السجين إكس»؛ حيث بقي أمر اعتقاله سريا حتى عن عائلته. وبشكل استثنائي، ولزيادة السرية، تمت محاكمته في محكمة عسكرية وليست مدنية، كانت قد اجتمعت في مشغل تغليف مهجور بالقرب من الرملة. وبعد أربع سنوات من اعتقاله، حكم عليه بالسجن لمدة عشرين سنة. وقد انكشف أمر اعتقاله في يونيو/حزيران عام ١٩٥٨م،

عندما جاءت صديقته إلى السجن لزيارة سجين آخر. فتسرب الخبر إلى وسائل الإعلام وأثار عاصفة شعبية. أطلق لفترة طويلة على الجناح الخاص الذي قضى فيه عقوبته لقب «جناح المجاهيل (الإكسات)».

بعد أن أطلق سراحه عام ١٩٧٤م، غادر كيدار إسرائيل وانتقل للسكن على متن يخت في كاليفورنيا. وفي بداية القرن ال ٢١، عاد إلى إسرائيل وقدم التماسا لإعادة فتح قضيته من جديد زاعما أنه بريء من الجريمة، ووقع ضحية صراع استخباراتي بين هيئة الاستخبارات (أمان) والموساد. ولكن تم رفض التماسه.

الطرود المفخخة.. عملية «ديتا»

وفي إطار التخطيط لإلحاق الضرر بنظام الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ظهرت فكرة جريئة: اغتيال ضابط مصري رفيع. هكذا جاءت إلى العالم عملية «ديتا»، لتصفية العقيد مصطفى حافظ، ضابط الاستخبارات الرئيسي لمصر في غزة، الذي كان مسؤولا عن إرسال خلايا فدائية للقيام بأعمال إرهابية في إسرائيل. وجه كل من بن غوريون ودايان الأوامر إلى هاركابي رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) بالتخطيط لعملية التصفية. وألقيت المهمة في عام ١٩٥٥م على عاتق الوحدة ٥٠٤ بقيادة رحبعام فاردي[١]. طريقة العملية المختارة: عبوة ناسفة.

لم يكن البريد العادي مركبا في غزة، لذلك تقرر إخفاء المادة المتفجرة في كتاب. كان الشخص الذي أعد الكتاب المتفجر هو ضابط المتفجرات نتان روتبرغ، والذي كان مسؤولا عما ستصبح لاحقا الوحدة التكنولوجية في هيئة الاستخبارات (أمان). الوحدة هي نوع من «مصنع ألعاب» المخابرات

---

(١) رحبعام (رحافيا) فاردي **רחבעם ורדי** (١٩٢٣ - ٢٠٠٦م): كان عضوا في المنظومة الأمنية الإسرائيلية، وعقيد في الجيش الإسرائيلي.

الإسرائيلية، وعملت مع الوحدات الخاصة في الجيش الإسرائيلي. وقد طوروا في الوحدة وسائط اتصال خاصة ووسائل الإخفاء (الإزالة) واستعمال الكتابة السرية. تقوم الوحدة أيضا بتركيب القنابل والعبوات الناسفة والأسلحة الخاصة (على سبيل المثال، مع كاتم للصوت) والكاميرات وعتاد التنصت الذي يتم إدخاله إلى الدول المعادية، وأدوات أساسية أخرى.

قام تسادوك أوفير، وهو ضابط مهمات خاصة (كتام) صغير في القطاع الجنوبي، بشراء نسختين من نفس الكتاب باللغة العربية، وتحدد أن يتم إرساله بواسطة أحد عملاء أوفير، وهو بدوي اسمه محمد طلالقة. كان طلالقة عميلا مزدوجا، تحرك على محور النقب غزة وعمل بمهمات من كلا الجانبين. هو لم يكن يعلم بأنه مكشوف لدى الاستخبارات الإسرائيلية، وهكذا تحول بدون علم إلى ساعي (عميل) أحمق، كالذي لا يعلم ماذا ينقل.

في لقاء التدريب، أراه أوفير إحدى نسختي الكتاب، وأوضح له بأن النص فيه شيفرة بث سري. لكن قبل إرساله إلى غزة، مررت إلى طلالقة النسخة الثانية، المفخخة. كان عليه نقل هذه النسخة إلى قائد شرطة غزة لطفي العكاوي، في الادعاء الكاذب الذي أدلى به عميل إسرائيلي كبير.

قدر مخططو العملية بأن طلالقة سيسارع لإخبار حافظ عن الصيد الثمين الذي وقع في شباكه. وتوقعوا أن يدفع

الفضول حافظ إلى فحص ما تم إرساله إلى قائد شرطة غزة، فيلقي نظرة ويقلب في الكتاب وعندئذ يحدث الانفجار القاتل.

في يوليو/تموز عام ١٩٥٦م، وصل طلالقه إلى مكتب حافظ. وكما اعتقدوا في الوحدة ٥٠٤، بلع حافظ الطعم وفتح الطرد. فانفجر الكتاب وقتله في مكانه. أما طلالقه الذي كان واقفا بجانبه فقد أصيب بالعمى.

في اليوم التالي، استلم العقيد صالح مصطفى، الملحق العسكري المصري في عمان، مغلفا أرسل إليه من فرع البريد في القدس الشرقية. كان الملحق المصري يتعاون مع العقيد حافظ من غزة، ويحرص على أن يجد جزء من الخلايا الإرهابية التي أدخلت من غزة ملجأ لها في الأردن. كان يوجد بداخل المغلف كتاب ضابط المدرعات الألماني المعروف هاينز جوديريان[1]، وهو من واضعي نظرية الحرب الخاطفة، حرب البرق. لقد قام روتبرغ بتفخيخ هذا الكتاب أيضا. وقتل العقيد مصطفى من قوة الانفجار. دعا موشيه دايان المتورطين في العملية، إلى حفلة قرع كؤوس في حديقة منزله في تسهله.

كانت هاتان أول عمليتي تصفية تنفذها الاستخبارات الإسرائيلية، والتي ستصبح بتوالي السنين سمتها المميزة. هكذا خلقت الأسطورة التي ربطت الموساد بعمليات الاغتيال،

(١) هاينز جوديريان **היינץ גודריאן** (١٨٨٨ - ١٩٥٤م): قائد عسكري ألماني في الحرب العالمية الثانية، عرف بكونه أحد رواد نظرية الحرب المدرعة، وتأييده لمكنكة الفيرماخت (الجيش الألماني) وإعطاء دور أكبر للدبابات فيه.

رغم أن الحقيقة هي أن التصفيات والاغتيالات تشكل نسبة ضئيلة من مجمل العمليات التي نفذتها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وما تزال تنفذها.

عملية سيناء.. «الديك»

بسبب النجاح، فُتحت الشهية. وهذه المرة قرروا في الاستخبارات الإسرائيلية رفع المستوى أكثر. نحو نهاية أكتوبر/ تشرين أول عام ١٩٥٦م، عدة أيام قبل ساعة الصفر لعملية سيناء، سجل مستمعو وحدة التنصت ٥١٥، أن وفدا من قيادة الجيش المصري، يضم رئيس هيئة الأركان المشير عبد الحكيم عامر[١]، نائب عبد الناصر، سيغادر على متن طائرتي يوشن١٤ لعقد لقاء في دمشق، وتوقيع اتفاقية دفاع وإنشاء قيادة عسكرية مشتركة لكلا البلدين والأردن.

زادت المراقبة الاستخباراتية للوفد. وتم تجنيد مجموعتين من المتخصصين للتنصت ليلا نهارا على الاتصالات بين مصر وسوريا، إضافة إلى تنشيط الجواسيس «القليلين» الذين كانوا لإسرائيل في سوريا ومصر. والهدف كان كشف متى سيقلع عامر عائدا إلى القاهرة.

---

(١) المشير محمد عبد الحكيم عامر (١٩١٩ - ١٩٦٧م): أحد رجال ثورة يوليو ١٩٥٢م في مصر. وكان صديقًا مقربًا للرئيس الراحل جمال عبد الناصر. تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ووزير الحربية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بين عامي ١٩٥٤ - ١٩٦٧م.

هكذا ولدت عملية «الديك». بحسب الخطة، تقوم طائرة حربية بنصب كمين للطائرة المصرية في طريق عودتها من دمشق إلى القاهرة وإسقاطها. تمت المصادقة على العملية من قبل رئيس هيئة الأركان دايان ورئيس الحكومة بن غوريون، اللذين أمرا بألا تحمل الطائرة المهاجمة علامات تحديد الهوية الخاصة بسلاح الجو.

في ٢٨ أكتوبر/تشرين أول، عند الساعة الثانية ظهرا، ساعات قبل بدء عملية سيناء، تم اعتراض المعلومة بأن الوفد المصري يستعد للإقلاع من دمشق. اختير للمهمة، الطيار يوآش (تشاتو) تسيدون[١] وإلياشيف (شيفي) بروش، الطاقم الحربي الأول في سلاح الجو. تم الإقلاع ليلا بطائرة شهاب (مطئور) بريطانية الصنع، باتجاه شمال غرب البحر المتوسط وبعد وقت قصير أبلغوا بأنهم رصدوا الطائرة المصرية. طلب قائد سلاح الجو اللواء دان تولكوفسكي[٢] تأكيد المشاهدة، وعند تلقيه التأكيد، أمر بفتح النيران. أصابت مدافع العشرين مم الهدف، وأضاءت السماء كتلة من النار. وغاصت اليوشن المصرية في مياه البحر المتوسط.

وعند عودتهما إلى قاعدتهما، كان في استقبالهما دايان

---

(١) يوآش (تساتو) تسيدون **יואש (צ'אטו) צידון** (١٩٢٦ – ٢٠١٥م): سياسي إسرائيلي، كان من أوائل الطيارين الحربيين في سلاح الجو، وعضو الكنيست ١٢.

(٢) دان تولكوفسكي **דן טולקובסקי** (ولد عام ١٩٢١م): طيار حربي إسرائيلي، كان القائد الخامس لسلاح الجو.

وتولكوفسكي، اللذان أبلغاهما بأن عامر قرر في اللحظة الأخيرة الصعود في الطائرة الثانية. ساعات قليلة بعد ذلك قفز مظليو الكتيبة ٨٩٠ في معبر متلا وبدأت عملية سيناء. لكن ثانية قبل أن تبدأ العملية، نسج مشروع آخر ضد رئيس مصر. خلال التحضير لعملية سيناء، تم إنشاء نظام اتصال بين أجهزة المخابرات الإسرائيلية والفرنسية. أدار الاتصالات من الجانب الفرنسي إدارة المخابرات الخارجية، ومن الطبيعي أن يكون ممثل إسرائيل هو الموساد، الذي كان لديه وحدة صغيرة تدعى «تيفل - الكون» للتواصل مع منظمات استخباراتية أجنبية. لكن بن غوريون ودايان وبيريز فضلوا أن تكون هيئة الاستخبارات الإسرائيلية (أمان) هي من تدير الاتصالات. طرح الفرنسيون والبريطانيون فكرة تسميم عبد الناصر. في إسرائيل علموا بالخطة، وكانوا فرحين إذا نجح المشروع. لكن في نهاية المطاف لم تترجم المبادرة إلى عملية.

بالتوازي مع عمليات التصفية والجهود الرامية لزعزعة أنظمة عربية، والتي كانت في غالبيتها عمليات لمرة واحدة فقط، لقرارات تكتيكية، بدأوا في المخابرات والمستوى السياسي تفهم ضرورة بلورة مفهوم أوسع، يؤطر الاستراتيجية المطلوبة لتأمين وجود إسرائيل. سخر لهذا النهج التعاطف الذي حظيت به إسرائيل، حتى لو لم يكن علنيا، في بعض دول الشرق الأوسط، بعد نجاح الجيش الإسرائيلي بضرب بيد من حديد، خلال ستة

أيـام، أكـبر الجيـوش العربيـة - الجيـش المـصري. هكـذا وجـدت نافـذة الفـرص لإدخـال المفهـوم الجيوسـياسي لتحالـف المحيـط.

في البدايـة تـم العمـل بالفكـرة التـي تصورهـا رؤوفـين شـيلواح وآخـرون مـن القيـادة السياسـية-الأمنية، ببنـاء علاقـات سريـة مـع زعـماء أقليـات في الـشرق الأوسـط — الأكـراد في العـراق والـدروز في لبنـان وسـوريا والمسـيحيون في لبنـان وجنـوب السـودان. الآن، وبسـبب الاضطرابـات في الـشرق الأوسـط، نضجـت الظـروف لتشـكيل تحالفـات اسـتخباراتية وعسـكرية مـع بعـض دول الـشرق الأوسـط أيضًـا.

الدولـة الأولى التـي وافقـت عـلى إقامـة علاقـات اسـتخباراتية سريـة هـي تركيـا، التـي كانـت عضـوا في «الناتـو» وتحالفـات إقليميـة مؤيـدة للغـرب بقيـادة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وبريطانيـا. في يونيو/حزيـران عـام ١٩٥٨ م، حـوالي عـام قبـل وفاتـه قبـل أن يبلـغ الخمسـين مـن عمـره، أقـام شـيلواح لقـاء سريـا بـين رجـال المخابـرات الإسرائيليـة والتركيـة. تـم الاتفـاق في ذلـك اللقـاء عـلى أن يقـوم رئيـس الحكومـة الإسرائيليـة بزيـارة أنقـرة بعـد شـهرين. قـاد اللقـاء بـين بـن غوريـون ونظـيره عدنـان مندريـس[١] إلى زيـادة التواصـل بـين البلديـن والاتفـاق لإقامـة تحالـف اسـتخباراتي.

(١) عدنـان مندريـس (١٨٩٩ - ١٩٦١م): كان رئيسًـا لـوزراء تركيـا بـين عامـي ١٩٥٠ - ١٩٦٠م، وهـو سـياسي تـركي ورجـل دولـة وحقوقـي.

بعد ذلك بوقت قصير، انضمت إيران إلى التحالف أيضا، بقيادة الشاه، الذي تم تتويجه قبل ذلك بعدة سنوات ملكا لبلاده بدعم من وكالتي المخابرات الأمريكية والبريطانية «سي آي إي» و «إم آي ٦». هذه المرة لم يكن إيسر هاريل مستعدا للتنازل. فألقيت مهمة القيادة وتقوية العلاقات على عاتق الموساد. وقد أطلق على التناغم بين الموساد الإسرائيلي ووكالات المخابرات التركية (TNSS) والإيرانية (سواك) لقب «المثلث» أو «التام».

ولد «المثلث» بتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ومن منطلق الشعور بتحديد المصالح: الخوف من دخول الاتحاد السوفييتي إلى الشرق الأوسط وتعاظم تأثيره في المنطقة.

التقى ممثلو الأجهزة مرة إلى مرتين في العام وتبادلوا تقييم الوضع والمعلومات العسكرية والاستخباراتية. ووافقت تركيا أن تقام على أرضها محطة تنصت إسرائيلية، تنصتت على سوريا، وسمحت لضباط الجمع الاستخباراتي التابعين لجناح «تسومت» في الموساد، المسؤول عن تحديد وتجنيد وتشغيل العملاء، بتجنيد عملاء في سوريا ولبنان. وقدمت المخابرات التركية لأجل ذلك من حين لآخر وثائق أيضًا، وساعدت في تأسيس قصص تنكر رجال الاستخبارات الإسرائيلية، الذين كان باستطاعتهم تقديم أنفسهم كأتراك، أو أي هوية أخرى. دعيت

هـذه الخطـة «التجنيـد تحـت علـم أجنبـي».

قدمـت إيـران حصتهـا في الاتفـاق أيضـا. فقـد سـمحت بتواجـد ضبـاط الموسـاد والاسـتخبارات (أمـان) عـلى أرضهـا، حيـث كانـت مهمتهـم في غالـب الأحيـان هـي جمـع المعلومـات عـما يحـدث في العـراق، التـي تسـلحت مثـل مـصر وسـوريا بسـلاح سـوفييتي جديـد. وكان أحـد رجـال الموسـاد الذيـن أرسـلوا الى إيـران هـو شـبتاي شـافيت[1]، ضابـط مخابـرات صغـير في ذلـك الوقـت وفي فـترة مـن الفـترات لاحقـا رئيـس الموسـاد.

نشـطت في طهـران البعثـة التـي أطلـق عليهـا لقـب «الكـوخ». وكان رئيـس البعثـة مايـك عفـرون. وقـد تـم إرسـال شـافيت بتمويـه كبـير جـدا إلى المنطقـة، إلى إقليـم خوزسـتان في الجنـوب عـلى الحـدود العراقيـة، حيـث يعيـش هنـاك إيرانيـون مـن أصـل عـربي، غالبيتهـم مـن الشـيعة. وهـذه منطقـة مسـتنقعات، التنقـل فيهـا صعـب، وتتـم بشـكل أسـاسي بالقـوارب. وبسـبب هـذه الظـروف بالتحديـد كان مـن السـهل الدخـول إلى العـراق.

كانـت مهمتـه تجنيـد عمـلاء و «أدلاء» مـن بـين سـكان الإقليـم، الذيـن كانـوا بسـبب أصولهـم منبوذيـن مـن السـلطة المركزيـة، وشـعروا بأنهـم مضطهـدون، ويتـم التعامـل معهـم بعنصريـة. تـم تكليـف الأدلاء بإيصـال مشـغليهم، وبينهـم شـافيت، إلى مصـادر

(١) شبتاي شافيت **שבתי שביט** (ولد عام ١٩٣٩م): كان رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي من عام ١٩٨٩م وحتى عام ١٩٩٦م.

العملاء في العراق. وتم تزويد هؤلاء بكاميرات وطلب منهم توثيق تحركات قوات الجيش.

كتب شافيت في كتابه («رأس الموساد» يديعوت أحرونوت/ كتب حمد، ٢٠١٨) عن «الكوخ»، لقب بعثة تسومت في إيران، أنها «كانت مصنعا استخباراتيا بشريا. وقد كانت احتياجات البعثة من أفلام كاميرات «ميونكس» أكبر بكثير من كل احتياجات جهاز الاستخبارات سوية. لم يكن الناتج الاستخباراتي للبعثة، عبارة عن تقارير ميدانية، لمصدر سمع من آخر وهذا من ذاك وهلم جر. لقد كان الناتج الاستخباراتي المركزي عشرات ومئات آلاف الأوراق المصورة — نعم! — عن طريق العملاء. إن الأمر الأساسي الذي مكن الجيش الإسرائيلي من الرد العملياتي الناجح ضد الجيوش العربية التي حاربت في حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧) ويوم الغفران (حرب أكتوبر/تشرين)، هو تدفق المعلومات الاستخباراتية الضخمة والمتتالية على مر السنين من بعثة الموساد في إيران». كما كان للعلاقة مع إيران جانب اقتصادي مهم: فقد باعت إسرائيل لها السلاح واشترت منها النفط.

تلقت أجهزة المخابرات التركية والإيرانية المساعدة من رجال الشاباك والموساد أيضا بإدارة تحقيقات وأساليب الجمع الاستخباراتي. في فترة ما شكلت هذه المساعدة أذى لإسرائيل. لقد اشتهر رجال جهاز «السواك» سيئي السمعة بأساليب

التجويع والافقار والوحشية ضد معارضي نظام الشاه. والمساعدة التي قدمت لهم عززت صورة إسرائيل كداعمة للأنظمة القمعية والاستبدادية.

بالتوازي مع «المثلث» الشمالي، وجدت إسرائيل حلفاء لها من جنوب الشرق الأوسط، في أفريقيا. فأقامت «مثلث» جنوبي مع السودان وإثيوبيا، والذي حسّن فكرة حلف المحيط.

إن الأغلبية في السودان من المسلمين، لكن بسبب التخوف من توجهات السيطرة ومن فكرة العروبة لدى عبد الناصر استعد قادتها، حيث بدأت العلاقات مع إسرائيل من أواسط الخمسينيات. هذه العلاقة ساعدت مستقبلا وطوال ثلاثين عاما بنقل مهاجري إثيوبيا.

العلاقات مع إثيوبيا كانت سهلة جدا، مؤخرا غالبية مواطنيها مسيحيين ومحاطة بدول إسلامية. هي تقع في القرن الإفريقي، مع منفذ إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي ومع التحكم بطرق الملاحة إلى قناة السويس وإيلات. طلبت المخابرات الإسرائيلية جعلها إحدى قواعدها المهمة. والقيصر هيلا سيلاسي[1] وافق.

في اعقاب إقامة العلاقات الدبلوماسية، بدأ يصل إلى إثيوبيا من إسرائيل مستشارون زراعيون، وبعد ذلك مستشارون

(١) هيلا سيلاسي (١٨٩٢ - ١٩٧٥م): ويعني اسمه «قوة الثالوث». هو آخر أباطرة إثيوبيا. وانتهى حكمه عام ١٩٧٤م، عندما خلعه القادة العسكريون وأنشأوا حكومة مؤقتة.

عسكريون ورجال الموساد. أقيم فيها بعثة كبيرة كانت مهمتها تقديم معلومات عما يحدث في مصر واليمن والمملكة العربية السعودية. كان لدى البعثة أجهزة تنصت وعمل عليها ضباط جمع استخباراتي. حيث جاء هؤلاء إلى دول عربية بهدف تجنيد عملاء وعقدوا في إثيوبيا لقاءات مع من يتم ترشيحه للتجنيد.

في نهاية الخمسينيات، كان رئيس البعثة في أديس أبابا هو ممثل وحدة «تيفل» ناحوم أدموني[1]. وقدوصل إليه في نهاية عام ١٩٦٠م معلومة مفادها أن كلا من قائد الحرس القيصري وقائد الشرطة ورئيس الأجهزة الأمنية قد تواصلوا واتفقوا على تنفيذ انقلاب على القيصر. فوجه بن غوريون أوامره إلى إيسر هاريل بالسفر إلى إثيوبيا ومقابلة هيلا سيلاسي، حيث حطت طائرته في ساحل العاج. قدم هاريل للقيصر تقريرا عن خطة الانقلاب، ففشل التمرد، وارتفعت أسهم إسرائيل في إثيوبيا.

بعد مرور عقد على إقامة دولة «إسرائيل»، استطاعت مخابراتها أن تفخر بما حققته من الإنجازات الاستراتيجية. فقد تغلبت على أمراض الطفولة، وعلى أوهام الشباب. ونجحت في إقامة تحالفات سرية مع وكالات غربية وبالأخص مع أكبر الدول العظمى في العالم — الولايات المتحدة. لقد بنت تعاونا استخباراتيا سريا مع دول إسلامية ومع أقليات في العالم العربي.

(١) ناحوم أدموني **נחום אדמוני** (ولد عام ١٩٢٩م): رئيس جهاز الموساد السادس.

في الستينيات، عندما تقربت السودان من مصر وقطعت علاقتها السرية مع إسرائيل، خلفها المغرب كحجر في المدماك الجنوبي لتحالف المحيط. كلا المثلثين أعطيا إسرائيل الإحساس بأنها كسرت الحصار الذي اسمه تفوق دول الصراع العربي، بل وحاصرتها - مصر وسوريا ولبنان والعراق بحلقتين مثلها.

من أجل استضافة نظرائهم من تركيا وإيران وإثيوبيا، ومن السودان ودول عربية أخرى أيضا، بني، وفقا لمخطط المهندسة المعمارية دورا غاد[1]، دار الضيافة على هضبة شمال تل أبيب، والذي عرف فيما بعد بمحور جليلوت. في عام ١٩٧٢م، نقل الموساد مقر قيادته من بيت هدار دفني في شارع الملك شاؤول إلى جليلوت.

إن من تتاح له فرصة النزول هناك لا يسعه إلا الإعجاب بالتصميم الأنيق للمباني، والعملي أيضًا، وبالمروج الفسيحة وأحواض السباحة. حتى الطعام المقدم هنا، وخاصة لضيوف الموساد من خارج البلاد، لا يضاهيه ما يقدم في بقية وزارات الحكومة. يوجد هنا أيضا حديقة تماثيل، والتي قدم لها نخبة فناني إسرائيل أفضل أعمالهم. يعكس الإبداع، التشجيع الذي تقدمه المنظمة لأفرادها للتحليق عاليا والتوصل إلى أفكار وتصورات أكثر إبداعًا لتخطيط العمليات. وبشكل أكثر واقعية، كان من بين كبار أعضاء المؤسسة أيضًا فنانون ورسامون

(١) دورا غاد **דורה גד** (١٩١٢ - ٢٠٠٣م): مهندسة معمارية إسرائيلية.

ونحاتـون. مـن بينهـم كان شـلومو كوهين-أبربانيـل[1]، الـذي صمـم في سـنوات السـتينيات رمـز الموسـاد، وعليـه شـمعدان الهيـكل بفروعـه السـبعة، مثـل مـا يظهـر عـلى بوابـة تيتـوس في رومـا. مكتـوب حولهـا فقـرة مـن سـفر الأمثـال (الإصحـاح ك»د فقـرة و): بانعـدام الحيـل يسـقط الشـعب والخـلاص بكـثرة المشـورة.

(١) شـلومو كوهين-أبربانيل **שלמה כהן-אברבנאל** (١٩٢١ - ١٩٨١م): ضابط استخبارات إسرائيـلي، كان نائبـا لرئيـس الموسـاد. وهـو مـن صمـم رمـز الموسـاد.

العلماء الألمان في مصر.. عملية «ديموقليس»

«اتصل فورا بمكتب رئيس الوزراء في تل أبيب»، هذا ما كتب في مذكرة أرسلت إلى رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» اللواء مئير عميت[1] في ذلك اليوم، ٢٥ مارس/آذار عام ١٩٦٣م، كان عميت يقوم بجولة في منطقة البحر الميت، فهرع إلى أقرب هاتف واتصل بالمكتب. حيث أبلغه السكرتير العسكري العقيد حاييم بن ديفيد[2]: «العجوز يريد رؤيتك على الفور. سنرسل لك طائرة خاصة». قبل ذلك بساعات قليلة، طلب «العجوز» استدعاء عاموس مانور على وجه السرعة، لكن لم يتم تحديد مكان رئيس الشاباك.

تبين لاحقا أن مانور قد سافر إلى كيبوتس في الشمال بشأن

---

(١) مئير عميت מאיר עמית (١٩٢١ - ٢٠٠٩م): قائد عسكري إسرائيلي. تطوع عام ١٩٤٦م في منظمة الهاغانا الإرهابية وحارب الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م وجرح في جنين بفلسطين. واستولى مع إحدى الفصائل على إيلات، كان قائد العمليات في سيناء خلال حرب ١٩٥٦م وأصيب برصاص المصريين وظل يعالج بالمستشفى ستة عشر شهرًا في أمريكا. بعدها تولى رئاسة مخابرات الجيش «أمان» ثم رئاسة الموساد من ١٩٦٣م إلى ١٩٦٨م.

(٢) حاييم بن ديفيد חיים בן-דוד (١٩١٩ - ١٩٦٧م): لواء سابق في الجيش الإسرائيلي، خدم لأكثر من خمس سنوات كسكرتير عسكري لرئيس الوزراء ديفيد بن جوريون، ثم كرئيس لهيئة القوى البشرية. بعد تسريحه، تم تعيينه سفيرا في أثيوبيا، حيث قتل في حادث تحطم طائرة.

مسألة عائلية حساسة، حتى أنه لم يترك لسكرتيرته رقم هاتف للطوارئ. وبذلك، أضاع فرصة حياته ليصبح المفوض الجديد على مجتمع الاستخبارات. هذا ما قاله مانور على أي حال.

بعد حوالي ثلاث ساعات، وصل عميت إلى مكتب رئيس الوزراء في «الكرياه» بتل أبيب. حيث وضع بن غوريون أمامه الرسالة التي بعث بها إلى إيسر هاريل، والتي أعلن فيها قبوله استقالته من منصب المفوض. ثم أمره: «من الآن، أنت تشغل منصب رئيس الموساد»، فوافق عميت على الأمر.

على مدى خمسة عشر عاما، كان هاريل هو الشخصية المهيمنة على مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي والأكثر قربا من رئيس الوزراء. لكنه اكتسب أيضا سلطة وقوة، الأمر الذي بدأ يخيف أعضاء الكنيست والوزراء. وحتى بن غوريون. لكن ما أدى إلى تسريع «إقالة» هاريل كان قضية العلماء الألمان في مصر.

منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي، قام الرئيس عبد الناصر بتكليف العقيد محمد خليل، من المخابرات الجوية، بإقامة مشروع سري لتطوير طائرات مقاتلة وصواريخ أرض-أرض متقدمة. وقد أطلق على المشروع اسم «حلوان ٣٣٣» (على اسم إحدى ضواحي القاهرة)، وبدأ رجاله في تجنيد خبراء ألمان. ومقابل مبالغ مالية كبيرة، تم قبول العرض المصري من قبل عشرات الفنيين والمهندسين والفيزيائيين والكيميائيين

المشـهورين، بمـا في ذلـك ويـلي ماسرشـميت[1]، مطـور الطائـرة المقاتلـة التـي تحمـل اسـمه، وهانـز كلاينفخـتر ويوجـين سـانجر وهاينـز كـروغ وبـاول غوركـه وآخريـن. وكان بعضهـم قـد شـارك في مـشروع الصواريـخ النـازي في بينيمانـدا، والـذي أنتـج صواريـخ V، التـي كانـت مـن بـين الصواريـخ التـي أطلقـت عـلى لنـدن.

عـزز توظيفهـم اعتقـاد هاريـل بـأن ألمانيـا الغربيـة في الحقيقـة ليسـت «مختلفـة»؛ بهـذه الطريقـة، يخطـط الألمـان مـرة أخـرى لإبـادة الشـعب اليهـودي.

كان رد هاريـل سريعـا. وبموافقـة بـن غوريـون، أعلـن عـن عمليـة «ديموقليـس». فكـما في الأسـاطير اليونانيـة، سـيهدد السـيف المعلـق رأس أي عـالم يعمـل لحسـاب مـصر. وقـد عهـد هاريـل بالمسـؤولية المبـاشرة عـن العمليـة إلى أحـد كبـار موظفيه، يوسـف (جـو) رعنـان[2]، الـذي لقـي والـداه حتفهـما في المحرقـة. كان رعنـان قـد خـدم في سـلاح الجـو البريطـاني ثـم التحـق بسـلاح الجـو الإسرائيـلي، وفي عـام ١٩٥٧م انتقـل إلى الموسـاد وتـم تعيينـه رئيسـا لفرعـه في ألمانيـا الغربيـة.

ولغـرض العمليـة، قـرر هاريـل أن يحـاول تجنيـد أوتـو سـكورزيني[3]، وهـو نمسـاوي كان عقيـدا في «فافـن إس إس»

(١) فيلهلـم إميـل «ويـلي» ماسرشـميت Willy Messerschmitt (١٨٩٨ - ١٩٧٨م): كان مصمـم ومُصنـع طائـرات ألمـاني.

(٢) يوجين سانجر Eugen Sänger (١٩٠٥ - ١٩٦٤م): مهندس فضاء نمساوي اشتهر بإسهاماته.

(٣) يوسـف (جـو) رعنـان יוסף (ג'ו) רענן (١٩٢٢ - ١٩٩٦م): كان ضابطـا في سـلاح الجـو

(الجناح العسكري للحزب النازي) حيث اعتبر بطلا، فهو محارب الكوماندوز الذي قام خلال عملية جريئة بتحرير بينيتو موسوليني[1] من أيدي الثوار الإيطاليين. وبعد الحرب، تم إلقاء القبض على سكورزيني من قبل الجيش الأمريكي، حيث قدم للمحاكمة ولكن لم تتم إدانته. وبعد اعتقاله مرة أخرى، هرب إلى إسبانيا، على ما يبدو بمساعدة المخابرات الأمريكية، حيث أسس شركة هندسية وبقي على اتصال مع وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي». وفي الخمسينيات، كان مستشارا أمنيا للرئيس عبد الناصر. وعندما بدأ العلماء الألمان بالوصول إلى مصر لصالح مشروع «حلوان ٣٣٣»، تم تعيين ضابط أمن لهم، والذي كان أحد مرؤوسي سكورزيني.

أثار قرار تجنيد مجرم حرب استياء الموساد. حيث جادل البعض، بما في ذلك رعنان، قائلين: «وظيفتنا هي قتل النازيين، وليس التعاون معهم». لكن في النهاية، فإن «السياسة الواقعية» لهاريل قد حسمت الأمر. تواصل رعنان مع سكورزيني وأقنعه بالعمل لصالح الموساد، وتم نقل مهمة تشغيله إلى كل من رافي إيتان وأبراهام أحيتوف ورافي ميدان. وبعد اختطاف أيخمان وإعدامه في مايو/أيار عام ١٩٦٢م، اختفى العديد من

الإسرائيلي، ومسؤولا بارزا في الموساد، ومديرا تنفيذيا ورئيسا لشركة «إليانس للإطارات».

(١) أوتو سكورزيني **אוטו סקורצני** (١٩٠٨ - ١٩٧٥م): ضابط في المخابرات والعمليات الخاصة في جيش وحدات النخبة الألمانية س س خلال الحرب العالمية الثانية. اشتهر بنجاحه في تحرير بينيتو موسوليني في عملية كوماندوز من معتقله في جبال الألب.

النازيين في جميع أنحاء العالم خوفا من أن يكونوا التاليين. وقد قال إيتان: «ما عرضناه على سكورزيني كان في الواقع صفقة: حياتك مقابل التعاون». بالنسبة لسكورزيني، كانت هذه بوليصة تأمين. أما الأسباب الأخرى للتعاون فكانت شغفه بالمغامرة ومعرفته بأن الدولة اليهودية مهتمة بخدماته.

قدم سكورزيني قائمة بالعلماء والفنيين الألمان وعناوينهم، وأرسل لهم رجال الموساد رسائل تحذير تطالبهم بالتوقف عن العمل لصالح عبد الناصر. لكن سكورزيني لم يتوقف عند ذلك الحد. فقد كان سعيدا بالمشاركة بنشاط في العمليات. والتي انطلق أولها في سبتمبر عام ١٩٦٢م. وكان الهدف هو هاينز كروغ.

وفقا للمعلومات التي تم جمعها، بمساعدة سكورزيني أيضا، فقد أسس كروغ شركة تحت اسم «إنترا»، تم تمويلها من قبل العقيد خليل وقامت بتأمين معدات لبرنامج الصواريخ المصري. وعندما لم يتأثر كروغ بتهديدات الموساد، طُلب من سكورزيني استدراجه إلى اجتماع في منطقة غابات خارج ميونخ.

كانت الخطة هي إقناعه بالتجسس لصالح إسرائيل. غير أن كروغ المصدوم شعر بأنه ليس على ما يرام، ثم أصيب بنوبة قلبية وانهار. وقد أدرك فريق العمليات التابع للموساد، والذي كان يضم تسفي ملحين، أحد خاطفي أيخمان، أنهم لن

يستطيعوا نقله إلى المستشفى، فقرروا قتله. شارك سكورزيني في عملية الاغتيال، وتم دفن الجثة في الغابة، لكن ليس قبل نثر الجير عليها. لتبدأ بعد ذلك وحدة الحرب النفسية التابعة للموساد بالعمل، حيث نشرت معلومات خاطئة حول مصيره، تفيد بأنه هجر زوجته وهرب إلى وجهة مجهولة.

بعد حوالي شهرين، تطوع سكورزيني بسعادة للقيام بمهمة أخرى. حيث تم إرساله إلى القاهرة ومعه مظاريف متفجرة كان قد أعدها ناتان روتبيرغ ورجاله في الوحدة التكنولوجية التابعة لهيئة الاستخبارات «أمان»، لكي يقوم بإرسالها عبر صناديق البريد إلى بعض العلماء. لكن سكورزيني لم يفعل ذلك. لقد كذب على مشغليه وادعى أنه اتبع التعليمات، وأنه لا يعرف ما الذي حدث. وذكرت تقارير عمل الموساد أنه ليس من الواضح ما إذا كان سكورزيني قد دمر المظاريف في أوروبا، حتى قبل مغادرته إلى مصر.

في فبراير/شباط عام ١٩٦٣م، انطلقت عملية عنيفة أخرى. حيث تم إرسال كل من ملحين وقائد وحدة العمليات «مفراتس - الخليج» إسحاق شامير في ليلة مثلجة إلى بلدة لوراخ الألمانية لاغتيال هانز كلاينفختر، الذي، كغيره من العلماء، لم يلتفت لتحذيرات الموساد. وقد نصبا له كمينا في الزقاق القريب من منزله، وما إن وصل بسيارته حتى أطلقا عليه النار. فأصابت إحدى الرصاصات قبعة كلاينفختر بينما

لم تنطلق الأخرى، بسبب عطل في المسدس. فهرع كلاينفخترر وهرب من المكان.

بعد شهر من ذلك، تم في سويسرا اعتقال شخص من الموساد كان يطلق على نفسه اسم «يوسف بن غال» بصحبة الدكتور أوتو يوكليك، الذي كان يعمل في مصر وتم تشغيله من قبل الموساد مقابل المال. وقد حدث ذلك بعد أن التقيا في فندق «الملوك الثلاثة» في بازل مع هايدي، ابنة غوركه. حيث عرضا عليها السفر إلى القاهرة وإقناع والدها بالاستقالة من مشروع «حلوان ٣٣٣»، فقامت هايدي باستدعاء الشرطة. وأثناء استجوابهما، تظاهرا بالسذاجة وادعيا أنهما لم يهددا هايدي بأي حال من الأحوال ولكنهما كانا يسعيان إلى تحذير والدها فقط. غير أن المحكمة لم تقتنع وحكمت عليهما بالسجن لمدة شهرين، تم خصمهما من فترة احتجازهما، وأطلق سراحهما على الفور.

كان لاعتقال هؤلاء الاثنين تأثير مزدوج معاكس: فقد لفت انتباه الرأي العام العالمي إلى العلماء الألمان في مصر والحملة التي تشنها إسرائيل ضدهم. وتسبب ذلك في أزمة في العلاقات بين إسرائيل وألمانيا الغربية، لكنه أدى أيضا إلى قرار المستشار

كونـراد أديـناور[١] ووزيـر الدفـاع فرانتـز يوزيـف شـتراوس[٢]، الذي كان ودودا للغايـة مـع إسرائيـل، ببـذل كل جهـد ممكـن لوقـف عمـل العلـماء في مـصر. وبتشـجيع مـن إسرائيـل، وظفـت الحكومة الألمانيـة ١٣ عالمـا مـن العلـماء الألمـان في مصنـع «ماسرشـميت» للطائـرات في ألمانيـا.

في غضـون ذلـك، في خطـوة غـير معتـادة وبـدون موافقـة مـن بـن غوريـون، أطلـع هاريـل ثلاثـة صحفيـين عـلى المعلومـات وأرسـلهم إلى ألمانيـا «لمقابلـة»، وفي الواقـع لتخويـف، أفـراد عوائـل العلـماء. كانـت هـذه واحـدة مـن المـرات النـادرة التـي اسـتخدم فيهـا الموسـاد صحفيـين إسرائيليـين، بـدلا مـن الأجانـب، في أنشـطة عملياتيـة. كـما خاطـب هاريـل أيضـا أعضـاء هيئـة محـرري الصحـف اليوميـة وقـدم لهـم صـورة مروعـة، وكأن الصواريـخ التـي يتـم تطويرهـا في مـصر هـي جـزء مـن خطـة ألمانيـة لاسـتكمال مـا لم ينجحـوا فيـه في المحرقـة: إبـادة الشـعب اليهـودي.

أثـار هاريـل غضـب بـن غوريـون، الـذي خـشي مـن تعطيـل

(١) كونـراد أديـناور: هـو كونـراد هيرمـان يوسـف أديـناور (بالألمانيـة: Konrad Hermann Joseph Adenauer) (١٨٧٦ - ١٩٦٧م): سياسي ألمـاني، كان أول مستشـار لألمانيـا (ألمانيـا الغربيـة) مـا بعـد الحـرب مـن عـام ١٩٤٩م حتـى عـام ١٩٦٣م. وكان أول زعيـم لحـزب الاتحـاد الديمقراطـي المسيحي (CDU).

(٢) فرانتـس يوزيـف شـتراوس (بالألمانيـة: Franz Josef Strauß) (١٩١٥ - ١٩٨٨م): سـياسي ألمـاني، شـغل منصـب رئيـس الاتحـاد الاجتماعـي المسـيحي في ولايـة بافاريـا (CSU) منـذ عـام ١٩٦١م وحتـى عـام ١٩٨٨م، وعضـو في الحكومـة الاتحاديـة في مناصـب مختلفـة بـين عامـي ١٩٥٣ - ١٩٦٩م، وكان رئيسًـا لـوزراء ولايـة بافاريـا في الفـترة ١٩٧٨ - ١٩٨٨م. يُنسـب الفضـل إليـه أيضًـا باعتبـاره مؤسسًـا مشـاركًا لشركـة إيربـاص الأوروبيـة.

العلاقات مع حكومة ألمانيا الغربية ودعا إلى تعزيزها. وتقدم هاريل بخطاب استقالة معتقدا أن بن غوريون لن يقبلها. فقد كان يؤمن أنه لا بديل له. لكنه كان مخطئا.

قبل نحو سنة وربع من ذلك، في ١ يناير/كانون الثاني عام ١٩٦٢م، تم تعيين مئير عميت رئيسا لهيئة الاستخبارات (أمان). ولد مئير في عام ١٩٢٦م في طبريا تحت اسم مئير سلوتسكي، لعائلة تنتمي إلى الحركة العمالية. وخلال حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي ووصل إلى رتبة قائد سرية، وبعد الحرب قرر مواصلة خدمته العسكرية.

حتى وصوله إلى هيئة الاستخبارات (أمان)، شغل سلسلة من المناصب الميدانية والقيادية، كما كان مساعدا لموشيه دايان أيضا. وقد كان من المهم بالنسبة لرئيس الأركان تسفي تسور[١][١٠] أن يرأس هيئة الاستخبارات (أمان) ضابط جديد يتمتع بالكفاءة القيادية والكاريزما، حتى لو على حساب معرفته بأمور الاستخبارات. وهكذا تم اختيار عميت لهذا المنصب.

خلال فترة ولايته الأولى في هيئة الاستخبارات (أمان)، سعى عميت إلى وضع نهاية للصراع بين الموساد و «أمان».

---

(١) تسفي تسور צבי צור (١٩٢٣ - ٢٠٠٤م): ضابط إسرائيلي شغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السادس.

حيث حاول استرضاء هاريل، لكن محاولاته لم تؤدي إلا إلى جعل العلاقات أسوأ. جوهريا، كانت هناك اختلافات في تصور التهديدات الموجهة لإسرائيل. فقد رأى هاريل في تطوير صواريخ أرض - أرض في مصر تهديدا وجوديا لإسرائيل، في حين أن رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) كان يعتقد أن هذا كان مبالغة في التقدير.

كانت هناك أيضا فجوات في العقلية. حيث كان هاريل رجلا سياسيا. وقد شارك في اجتماعات مركز «ماباي»، وكان تماهيه مع بن غوريون وأسلوبه في معظم السنوات مطلقا. وكمفوض بالأجهزة الأمنية، كان بارعا في العمليات التكتيكية، وملك الخطط الذكية. كان يشك في كل شخص تقريبا، وحاول اصطياد الخونة والجواسيس وعمل في الميدان، مثل آخر عملائه.

كان عميت أيضا يؤمن أن القائد يجب أن يتزعم جنوده ويقودهم، لكنه كان يعتقد أيضا أن جهاز الاستخبارات يتطلب إدارة منظمة وتفويضا للسلطات. في رأيه، يجب على رئيس جهاز المخابرات أن ينظر إلى احتياجات الدولة من منظور أعلى وألا ينشغل بالأمور الصغيرة. ويرى عميت أن الأمر يتطلب تغيرا في أولويات مجتمع الاستخبارات: يجب تحويل الموارد من العمليات غير الضرورية لصالح جمع المواد والمعلومات حول القدرات العسكرية للدول العربية. ومع تعين عميت

رئيسا للموساد، توقع الجيش أيضا التغيير.

في الواقع، لقد أرسى التعيين بالفعل العديد من السوابق. فهذه هي المرة الأولى والوحيدة منذ ذلك الحين، التي يعين فيها على رأس جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلي ضابط جيش وهو في الخدمة الفعلية. والمرة الأولى والوحيدة، التي يكون فيها نفس الشخص رئيسا لكل من الموساد وهيئة الاستخبارات (أمان). وأول مرة يعين فيها على رأس الموساد شخص من خارجه. والأهم من ذلك كله، أن عميت حل في المنصب خلفا لشخص قد شغله لمدة ١٢ عاما. في الموساد لم يستطيعوا، ولم يريدوا أيضا، أن ينسوا هاريل. لقد كان ينظر إليه على أنه الأب العظيم، شخصية شبه أسطورية.

لا عجب إذن أن الاستقبال الذي كان ينتظر عميت كان باردا. لقد كان هاريل ينتظره «حامضا كالليمون»، كما شهد عميت. حيث قال لخلفه بضع كلمات مهذبة وقرأ بضعة سطور من مذكرة ثم غادر المكان. وانفجرت سكرتيرات هاريل بالبكاء.

في اليوم التالي، حطت رسالة على طاولة رئيس الموساد الجديد. لقد كانت مرسلة من قبل مراكز الموساد في أوروبا، الذين عبروا خلالها عن حزنهم وألمهم لاستقالة هاريل، فضلا عن طلب متواضع أيضا: «يجب بذل كل جهد ممكن لإعادته». والموقعون، مسؤولون بارزون في المنظمة: شموئيل

توليدانو[١] ويوسف رعنان ويعقوب كاروز[٢] ومردخاي ألموغ[٣] وإسحاق شامير.

كان هذا «تمرد الجواسيس» الثاني في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي. وعلى الرغم من أن تمرد الجواسيس الذي قامت به الدائرة السياسية في وزارة الخارجية ضد رؤوفين شيلواح، قبل ١٢ عاما، كان أكثر خطورة، لكن الآن كما في ذلك الوقت احتج كبار المسؤولين على التغيير. ففي نظرهم، لم يكن هاريل يرمز للمنظمة فحسب، بل كان هو المنظمة.

كان رد فعل عميت حادا. حيث كتب في رده على رسالة المسؤولين البارزين: «أسلوبكم غير مقبول بالنسبة لي. أنا لست معتادا على الاحتجاجات الجماعية». وسافر إلى باريس للقاء المتمردين، ثم اتبع أسلوب فرق تسد: حيث قام بتعيين كاروز نائبا له. وبعد بضعة أشهر، غادر المسؤولون الأربعة الآخرون الجهاز.

استمرت العلاقات المتعكرة في قمة هرم الاستخبارات. وواصل

(١) شموئيل توليدانو **שמואל טולדנו** (ولد عام ١٩٢١م): سياسي إسرائيلي، هو مسؤول سابق في الموساد، ومستشار الشؤون العربية لرؤساء الوزراء: ليفي إشكول وجولدا مائير وإسحاق رابين، وعضو كنيست.

(٢) يعقوب كاروز **יעקב כרוז** (١٩٢٠ - ١٩٩٣م): كان دبلوماسيا وعضوا في المنظومة الأمنية الإسرائيلية، شغل مناصب رئيس القسم العربي في جهاز المخابرات العامة والقائد الأول لشعبة «تيفل» ونائب رئيس الموساد.

(٣) مردخاي ألموغ **מרדכי אלמוג** (١٩١٧ - ٢٠٠٥م): كان عضوا في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، ومؤسس وحدة جمع المعلومات ٨٢٠٠ في الجيش الإسرائيلي.

هاريل التدخل فيما كان يحدث في الموساد وحافظ على اتصال مع مرؤوسيه، الذين كانوا يأتون إليه من حين لآخر ليخرجوا ما في قلبهم، وليطلعوه على آخر الشائعات ويزودوه بوثائق ومواد سرية.

في غضون ذلك، استقال بن غوريون، وتم تعيين ليفي إشكول بدلا منه رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع. وقد واصل عميت التجول بالزي العسكري، مع قبعتين اثنتين، رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) ورئيس الموساد، حتى تم في سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٣م تعيينه رسميا رئيسا للموساد، وحل اللواء أهارون ياريف[١] خلفا له في هيئة الاستخبارات (أمان). وعلى الرغم من أن عميت كان يأمل أن يتولى رئاسة الشاباك أيضا، وبالتالي مواصلة سابقة «المفوض»، التي تم تكييفها مع هاريل، إلا أن رئيس الوزراء الجديد فضل تقسيم المناصب. وفي ١ يناير/كانون الثاني عام ١٩٦٤م، استقال عاموس مانور من رئاسة الشاباك، وحل يوسف هرملين بدلا عنه.

اضطر عميت إلى قبول توصيات لجنة خاصة ناقشت هيكل مجتمع الاستخبارات وتقسيم السلطات وخضوعه للمستوى السياسي. ففي ١٤ يونيو/حزيران عام ١٩٦٣م، قبل يومين فقط من تقديم استقالته، قام بن غوريون بتعيين أعضاء اللجنة:

---

(١) أهارون ياريف **אהרון יריב** (١٩٢٠ - ١٩٩٤م): كان لواء في الجيش الإسرائيلي، ورئيس هيئة الاستخبارات «أمان»، ووزير في الحكومة الإسرائيلية.

سكرتير الحكومة زئيف شيرف، ورئيس الأركان السابق يغائيل يادين. وقد كان هناك سببان اثنان لتشكيلها. الأول، هو المفاجأة الكاملة التي أصابت الاستخبارات من دخول ٥٠٠ دبابة للجيش المصري إلى سيناء المنزوعة السلاح، في فبراير/ شباط عام ١٩٦٠م، ردا على عمل انتقامي للجيش الإسرائيلي ضد موقع عسكري سوري في هضبة الجولان. حيث كانت سوريا ومصر متحدتان في إطار سياسي أطلق عليه اسم الجمهورية العربية المتحدة. وقد أعلن عن تجنيد قوات الاحتياط (عملية «روتم»)، وبعد بضعة أيام سحب الجيش المصري قواته. أما السبب الثاني والأكثر إلحاحا فقد كان العاصفة التي أحدثتها «إقالة» هاريل.

في ٣١ يوليو/تموز عام ١٩٦٣م، قدمت اللجنة تقريرها، والذي أوصت فيه بأن يكون لرئيس الوزراء سيطرة أفضل على مجتمع الاستخبارات، وبالتالي من المستحسن أن يبقى الموساد تحت سلطته وأن يتم نقل الشاباك أيضا من وزارة الدفاع إلى سلطته. كما أوصت بتعيين مستشار خاص لرئيس الوزراء لشؤون الاستخبارات، وتعزيز قسم البحوث في وزارة الخارجية كقوة موازنة لقسم البحوث في هيئة الاستخبارات (أمان)، وإنشاء لجنة رؤساء الأجهزة السرية، على أن يترأسها رئيس الموساد.

في الواقع، لم يتم تنفيذ إلا بعض التوصيات فقط. وبقي

قسم البحوث في وزارة الخارجية جهازا مستنزفا. وسيستغرق الأمر عقدا آخر وحربا مؤلمة حتى يتم تعزيزه. لكن عميت كان مشوشا بشكل خاص بسبب التوصية بتعيين مستشار لرئيس الوزراء لشؤون الاستخبارات؛ فقد اختار إشكول لهذا المنصب خصمه اللدود، إيسر هاريل.

كان الموساد آنذاك، في نظر عميت، يشبه محل بقالة صغير وفوضوي، يحتوي على القليل من كل شيء. وتحت تأثير الدراسات الاقتصادية في جامعة كولومبيا، سعى إلى تحويل البقالة إلى سوبر ماركت فعال وحديث. لقد أصبح الموساد تحت قيادته يشبه، في هيكله وجوه، شركة اقتصادية، مع عملية صنع قرار أكثر تنظيما وملاءمة. كما قام عميت بنقل مقر الموساد من الثكنات في «الكرياه» إلى الطوابق الأربعة لمبنى إداري جديد في شارع شاؤول الملك عند ناصية شارع هنريتا سولد بتل أبيب.

بدعم من إشكول، زادت وزارة المالية ميزانية الموساد، ما سمح لعميت بتوظيف المزيد من الموظفين. وتم استبدال المتقاعدين بعدد غير قليل من العسكريين، معظمهم من هيئة الاستخبارات (أمان)، الذين كان يثق بهم. وهكذا، على سبيل المثال، قام بتعيين رحافيا فاردي، الذي كان رئيس قسم جمع معلومات في هيئة الاستخبارات، رئيسا لشعبة «تسومت»، المسؤولة عن تجنيد العملاء. كما قام عميت أيضا بترقية

الملحقين العسكريين للجيش الإسرائيلي وجعل بعضهم ممثلين للموساد.

كان أحد أهم التغييرات الهيكلية هو إنشاء وحدة عمليات. فحتى ذلك الحين، كان الموساد مضطرا لتشغيل أفراد الشاباك. وقد نقل عميت الوحدة ١٨٨ من هيئة الاستخبارات (أمان) بقادتها، يوسف ياريف ونائبه ميخا (مايك) هراري[١]، وبمحاربيها، الجواسيس في الدول العربية، ومن بينهم فولفغانغ لوتز[٢] وإيلي كوهين[٣]. وتم دمج الوحدة ١٨٨ مع وحدة العمليات الصغيرة في الموساد «مفراتس»، وهكذا تم إنشاء شعبة العمليات التابعة للموساد، التي أطلق عليها اسم «متسادا» ولاحقا «قيسارية»، والتي ترأسها ياريف وهراري.

كما تم تغيير أساليب التجنيد أيضا. فبدلا من الاعتماد على التوصيات فقط، في النسخة البريطانية من Old Boys Net-work، فضل عميت الأساليب الحديثة - العثور على مرشحين

(١) مايك هراري **מיכא (מייק) הררי** (١٩٢٧ - ٢٠١٤م): ضابط اغتيالات إسرائيلي، شغل منصب مدير وحدة «كيدون» الإسرائيلية، ويعد من أبرز الشخصيات الاستخباراتية في إسرائيل نظرًا للمهام التي قام بها.

(٢) فولفغانغ لوتز **וולפגנג לוץ** (١٩٢١ - ١٩٩٣م): كان عميلا سريا ألمانيا إسرائيليا.

(٣) إيلي كوهين **אלי כהן** (١٩٢٤ - ١٩٦٥م): إلياهو بن شاؤول كوهين، يهودي ولد في الإسكندرية بمصر لأسرة هاجرت إلى مصر من مدينة حلب السوريا، عمل كجاسوس للموساد الإسرائيلي في سوريا في الفترة ما بين (١٩٦١ - ١٩٦٥م) منتحلا اسم «كامل أمين ثابت»، حيث أقام علاقات وثيقة مع نخبة المجتمع السياسي والعسكري، وكشفت سلطات مكافحة التجسس السوريا في نهاية المطاف عن مؤامرة التجسس، واعتقلت وأدانت كوهين بموجب القانون العسكري قبل الحرب، وحكمت عليه بالإعدام.

ليس فقط في الجيش، وإنما أيضا في الجامعات والشركات الخاصة وبين المهاجرين الجدد.

خلال فترة ولايته، تم بذل جهد لتحسين مكانة المرأة في الموساد أيضا. حيث قام بترقية نساء إلى مناصب في البحوث ومكاتب في الوحدات العملياتية، ولكن ليس في الميدان بعد، لأن «المرأة لا تستطيع العمل في جمع المعلومات الاستخباراتية في العالم العربي»، على حد تعبير أحد كبار مسؤولي الموساد. وعلى غرار بقية الاقتصاد الإسرائيلي، التزمت منظمة المخابرات أيضا بعدم المساواة المؤسساتية في الوظائف وظروف العمل والأجور. وقد كانت معظم النساء في الموساد يعملن في وظائف إدارية، عادة كسكرتيرات. وقلة قليلة منهن ذهبن في مهمات إلى الخارج، في أدوار خالية من المخاطر، كضابطات اتصال مع أجهزة سرية موازية. أما معظم النساء اللواتي تم إرسالهن في مهمات عملياتية، فقد تم تكليفهن بدور «المرافقة»، أي انتحال شخصية زوجة رجل المهمات، لتضفي نوعا من المصداقية على قصة التغطية الخاصة به. ومن المحتم أن عدم المساواة هذا قد أثر على ترقية النساء في القيادة - حيث فضلوا هناك أيضا تعيين أولئك الذين اكتسبوا خبرة في العمل الميداني.

إحدى المسائل الحساسة في الموساد هي استخدام النساء لإقامة علاقة مع «هدف» من أجل تجنيده كعميل. فالموساد

لم يطلـب، ولا حتـى تلميحـا، مـن موظفـات اسـتخدام أنوثتهـن في مهـمات عملياتيـة. ولكـن كان هنـاك حـالات قـام فيهـا قـادة بإرسـال نسـاء في مهـمات ذات طابـع جنـسي، وهـن تصرفـن وفقـا لتقديرهـن في الميـدان.

حتـى في فـترة هاريـل، ولكـن بشـكل أكـبر في عهـد عميـت، اتسـعت دائـرة «المسـاعدات»، وهـن نسـاء أجنبيـات وإسرائيليـات مـن جميـع قطاعـات المجتمـع، تـم تجنيدهـن وفقـا للاحتياجـات العملياتيــة. كــما أن الموســاد لم يــتردد، ولا يــتردد، في الاســتعانة بعامـلات في مجـال الجنـس لمهـمات إغـراء أو كمكافـآت للعمـلاء.

كجـزء مـن الجهـود المبذولـة لتحسـين المنظمـة، عمـل عميـت بجـد لاسـتخدام المعـدات الحديثـة والمتطـورة - عـلى عكـس سـلفه في المنصـب، الـذي لم يكـن يخفـي نفـوره مـن «الألعـاب التكنولوجيـة». لكـن عميـت أيضـا لم ينجـح خـلال فـترة ولايتـه في حوسـبة المنظمـة. ولم يحـدث ذلـك إلا في عـام ١٩٧٢م.

عندمـا تـم تعيـين عميـت رئيسـا لهيئـة الاسـتخبارات (أمـان) ثـم رئيسـا للموسـاد لاحقـا، تمتعـت إسرائيـل بفـترة مـن الهـدوء النسـبي، كانـت نتيجـة للترتيبـات التـي أنتجتهـا عمليـة سـيناء. وكان النصـف الأول مـن سـنوات السـتينيات يعتـبر فـترة ازدهـار ونمـو اقتصـادي وتعاظـم أمنـي.

لكـن الخـوف مـن جولـة أخـرى مـن الحـرب لم يختـف. وقـد جـاء ذلـك في أعقـاب مؤتمـرات القمـة العربيـة التـي انعقـدت في

القاهرة والإسكندرية عام ١٩٦٤م، والتي تقرر فيها تحويل منابع نهر الأردن. وما إن بدأ العمل، حتى تطورت الحوادث الحدودية مع سوريا. كما تقرر في تلك المؤتمرات أيضا إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وبناء قوة عسكرية فلسطينية. وقد ترأس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري[1]، وهو دبلوماسي فلسطيني كان، من بين أمور أخرى، سفير المملكة العربية السعودية لدى الأمم المتحدة وكان معروفا بخطاباته العدوانية ضد إسرائيل. لكن قبل ذلك، في الكويت عام ١٩٥٩م، أسس طلاب وشباب فلسطينيون منظمة «فتح»، التي ترأسها ياسر عرفات. وقد أدت هذه التطورا إلى تسلل خلايا إرهابية من حدود الأردن وسوريا نفذت عمليات تخريبية في إسرائيل. ورد الجيش الإسرائيلي بأعمال انتقامية في الأردن.

أدرك عميت أن على الموساد، إلى جانب هيئة الاستخبارات (أمان)، أن يحسن قدراته في جمع المعلومات من أجل توفير تحذير من احتمال نشوب حرب. وتحقيقا لهذه الغاية، أدار المنظمة في مجالين رئيسيين. الأول، ترميم وإصلاح فكرة «تحالف المحيط»، وتحسين العلاقات السرية مع الدول العربية والإسلامية ومع المنظمات والحركات التي اصطدمت

(١) أحمد أسعد الشقيري (١٩٠٨ - ١٩٨٠م): سياسي فلسطيني، ولد في قلعة تبنين اللبنانية، ونشأ في مدينة طولكرم الفلسطينية، وهو مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية، وأول رئيس لها، كما شغل قبل ذلك منصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية، ووزير الدولة السعودي لشؤون الأمم المتحدة، وسفير السعودية في الأمم المتحدة.

مع الحكومات المركزية في تلك البلدان. أما المجال الثاني فكان تجنيد عملاء كبار في تلك الدول، بالتوازي مع إرسال محاربي موساد إليها.

كانت إندونيسيا من أوائل الدول الإسلامية التي وافقت على التعاون سرا مع إسرائيل. وعلى مر السنين، اشترت إندونيسيا أسلحة من إسرائيل، وكثيرا ما كانت إسرائيل تتلقى المساعدة من قبل عناصر في إندونيسيا، بما في ذلك رؤساء الدولة وقادة الجيش والاستخبارات.

في الستينيات، انفتحت أفريقيا أيضا على إسرائيل. حيث تم اعتبار فرنسا وبريطانيا منبوذتان بسبب ماضيهما الاستعماري، كما كان ينظر إلى القوى العظمى والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي أن لها مصالح اقتصادية استغلالية. وعلى النقيض من ذلك، كان زعماء القارة ينظرون إلى إسرائيل على أنها دولة رائدة ذات مبادرة وقدرة. فتم إرسال المئات من الفنيين والمدربين والخبراء في الزراعة والصناعة والتجارة والأمن من إسرائيل إلى معظم بلدان القارة، وجاء طلاب من أفريقيا لحضور دورات تدريبية في إسرائيل.

ثم تبعهم السياسيون. وقد قام كل من رئيس الوزراء إشكول ووزيرة الخارجية جولدا مائير بجولة في أفريقيا. فازداد نفوذ إسرائيل، مما سمح للموساد والجيش الإسرائيلي بإقامة علاقات جيدة مع الحكام ورؤساء الاستخبارات وضباط

الجيش في الكونغو-زائير وليبيريا وغانا وأوغندا، وخاصة في كينيا ونيجيريا، أكبر دولتين في القارة؛ وتم تدريب وحداتهم السرية من قبل إسرائيل. وقد تم توجيه جزء كبير من المساعدات الإسرائيلية من خلال المعهد الأفروآسيوي التابع للهستدروت.

ما لم تكن تعرفه البلدان الأفريقية هو أن جزءا من تمويل المشاريع في القارة قد وصل إلى الهستدروت من رابطة النقابات العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية AFL-CIO، والتي هي نفسها حصلت لهذا الغرض على منح من أموال سرية من وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي». وبعبارة أخرى، قامت الاستخبارات الأمريكية بتمويل جزء من أنشطة إسرائيل في أفريقيا.

كان الموساد مهتما بشكل أساسي بأفريقيا كمصدر لجمع المعلومات حول مصر، التي كانت عضوا رئيسيا في منظمة الوحدة الأفريقية. وكان عبد الناصر قد تحدث في كتابه «فلسفة الثورة» عن الدوائر الثلاثة (العربية والإسلامية والأفريقية) التي يجب على مصر أن تؤثر عليها؛ لقد سعى إلى قيادة أفريقيا أيضا. كان المقر الرئيسي للمنظمة في أديس أبابا، عاصمة أثيوبيا، والتي كان فيها فرع هام للموساد.

عن طريق شعبة «تيفل»، أنشأ الموساد أيضا فرعا في أبيدجان بساحل العاج، في غرب أفريقيا. وكان الرجل الرئيسي للموساد في أفريقيا في تلك السنوات هو ديفيد كمحي.

كان كمحي ابنا لعائلة يهودية هاجرت من سويسرا إلى إنجلترا. ثم هاجر إلى إسرائيل وأصيب في حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، وبعد أن درس في الجامعة العبرية وعمل محررا ليليا في صحيفة «جيروزاليم بوست»، انضم إلى الموساد في عام ١٩٥٣م، وإن لم يكن ذلك بسهولة. حيث كانت صديقته في تلك الأيام ناشطة في الحزب الشيوعي (ماكي). وقد علم الموساد بالعلاقة بينهما بعد أن اقتحم فريق عمليات الشاباك مكاتب الحزب وصور بطاقة فهرسة الأعضاء. فأوضح كمحي أنه هو نفسه ليس شيوعيا، وتم قبوله.

على مر السنين، بفضل أخلاقه وسلوكه وبالطبع لغته الإنجليزية الرائعة، تمت مقارنته داخل الموساد وخارجه بشخصية رجل المخابرات البريطاني النموذجي جورج سمايلي، من بنات أفكار الروائي جون لو كاريه[1]. غير أنه خلف الملامح الثقافية ونبرة الصوت الهادئة، كان هناك تصميم وقدرة على إظهار القسوة.

عمل كمحي في جميع أنحاء أفريقيا بهويات مختلفة، بما في ذلك «ديفيد شارون»، رجل أعمال إسرائيلي. وقد كان مصدرا موثوقا به وودودا للصحفيين الأجانب، حيث كان يعرف دائما كيف يزودهم بالمعلومات والإشاعات حول ما يجري وراء

(١) جون لو كاريه (بالإنجليزية: John le Carré): هو الاسم المستعار للكاتب الدولي للكتب الأكثر مبيعا ديفيد جون مور كورنويل، وهو روائي وجاسوس بريطاني تركز رواياته على البيئات السياسية والتجسس من عصر الحرب الباردة.

الكواليس في أروقة السلطة والحكم في القارة، حتى في أكثر الأماكن النائية.

أحد هذه الأماكن كان جزيرة زنجبار الصغيرة، قبالة سواحل شرق أفريقيا. فحتى عام ١٩٦٤م، كان يحكم الجزيرة سلاطين، من نسل تجار الرقيق العرب، بينما كان معظم سكان الجزيرة من السود. حيث تم إرسال كمحي لفحص إمكانية القيام بانقلاب وإزالة العناصر الإسلامية الموالية للعرب من السلطة، لم ينجح الأمر. ويمكن للموساد، على عكس وكالة الاستخبارات المركزية «سي آي إي»، أن يغسل يديه تماما ويجادل بأنه لم ينفذ أبدا أي انقلاب في بلد آخر.

لكن حتى بدون تدخل إسرائيل، اندلعت ثورة دموية في زنجبار في أوائل عام ١٩٦٣م. فاستولت الغالبية السوداء على السلطة وقتل حوالي عشرين ألفا من العرب والهنود. فيما فر السلطان وعائلته من البلاد.

ساهم الوجود الإسرائيلي في أفريقيا بشكل غير مباشر في تورطها في الحرب الأهلية اليمنية، الأمر الذي يعبر عن تفرد آخر لفترة ولاية عميت: استعداد إسرائيل للتدخل في الشؤون الداخلية لأعدائها.

عام ١٩٦٢م، حدث انقلاب عسكري في اليمن، التي كانت حتى ذلك الحين تحت حكم عائلة مالكة، وذلك بمبادرة من ضباط جيش مدعومين من عبد الناصر. وأعلنوا اليمن

جمهورية. أما الملك، الإمام محمد البدر[1]، فقد فر إلى شمال اليمن، حيث نظم جيشه بين القبائل الموالية.

سرعان ما تدخلت قوات أجنبية في الحرب. حيث أرسل المصريون جنودا وطائرات لمساعدة حكم الضباط، وقصفوا قوات البدر بالأسلحة الكيماوية. فيما قامت المملكة العربية السعودية، التي كانت تخشى كثيرا من عبد الناصر، بإرسال قوات وأسلحة ومولت جيش البدر. كما قرر البريطانيون أيضا مساعدة الجيش الملكي، لكنهم سعوا إلى إخفاء ذلك. ولهذه الغاية، «استأجر» جهاز الاستخبارات البريطاني (إم آي ٦ - MI6) خدمات الشركة الخاصة التابعة للأسكتلندي ديفيد ستيرلينج[2] - الذي أسس خلال الحرب العالمية الثانية قوات الخدمات الجوية الخاصة في الجيش البريطاني (SAS).

قامت شركة ستيرلينج بإرسال مستشارين ومرتزقة ومدربين لجيش البدر. وفي مرحلة معينة من عام ١٩٦٤م، عندما عانت القوات الملكية من الهزائم، طرحت الشركة البريطانية فكرة اللجوء إلى إسرائيل. لم تعترض الحكومة اليمنية ولا حتى السعوديون على ذلك، ووصل ممثلو ستيرلينج إلى إسرائيل لهذا

(١) الإمام محمد البدر بن حميد الدين (١٩٢٦ - ١٩٩٦م): هو آخر حكام المملكة المتوكلية اليمنية.

(٢) ديفيد ستيرلينج (بالإنجليزية: David Stirling) (١٩١٥ - ١٩٩٠م): هو مؤسس القوات الجوية البريطانية الخاصة، التي يمكن القول أنها كانت من أكثر وحدات القوات الخاصة احترامًا وتقديرًا في العالم.

الغرض. فتم تعيين ناحوم أدموني، الذي كان آنذاك رئيسا لفرع الموساد في فرنسا، مديرا تنفيذيا للعملية. كان سبب موافقة إسرائيل على التدخل في الحرب الأهلية اليمنية هو عبد الناصر، الذي كان ينظر إليه آنذاك على أنه التهديد الأكبر لها. وقد كان احتجاز الجيش المصري في اليمن ومساعدة كل من يمكن أن يلحق به الأذى والحصول على معلومات عن قدراته في ساحة المعركة من أهم مصالح إسرائيل.طلب البريطانيون من سلاح الجو إرسال طائرات نقل إلى اليمن، لتسقط من الجو أسلحة وذخائر وأجهزة اتصال ومعدات طبية. وبناء على تعليمات من قائد سلاح الجو عيزر وايزمان[١]، تم أيضا ضم رئيس مجموعة الاستخبارات الجوية العقيد زئيف ليرون[٢] إلى العملية السرية. حيث حصل من الموساد على جواز سفر أجنبي، وسافر عبر دولة أوروبية إلى السودان، ومن هناك إلى عدن (موشيه رونين، «هوة سحيقة»، كتب يديعوت، ٢٠١٣م).

---

(١) عيزر وايزمان **עזר ויצמן** (١٩٢٤ - ٢٠٠٥م): سياسي وعسكري إسرائيلي، وهو الرئيس السابع لإسرائيل. انضم في شبابه إلى الجيش البريطاني حيث أصبح طيارا حربيا. قاد سلاح الجو الإسرائيلي بين ١٩٥٨ - ١٩٦٦م. ساهم بشكل كبير في التحضير للضربة الجوية التي دمرت أغلب الطائرات المصرية في بداية حرب ١٩٦٧م، كنائب لرئيس الأركان. وبعد فوز حزب الليكود اليميني في انتخابات عام ١٩٧٧م، تعين وزيرا للدفاع في حكومة مناحيم بيجن، وكان له دور كبير في المفاوضات السلمية مع الزعامة المصرية بعد زيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٧م.

(٢) زئيف ليرون **זאב לירון** (١٩٢٢ - ٢٠١٤م): ضابط سابق برتبة عقيد في سلاح الجو الإسرائيلي، كان طيارا حربيا، وتولى قيادة كل من فرع الاستخبارات في السلاح ومجموعة التدريب، وأنشأ وحدة التعاون مع صنوف القوات.

عند وصوله إلى وجهته، ألبسه رجال ستيرلينج زيا محليا واقتادوه في سيارة جيب وعلى سنام جمل إلى مقر قيادة القوات الملكية في شمال اليمن. وقد قام ليرون بفحص إمكانية تشغيل قطار جوي، وعند عودته إلى إسرائيل أقنع وايزمان بأن العملية ممكنة. ولمدة ١٤ شهرا (حتى مايو/أيار عام ١٩٦٥م) نفذ السرب الدولي (السرب ١٢٠) التابع لسلاح الجو ١٤ طلعة جوية لطائرة النقل من طراز ستراتوكروزر، والتي أقلعت من قاعدة تل نوف إلى اليمن. حيث تم هناك، مع وجود مخاطر كبيرة ومناورات صعبة بين الجبال، إسقاط المعدات على منصة هبوط مرتجلة.

لكن الدعم الإسرائيلي لم يساعد. فقد هزم الملكيون في الحرب، التي انتهت في عام ١٩٦٧م، وفقدوا الحكم. غير أن الجيش المصري أنهك واستنزف في الحرب، ما ساهم بلا شك في هزيمته في حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧).

كان التدخل الإسرائيلي في حرب اليمن المرة الاولى التي تتدخل فيها الحكومة الإسرائيلية، من خلال الموساد وسلاح الجو، في حرب أهلية لدولة عربية. وفي السنوات التي تلت ذلك، كررت إسرائيل هذه السابقة في ساحات أخرى في الشرق الأوسط.

كانت إحداها في السودان، حيث يمر النيل، شريان الحياة بالنسبة لمصر. وقد اعتبر كل إضعاف لمصر في ذلك الوقت إنجازا

إسرائيليا. كانت العلاقات السرية بشكل أساسي مع أحد قادة حزب «الأمة»، عبد الرحمن المهدي[1]. وفي عام ١٩٥٤م، تم إحضار المهدي لزيارة إسرائيل ولقاء وزير الخارجية موشيه شاريت. وفي عام ١٩٥٨م، التقى هاريل ونائبه كاروز مع محمد عمر، المقرب من رئيس الوزراء السوداني عبد الله خليل. ولكن بعد حوالي عام، حدث انقلاب في السودان، وتراجعت العلاقات مع إسرائيل.

في عام ١٩٦٣م، اندلع تمرد في جنوب السودان، كانت خلفيته تاريخية ودينية وقبلية. فعلى مدى قرون، كانت تجارة الرقيق السود من الجنوب مكونا هاما للاقتصاد السوداني، الذي كانت تهيمن عليه الطبقة العربية الحاكمة. وبعد حصولها على الاستقلال، بدأت حكومة الخرطوم عملية أسلمة الجنوب. وعندما تبددت آمال الجنوب، الذي كان معظم سكانه من المسيحيين والإحيائيين، في الحصول على حكم ذاتي وإقامة سودان فيدرالي، بدأ التمرد.

كان الكولونيل جوزيف لاقو[2]، الذي انشق عن الجيش السوداني، هو من قاد المتمردين، وهم القبائل التي تكاتفت

(١) عبد الرحمن محمد أحمد المهدي (١٨٨٥ - ١٩٥٩م): زعيم سوداني خلف أبيه في زعامة الأنصار. وبتشجيع من اللورد كرومر أنشأ حزب الأمة السوداني، الذي نادى بالولاء المطلق للتاج البريطاني كبديل لوحدة وادي النيل (مع مصر).

(٢) اللواء جوزيف لاقو (ولد عام ١٩٣١م بجنوب السودان): هو لواء معاش، ضابط سابق بالجيش ورجل دولة، تدرج في تعليمه حتى تخرج من الكلية الحربية السودانية بأم درمان عام ١٩٦٠م.

معا على الرغم من العداء المتبادل. وأسسوا حركة الأنانيا («سم الثعبان الأسود»)، وقد حاول ممثلوها منذ البداية الاتصال بإسرائيل، لكنهم فشلوا.

في عام ١٩٦٨م، حاولوا مرة أخرى، ونجحوا هذه المرة. حيث وصل مبعوثوهم إلى السفارات الإسرائيلية في أوغندا وكينيا، والتي كان فيها فرع هام للموساد برئاسة ممثل شعبة «تيفل» رؤوفين ميرحاف[1] وطلبوا دعما عسكريا. فتم الموافقة على الطلب، وفي عام ١٩٦٩م أصدرت رئيسة الوزراء جولدا مائير أمرا لرئيس الموساد تسفي زامير[2] بتنفيذه. وقام زامير بتكليف ديفيد (طرزان) بن عوزيئيل[3] بالعملية (قام بنشر تفاصيل عن العملية في كتاب سيرته الذاتية «في مهمة الموساد إلى جنوب السودان، ١٩٦٩ - ١٩٧١م، يوميات العملية»، طيفع هدفاريم، ٢٠١٥م).

انضم بن عوزيئيل واثنان آخران من أعضاء الموساد إلى ممثلي المتمردين في أوغندا. وقد قدم بن عوزيئيل نفسه على أنه «جون»، ثم تسللوا إلى جنوب السودان ووصلوا إلى مقر قيادة لاقو. وفي وقت لاحق، تم إحضار لاقو إلى إسرائيل،

(١) رؤوفين ميرحاف **ראובן מרחב** (ولد عام ١٩٣٦م): مسؤول سابق في الموساد. مدير عام وزارة الخارجية في الفترة ١٩٨٩ - ١٩٩١م، مستشرق ودبلوماسي.

(٢) تسفي زامير **צבי זמיר** (ولد عام ١٩٢٥م): هو الرئيس الرابع لجهاز الموساد الإسرائيلي، وقد قاد أكبر حرب استخباراتية في تاريخ إسرائيل والتي أطلق عليها عمليات «غضب الرب».

(٣) ديفيد (طرزان) بن عوزيئيل **דוד (טרזן) בן-עוזיאל** (ولد عام ١٩٣٥م): عضو في المنظومة الأمنية، وضابط برتبة عقيد احتياط في الجيش الإسرائيلي.

حيث التقى مع كل من جولدا مائير وزامير وحصل على وعود بدعمه عسكريا.

كان قرار مساعدة التمرد نابعا من الرغبة في تثبيت الجيش السوداني ومنعه من إرسال جنوده إلى الصراع مع إسرائيل. وقد قام خبراء إسرائيليون بتدريب وحدات «الأنانيا» وإنشاء أطر لسرايا وكتائب، وقاموا بتفعيلها في حرب عصابات صغيرة، وعلموهم تجميع العبوات الناسفة وتخريب الجسور وإغراق السفن. وقد استأجر الموساد طائرات، أسقط عبرها طيارو سلاح الجو لهم أطنانا من الذخيرة والأسلحة - بنادق ورشاشات وألغام وقواذف بازوكا ومدافع هاون.

سافر أفراد الموساد آلاف الكيلومترات في رحلات خطرة سيرا على الأقدام أو على دراجات متهالكة، وعبروا أنهارا صاخبة، وناموا في أكواخ مليئة بالبعوض والثعابين والفئران، وكان عليهم التعامل مع الطعام المحلي ومع نقص المياه النظيفة. لقد عانوا كثيرا من الجهد والأمراض، لكنهم ثابروا في مهمتهم. كما جاء زامير ورئيس شعبة «تيفل» أفرايم هليفي[1] في زيارة قصيرة لإلقاء نظرة عن قرب.

شارك طرزان ورفاقه أيضا في العمليات العسكرية، بما في

(١) أفرايم هليفي **אפרים הלוי** (ولد عام ١٩٣٤م): هو رئيس جهاز الموساد التاسع، درس الحقوق في الجامعة العبرية، انضم إلى جهاز الموساد عام ١٩٦١م، ومن ثم كُلف بإدارة جهاز الموساد في عام ١٩٩٨م وحتى عام ٢٠٠٢م، اهتم هليفي بتنظيم عمليات الهجرة إلى إسرائيل، وقد عُين سفيراً لإسرائيل في الاتحاد الأوروبي بعد انتهاء مهامه في الموساد.

ذلك تفجير الجسور وضرب عبارات الإمداد التي كانت تبحر في نهر النيل. وقد أدت هذه العمليات، التي استمرت قرابة عامين، إلى تخريب شحنات الغذاء والذخيرة والتعزيزات لجنود الجيش السوداني الذين شاركوا في قمع التمرد، والذي رافقه ارتكاب مجازر وحشية بحق السكان المدنيين.

قام قسم الحرب النفسية في الموساد بتعيين يوسي ألبير[1] لإدارة الدعاية والإعلام في «الأنانيا». فأسس نشرة إخبارية لحركة «الأنانيا»، وأرسلها إلى مئات الدبلوماسيين والخبراء والصحفيين في جميع أنحاء العالم. وفي عام ١٩٧١م، تم إيقاف المساعدة العسكرية، وذلك بعد أن وافقت «الأنانيا» على وقف إطلاق النار وتم التوصل إلى اتفاق يمنح الجنوب حكما ذاتيا محدودا.

(١) يوسي ألبير **יוסי אלפר** (ولد عام ١٩٤٢م): عضو سابق في الموساد، شغل منصب مدير مركز يافيه للدراسات الاستراتيجية.

إسرائيل والمملكة المغربية

أهم دولة بالنسبة للاستخبارات الإسرائيلية في أفريقيا كانت المغرب. وهذا هو المكان الذي عمل فيه أفراد وحدة «بيتسور» لأول مرة، في تنظيم هجرة اليهود وحماية الجاليات اليهودية. وقد أدى هذا النشاط إلى قيام علاقة وثيقة مع العائلة المالكة المغربية، خاصة بعد صعود الملك حسن الثاني إلى السلطة في عام ١٩٦١م.

انتهج الملك سياسة موالية للغرب وكان يخشى من القومية العربية لعبد الناصر. وقد تم إلقاء مسؤولية التواصل السري مع إسرائيل على مساعدي الملك، الذين كانوا مفوضين بالجيش والاستخبارات، الجنرال محمد أوفقير[١] والكولونيل أحمد الدليمي[٢].

---

(١) الجنرال محمد أوفقير (١٩٢٠ - ١٩٧٢م): وزير الدفاع ووزير الداخلية في المملكة المغربية واليد اليمنى للملك محمد الخامس ثم الحسن الثاني في الفترة ١٩٤٠ - ١٩٧٢م. وفي ١٦ أغسطس/آب عام ١٩٧٢م، قام بمحاولة انقلاب فاشلة ضد الملك الحسن الثاني، فتم إعدامه والانتقام من أسرته.

(٢) الجنرال أحمد الدليمي (١٩٣١ - ١٩٨٣م): هو جنرال مغربي في عهد الملك الحسن الثاني. بعد فشل محاولة انقلاب الطائرة التي قادها الجنرال محمد أوفقير، أصبح الدليمي أحد أقوى رجلين بالمغرب مع إدريس البصري وزير الداخلية آنذاك. اشتهر اسمه خلال فترة حرب الصحراء الغربية الأولى كقائد ميداني للقوات المسلحة الملكية المغربية المتمركزة في الصحراء.

كانت أهمية المغرب بالنسبة لإسرائيل كبيرة جدا؛ فهي دولة عربية، استخدمها كل من الموساد وهيئة الاستخبارات (أمان) لمراقبة مصر والتسلل إليها، على الرغم من بعدها عنها. ووفقا لتقارير أجنبية، قدمت أجهزة الأمن المغربية وثائق لأفراد الموساد وسمحت باستضافتهم على أرضها لتجنيد العملاء ومقابلتهم. وباعت إسرائيل للجيش المغربي دبابات ومعدات عسكرية فرنسية الصنع، من فائض الجيش الإسرائيلي. كما قام أفراد الموساد والشاباك بتدريب ضباط استخبارات مغاربة وصلوا إلى إسرائيل.

كان أحد أبرز أوجه التعاون في سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٥م. حيث استضاف الملك الحسن الثاني في الدار البيضاء القمة الثالثة للزعماء العرب، وطلب الموساد التنصت على المناقشات. أما المثير للدهشة فهو أن الرد كان إيجابيا. فتم إرسال إيتان وملحين وطواقم فنية إلى الدار البيضاء، وقد سمح لهم بالوصول إلى أنظمة الاستماع لقاعة المؤتمرات وغرف الاجتماعات، وحتى الغرف الخاصة للعديد من القادة، بما في ذلك عبد الناصر والملك حسين.

بالإضافة إلى المعلومات من الثرثرة الحميمة، أسفر التنصت عن خبر ذو أهمية استراتيجية قصوى: اعترف الزعماء العرب وقادة الجيش بأن جيوشهم ليست جاهزة بعد لحرب شاملة ضد إسرائيل.

ولكن كان لهذه العلاقة ثمن باهظ أيضا، كان على إسرائيل أن تدفعه.

تعرض الملك حسن للمضايقة من قبل شخص اعتبره يهدد حكمه: المهدي بن بركة[1]، وهو زعيم لنقابات العمال ذو شخصية كاريزمية، تم نفيه إلى أوروبا. فجاء الكولونيل الدليمي إلى باريس واجتمع مع إيتان وطلب منه أن يقوم الموساد بتحديد مكان بن بركة واغتياله.

وقع عميت في الفخ. إذا لم يمتثل لطلب المغرب، فإن التعاون الاستخباراتي المثمر بين البلدين قد يتضرر بشدة. لكنه كان يدرك أنه غير مسموح له إرسال محاربي «قيسارية» لاغتيال رجل لا مصلحة لإسرائيل به. وقد اجتمع مع إشكول واقترح حلا وسطا: سيقوم الموساد بتقديم المساعدة اللوجستية للجهاز المغربي، لكن رجاله لن يكونوا متورطين في الاختطاف أو القتل. ادعى عميت في وقت لاحق أن إشكول وافق على مسار العمل هذا. لكن إشكول نفى.

أصيب المغاربة بخيبة أمل من الرد الإسرائيلي وبدأوا بالتخطيط للعملية بمفردهم. فقام أوفقير والدليمي، اللذان قادا العملية، باستئجار قتلة فرنسيين وضباط شرطة وأفراد استخبارات سابقين، بالإضافة إلى العديد من أعضاء عصابات

(١) المهدي بن بركة (١٩٢٠ - ١٩٦٥م): كان من السياسيين المغاربة، وأكبر معارض اشتراكي للملك الحسن الثاني وزعيم حركة العالم الثالث والوحدة الأفريقية.

الجريمة.

قال إيتان أن المساعدة الأولى التي قدمها للدليمي كانت العثور على رقم هاتف بن بركة في جنيف، حيث وجد ملجأ، «وكان ذلك سهلا»، على حد تعبيره. وقد تمت دعوة بن بركة عبر الهاتف لحضور لقاء في باريس مع «منتج أفلام» كان يريد أن يصنع فيلما عن حياته. وفي ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٦٥م، وصل بن بركة إلى «براسيري ليب»، وهو مقهى عصري على الضفة اليسرى يرتاده المثقفون والفنانون. وهناك، في وضح النهار، تم اختطافه من قبل أولئك الذين كانوا ينتحلون صفة شرطة واقتادوه إلى منزل آمن كان معدا مسبقا.

من غير المعروف ما إذا كان المغاربة كانوا يريدون تخويف بن بركة فقط أم أنهم كانوا يعتزمون اغتياله مسبقا. ويعتقد الموساد أن الاستجواب، الذي شارك فيه أوفقير، قد سار بشكل خاطئ ومات بن بركة.

يتذكر إيتان ذلك، قائلا: «في منتصف الليل، جاءني الدليمي وهو خائف تماما وأخبرني أن بن بركة قد مات وأنهم بحاجة للتخلص من الجثة. فقمنا أنا وأحد مساعدي بسحب خريطة لباريس وأشرنا إلى نقطة محددة في إحدى الغابات واقترحنا دفنها هناك. ثم أرسلت المساعد إلى متجر لأغراض البناء، ليشتري أكياس جير، وقمنا بتسليمها لرجال الدليمي. وأوصيناهم بسكب الجير على الجثة، وهي ستتحلل».

اعتقد إيتان وعميت أن هذه هي نهاية القضية، لكن الأمور سارت بشكل مختلف. فبناء على أوامر من الرئيس الفرنسي شارل ديغول، تم فتح تحقيق بشأن اختفاء بن بركة. وفي نهايته، تم تقديم اثنين من ضباط الشرطة للمحاكمة. وأثناء المحاكمة، قال أحد الشهود أنه رأى بأم عينيه الجنرال أوفقير يطعن بن بركة بسكين. فطلبت فرنسا تسليم أوفقير والمتورطين الآخرين. لكن المغرب رفض، وتدهورت العلاقات بين البلدين.

تم الكشف أثناء المحاكمة أيضا عن تورط أفراد من الموساد في جريمة القتل. وطالب ديغول، الذي تدهورت علاقاته مع إسرائيل حتى قبل ذلك، الموساد بإغلاق الفرع في السفارة بباريس. وفي الواقع، انتقل جزء فقط من الفرع إلى بروكسل.

في الوقت نفسه، كانت هناك عاصفة سياسية كبيرة وراء الكواليس، دون أن يعلم بها العامة. حيث اعتقد هاريل، مستشار رئيس الوزراء لشؤون الاستخبارات، أن الوقت قد حان للتخلص من عميت وطالب بإقالته. ولكن إشكول رفض، فاستقال هاريل. كما تدهورت العلاقة أيضا بين عميت وإشكول وأصبحت متشككة.

فعلت الحكومة كل ما في وسعها لتقليل الأضرار. وكدرس مستفاد من «قضية العار» في مصر، وخوفا من تمزق الحزب

الحاكم ثانية، رفضوا تشكيل لجنة تحقيق حكومية مرة أخرى، باستثناء عدد قليل من لجان التحقيق الداخلية وغير الملزمة.

أطلع هاريل الصحفيين على ملابسات الحادث، لكن الرقابة منعت نشر أي شيء. حتى أن مجلة «بول» الأسبوعية، التي تهتم بالإثارة والعري الأنثوي، ألمحت إلى «تورط الشين بيت». وقد ردت الرقابة بكامل قوتها: حيث تمت مصادرة الأعداد من الأكشاك في تل أبيب، وتم اعتقال محرري المجلة الأسبوعية، الشاعر مكسيم غيلان[1] وشموئيل مور، ومحاكمتهما والحكم عليهما بالسجن بتهمة التجسس - الأداة الرئيسية في كتاب القانون الإسرائيلي للتعامل مع المخالفات الأمنية. لقد كانت هذه المرة الأولى والأخيرة في إسرائيل التي يسجن فيها صحفيون على نشر صحفي.

بعد بضع سنوات باردة، تم تجديد العلاقات بين الموساد والاستخبارات المغربية، والتي ستساعد في عملية السلام بين إسرائيل ومصر بعد حوالي عقد من الزمن.

(١) مكسيم غيلان **מקסים גילן** (١٩٣١ - ٢٠٠٥م): كان شاعرا ومحررا وناشطا يساريا راديكاليا إسرائيليا.

الموساد في كردستان

على بعد آلاف الكيلومترات من المغرب، في إقليم كردستان العراق، تمكن الموساد من إدارة علاقاته السرية بشكل أفضل. فبعد وقت قصير من تولي عميت منصبه، بدأت تصل إلى إسرائيل، عبر وسطاء، طلبات المساعدة من زعيم كردستان مصطفى البارزاني[1].

في عام ١٩٤٣م، في خضم الحرب العالمية الثانية، قاد البارزاني ثورة فاشلة ضد الحكومة المركزية في بغداد والبريطانيين، وهرب إلى إيران. وفي عام ١٩٥٨م، سمح حاكم العراق عبد الكريم قاسم للبارزاني ومقاتلي البيشمركة (الذين يواجهون الموت) بالعودة من المنفى، وبدأت محادثات حول منح الحكم الذاتي. لكن المحادثات فشلت، وفي عام ١٩٦١م أعلن البارزاني عن ثورة جديدة.

حظي البارزاني بدعم محدود من الشاه في إيران، وبتعاطف من إدارة الرئيس الأمريكي جون كينيدي، وبعده ليندون

---

(١) مصطفى البارزاني (١٩٠٣ - ١٩٧٩م): هو الملا مصطفى محمد عبد السلام عبد الله البارزاني، زعيم كردي من كردستان الجنوبية في شمال العراق، يرجع نسبه إلى أمراء العمادية.

جونسون[1]. لكنه كان بحاجة إلى أكثر من ذلك. ولذلك أرسل مبعوثيه للتواصل مع السفارة الإسرائيلية في باريس. وقد تمت مناقشة طلبات المساعدة المقدمة من البارزاني في قيادة الموساد، وفي يونيو/حزيران عام ١٩٦٣م سافر عميت إلى باريس للقاء رئيس السافاك (الاستخبارات الإيرانية زمن الشاه) الجنرال حسن بكراوان[2]. وما أن سمع أن إيران ستدعم مسار المساعدة الإسرائيلية للأكراد في العراق، حتى توجه عميت للحصول على موافقة رئيس الوزراء.

كان إشكول يخشى من «التورط». وقد عدد له عميت الفوائد التي ستعود على إسرائيل من مساعدة الثورة الكردية. فمن بين أمور أخرى، سيؤدي ذلك إلى إشغال الجيش العراقي وتقليل فرص توجيهه لقتال إسرائيل. وبالإضافة إلى ذلك، سيكون للعلاقات مع الأكراد تأثير إيجابي على العلاقات مع إيران؛ فقد كان لكلا البلدين مصلحة مشتركة في إضعاف النظام في بغداد. اقتنع إشكول، وبدون طرح المسألة للنقاش في الحكومة أو حتى في اللجنة الوزارية للدفاع، أعطى الموافقة لعميت بالمضي قدما.

تم إرسال كمحي، رجل شعبة «تيفل»، إلى طهران ومنها إلى

(١) ليندون بينز جونسون (١٩٠٨ – ١٩٧٣م): هو سياسي أمريكي، شغل منصب الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٦٣م إلى ١٩٦٩م.

(٢) حسن بكراوان (١٩١١ – ١٩٧٩م): سياسي ودبلوماسي إيراني، وهو الرئيس الثاني لمنظمة الاستخبارات والأمن الوطنية الإيرانية والمعروفة باسم السافاك ما بين عامي ١٩٦١ – ١٩٦٥م.

مدينة حاج عمران، إلى مقر البارزاني، حيث مكث ثلاثة أيام. وقد طلب البارزاني ورجاله أسلحة ومعدات طبية وتدريبات على أساليب جمع المعلومات الاستخباراتية وعلى حرب العصابات والكوماندوز. ولدى عودته قدم كمحي تقريرا شاملا عن الزيارة، ووافق عميت على معظم توصياته.

خلال العقد وحتى منتصف السبعينيات، وصل إلى كردستان العشرات من أفراد الموساد وضباط الجيش الإسرائيلي، بمن فيهم رئيسا الموساد عميت عام ١٩٦٦م وخلفه تسفي زامير عام ١٩٧١م. وقد رافق زامير رئيس شعبة «تيفل»، أدموني. ولحسن حظهما، كانا في جولة خارج مقر البارزاني عندما وصل مبعوثو الرئيس العراقي صدام حسين[١]. حيث كان من المفترض أنهم جاؤوا للتفاوض على إنهاء القتال، ولكنهم ألقوا قنبلة يدوية في محاولة لاغتيال البارزاني. فأصيب هو وعدد من رجاله. جاء البارزاني إلى إسرائيل عدة مرات، بما في ذلك لتلقي العلاج، وخلال زيارته عام ١٩٦٨م التقى مع إشكول.

العلاقات مع الأكراد، بالإضافة إلى إضعاف الجيش العراقي وتعزيز العلاقات مع السافاك ولدت مكاسب أخرى لإسرائيل: فقد ساعد الأكراد في هجرة ٣٠٠٠ يهودي من بغداد والبصرة إلى إسرائيل. حيث نصح أفراد وحدة «بيتسور» اليهود ببيع

(١) صدام حسين المجيد (١٩٣٧ - ٢٠٠٦م): خامس رئيس لجمهورية العراق والأمين القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية في الفترة ما بين عامي ١٩٧٩ - ٢٠٠٣م.

ممتلكاتهم والخروج بأعذار مختلفة (مثل قضاء عطلة) إلى الجبال في شمال البلاد. وهناك، كان رجال البارزاني ينتظرونهم، حيث قاموا إلى جانب مرافقين من الموساد وبالتنسيق مع السافاك بتهريبهم إلى إيران، ومن هناك تم نقلهم جوا إلى إسرائيل.

استمرت المساعدة للأكراد حتى عام ١٩٧٥م، عندما قامت العراق وإيران، بتشجيع من إدارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، بتسوية النزاع الحدودي بينهما. وأصدر الشاه أوامره للسافاك بالتوقف عن مساعدة الثورة الكردية، ولم يكن أمام «إسرائيل» سوى خيار قطع العلاقات.

ملاحقة مجرمي الحرب النازيين

كان مئير عميت متحفظا على عمليات إيسر هاريل الاستعراضية، لكنه لم يقم بإيقافها تماما. فقد استمرت ملاحقة مجرمي الحرب النازيين في أيامه أيضا.

في عام ٢٠٠٧م، تم في الموساد إعداد بحث سري، بعنوان: «حبر على ورق: ملاحقة مجرمي حرب نازيين ممن لم تتم معاقبتهم». عنوانه يدل على مضمونه — فشل الموساد في مهمة تحديد مكان وتصفية النازيين الذين تم وضعهم على القائمة. كان الشخص الذي أعد البحث هو يوسف (يوسي) حن [١]، أحد الناجين من المحرقة وعميل للموساد، لصالح قسم التاريخ في إدارة الموساد.

يحطم البحث الأسطورة المتجذرة لدى الجمهور، التي تقول أن الموساد عمل منذ تأسيسه على تحديد مكان مجرمي الحرب النازيين وتصفيتهم. في الواقع، إن الموضوع لم يشغل زعماء الموساد، من رؤوفين شيلواح وإيسر هاريل، مرورا بمئير عميت وتسفي زامير. ولا رؤساء حكوماتهم: ديفيد بن غوريون

---

(١) يوسف (يوسي) حن **יוסי חן** (ولد عام ١٩٣٦م): عميل في الموساد ومؤلف بحث تاريخي عن ملاحقة الموساد لمجرمي الحرب النازيين.

وموشـيه شـاريت وليفـي إشـكول وجولـدا مئـير. وكان الشـخص الوحيـد الـذي وجـه الأوامـر إلى الموسـاد للعمـل بالموضـوع هـو مناحيـم بيغـن.

تولـد الاعتقـاد بـأن الموسـاد يسـعى بـدون توقـف لإلقـاء القبـض عـلى أيخـمان. لكـن بنـاء عـلى بحـث حـن، كان الواقـع مختلفـا: «أقـر هاريـل بـأن إسرائيـل كانـت ملتزمـة بالتركيـز عـلى كلتـا الشـخصيتين المصنفتـين كمجرمـي حـرب الذيـن مثـلا أكـثر مـن غيرهـما التخطيـط والتنفيـذ لفكـرة ‹الحـل الأخـير› — أدولـف أيخـمان[1] وجوزيـف منغليـه[2]. وليـس آخريـن.

منحـت شـخصيات رفيعـة المسـتوى في الفاتيـكان لمئـات مجرمـي الحـرب شـهادات الكنيسـة والصليـب الأحمـر، التـي تمكنهـم مـن الهـروب مـن أوروبـا، خاصـة إلى الـشرق الأوسـط وأمريـكا الجنوبيـة. كان مـن بينهـم أيضـا أيخـمان ومنغليـه، طبيب المـوت في معتقـل أوشـفيتز. وبعـد أن اسـتقر أيخـمان واسـتثمر في الأرجنتـين، لحقـت بـه زوجتـه وأبنـاؤه الثلاثـة، كـما ولـد لـه هنـاك ابـن آخـر. وقـد وصلـت المعلومـة الأولى عـن مـكان إقامتـه

---

(١) أدولـف أيخـمان **אדולף אייכמן** أحـد المسـؤولين الكبـار في الرايـخ الثالـث، وضابـط في إحـدى القـوات الخاصـة الألمانيـة المسـماة قـوات العاصفـة ولـد في ١٩ مـارس ١٩٠٦ ورحـل في ١ يونيـو ١٩٦٢ تعـود إليـه مسـؤولية الترتيبـات اللوجسـتية كرئيـس جهـاز البوليـس السـري جيسـتابو في إعـداد مسـتلزمات المدنيـين في معسـكرات الاعتقـال وإبادتهـم فيـما يعـرف آنـذاك في الحـل الأخـير.

(٢) جوزيـف منغليـه **יוזף מנגלה** (بالألمانيـة: Josef Mengele) (١٦ مـارس ١٩١١ -٧ فبرايـر ١٩٧٩)، والمعـروف أيضًـا باسـم مـلاك المـوت أو المـلاك الأبيـض. كان طبيبًـا وضابطًـا ألمانيًـا.

في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٧م، عن طريق الدكتور فريتز باور[١]، وهو قاض يهودي - ألماني، كان المدعي العام لولاية هيسن. حيث شكك بإمكانية طلب حكومة ألمانيا الغربية عدم تسليم أيخمان، وفضل نقل المعلومة لإسرائيل، فأرسل هاريل إليه شلومو كوهين-أبربانيل. الذي أخذ منه معلومات تفصيلية ووثائق، لكن باور رفض الإفصاح عن مصدرها.

تم إرسال رجل الموساد عمانوئيل تلمور[٢] إلى بيونس آيرس، بناء على الكتاب الذي أرسله باور، فوجد بيتا فقيرا في حي مهمل. في الموساد، شرحوا بأن النازيين الذين فروا إلى الأرجنتين شخصيات أسطورية، وتلمور أيضا لم يصدق بأن أيخمان يسكن هنا .

التقى كوهين-أبربانيل مع باور مرة أخرى، وقد وافق الأخير هذه المرة على الكشف عن مصدر معلوماته. كان هذا ألمانيا، ونصف يهودي، هو لوثر هيرمان، الذي هاجر إلى الأرجنتين بعد الحرب، حيث قال هيرمان ذاته، الذي كان أعمى، أن أحد أبناء أيخمان، وهو نيكولاس، قد أعجب بابنته.

أرسل هاريل إلى هيرمان ضابط الشرطة إفرايم إلروم[٣]،

---

(١) فريتز باور Fritz Bauer (١٩٠٣ - ١٩٦٨م): كان قاضيًا ومدعيًا يهوديًا ألمانيًا. لعب دورًا أساسيًا في القبض على مخطط الهولوكوست السابق أدولف أيخمان بعد الحرب العالمية الثانية.

(٢) عمانوئيل تلمور **עמנואל טלמור** (١٩٢٨ - ٢٠٠٢م): كان عضوا في المنظومة الأمنية الإسرائيلية، وقائدا في البلماح، ومسؤولا في جهاز الأمن العام والموساد.

(٣) إفرايم إلروم **אפרים אלרום** (١٩١١ - ١٩٧١م): كان ضابط شرطة إسرائيلي رفيع

الـذي سـافر إلى اجتـماع الإنتربـول في الأرجنتـين. فقـام إلـروم، موفد هاريـل الـذي نشـط بغطـاء ألمـاني، باسـتجواب هيرمـان وطلـب أن يقـوم يوسـف بالتحقيـق في الأمـر. أبـدى هيرمـان موافقتـه، لكـن المعلومـات التـي تـم نقلهـا، كانـت لا تـزال غـير مقنعـة بالنسـبة لهاريـل، الـذي أمـر بوقـف التواصـل معـه. فاشـتكى بـاور، الخائـب مـن انسـحاب هاريـل، لـدى صديقـه المستشـار القضـائي للحكومـة حاييـم كوهـين[1]. ونتيجـة لذلـك، أمـر بـن غوريـون هاريـل ببـذل المزيـد مـن الجهـد.

في فبراير/شـباط عـام ١٩٦٠م، غـادر تسـفي أهـاروني إلى بيونـس آيـرس، وتحقـق مـن التفاصيـل التـي نقلهـا هيرمـان: غـيّر أيخـمان اسـمه إلى ريـكاردو كليمنـت، وهـو يسـكن في شـارع غاريبالـدي.

اقتنـع هاريـل وأعطـى الأمـر، وخـلال خمسـة أسـابيع أبـصرت العمليـة النـور. تـرأس رافي إيتـان مجموعـة الخاطفـين، الذيـن كان جميعهـم مـن عنـاصر وحـدة العمليـات التابعـة للشـاباك، يرافقـه أهـاروني وتسـفي ملحـين وأبراهـام شـالوم[2]. اشـترك في العمليـة نحـو ثمانـين شـخصا، غالبيتهـم لا يعلمـون هدفهـا الحقيقـي، بمـن

وسياسي. اختطـف وقتـل مـن قبـل منظمـة إرهابيـة تركيـة، تحـت اسـم الجيـش الشـعبي لتحريـر تركيا.

(١) حاييـم هيرمـان كوهـين **חיים הרמן כהן** (١٩١١ - ٢٠٠٢م): كان محامـي وسـياسي إسرائيـلي، شـغل مناصـب وزيـر العـدل، والمدعـي العـام للدولـة، والمستشـار القضـائي للحكومـة، ونائـب رئيـس المحكمـة العليـا.

(٢) أبراهام (شالوم) بن دور **אברהם שלום** (١٩٢٨ - ٢٠١٤م): رئيس جهاز الأمن العام (الشاباك) في الفترة ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٦م.

فيهـم عنـاصر مـن الموسـاد وممثلـين عـن وزارة الخارجيـة وممثـلي شركات اقتصاديـة إسرائيليـة ومتبرعـين يهـود. وتـم شراء سـيارات وتزويـر أرقـام لوحاتهـا، وتـم تجهيـز شـقق مخفيـة. كـما طـار هاريـل إلى بيونـس آيـرس ووقـف عـلى التحضـيرات عـن قـرب.

كان التحـدي الأسـاسي هـو كيفيـة نقـل أيخـمان إلى إسرائيـل. وعـن طريـق الصدفـة، عـرف بأنـه سـتبدأ في الأرجنتـين في مايـو/ أيـار عـام ١٩٦٠م الاحتفـالات بمناسـبة مـرور ١٥٠ عامـا عـلى الاسـتقلال، وأن وزارة الخارجيـة سـتقوم بإرسـال وفـد للمشـاركة بالاحتفـال برئاسـة وزيـر الخارجيـة أبـا إيبـان. فطلـب هاريـل، دون كشـف السـبب، أن تغـادر البعثـة إلى الأرجنتـين بطائـرة خاصـة، لاسـتخدامها في طريـق عودتهـا بنقـل أيخـمان. حتـى وزيـر الخارجيـة لم يتـم إطلاعـه عـلى الـسر. لقـد مـرت العمليـة بسـلام وبـدون أيـة عراقيـل تقريبـا. وهكـذا، كانـت عمليـة «فينـالا» (العمليـة الأخـيرة)، والتـي كانـت بغالبيتهـا عـلى عاتـق هاريـل، الحـدث التأسـيسي للموسـاد. ومنـذ ذلـك الحـين تمـت روايتهـا آلاف المـرات في المقـالات والأفـلام والكتـب والمعـارض، وثبتـت أسـطورة الموسـاد كجهـاز اسـتخباراتي قـوي، غـير مقيـد، مسـتعد لـكل شيء، وفي كل مـكان في العـالم. ولا تـزال هـذه صـورة الموسـاد حتـى يومنـا هـذا.

فقـط في يوليو/تمـوز عـام ١٩٦٠م، بعـد إحضـار أيخـمان إلى القـدس، وعـلى خلفيـة ازديـاد العمليـات المعاديـة للسـامية حـول

العالم عامة وفي أمريكا الجنوبية خاصة، قرر هاريل أن ينشئ في الموساد وحدة قيادة صغيرة تحت اسم «عمل». وقد ترأسها كوهين-أبربانيل، حيث كان الهدف منها هو معالجة مشكلة معاداة السامية، والنازية الجديدة، ومجرمي الحرب النازيين. دون أن يتم تحديد شكل العلاج. وكان ممثل «عمل» في أوروبا هو أهاروني.

لكن، وبعد أن تم إنشاء «عمل»، فإن الأمر لم يرضي هاريل. وفي عام ١٩٦٢م، في ذروة البحث عن منغليه، أمر هاريل بالتوقف، وقاد العشرات من عناصر العمليات والتحقيقات للتركيز على تحديد موقع الطفل يوسيل شوماخر[١]، الذي تم اختطافه من إسرائيل من قبل أقربائه الحريديم، الذين عارضوا تربية والديه العلمانية، حيث تم تهريبه إلى فرنسا، ومن هناك إلى نيويورك. طلب مانور مساعدة أنغليتون، الذي قام بإقناع «إف بي آي» بالبحث عنه. وتم العثور على يوسيل وإعادته إلى والديه في إسرائيل. إن قرار هاريل، أن يشارك بنفسه في عملية البحث، أضاع الكثير من الوقت والمعلومات

(١) يوسيل شوماخر **יוסל'ה שוחמכר** (من مواليد عام ١٩٥٢م): إسرائيلي سوفييتي المولد، أصبح اختطافه عندما كان طفلًا في عام ١٩٦٠م سببًا رئيسيًا لانقسام المجتمع اليهودي الإسرائيلي. تم اختطاف شوماخر من قبل أجداده اليهود الأرثوذكس الحريديم لمنعه من تربيته على أنه يهودي علماني من قبل والديه، وعثر عليه في الولايات المتحدة بعد بحث دولي مكثف أجراه الموساد قبل إعادته إلى حضانة والديه. أدى اختطاف شوماخر إلى استقطاب كبير مبكر بين اليهود الإسرائيليين بسبب الخلافات بين اليهود الأرثوذكس الذين أيدوا الاختطاف إلى حد كبير، واليهود العلمانيين الذين عارضوا ذلك إلى حد كبير.

الهامة. وحتى بعد أن تم استئناف ملاحقة منغليه، لم ينجح الموساد بالوصول إليه. وفي عام ١٩٧٩م، غرق في البحر بالبرازيل وتم دفنه في مقبرة محلية بها. وبقي أمر موته سريا حتى عام ١٩٨٥م.

في أعقاب اختطاف أيخمان أخذوا يتلقون في الموساد معلومات كثيرة عن مجرمي حرب نازيين آخرين. أحدهم كان ألويس برونر[1]، مساعد أيخمان، والذي كان مسؤولا عن إرسال يهود النمسا واليونان وفرنسا إلى معسكرات الإبادة. وعلى الرغم من أن هاريل أوضح بأنه يجب الاكتفاء بالقبض على أيخمان ومنغليه، إلا أنه اقتنع «بمرور الوقت» بإضافته إلى قائمة الموساد. هذه المرة أيضا كان مصدر المعلومة هو المدعي باور، الذي نقل إن برونر موجود في دمشق.

بعد نهاية الحرب، فرّ برونر إلى مصر، ثم انتقل بعدها إلى سوريا، حيث اعتاش هناك من علاقته بالنظام وقدم لهم المشورة في مجال الأمن والجيش. وقد كان لديه جواز سفر ألماني، وشهادة سفر سوريا تحمل الاسم المستعار جورج فيشر، وتفاخر بشهادة «دكتور» مزيفة. وألقيت مهمة ملاحقته وتصفيته على عاتق كل من كوهين-أبربانيل وقائد «مفراتس» إسحاق شامير.

(١) ألويس برونر **אלואיס ברונר** (١٩١٢ - ٢٠٠١ أو ٢٠١٠م): هو ضابط نمساوي في الشوتزشتافل (SS) وعمل كمساعد لأدولف أيخمان.

كان لـدى الموسـاد صـورة قديمـة لبرونـر، وعنـوان شـقته في سـوريا ٢٢ شـارع جـورج حـداد ، والتـي اسـتخدمها أيضا كمكتـب لإدارة أعمالـه، فتـم تجهيـز صـورة بورتريـه خاصـة به، تـم إعدادها في مركـز أبحـاث «تحسـين الأوصـاف»، الـذي يعتمـد عـلى أوصـاف (ليسـت موثوقـة دائمـا) لشـهود ومسـاعدين. أحيانـا كان يكتـب أنـه «يبـدو غجـري الأصـل، نشـيط، هـادئ، وغـير مقيـد». وأنـه «لا يبـدو بصحـة جيـدة.. حـركات حـادة وعصبيـة، يعطـي انطباعـا بأنـه خائـف. مشـيته: سريـع الخطـى، منحنـي، يـداه طويلتـان متأرجحتـان، مشـيته تشـبه مشـية القـرد».

قبـل القيـام بتصفيتـه، طُلـب سـد الثغـرات في المعلومـات الـواردة عنـه، وإرسـال رجـل موسـاد إلى دمشـق يقـوم بجمـع معلومـات للعمليـة. اختـير للمهمـة عنـصر يبلـغ مـن العمـر ٣١ عامـا يلقـب ب «نـير». مـن مواليـد القـدس، انضـم إلى منظمـة «ليحـي». وجنـده شـامير عام ١٩٥٧م في الموسـاد وكان من مشـغليه المباشريـن. نشـط نـير بهويـة عربيـة في أوروبـا ودول عربيـة.

طـار إلى بـيروت في ٢٣ مايو/أيـار عـام ١٩٦١م، وفي اليـوم التـالي أكمـل إلى دمشـق، وبـدأ بمراقبـة منـزل برونـر، إلى أن اصطـادت عينـاه رجـلا ذو مظهـر أوروبي يدخـل ويخـرج مـن البنـاء، فقـام باسـتدراج عامـل الصحيـة (السـباك) في المتجـر المجـاور والـذي أخـبره بـأن الدكتـور فيـشر هـو الأوروبي الوحيـد الـذي يسـكن في البنـاء. دخـل نـير إلى البنـاء وحـدد بـاب الشـقة التـي يسـكن فيهـا

برونر وقرع الجرس. «وإذا برجل ذو هيئة أوروبية، بثياب الاستحمام، فتح له الباب». قال نير أنه يبحث عن السيد برادا. كان فيشر عصبيا وشكاكا، وبدأ باستجواب الغريب، وأصبح كلامه غير مفهوم. استغل نير الموقف وانسحب، مقتنعا أنه حدد هوية المطلوب.

بعد أن اكتملت معطيات العملية، جاءت المرحلة الثانية: «العقوبة»، أو بعبارة أبسط، بدأ التحضير لعملية التصفية. السلاح الذي تم اختياره، مغلف متفجر. استمرت التجهيزات على مدى أربعة أشهر، وكانت على عاتق الوحدة التقنية في هيئة الاستخبارات (أمان). وقد حفظ في أرشيف الموساد ورقة عليها ختم شامير مكتوب فيها: «ها أنذا أصادق على استلام القنبلة المضادة للأفراد من مخزن الأسلحة». سافر شامير إلى أوروبا، وأعطى المغلف لنير، ودربه، لكن كيفية نقل المغلف لبرونر بقيت حسب تقديرات نير بالتحديد، وفقا للأحداث والظروف في الموقع.

في يوم السبت، التاسع من سبتمبر/أيلول عام ١٩٦١م، عاد نير إلى دمشق. وقام بتركيب المغلف المتفجر في غرفته في فندق «العابدين». وقرر أن يطلب من عامل الصحية (السباك) إعطاء المغلف لبرونر. ولأنه تفاجأ بكون محل عامل الصحية مغلقا، توجه إلى جاره، صاحب محل أجهزة راديو، لكن الأخير رفض الطلب.

اختار نير طريقة أخرى للعمل. حيث ذهب إلى مبنى البريد المركزي. وقد تساءلت الموظفة في كوة الرسائل عن محتويات المغلف. فأجابها نير: «حسابات»، ثم دفع ثمن الطوابع، وغادر المكان.

سافر نير فورا في سيارة أجرة إلى بيروت، وبعد عدة ساعات صعد على متن رحلة متوجهة إلى فرانكفورت. واتصل بمشغله من ألمانيا. هكذا، قال شامير أثناء مقابلته مع مؤلف البحث، أنه سمع من نير بأن الرسالة ذهبت لهدفها، وأنه عاد بسلام من مهمته. وبعد ذلك بعدة أيام نشر في صحيفة «الحياة» اللبنانية أنه: «في يوم الأربعاء ١٣ سبتمبر/أيلول، في تمام الساعة ١٢ ونصف، سمع دوي انفجار في مبنى البريد في دمشق».

ورد في الخبر أن «رجلا غريبا» أصيب وتم إسعافه إلى المستشفى، حيث قال إنه استلم مغلفا مغلقا باسمه، وعندما شرع بفتحه، انفجر. أصيب برونر في عينيه ولكنه شفي بسرعة وعاد إلى حياته الطبيعية. وقد لخص مؤلف بحث الموساد قائلا: «ربما زادت مخاوفه قليلا، وربما ضعفت رؤيته قليلا، لكن بدون شك لم تكن هذه هي العقوبة التي كان يريدها من أرسلوا نير».

بسبب استياء الكثيرين في الموساد، لم يفعل هاريل شيئا أو حتى نصف شيء خلال السنة والنصف اللاحقة، من أجل مواصلة تحديد مكان مجرمي الحرب. على الرغم من أن خلفه

عميت، بحسب شهادته في بحث حن، أوضح أن: «الموساد قد ركز أكثر من اللازم على ملاحقة مجرمي الحرب النازيين». لكن على الصعيد الآخر، «هو لم يكن يريد ترك هذا الموضوع، لكنه سعى إلى تقليص نطاق النشاط».

دعا عميت إلى اجتماع للجنة رؤساء الأجهزة من أجل بحث الموضوع، شارك فيه أيضا كل من رئيس هيئة الاستخبارات (أمان) أهارون ياريف ورئيس الشاباك يوسف هرملين. وبعد المباحثات، وضعت لأول مرة في الموساد قائمة مجرمي حرب، تضمنت، بالإضافة إلى منغليه، أسماء اثنين من زعماء النظام النازي الذي لم يعرف مصيرهما حتى ذلك الوقت. هما مارتين بورمان[١] وهاينريش مولر[٢]، إضافة إلى هربرتس كوكورس[٣]، وهو جنرال لاتفي مؤيد للنازية. ووفقا للبحث، فقد كانت الملاحقة «كالذي يلاحق أشباحا».

كان بورمان، سكرتير هتلر ونائبه الغير رسمي، هو أهم مجرم حرب نازي، وقد اختفى أثره بعد الحرب. ومع مرور السنين، وصلت للموساد معلومات وأخبار بخصوصه، تم

(١) مارتين بورمان Martin Bormann (١٩٠٠ - ١٩٤٥م): سياسّي ألماني كان من أقوى القادة في ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية. كان المساعد الأوّل لأدولف هتلر، وساعد في وضع سياسة البلاد.

(٢) هاينريش مولر Heinrich Müller (١٩٠٠ - ١٩٤٥م): الزعيم الوطني لقوات الإس إس، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية كان ثاني أقوى رجل في ألمانيا النازية.

(٣) هربرتس كوكورس הרברטס צוקורס (١٩٠٠ - ١٩٦٥م): طيار لاتفي ومجرم حرب، من المشتركين في عمليات مع النظام النازي ومؤيد له.

تدقيقها جميعها، لكن دون جدوى. كما قام رجال الموساد بمراقبة زواج ابنته إيفا أوتا في ألمانيا، في يونيو/حزيران عام ١٩٦٢م، وأرسلوا أحد المتعاونين المحليين للمراقبة بجانب مدينة لوبومباشي في الكونغو، حيث كان يعيش ابن بورمان. وقد كان بين المخبرين الذين تم تشغيلهم هناك أيضًا عدد غير قليل من الكذابين والجشعين والحمقى والساذجين. أحدهم كان صحفيا ألمانيا، وافق على أن يكون مخبرا، يلقب في البحث باسم «زالوتشا». التقى في عام ١٩٧٩م مع شخصية رفيعة في الموساد، قامت بتجهيزه للسفر إلى أمريكا الجنوبية للبحث عن منغليه ومجرمي حرب آخرين، بينهم بورمان. لكن زالوتشا عاد فارغ اليدين.

في أبريل/نيسان عام ١٩٧٣م، أخبرت حكومة ألمانيا الغربية وزارة الخارجية الإسرائيلية وشرطة إسرائيل والموساد بشكل رسمي أن بورمان ونازيين آخرين قد ماتوا في برلين في ٢ مايو/أيار عام ١٩٤٥م. عندما فرّوا من ملجأ هتلر واصطدموا بالجنود الروس. وفي ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٧٢م، تم العثور في موقع بناء جدار برلين على هيكلين عظميين. أحدهما تم تأكيد هويته. بورمان التحري الآخر الذي باء بالفشل كان وراء هاينريش مولر، رئيس الغيستابو (البوليس السري الألماني). كان اسم العملية «زوجة كوسينوس». ففي أثناء التحقيق معه، سئل أيخمان مرات كثيرة عن مولر، وكان جوابه «مولر ليس

على قيد الحياة». لكن في الموساد، لم يصدقوه. وفي بداية الستينيات، وصلت معلومة تفيد بأن مولر حي، ويعيش في مصر باسم عبد المجيد أمين الألماني (نسبة دولة ألمانيا). وقد تمكن مسؤولو الموساد من الحصول على مذكرة مكتوبة بخط يده.

تم إرسال المذكرة إلى محلل الخطوط الدكتور أرييه نفتالي[1]، الذي كان يتم طلبه للعمل من حين لآخر من قبل الموساد. فقام بمقارنة كتابات مولر منذ عام ١٩٣٧م وتوصل إلى أن نفس اليد كتبت الرسائل والمذكرة. إلا أن هذا لم يكن صحيحا. في هذه الأثناء، تركز البحث على زوجة مولر، صوفي، وولديه راينهارد وإليزابيث. الذين يسكنون في ميونخ. وقد كتب في بحث الموساد: «كانت النية الدخول إلى بيت العائلة بشكل سري للبحث هناك عن الدلائل المطلوبة». وبهدف معرفة ما إذا كان هناك علاقة بين صوفي مولر ورجل يدعى كيث، كان يعيش في بنما ويشبه مولر في الصورة. ألقيت المهمة عام ١٩٦٦م على عاتق وحدة عمليات جديدة، بقيادة ملحين، عرفت باسم (كيشت) أو (نفيعوت)، وتم إعداد عناصرها لعمليات التعقب واقتحام المنازل. كان إقامة الوحدة عبارة عن منحة قدمها عميت للمؤسسة من جديد، ولتغيير وجوه الموساد. وحتى ذلك الوقت كانت الوحدة العملياتية التابعة

(١) أرييه نفتالي **אריה נפתלי** (١٩١٢ - ١٩٩٠م): كان خبيرا في خط اليد، وترأس مختبرات الطب الشرعي في شرطة إسرائيل، كما كان خبير الخطوط في الموساد.

للشاباك، هي المسؤولة عن الدخول السري. ونشط عناصرها بشكل أساسي في إسرائيل.

جمع عناصر «كيشت» في ألمانيا معطيات عملياتية على مدى شهرين، وراقبوا أحد أبناء مولر. لكن الدخول إلى المنزل استبعد مرة بعد مرة. وفي عام ١٩٦٧م، بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، تولى أهاروني القيادة على «متسادا» (قيسارية)، وبدأ بالدفع لتنفيذ محاولة اختراق. وقد قام أهاروني، الذي كان يكره هاريل، بإرسال رسالة إلى رئيس «تسومت» في أوروبا، إيتان، كتب فيها: «إن هاينريش مولر بالنسبة لأيخمان، مثل إيسر بالنسبة ل....». وقام بذكر اسم عامل صغير كان تابعًا لهاريل، لكن مؤلف البحث قام بمحو اسمه. تابع أهاروني: «وعليه، توجهت إلى مئير عميت، الذي قال إنه يجب القيام بجهد مركز وحسم الأمر لهنا أو لهناك». وهكذا حصل.

في ٢ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦٧م، عند الساعة ١٩:٥٤، دخل اثنان من عناصر «كيشت» (كان أحدهما هو يائير راحيلي) إلى شقة صوفي مولر. مع الاستعانة بمجموعتين إضافيتين، في كل واحدة منهما زوج من العناصر، كقوة للتأمين والمراقبة. لكن بمرور ست دقائق، شعر الجيران بالمقتحمين، وقاموا بطلب الشرطة. حاول الاثنان التمسك بقناعيهما المتخفيان تحتهما، على أنهما أشخاص عاديون، لكن المحققين

الألمان شكوا في أنهم من رجال الموساد. وبعد مرور يومين، تم نشر الحادثة في الصحف الألمانية.

كان عنصرا الموساد اللذين حددت هويتهما باسم «باروخ شور» و «دانيال غوردون». وقد زعما بأن أقربائهما قتلوا في المحرقة وأنهما نشطا ك «مواطنين عاديين» عملا من تلقاء نفسيهما. لكن وراء الكواليس، قام ناحوم أدموني، الذي كان آنذاك ممثل «تيفل» في أوروبا، بإبلاغ المخابرات الألمانية (بي ان دي BND) أن الموضوع «له علاقة بنا».

كانت حكومة ألمانيا وجهاز مخابراتها، منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا، متسامحين مع نشاط الموساد على أرضهم، وقدموا المساعدة هذه المرة أيضا. حيث قام رئيس ال «بي أن دي» ومؤسسه راينهارد غيلين[١]، الذي كان في ماضيه شخصية رفيعة المستوى في المخابرات العسكرية لألمانيا النازية، بوضع ثقله. فحكمت المحكمة عليهما بالسجن لمدة ثلاثة أشهر، لكن بعد مرور أقل من شهر على اعتقالهما، تم الإفراج عنهما. في عام ٢٠١٣م، ادعى المؤرخ الألماني يوهانس توخيل أن مولر مات في نهاية الحرب ودفن، مثل إيروني، في المقبرة اليهودية في برلين. ولم يتم العثور على أي تأكيد لهذه الفرضية.

(١) راينهارد غيلين Reinhard Gehlen (١٩٠٢ - ١٩٧٩م): أحد جنرالات الفيرماخت، كان في الحرب العالمية الثانية مسؤولا عن المخابرات على الجبهة الروسية. في أيام الحرب الباردة تجند لدى المخابرات الأمريكية للتجسس على الاتحاد السوفيتي. ثم أصبح أول رئيس لجهاز الاستخبارات الفيدرالي الالماني (BND).

منـذ بدايـة السـتينيات، تـم تحديـث قائمـة مجرمـي الحـرب النازيـين عـدة مـرات. حيـث أزيلـت منهـا أسـماء وأضيفـت أخـرى. كان أحـد هـذه الأسـماء هـو هربرتـس كوكـورس، الـذي لقـب ب «جـلاد ريغـا»، وكان المسـؤول عـن مـوت ثلاثـين ألفـا مـن يهـود لاتفيـا. وهـو أيضـا مجـرم الحـرب النـازي الوحيـد الـذي نجـح الموسـاد بتصفيتـه.

اعتـبر كوكـورس، الـذي ولـد عـام ١٩٠٠م، بطـلا قوميـا في بـلاده. فقـد كان طيـارا شـجاعا، ورائـدا في الطـيران، طـار في الثلاثينيـات عـلى طائـرات مـن صنـع يديـه. وفي بعـض الأحيـان، كان يطـير بمفـرده مـن لاتفيـا الى غامبيـا، عـلى الشـاطئ الغـربي لأفريقيـا.

عندمـا تأسـس في لاتفيـا الحـزب النـازي «صليـب البرق»، انضم إليـه كوكـورس، وكان مسـاعد رئيسـه. وعندمـا احتـل النازيـون لاتفيـا عـام ١٩٤١م، انضـم الى «أريـس كومانـدو»، التـي سـاعدت عنـاصره المخابـرات النازيـة الإس إس والغيسـتابو في إبـادة اليهـود، بمـا فيهـا الجيتـو (كلمـة «جيتـو» تُسْـتخدم بشـكلٍ خـاص للإشـارة لأحيـاء اليهـود في أوروبـا، وقـد أُقيـم أول جيتـو يهـودي في «رومـا» عـام ١٥١٦م) اليهـودي في ريغـا. لقـد قـام كوكـورس بالتنكيـل بضحايـاه، وكان يطلـق النـار عـلى اليهـود كـما طيـور البـط، وأرسـل أطفـالا مـن الأسـطح إلى موتهـم.

فـر كوكـورس بعـد الحـرب إلى فرنسـا، وانتحـل صفـة لاجـئ. واسـتلم شـهادة سـفر مـن القنصـل البرازيـلي في مرسـيليا ووجـد

له ملجأ في ساو باولو. وقد أسس هناك عملا مزدهرا، حيث حلّق بالسياح فوق الغابات الاستوائية. كما تزوج من امرأة محلية وحصل بفضلها على الجنسية البرازيلية، على الرغم من معارضة الجالية اليهودية لذلك. وما إن تم تحديد مكانه حتى بدأت وحدة «قيسارية» بقيادة يوسف ياريف بالتخطيط لعملية التصفية.

أثناء مباحثات لجنة رؤساء الأجهزة، اتضح أن عددًا من أبناء عائلة أهارون ياريف، الذي هاجر إلى إسرائيل قادما من لاتفيا، كانوا أحد ضحايا كوكورس. وقد ساهمت هذه الحقيقة في مصادقة عميت وإشكول على العملية. كان الرجل المفتاح في هذه العملية هو يعقوب (ميو) ميداد[1]، الذي انتحل صفة رجل أعمال نمساوي باسم أنطون كينتسله، حيث كتب في الكتاب الذي ألفه مع غاد شمرون[2] «تصفية جلاد ريغا: القصة الكاملة عن العلمية الإسرائيلية الوحيدة لتصفية مجرم الحرب النازي»، كيتر، ١٩٩٧م) وصف تسلسل الأحداث.

بعد حوالي أسبوع في البرازيل، حجز ميداد رحلة في إحدى طائرات كوكورس، ولمح له بأنه يريد الاستثمار في المشاريع السياحية في أمريكا الجنوبية. ومن أجل كسب ثقته، أخبره

(١) يعقوب (ميو) ميداد **יעקב (מיו) מידד** (١٩١٩ - ٢٠١٢م): كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي، وعميلا في المخابرات وجهاز الموساد وعنصر عمليات خاصة.

(٢) غاد شمرون **גד שמרון** (ولد عام ١٩٥٠م): هو صحفي وكاتب إسرائيلي، ومحلل لشؤون الأمن والاستخبارات والسياسة الدولية.

ميداد أنه حارب برتبة ملازم في الجيش الألماني وأصيب على الجبهة الشرقية، وأراه ندبة، هي في الحقيقة ناتجة عن عملية جراحية كان قد أجراها في إسرائيل.

أصبح الاثنان صديقين، وقام كوكورس بدعوة ميداد إلى منزله المؤمّن بحراسة جيدة. استمرت العلاقة عدة أشهر، تباحثا خلالها بالمشاريع السياحية المشتركة. وبالرغم من ذلك، فقد قام كوكورس الشكاك بتصوير ميداد خلسة وأرسل الصورة إلى زوجته، تحسبا لحدوث أي شيء له.

في البداية، فكر يوسف ياريف ورجاله أن يطلبوا من كوكورس التحليق بهم في الطائرة، وعندئذ تتم تصفيته وترمى جثته في البحر. لكن تم تأجيل الفكرة في المرحلة الأولية. ثم تقرر ألا تتم العملية على الأراضي البرازيلية، بسبب قانون عقوبة الإعدام المعمول به، وخوفا من أعمال انتقامية ضد الجالية اليهودية. وعندما خطط كوكورس وميداد الخروج للاستطلاع في عدد من دول أمريكا الجنوبية لتحديد أهداف سياحية محتملة، تحدد أن تنفذ العملية في مونتفيديو عاصمة الأوروغواي. من أجل إخفاء الوحدة الموكلة بالاغتيالات، قام ياريف بتشكيل طاقم خاص للعملية بقيادته. وقد جند في الطاقم موشيه (كوكلا) ليفين[١] الذي خدم في لواء المظليين

(١) موشيه ليفين **משה לוין** (١٩٣٦ - ١٩٩٤م): كان من كبار مسؤولي الموساد، ومن مخضرمي لواء المظليين وسييرت هيئة الأركان.

وفي «سييرت متكال» وعمل كباحث خاص. وسيكون في وقت لاحق قائد «كيدون»، وحدة العمليات الخاصة في الموساد. كما انضم إلى الطاقم أيضا كل من زئيف عميت وأليعازر سوديت-شارون[1].

كان سوديت أثناء خدمته في «إتسل» خبير متفجرات. سافر بعد خدمته في الجيش الإسرائيلي إلى فرنسا ومن هناك، في عام ١٩٥٢م، قام بتركيب قنبلة وأرسلها إلى مستشار ألمانيا كونراد أديناور، بهدف منع اتفاقية التعويضات، حيث انفجرت القنبلة وأسفرت عن موت حاملها. حكم على سوديت بالسجن لمدة أربعة أشهر، وطرد من فرنسا. وقد كتب في مذكراته، التي نشرت عام ٢٠٠٦م، أن قائد منظمة «إتسل» وحركة «حيروت» مناحيم بيغن كان متورطا بشكل شخصي فيما يتعلق باغتيال أديناور.

تمركز طاقم العملية في فيلا تم استئجارها في وقت سابق في شارع كارتاخينا، على مشارف المدينة. أرسل ميداد تذكرة طيران إلى كوكورس، الذي وصل إلى مونتفيديو. وفي ٢٣ فبراير/شباط عام ١٩٦٦م، خرجا لعملهما بسيارة تم استئجارها، من نوع «الخنفساء» صناعة فولكس فاكن. ووفق ما هو مخطط، توقف ميداد للتزود بالوقود في محطة وقود قريبة من الفيلا،

(١) أليعازر شارون سوديت **אלעזר שרון סודיט** (١٩٢٥ - ٢٠١١م): كان محاربا في منظمة «إتسل»، ورجل استخبارات إسرائيلي.

وبذلك أعطيت الإشارة للمراقب بأن الخطة تسير كما هو محدد. انتظر ثلاثة عناصر من المنفذين داخل الفيلا، مرتدين ملابسهم الداخلية فقط. لقد خططوا لقتل كوكورس بدون سلاح، ناري أم أبيض.

دخل ميداد أولا، وبعد أن انغلق الباب وراء كوكورس، هجم عليه الثلاثة وضربوه. وقد قام كوكورس، الذي كان ضخم الجثة، بالتصارع معهم ونجح في العودة باتجاه الباب وحاول فتحه.

في يوليو/تموز عام ١٩٩٧م، نشر في «يديعوت أحرونوت» مقابلة روى فيها ميداد ما جرى في الفيلا: «هاج كوكورس كالأفعى المجروحة، وحاول أن يسحب مسدسه من جيبه، وصرخ بالألمانية ‹دعوني أتكلم›. أخذ أحد الرجال مطرقة بنائين وضربه بها على رأسه، فسال الدم من كل الجوانب، وسقطت نظاراته على الأرض. استمر كوكورس بالهيجان، وأخذ المسدس بكل قوته. فأشهر أحد الرجال مسدسه وصوب على رأسه وقتله». وخلال المواجهة، استطاع كوكورس عض إصبع ياريف.

ثبتت بجانب جثة كوكورس ورقة فيها تفاصيل جرائمه ضد الإنسانية، ومختوم عليها عبارة «أولئك الذين لن ينسوا أبدا»، وتم وضع جثته في صندوق تم إعداده مسبقا.

لبس طاقم العملية وطاروا إلى باريس كما هو مخطط، ومن هناك اتصلوا مع وكالة صحفية وأبلغوها عن الجثة

ومكانها بالضبط. لكن محرر هذه الصحيفة لم يولي الأمر اهتماما. وعند مرور عدة أيام دون أن ينشر شيء، قرر الموساد الاتصال بالوكالة الإعلامية «AP» في بون. حيث تم نقل الخبر إلى الأوروغواي، وبسرعة تم العثور على الجثة.

وكما أمل مخططو العملية، أثار اغتيال كوكورس الرأي العام العالمي، وتراجعت حكومة ألمانيا الغربية عن نيتها تطبيق قانون التقادم على الجرائم النازية.

كان هناك اسم آخر على قائمة المطلوبين لدى الموساد، هو الدكتور هورست شومان[(١)]. وعلى ما يبدو، كان شخصية مهملة، ضابط ثانوي في ال «إس إس»، لكن بسبب أعماله تم تحديده لدى الموساد كهدف مهم. فقد قام مثل منغليه بتجارب تعذيب وحشية على البشر، وخاصة على أسرى يهود، وأحيانا بواسطة الأشعة السينية، بهدف تطوير أساليب التعقيم الشامل. ومن لم يمت أثناء التجربة، وبمعاناة كبيرة، تم إرساله إلى الأفران. ومن نجا بقيت لديه عاهة. في الفترة ١٩٣٩ - ١٩٤٠م اشترك شومان في خطة T4 - الموت الرحيم، لقتل كل ما يضر بالعرق الآري، وكان المسؤول عن مقتل ثلاثين ألف ألماني. وبعد نهاية الحرب، بقي في ألمانيا الغربية وعمل في الطب. وفقط عندما صدرت بحقه وثيقة توقيف في عام

(١) هورست شومان Horst Schumann (١٩٠٦ - ١٩٨٣م): كان طبيبا ألمانيا ومجرم حرب خدم كضابط في «الإس إس»، شارك في تجارب التعقيم الإجباري والإخصاء في معسكر الإبادة أوشفيتز، كما أجرى تجارب تعقيم جماعي على اليهود باستخدام الأشعة السينية.

١٩٥١م، فر إلى مصر ومنها إلى السودان، واستقر في غانا.

في عام ١٩٦٥م، خرجت قيادة «قيسارية»، ياريف ومعه كمحي وميداد، إلى أدغال غانا، وراء شومان (الاسم الحركي: فرونل)، وقد استعانوا بعالم إسرائيلي ساعدهم في إنشاء قصة التخفي كعلماء نبات كانوا يسعون لدراسة نباتات طفيلية. حيث وصلوا بواسطتي نقل إلى البلدة التي كان يسكن فيها شومان، وصوروا بيته والعيادة. جمع ياريف تقريرا شاملا حول الجولة الاستطلاعية وأخرج عدة اقتراحات لعمليات تصفية ممكنة. من بينها إرسال مغلف متفجر، لكن عميت قرر التخلي عن العملية. وقدر أنه بسبب ظروف الأدغال سيكون الانسحاب من المنطقة صعبا، وخاف على أمن العناصر.

بدلا من ذلك، كان لدى حكومة إسرائيل في تلك السنوات علاقة وثيقة مع رئيس غانا كوامي نكروما[١]، حيث طلبت أن يسلم شومان إلى ألمانيا الغربية، وهذا ما حدث بالفعل. فكان شومان أول شخصية نازية تعمل حكومة إسرائيل إلى تسليمها، بعد أن تم منع الموساد من تصفيته. وفتحت قضيته في عام ١٩٧٠م، وصدر الحكم بعد مرور عامين. لكنه أطلق سراحه مباشرة لأسباب صحية.

(١) كوامي نكروما (١٩٠٩ - ١٩٧٢م): من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار، وكان أول رئيس لغانا المستقلة، ورئيس الوزراء الأول، وأبرز دعاة الوحدة الأفريقية، وواحدا من مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية قبل إسدال الستار عنها في يوليو/تموز عام ٢٠٠٢م.

في ٣١ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٦٨م، التقى رئيس الحكومة إشكول مع تسفي زامير، الذي خلف عميت برئاسة الموساد. وتقرر في اللقاء أن الموساد لن ينشغل في ملاحقة النازيين، باستثناء بورمان ومنغليه. وبالفعل، أكد البحث، «أنه منذ عام ١٩٦٩م توقفت تقريبا بشكل كامل مشاريع عمليات ملاحقة هؤلاء المجرمين».

بدأ التحول، حرفيا، مع فوز حزب الليكود في انتخابات عام ١٩٧٧م، ومع تسلم رئيس الحكومة الجديد مناحيم بيغن مهامه. حيث طبع القرار ب/٤ للجنة الوزارية للشؤون الأمنية، لأسباب تتعلق بالسرية، على نسختين فقط: «تقرر توجيه كل من الموساد والاستخبارات والعمليات الخاصة لإعادة تفعيل عمليات البحث عن مجرمي الحرب النازيين، وبالأخص يوسف منغليه، بهدف إحضارهم إلى المحكمة في إسرائيل. وإن لم يكن هناك إمكانية لإحضارهم - قتلهم».

لأجل ذلك، قام الموساد بتغييرات هيكلية. حيث أنشئت ضمن «قيسارية» وحدة عمليات صغيرة باسم (مسار) برئاسة يوسف بورات[1]، وأعدت قائمة جديدة وطويلة مكونة من ١١ نازيا، ثم تم تقليصهم إلى تسعة، والذين عرفوا «بجرائمهم ضد الشعب اليهودي». وحدد أن» تصفيتهم ستكون تحت غطاء حزبي». صادق بيغن على القائمة، وبعد مرور ثلاث سنوات

(١) يوسف بورات **יוסף פורת** (١٩٢١ - ١٩٩٦م): كان أحد كبار مسؤولي الموساد.

حصـل تغيـير تنظيمـي آخـر، حيـث تـم نقـل تابعيـة كل مـن «مسـار» و «عمـل» إلى «بيتسـور».

تـم تجديـد قـرار بيغـن، بعـد 16 عامـا، وكذلـك أيضـا بالنسـبة للموسـاد ضـد ألويـس برونـر. وصـادق بيغـن لرئيـس الموسـاد إسـحاق حـوفي[1] (الـذي خلـف زامـير عـام ١٩٧٤م) أن يبـدأ بتجهيز عمليـة تصفيـة.

قـام بتأمـين المعلومـات للعمليـة عميـل جندتـه وحـدة «تسـومت»، يلقـب ب(الصلـب)، وهـو بوسـني مسـلم معـاد للنازيـة يعيـش في سـويسرا. أحـد أصدقائـه كان اليـاس درفيتـش (درويـش) العـز سـليمان، وهـو أيضـا بوسـني مسـلم، والـذي تعـاون مـع النازيـة خـلال الحـرب، وبعـد انتهائهـا فـر مـع عائلتـه إلى دمشـق. هنـاك سـليمان عـرف برونـر وأصبـح مـن الذيـن يـترددون إلى منزلـه.

أرسـل الموسـاد (الصلـب) عـدة مـرات إلى دمشـق، وجمـع معلومـات عـن برونـر، والمـرة الثالثـة كانـت في يناير/كانـون الثـاني عـام ١٩٨٠م بصفـة زيـارة عمـل في طريقـه إلى دول الخليـج، والتقـى ببرونـر أيضـا. المعلومـة الأهـم التي قدمهـا كانـت أن برونر مهتـم بالنباتـات الطبيـة، واسـتلم إصـدارات مـن «جمعيـة أصدقاء النباتـات الطبيـة» مـن مدينـة كارلشـتاين في النمسـا.

(١) إسـحاق حـوفي **יצחק חופי** (١٩٢٧ - ٢٠١٤م): هـو عسـكري إسرائيـلي عمـل مديـرا لجهـاز المخابـرات الإسرائيـلي الموسـاد بـين عامـي ١٩٧٤ - ١٩٨٢م.

وبناء عليه، قرروا في قيسارية تنفيذ «هجوم عن بعد». حيث ذهب في نفس الشهر رجل من وحدة «مسار» إلى كارلشتاين، ودخل الى مكاتب الجمعية، وجمع مواد توضيحية ومصنفات، وتوجه بعدها إلى فرع البريد وأرسل رسائل تجريبية إلى إسرائيل من أجل فحص رد الموظفين في الفرع. تمت التجربة بنجاح. وبالرغم من هذا، خشيت قيادة قيسارية من أن يقوم موظف البريد بفتح الطرد، لذلك تقرر إرسال مغلف، والذي يمكن وضعه في صندوق بريد خارج الفرع. تم تصغير حجم المادة المتفجرة بشكل ملائم. وقام كل من رئيس «قيسارية» شبتاي شافيت ونائب رئيس الموساد ناحوم أدموني بالمصادقة على العملية. قامت وحدة التكنولوجيا التابعة للموساد، والتي تم إنشاؤها قبل ذلك بعدة سنوات من أجل تصغير الشحنات المتفجرة في المخابرات، بتركيب الشحنة المتفجرة وإرسالها بالبريد الدبلوماسي إلى أوروبا.

في ٢١ مايو/أيار، خرج اثنان من رجال عمليات «قيسارية» إلى فيينا، وسافرا بسيارة استأجراها إلى كارلشتاين، من أجل وضع المغلف في صندوق بريد المدينة. لكنهما واجها معوقا، حيث كان المغلف واسعا، وانشق عند محاولة إدخاله في الصندوق. فحاول العنصران تبديل القطعة المشقوقة بقطعة أخرى كانا قد أحضراها معهما، وتركيب الشحنة المتفجرة بداخلها، وفي نهاية الأمر ذهب المغلف في طريقه.

مرت ستة أسابيع ولم ينشر أي شيء في وسائل الإعلام. وبناء عليه، قام عنصر من «قيسارية» يجيد اللغة الألمانية بالاتصال هاتفيا في ٢ يوليو/تموز ببرونر في دمشق، وقدم نفسه على أنه أحد أقارب العائلة، فأجابوه عبر الخط أن «هار فيشر» في المستشفى بسبب إصابته بيده. لكن غير معروف مدى خطورة الإصابة. وبعد مرور يومين اتصل عنصر الموساد الذي يجيد العربية بالمستشفى، وقدم نفسه على أنه صديق زوجة برونر. واتضح أن برونر قد أصيب بأصابعه، إصابة لا تمنعه من ممارسة حياته الطبيعية. كانت خيبة الأمل في الموساد كبيرة. لقد نجا للمرة الثانية. لكن بقي في قائمة الموساد أهداف أخرى. «شحيك عتساموت» الاسم الحركي لوالتر راوف، الذي كان مساعدا لراينهارد هايدريش[1]، رئيس (مكتب أمن الرايخ العام)، وقد كان راوف هو من طوّر غرف الغاز المتنقلة التي تم تمويهها كسيارات إسعاف وقامت بنقل وحدات التصفية في بولونيا والاتحاد السوفييتي أثناء المرحلة الأولى من تنفيذ عملية «الحل الأخير».

تم اعتقال راوف بعد الحرب، وقيل إنه سيحاكم في نورنبيرغ، لكنه نجح بالفرار إلى سوريا. وانضم هناك إلى مزيد من الضباط

---

(١) راينهارد هايدريش ריינהרד היידריך (١٩٠٤ - ١٩٤٢م): كان من كبار الشخصيات الألمانية في ألمانيا النازية الرسمية خلال الحرب العالمية الثانية، وواحدًا من أبرز مهندسي المحرقة. كان يحمل رتبة أوبر غروبن فوهرر، والقائد العام للبوليس، ومدير مكتب أمن الرايخ العام. كما خدم رئيسا للإنتربول، وترأس مؤتمر وانسيي الذي تشكلت بموجبه خطة «الحل النهائي» للمسألة اليهودية.

النازيـين، الذيـن وجـدوا فيهـا ملجـأ، وأصبحـوا مستشـاري الشـؤون الأمنيـة لقـادة الدولـة. وبعـد الانقـلاب العسـكري في عـام ١٩٤٩م هـرب راوف إلى إيطاليـا، ومنهـا تابـع إلى الإكـوادور.

أثنــاء وجــوده في إيطاليــا، وصــل الخــبر إلى دان أفنــي، نائــب شـالهيفيت فريـر[1]، رئيـس البعثـة العلميـة في رومـا، فأقـام فريـر علاقـة مـع راوف، وبمقابـل المـال استجوبه عـن الوضـع في سـوريا. وحقيقـة أن راوف كان مجـرم حـرب نـازي مطلوبـا لم تهـم فريـر. كان نصـب عينيـه أن تقديـم معلومـات عـن أعـداء إسرائيـل، هـو فـوق كل شيء.

عـلى غـير المعتـاد، لم يخـبر فريـر القيـادة في تـل أبيـب عـن علاقتـه بـراوف، إلا بعـد أن حصـل منـه عـلى معلومـات. والقيـادة لم توبخـه. اقـترح فريـر عـلى راوف الذهـاب إلى مـصر للاسـتثمار فيهـا ويكـون عميـلا لإسرائيـل.

لم يمانــع أيضــا راوف إقامــة علاقــة مــع اليهــود، بــل عــلى العكــس، رأى في العلاقــات مــع الاســتخبارات الإسرائيليــة نوعــا مــن شـهادة التأمـين ضـد تسـليمه، وربمـا حتـى تصفيتـه، لكنـه رفـض قبـول مهمـة مـصر، وتابـع بفكرتـه مـع ولديـه إلى أمريـكا الجنوبيـة. وقـد حافـظ فريـر، الـذي تـم نقلـه إلى سـفارة إسرائيـل في واشـنطن، عـلى التواصـل معـه حتـى عـام ١٩٥١م. ولفـترة، بـرر

(١) شـالهيفيت فريـر **שלהבת פריאר** (١٩٢٠ - ١٩٩٤م): كان عالمـا إسرائيليـا، وشـخصية رئيسـية في مجـال الطاقـة النوويـة في إسرائيـل.

فريـير، أن راوف لم يحـكي لـه عـن عملـه بتطويـر غـرف الغـاز المتنقلـة وقـدم نفسـه عـلى أنـه كان المسـؤول عـن تزويـر العملـة في قسـم التكنولوجيـا التابـع للغيسـتابو.

أقـام راوف في تشـيلي، وزار ألمانيـا الغربيـة عـدة مـرات بهويتـه الحقيقيـة. ولم يظهـر اسـمه عـلى عناويـن الصحـف إلا في عـام ١٩٦١م، عـلى خلفيـة قضيـة أيخـمان، الـذي أكـد أن راوف كان مسـؤولا عـن إبـادة مئـات آلاف اليهـود وإنشـاء غـرف الغـاز المتنقلـة. وفي أعقـاب ذلـك، طلبت حكومـة ألمانيا الغربية تسـليمه، لكـن تشـيلي كانـت في كل مـرة ترفـض الطلـب.

عـلى الرغـم مـن كل ذلـك، لم يكـن راوف ضمـن توجهـات الموسـاد، حتـى أكتوبـر عـام ١٩٧٧م بعـد توجيهـات بيغـن، حيـث أدخـل في قائمـة النازيـين الذيـن يتوجـب «معاقبتهـم». قبـل ذلـك، سـادت في وحـدة «مسـار» فكـرة أن راوف لم يكـن هدفـا بحـد ذاتـه، بـل بإمكانيـة الاسـتفادة منـه بمسـاعدة الموسـاد للوصـول إلى منغليـه.

بعـد فـترة معينـة، وبالتحديـد بمسـاعدة مصـادر مرئيـة ومتعاونـين يهـود، تبـين أنـه يملـك شركـة صيـد، «بيسـكارا كاميليو»، في سـانتياغو عاصمـة تشـيلي. فتوجـه الموسـاد إلى فريـير، الـذي كان مديـر الطاقـة الذريـة، مقترحـين عليـه تجديـد اتصالاتـه مـع راوف، وقـد وافـق فريـير دون تـردد. وكان مـن المفـترض أن يذهـب إلى أمريـكا الجنوبيـة مـع مايـك هـراري، لكـن في نهايـة الأمـر تقـرر

مسار آخر للعمل.

اتضح للموساد أن أحد مخبريه، وهو الصحفي الألماني زالوتشا، يستعد للسفر إلى أمريكا الجنوبية لأجل مقالات عن مجرمي حرب نازيين، فقام مشغله رافي ميدان بالتواصل معه ودربه. ضمّ زالوتشا إلى الرحلة أيضا صديقا هو: كارل وولف[1]، وهو جنرال في الإس إس، كان معاون هيملر[2]، وكان متورطا في إرسال يهود وارسو إلى تريبلينكا (معسكر إبادة)، ويهود إيطاليا إلى أوشفيتز. تمت محاكمته بعد الحرب وقضى عدة سنوات في السجن. لكن هذه المرة أيضا الغاية بررت الوسيلة، وانضم إلى رحلة الصحفي والجنرال النازي، وأحد عناصر الموساد أيضا. استمر جمع المعلومات الاستخباراتية لهؤلاء الثلاثة في ربيع عام ١٩٧٩م لمدة شهرين، حيث قدمت المعلومات التفصيلية المطلوبة عن حياة راوف اليومية. كان يسكن في زقاق مغلق مع امرأة تشيلية وكلب رعي تم فحصه بشكل خاص، ولم تكن لديه سيارة. كما التقى زالوتشا والجنرال وولف مع ابن راوف أيضا، الذي عمل في تجارة الأسماك مع والده.

بدأ في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٩م التحضير لعملية

(١)كارل وولف Karl Wolff (١٩٠٠ - ١٩٨٤م): هو سياسي وضابط ألماني، كان عضوًا في الحزب النازي، ويحمل رتبة عسكرية فريق أول، وأوبر غروبن فوهرر.

(٢) هاينريش هيملر Heinrich Himmler (١٩٠٠ - ١٩٤٥م): من أقوى رجالات أدولف هتلر وأكثرهم شراسة. قاد فرقة القوات الخاصة الألمانية والبوليس السري المعروف بالجيستابو وأشرف على عمليات إبادة المدنيين في معسكرات الموت الألمانية.

الاغتيال، التي حددت في ١٧ ديسمبر/كانون الأول. لكن الموعد تبدل، ورئيس الموساد حوفي، الذي راجع الخطة، طلب استكمالها. تحدد اليوم الجديد والذي لقب ب «نيروستا - فولاذ مقاوم للصدأ»، في ١٧ مارس/آذار عام ١٩٨٠م. وحدد أن يتمركز عناصر الموساد بشكل مسبق في باريس وكولونيا وبنما، وأن يبقوا بجانب الهواتف لاستلام أي معلومة من طاقم العملية. تم توزيع مهام القوة — القائد الذي يحمل السلاح، ومنفّذ آخر، ورجال التأمين، والرجال الذين سيستأجرون السيارة — كما وضعت خطة نقل العتاد.

موضوع آخر مهم تم الاتفاق عليه، كان كيفية عرض الحادث في وسائل الإعلام. حيث تم وضع مبدأين توجيهيين: «أ، هوية المجرم — كان هناك حاجة أن يبث للرأي العام العالمي، بأن الرجل الذي تم اغتياله كان مجرم حرب نازي، ومدان بعمليات قتل عشرات آلاف اليهود، ونجح حتى ذلك الوقت بالتملص من العقوبة. وكان من الضروري التأكيد أنه حصل باغتياله على الحكم العادل. ب، هوية المنفذين، وبما أن إسرائيل هي دولة مستقلة، وعضو في أسرة الأمم، لم تكن لتسمح لنفسها أن تبدو كمصدرة لمثل هذا النوع من الحكم، لكن كان عليها الاستعداد للسؤال ‹من فعل هذا؟›»

تقرر بعد المباحثات في قيادة «قيسارية» أن يقذف بخبر إلى الصحف ومعه صورة المجرم وسيرته الذاتية وتفاصيل جرائمه،

بالإضافـة إلى الختـم الـذي اسـتخدم سـابقا «أولئـك الذيـن لـن ينسـوا أبـدا».

في فـترة الانتظـار لبـدء العمـل، وضعـت نسـخ الخـبر في مغلـف غـير معروفـة هويتـه، وفيهـن مقـالات أهـم صحفيـي أوروبـا. كـما تـم لصـق الطوابـع أيضـا، وكان مـن المفـترض أن يقـوم عنـصر مـن المنفذيـن بإرسـالهن. بالتـوازي، تـم تحديـد صيغـة لنقـل الخـبر هاتفيـا. كان مـن المفـترض أن يتصـل ميـدان مـن هاتـف عمومـي مـع وكالات الأنبـاء في باريـس وبـون وبيونـس آيـرس. وكانـت التوجيهـات أن أيـة مكالمـة لا تزيـد عـن ثـلاث دقائـق.

تمـت مناقشـة طريقتـين محتملتـين للعمليـة: «تصفيته بمسـدس عـلى بـاب بيتـه، وإن لم تسـنح الظـروف، بإمـكان قائـد المجموعـة أن يقـرر الانتقـال إلى الطريقـة ب "حيـث يسـتطيع الطاقـم العمل في سـاحة المنـزل أو داخلـه، لكـن هـذا يتـم فقـط عنـد التأكـد مـن أن الهـدف «والـتر راوف» موجـود فيـه. عندئـذ فقـط بإمكانـه أن يشـهر سـلاحه ويقتلـه. وبالتـوازي، تـم فحـص الجوانـب التـي قدمـت لتأمـين القـوة وتـم وضـع شروط: «مهاجمـة أو إسـكات المـرأة، فقـط في حـال سـيكون هنـاك خطـر عملياتي».

قبـل نحـو أسـبوع مـن موعـد العمليـة، بـدأ المشـاركون بالوصـول إلى سـانتياغو مـن دول مختلفـة وبهويـات مختلفـة، بينهـم رئيـس «قيسـارية» شـافيت (الـذي كان وسـط تداخـل الأدوار مـع هـراري)، الـذي تـولى قيـادة العمليـة، ورئيـس الموسـاد

حوفي، الذي قام بفحص الجاهزية العملياتية. من بعد هذا غادر الاثنان تشيلي، وانتقل شافيت إلى بنما، حيث تم إنشاء مقر قيادة خلفي هناك.

قبل يوم من تنفيذ العملية، وصل بريد سريع فيه مسدسين اثنين. وفي اليوم التالي، ١٧ مارس/آذار، بعد الظهر، تم استئجار وسيلتي نقل والتخلص من كل شيء غير ضروري فيهما،

من بصمات الأصابع. حيث ارتدى طاقم العملية قفازات. مرة أخرى تم فحص محور الفرار، ونفذ فحص اتصال مع كل القوات على الأرض، وبقي الانتظار للمساء. تم إعداد «العقوبة» ذاتها لتنفيذها عندما يخرج والتر راوف من بيته. عندئذ، وبحسب قيادة رئيس الطاقم، من المفترض أن يقوم المنفذون بالهجوم عليه عند المدخل، والتراجع نحو السيارة والركوب فيها واستلام محور الانسحاب المحدد منذ البداية.

وصل المنفذان «صفنيا» ورفيقه ف، بالسيارتين، وخرجا منهما، وانتظرا راوف في أحد المتاجر خارج الشارع. لكن، ولسوء الحظ، لم يخرج راوف من بيته.

وبعد ساعة، غادر المكان كل المشاركين بالعملية، وقرروا إعادة المحاولة في اليوم التالي، وإن لم يظهر راوف هذه المرة، سيقتربون من بيته. وعندما فعلوا ذلك تم كشفهم. حيث خرجت إليهم المرأة التشيلية التي تسكن مع راوف وطردتهم

بصوت عال، ونبح الكلب بشدة. ولم يروا راوف. خشي العناصر إن اقتحموا المنزل مع كل هذا الذي حصل، أن تقوم المرأة باعتراضهم، ويضطرون لقتلها. فانسحبوا، وألغيت العملية.

كانت هذه العملية «العقوبة» الأخيرة لوحدة «قيسارية» أيضا. ومات راوف بعد أربع سنوات عن عمر ٧٨ عاما.

بعد عشرين عاما من ذلك، وفقا لما ورد في بحث الموساد، قال صفنيا أنه كان يجب الاستمرار بالعملية ومحاولة تنفيذ المهمة في موعد آخر. « نحن محتاجين لفعل ذلك، ونستطيع أن نفعله. وأنا كواحد من المؤسسة، قلت بأنني أستطيع فعل هذا لأجل التاريخ. يجب إعطاؤهم طلقة في الرأس، وهذا مخز أنهم على قيد الحياة».

بالتوازي مع الجهود الرامية لمحاولة تصفية راوف، حاول الموساد تحديد مكان مجرم حرب آخر. هو كلاوس باربي[(١)]، «سفاح ليون»، الذي كان يعيش في بوليفيا باسم كلاوس ألتمان. كان باربي ضابطا في الإس إس وقائد الغيستابو في ليون وفرنسا، وكان المسؤول عن موت آلاف اليهود. وقد قام بتعذيب المعتقلين اليهود بيديه، ومن بينهم نساء وأطفال.

بعد الحرب، حكم عليه في فرنسا بالإعدام، لكن المخابرات

(١) نيكولاس «كلاوس» باربي (١٩١٣ - ١٩٩١م): ضابط نازي، كان يعمل في صفوف قوات الجستابو (الشرطة النازية السرية) خلال الحرب العالمية الثانية. يعتبر مسؤولا عن الكثير من المذابح ضد المدنيين، وأطلق عليه لقب «سفاح ليون». وبعد الحرب، وظفته أجهزة المخابرات الأمريكية لجهوده المناهضة للماركسية وساعدته أيضًا في الهروب إلى بوليفيا.

العسكرية الأمريكية، التي استعانت به خلال الحرب في الحصول على معلومات عن مصادر شيوعية، ساعدته بالهروب والانضمام إلى «طريق الفئران»، وهي شبكة التهريب التي قامت بتهريب مجرمي حرب نازيين. وفي عام ١٩٥١م، هبط في الأرجنتين، ومن هناك انتقل إلى لاباز. ولاحقا، قامت «بي أن دي» بتجنيد باربي في خدمتها كعميل في بوليفيا. وفي عام ١٩٧٢م، بعد أن نشر في وكالات الأنباء العالمية أن «كلاوس ألتمان» هو «سفاح ليون»، طلبت حكومة فرنسا تسليمه. حيث تم اعتقاله في سنوات السبعين ثلاث مرات، وفي المرات الثلاثة تم إطلاق سراحه.

في سبتمبر/أيلول عام ١٩٧٧م، بدأ الموساد بالتحضير لعملية «أماديو» لتصفية باربي، وخرج اثنان من عناصر التنفيذ لجمع معلومات استخبارية للعملية في لاباز. وفي عام ١٩٧٨م، التقى هراري في أوروبا مع اثنتين من المتعاونات مع الموساد، اللاتي كنّ مشاركات بملاحقة باربي. حيث سمع منهن هراري بأن باربي يسكن في بناء مكون من ١٥ طابقا يدعى «ياسمين»، في منطقة ٢٠ أكتوبر. وكل طابق مكون من أربع شقق.

تم اقتراح طريقتين للعمل: زرع عبوة داخل المصعد، وتفجيرها بعد دخول باربي إليه، أو الإطلاق عليه من مسدس في البناء. ولأجل العملية، خرج في مايو/أيار عام ١٩٧٩م عنصران من «قيسارية» إلى بوليفيا، والتقيا مع هراري. وقد قاما بمراقبة

بـاربي لمـدة أسـبوع، وعنـد عودتهـما عـرض هـراري خطـة العمليـة. وصـادق عليهـا حـوفي. تـم تحديـد موعـد ١٧ يوليو/تمـوز، لكـن تـم تأجيلـه بسـبب الأولويـات العملياتيـة. وخـلال ذلـك حصـل انقـلاب عسـكري في بوليفيـا واختفـى بـاربي.

في يوليو/تمـوز عـام ١٩٨٢م، قبـل فـترة قصـيرة مـن إنهـاء مهامـه، صـادق حـوفي مجـددا عـلى عمليـة تصفيـة بـاربي، لكـن حـرب لبنـان التـي نشـبت قبـل شـهر مـن ذلـك، أدت إلى تأجيـلات أخـرى. ولم يخـرج عنـاصر «قيسـارية» ثانيـة إلى لاباز حتـى ينايـر/كانـون الثـاني عـام ١٩٨٣م، والتـي عـاد إليهـا بـاربي، مـن أجـل جمع المعلومـات عنـه.

في الوقـت نفسـه، ازداد الاهتـمام الـدولي ببـاربي، وفي نهايـة يناير/كانـون الثـاني عـام ١٩٨٣م، خضعـت حكومـة بوليفيـا للضغـوط الدوليـة، وتـم ترحيلـه إلى البـيرو بتهمـة التهـرب الضريبـي، ومـن هنـاك تـم تسـليمه لفرنسـا. هـزت محاكمتـه التي حظيـت بتغطيـة إعلاميـة واسـعة المجتمـع الفرنسـي، الـذي عـرف مـدى كـثرة تعـاون أبنـاء فرنسـا مـع النازيـين. وفي يوليو/تموز عـام ١٩٨٧م، حكـم عـلى بـاربي بالسـجن المؤبـد. ومـات في ديسـمبر/كانـون الأول عـام ١٩٩٢م بمـرض السرطـان في السـجن.

لم يخـف حـن، مؤلـف بحـث الموسـاد، خيبـة أملـه المـرّة مـن تراخـي الموسـاد بـكل مـا لـه علاقـة بملاحقـة مجرمـي الحـرب النازيـين، والتـي تـم إيقافهـا تمامـا، حتـى في القيـادة عـام ١٩٩١م.

عملاء في بلاد عربية

عندما تم تعيين مئير عميت رئيسا لهيئة الاستخبارات «أمان» مطلع العام ١٩٦٢م، وجد ضمنها وحدة صغيرة وسرية، قوامها عشرات من الجنود والضباط، ونادرا ما تم استخدامها. كان رقمها ٢٦٢، ولاحقا ٢٦٩، ثم أصبحت فيما بعد تعرف باسم «سييرت متكال» (وحدة استطلاع هيئة الاركان العامة).

أنشئت الوحدة في نهاية عام ١٩٥٧م، من لا شيء، بمبادرة من أفراهام أرنان[١]، الذي كان آنذاك بسن ٢٧ عاما. ولد أرنان في القدس لعائلة متدينة، وانضم إلى «الهاغانا» وخدم أثناء حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨) في كتيبة «هابورتزيم - المقتحمون» التابعة للبلماح، وبعد ذلك تم إرساله لحساب «منظمة الهجرة (ب)» إلى العراق. ليرجع في عام ١٩٥١م ويعود بعدها بعامين إلى الجيش الإسرائيلي، حيث تم إلحاقه بالقطاع الشمالي للوحدة ٥٠٤.

وبصفته من محبي التاريخ العسكري، فقد تأثر بشكل كبير بمآثر «جيش الأشباح»، وحدة الكوماندوز البريطانية

(١) أفراهام أرنان **אברהם ארנן** (١٩٣٠ - ١٩٨٠م): ضابط سابق في الجيش الإسرائيلي، ومؤسس «سييرت متكال» وقائدها الأول.

«SAS»، تحت قيادة الكولونيل ستيرلينج. وكان يحلم بإنشاء وحدة مماثلة في الجيش الإسرائيلي، تقوم بعمليات جريئة خلف خطوط العدو بالتوازي مع قيامها بجمع المعلومات الاستخباراتية.

عندما عرض الفكرة على كبار الضباط، قوبل باللامبالاة والازدراء. ولكنه لم يستسلم، وحصل في نهاية المطاف على موافقة رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» يهوشافات هاركابي. وقد اختار أرنان محاربي الوحدة وضباطها فردا فردا، واعتمد على توصيات الأصدقاء. حيث فضل المتحدثين باللغة العربية من الوحدة ٥٠٤، ولكن أيضا محاربين من المظليين. وتم تحديد قاعدة الوحدة في وسط البلاد. وأصبحت وحدة تحت قيادة وسيطرة رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» مخصصة للمهام الاستراتيجية لهيئة الأركان العامة، ومن هنا جاء اسمها (موشيه زوندر[1]، «سييرت متكال»، كيتر، ٢٠٠٦م؛ أفنير شور[2]، «عبر الحدود – سييرت متكال ومؤسسها أفراهام أرنان»، كينيريت، زامورا-بيتان، ٢٠٠٨م).

على مدى عشرات السنين، كانت «سييرت متكال» تعتبر وحدة المهام الخاصة البرية في الجيش الإسرائيلي (في ذراع البحر يوجد «شيطت ١٣» – الكوماندوز البحري) وحتى سنوات

(١) موشيه زوندر **משה זונדר** (ولد عام ١٩٦٥م): مراسل عسكري وكاتب وسيناريست إسرائيلي.
(٢) أفنير شور **אבנר שור** (ولد عام ١٩٥٣م): كاتب ومؤلف كتب تعليمية واحترافية إسرائيلي.

الثمانينيـات، كان خـبر وجودهـا محظـورا مـن النـشر مـن قبـل الرقابـة. وحتـى اليـوم، عندمـا نقـول «الوحـدة»، تكـون هـي المقصودة. وقـد كانـت بمثابـة نمـوذج يحتـذى بـه لإقامـة وحـدات عمليـات خاصـة إضافيـة، مثـل «شـلداغ» في سـلاح الجـو، وكذلـك في الشـاباك والموسـاد.

في الأيـام الأولى للوحـدة، تـم تدريـب أفرادهـا بشـكل أسـاسي وتكليفهـم بمهـام محـدودة ومتفرقـة. وقـد أبـدى عميـت اهتمامـا كبـيرا بالوحـدة وأدرك إمكانياتهـا، وتعـززت العلاقـة أكـثر عندمـا حـل محلـه أهـارون ياريـف كرئيـس لهيئـة الاسـتخبارات «أمـان». حيـث قـام كلاهـما بإرسـال طواقمهـا إلى مهـمات في بلـدان معادية، في البدايـة إلى لبنـان بشـكل أسـاسي، ثـم إلى مـصر وسـوريا أيضـا. وتحولـت مـن قـوة كانـت تتسـلل عـبر الحـدود سـيرا عـلى الأقـدام، إلى قـوة محمولـة عـلى آليـات ومروحيـات وطائـرات. وعـلى مـدى السـنوات، وصلـت «سـييرت متـكال» حتـى العـراق وتونـس.

كانـت معظـم عملياتهـا لمهـمات الاسـتخبارات - الولـوج إلى خطـوط الهاتـف، تركيـب معـدات التنصـت، اسـتبدال البطاريـات في الأجهـزة وغيرهـا. غـير أنـه كان يتـم مـن حـين لآخـر إرسـالهم في عمليـات كومانـدوز تهـدف إلى خطـف أعـداء أو تصفيتهـم، أو تحريـر رهائـن.

إلى جانـب عمليـات «سـييرت متـكال»، كان تحـت تـصرف عميـت وياريـف أدوات اسـتخباراتية إضافيـة، كان الغـرض منهـا

هـو الحصـول عـلى معلومـات دقيقـة ومحدثـة عـن جيـوش العدو. وكانـت المعلومـات تهـدف في المقـام الأول إلى تمكـين الحكومـة مـن فهـم قـدرات ونوايـا قـادة العـدو. فمنـذ أيـام عميـت، تـم التركيـز بشـكل كبـير عـلى مـا يعـرف بالتحذيـر مـن الحـرب.

تحقيقـا لهـذه الغايـة، قـام الموسـاد بتدريـب محاربـين، معظمهـم مـن اليهـود الإسرائيليـين ولكـن ليـس فقـط منهـم، وأرسـلهم إلى البلـدان المسـتهدفة بقصـص تغطيـة مختلفـة: سـياح أبريـاء أو صحفيـون أو رجـال أعـمال. وقـد تـم إرسـالهم في مهـمات تصويـر موانـئ ومطـارات ومراكـز تجمـع قـوات، وكذلـك لصالـح تجنيـد عمـلاء، أو لنقـل معـدات ضروريـة أو رسـائل إلى عمـلاء كانـوا يعملـون بالفعـل في الهـدف.

هـذا مـا فعلتـه سـيلفيا رافائيـل[١] أيضـا، وهـي ابنـة لأب يهـودي وأم مسـيحية، جـاءت مـن جنـوب إفريقيـا كمتطوعـة في كيبوتـس رمـات هكوفيـش. وقـد تـم العثـور عليهـا مـن قبـل الموسـاد وتدريبهـا لتكـون محاربـة في بلـدان مسـتهدفة. ونسـجت لهـا قصـة تغطيـة ملائمـة بشـخصية باتريشـيا روكسـبيرج، مصـورة صحفيـة كنديـة. وقـد أصـدر لهـا الموسـاد جـواز سـفر مـزور وتـم إرسـالها لفـترة تأقلـم في كنـدا، وعنـد عودتهـا بـدأت العمـل في بعثـات قصـيرة الأمـد في الـدول العربيـة.

---

(١) سـيلفيا رافائيـل **סילביה רפאל** (١٩٣٧ - ٢٠٠٥م): جاسوسـة إسرائيليـة، كانـت عضـوة لامعـة في فريـق «كيـدون» المخصـص للاغتيـالات والتابـع لجهـاز الموسـاد الإسرائيـلي، اعتقلـت في النرويـج لمشـاركتها بقتـل أحمـد بوشـيقي.

بين الوجهات التي أرسلت إليها كانت مصر، ثم أبحرت على متن يخت مع محارب «قيسارية» دان أربيل في مهمة لاستكشاف وتصوير الموانئ في لبنان وسوريا. فتم اعتقالهما من قبل الأجهزة الأمنية السوريا، لكنهما تمسكا بقصة التغطية الخاصة بهما، كسائحي يخوت بريئين، وبعد أيام قليلة تم إطلاق سراحهما.

العمليات من هذا النوع ليست بمنأى عن الفشل. وكل محارب قبل إرساله إلى بلد معاد يتم تدريبه لئلا يرتكب أخطاء، أحيانا عن غير قصد، مثل نطق كلمة باللغة العبرية أو حركة أو لباس قد يشير إلى أصله الحقيقي. لكن الخطر دائما كامن، حتى بالنسبة للجاسوس المثالي، بسبب أن الخصم في بعض الأحيان لا يكون أقل موهبة وذكاء منه.

هذا ما حدث لكل من إيلي كوهين وزئيف جور أرييه[١]، وكلاهما من أشهر محاربي الموساد. إلى أن تم القبض عليهما، قدم الاثنان معلومات قيمة حول القدرات العسكرية لسوريا ومصر، وحول عمليات صنع القرار وأيضا شائعات مثيرة حول الزعماء وقادة الجيش. كلاهما تم إرسالهما بهويات مزورة وتحت تغطية عميقة من أجل أن يقوما بالتحذير من الحرب. لكن في كلتا الحالتين، ارتكب مشغلوهما أكبر خطيئة لرجل استخبارات محترف: الإفراط في التشغيل وتعريض العميل

(١) زئيف جور أرييه **זאב גור אריה**: الاسم العبري للجاسوس الإسرائيلي «فولفغانغ لوتز».

للمخاطـر. وقـد فعلـوا ذلـك فقـط لأنهـم لم يتمكنـوا مـن مقاومـة الإغـراء.

الأسطورة.. إيلي كوهين

ولد إلياهو (إيلي) كوهين في الإسكندرية عام ١٩٢٤م. وفي أواخر العشرينيات من عمره، انتسب إلى شبكة التخريب للشبان اليهود في مصر المعروفة باسم «قضية العار». لحسن حظه، وبسبب الدور الهامشي الذي كان يشغله، لم تكن هويته معروفة لأعضاء الشبكة الذين تم اعتقالهم ولمشغلهم أفري إلعاد. فبقي كوهين في مصر لمدة عامين آخرين، ثم هاجر إلى إسرائيل بعد عملية سيناء. وبسبب إجادته للغات العربية والفرنسية والإنجليزية، فقد تم توظيفه في هيئة الاستخبارات «أمان» كمترجم.

في مايو/أيار عام ١٩٦٠م، على وقع التوترات الحدودية مع سوريا، قررت الوحدة ١٨٨ (١٣١ سابقا) تحسين تغطيتها الاستخباراتية. فعثر قادة الوحدة، بقيادة يوسف ياريف، على كوهين وعملوا بجد حتى نجحوا في إقناعه بالامتثال لمناشداتهم. وقد استمر تدريبه الأساسي لمدة نصف عام، وفي فبراير/شباط عام ١٩٦١م تم إرساله إلى الأرجنتين بجواز سفر فرنسي يحمل اسم جاك فيليكس روير. وبعد مضي ثلاثة أشهر ونصف، وصل ساعي بريد الوحدة إلى بوينس آيرس

وسلم كوهين هويته الجديدة: كامل أمين ثابت، رجل أعمال سوري.

وفقا لقصة التغطية التي أعدت لكوهين، فقد ولد ثابت في لبنان وهاجر إلى الأرجنتين، وقرر الآن العودة إلى الشرق الأوسط. لقد كان رجلا ثريا، وهي تغطية أجبرت هيئة الاستخبارات «أمان» على إنفاق مبالغ كبيرة. وبعد حوالي عام، اندمج خلاله كوهين في مجتمع المهاجرين السوريين وأثبت هويته، سافر إلى لبنان في عام ١٩٦٢م ومن هناك تم إدخاله بسيارة أجرة إلى البلد الهدف. مزودا بجهاز إرسال متطور وكذلك خطابات توصية من كبار أعضاء الجالية السورية في الأرجنتين، انتقل للعيش في حي فاخر في دمشق.

خلال وقت قصير نسبيا، أصبح صديقا لقادة عسكريين ومسؤولين حكوميين ووزراء، بل إنه اقترب جدا من دائرة أمين الحافظ[١] الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري وعين نفسه رئيسا لسوريا. وسرعان ما اكتسب كوهين سمعة كمنظم لأفضل الحفلات في المدينة. حيث كانت الويسكي والشمبانيا تسكب مثل الماء، وتم تقديم الحشيش بشكل

(١) محمد أمين الحافظ (١٩٢١ - ٢٠٠٩م): رئيس سوريا في الفترة (١٩٦٣ - ١٩٦٦م) ، ورئيس الوزراء (١٩٦٤ - ١٩٦٥م). كان قد تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٦م، وشارك في حرب ٤٨. شغل منصب وزير الداخلية بعد تسلّم حزب البعث الحكم في آذار/مارس عام ١٩٦٣م، وذلك قبل توليه رئاسة الجمهورية. شهد عهده توجهًا اشتراكيًا للاقتصاد. أُطيح به عام ١٩٦٦م بانقلاب قاده صلاح جديد وألقي القبض عليه قبل أن يفرج عنه بعد حرب ٦٧، عاش بعدها في المنفى في العراق، ثم عاد إلى سوريا بعد الغزو الأمريكي للعراق.

عـرضي واسـتئجار البغايـا لصالـح أصدقائـه ذوي النفـوذ عـلى حسـاب دافـع الضرائـب الإسرائيـلي.

وقـد آتى ذلـك ثمـاره. حيـث تمـت دعـوة كوهـين لزيـارة قاعـدة عسـكرية، وقـام بجولـة في المناطـق الحدوديـة مـع إسرائيـل في هضبـة الجـولان ورأى بـأم عينيـه المواقـع العسـكرية المحصنـة والدشـم. كـما تمكـن مـن الاسـتماع مـن مصـادر موثوقـة عـن منـاورات الجيـش السـوري وخططـه. وقـد تـم بـث كل معلومـة وثقهـا وتذكرهـا، بمـا في ذلـك أسـماء الطياريـن وأنـواع منظومـات الأسـلحة، عـبر إرسـال مـورس مشـفر إلى مقـر قيـادة في إسرائيـل. وكان مـن بـين مسـتقبلي الرسـائل أيضـا ضابـط الإشـارة موريـس كوهـين، الـذي لم يكـن يعلـم أن العميـل ٥٦٦ مـن دمشـق هـو شـقيقه.

عندمـا كان إيـلي كوهـين يـأتي مـرة في السـنة لقضـاء إجـازة في إسرائيـل، كان يخـبر أفـراد عائلتـه أنـه قـد تـم توظيفـه في منصـب مديـر مشـتريات في الخـارج لصالـح وزارة الدفـاع. لكـن موريـس اكتشـف مـا كان يفعلـه شـقيقه حقـا في أعقـاب رسـائل بـث عـن زوجتـه ناديـة. وعندمـا لاحـظ علامـات القلـق عـلى إيـلي عنـد لقائهـما، حـاول إقنـاع قادتـه بـأن يوقفـوا تشـغيله ويعيـدوه إلى إسرائيـل. وردا عـلى ذلـك، تقـرر في الوحـدة أن موريـس يشـكل خطـرا أمنيـا، وتـم عزلـه مـن منصبـه.

خـلال ثـلاث سـنوات من نشـاطه في دمشـق، تم نقل المسـؤولية

عن تشغيل كوهين من هيئة الاستخبارات «أمان» إلى الموساد، وتحديدا وحدة «قيسارية»، التي استوعبت في صفوفها كلا من الوحدة ١٨٨ ووحدة «مفراتس». كما واصل يوسف ياريف أيضا قيادة الوحدة حتى بعد الاندماج. وكان مشغل كوهين هو جيداليا خلف، الذي كان يلتقي به في سويسرا.

اشتكى كوهين عدة مرات من قلقه بشأن الضغوط التي يتعرض لها لتقديم المزيد والمزيد من المعلومات، لكن مخاوفه لم تلق آذانا صاغية. وفي الشهرين الأخيرين من عام ١٩٦٤م، زاد مشغلوه من مطالبهم. فازدادت وتيرة بثه، وفي نفس الوقت تضاءلت يقظته ويقظة من أرسلوه في تل أبيب.

وهكذا، على سبيل المثال، أرسل كوهين بثا تحدث فيه عن قرار اللجنة المسؤولة عن المصالحة بين قادة حزب البعث والجيش. فأحالت هيئة الاستخبارات «أمان» النبأ إلى إذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية، التي أذاعته في صباح اليوم التالي. وقد كان النشر قبل نصف ساعة من الإعلان الرسمي الذي بثته إذاعة دمشق. فبدأ كبار أعضاء القيادة السوريا والاستخبارات يدركون أن هناك جاسوسا يعمل بينهم. ومن ناحية أخرى، قال موتي كفير، الذي كان رئيس وحدة التدريب في قيسارية التي دربت المحاربين على مهماتهم، أنه حذر كوهين من التميز: «لا تكن محور الحفلة. ابتعد عن الأنظار». وقال إن كوهين لم يستمع لنصيحته.

حتى يومنا هذا لا يعرف ما إذا كان هناك شيء واحد تسبب في اعتقال كوهين من قبل المخابرات الوقائية السوريا. والفرضية الأكثر منطقية هي أن كوهين ومشغليه لم يكونوا يعرفون أنه قد تم تزويد السوريين في ذلك الوقت بمعدات تحديد مواقع مبتكرة، كان يديرها مستشارون سوفييت. وبمساعدتها، تمكنوا من اعتراض البث، ثم في نهاية المطاف تحديد موقع المنزل الذي تم إرساله منه. حيث قاموا باقتحامه في أواخر يناير/ كانون الثاني عام ١٩٦٥م وألقوا القبض على كوهين «متلبسا» أثناء بث إرسال بشيفرة مورس.

رواية أخرى عن ملابسات اعتقاله قدمها نوعام نحمان تيبر، مؤلف كتاب «إيلي كوهين - ملف مفتوح» (إيفي ملتسر، ٢٠١٧م). حيث قال إن كوهين لم يتم اعتقاله أثناء بث إرسال وإنما في سريره، وبعد تفتيش منزله تم العثور على جهاز الإرسال. وبتقدير تيبر، فإن الأجهزة الأمنية السوريا قد تعقبته بعد اجتماعه مع ماجد شيخ الأرض، وهو عميل سوري لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إي» كان تحت المراقبة. حيث كان مطلوبا من كوهين جمع معلومات عن مجرمي الحرب النازيين، وقد سمع من شيخ الأرض عن ألماني اسمه «روزوليو».

كان روزوليو هو فرانز رادماخر[1]، وهو دبلوماسي نازي تم

(١) فرانز رادماخر Franz Rademacher (١٩٠٦ - ١٩٧٣م): كان دبلوماسيا ومحاميا نازيا،

إرساله في عام ١٩٤١م إلى بلغراد، عاصمة يوغوسلافيا. ولدى عودته إلى برلين، قدم حسابا بالنفقات كان يوضح الغرض من رحلته: «إبادة يهود بلغراد». وفي خمسينيات القرن الماضي، تمت محاكمته في ألمانيا الغربية وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وعند الإفراج عنه سافر إلى سوريا. وهناك، من بين أمور أخرى، عمل كعميل لدائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية «بي إن دي». لم يظهر رادماخر في أي من قوائم الاغتيال الخاصة بالموساد، لكن كوهين لم يكن يعلم بذلك، وجاء برفقة شيخ الأرض لمقابلته.

عندما علموا في «قيسارية» بأمر اعتقال كوهين، أمر عميت بمساعدته دون الكشف عن وجود تقارب بينه وبين إسرائيل. فتم توكيل محام فرنسي للدفاع عنه. وتم تحريض قادة من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك البابا، للمطالبة بالإفراج عنه. كما تم نقل رسائل تهديد إلى السلطات في دمشق لعدم فرض عقوبة الإعدام بحقه. ولكن عبثا. ففي ١٨ مايو/أيار عام ١٩٦٥م، تم إعدام كوهين شنقا في ساحة المرجة بدمشق. ومنذ ذلك الحين، بذلت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية وحكوماتها جهودا لتحديد مكان قبره وإحضاره ليدفن في إسرائيل.

في عام ٢٠١٨م، سلم رئيس الموساد يوسي كوهين(١) أرملة

وضابط في «الإس إس» برتبة أوبرستورمفهرر، وقد شغل خلال الفترة ١٩٤٠ - ١٩٤٣م منصب رئيس القسم اليهودي في وزارة خارجية ألمانيا النازية.

(١) يوسي كوهين **יוסי כהן** (ولد عام ١٩٦١م): هو يوسف (يوسي) مئير كوهين، ضابط

إيـلي كوهـين، ناديـا، قطعـة كانـت تخـص زوجهـا: سـاعة اليـد التـي كان يرتديهـا. حيـث تمكـن أفـراد الموسـاد مـن شراء سـاعة اليـد القيمـة، التـي تـم شراؤهـا في ذلـك الوقـت خـلال اجتـماع بـين كوهـين وخلـف في سـويسرا كجـزء مـن بنـاء قصـة التغطيـة الخاصـة بكوهـين كرجـل أعـمال ثـري.

تـم الكشـف عـن تفـرع آخـر لقضيـة إيـلي كوهـين في التسـعينيات، مـع نـشر قصـة مسـعود بوتـون. ففـي عـام ١٩٥٤م، تـم تجنيـد بوتـون المقـدسي، الـذي كان عضـوا في منظمة «إتسـل»، في الوحـدة ١٣١ وتـم تكليفـه بالعمـل كمحـارب بهويـة مـزورة في لبنـان وسـوريا. وقـد تـم إرسـاله إلى إيطاليـا ومـن هنـاك إلى الجزائـر، التـي كانـت تحـت الحكـم الفرنـسي، مـن أجـل أن يصبـح مصطفـى طالـب، وكيـل شركات أوروبيـة لمنتجـات مختلفـة، بمـا في ذلـك مضخـات الميـاه (مسـعود بوتـون، روني شـاكيد، «مـن القـدس إلى دمشـق وبالعكـس - عميـل الاسـتخبارات وراء الخطـوط»، لافي ب. انتربرايـز، ٢٠١٣م).

في إيطاليـا، حـدث بالفعـل أول خلـل في العمليـة. حيـث وقـع بوتـون في حـب امـرأة إيطاليـة، التقـى بهـا في الفنـدق الـذي كان يقيـم فيـه. مـا أغضـب مشـغليه في الوحـدة، لكـن ليـس أكـثر مـن ذلـك، ولم يبلغـوا زوجتـه، التـي بقيـت مـع أطفالهـما في إسرائيـل. وقـد تـزوج بوتـون مـن تلـك الإيطاليـة، بعـد اعتناقهـا الإسـلام.

استخبارات وأمن إسرائيلي، شغل منصب رئيس الموساد بين عامي ٢٠١٦ - ٢٠٢١م.

لـدى وصولـه إلى الجزائـر، تقـرب بوتـون مـن زعـماء الحركـة السريـة «جبهـة التحريـر الوطنـي FLN»، وقـام بتصويرهـم وجمع المعلومـات عنهـم، حيـث نقلـت هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» هـذه المـواد إلى الاسـتخبارات الفرنسـية. وفي عـام ١٩٥٨م، تابـع كـما هـو مخطـط لـه إلى لبنـان، حيـث تمكـن مـن تكويـن صداقـات مـع وزيـر الخارجيـة ومـع رجـال أعـمال بارزيـن، وقادتـه هـذه العلاقـات أيضـا إلى زيـارة سـوريا. وقـد قـام بإرسـال المعلومـات التـي حصـل عليهـا عـبر بـث مشـفر إلى مقـر قيـادة في تـل أبيـب. ومـن بـين أمـور أخـرى، تمكـن مـن وضـع يديـه عـلى مخططـات المطـار الـدولي الجديـد الـذي يجـري بنـاؤه في بـيروت. حيـث تـم اسـتخدام هـذه المخططـات، بعـد حـوالي ١٥ عامـا، في التخطيـط للعمليـة التـي دمـر فيهـا الجيـش الإسرائيـلي طائـرات في المطـار.

في عـام ١٩٥٩م، طلـب مشـغلو بوتـون منـه الحصـول عـلى وثائـق تسـمح ببنـاء هويـة أخـرى. فنفـذ المهمـة وأرسـل الوثائـق الخاصـة بكامـل أمـين ثابـت - الهويـة التـي تـم منحهـا لإيـلي كوهـين. وقـد ادعـى بوتـون أنـه بعـد ذلـك بفـترة، قـام بإبـلاغ مقـر القيـادة أنـه تـم العثـور عـلى «إشـكالية» في الوثائـق وأنهـا يمكـن أن تعـرض أي شـخص يسـتخدمها للخطـر. ووفقـا لروايـة بوتـون، فإنهـم لم يلتفتـوا لتحذيـره، وبالتـالي سـاهموا، برأيـه، في كشـف كوهـين.

لكـن حتـى قبـل أن يتـم كشـف كوهـين، كان هنـاك خـلاف بـين بوتـون ومشـغليه لأسـباب ماليـة. حيـث توقـف عـن عملـه، وأبلـغ

زوجته الثانية أنه ليس الشخص الذي كان يتظاهر كونه مسلما وعاد إلى عائلته في إسرائيل. ثم اشتد الصراع مع مشغليه، فما كان من بوتون، الذي شعر بالغضب وبأنهم تخلوا عنه، إلا أن غادر إسرائيل وانتقل إلى فرنسا مفلسا. وعلى مر السنين، حاول مقاضاة الموساد بسبب إهانته والمال الذي ادعى أنه يستحقه، لكنه فشل. وقد ادعى مئير عميت في عام ٢٠٠٦م أن بوتون هو «كاذب مريض»، ثم اضطر لاحقا إلى الاعتذار. توفي بوتون عام ٢٠١١م.

لوتز.. جاسوس الشمبانيا

بعد خمسة أسابيع من اعتقال كوهين في دمشق، تم في القاهرة اعتقال محارب آخر من «قيسارية»، هو زئيف جور أرييه، الذي لقب ب «جاسوس الشمبانيا» و «الجاسوس على الحصان». ولد زئيف في برلين عام ١٩٢١م تحت اسم فولفغانغ لوتز، لأم يهودية وأب غير يهودي، ولم يتم ختانه. كان والده مخرجا مسرحيا، وقد انتحر عندما كان لوتز في الثانية من عمره. وبعد وصول النازيين إلى السلطة، في يناير/كانون الثاني عام ١٩٣٣م، جاء لوتز مع والدته إلى إسرائيل. حيث تلقى تعليمه في القرية الشبابية بن شيمن، وكان حارسا في الشرطة البريطانية. وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية، تطوع في الجيش البريطاني. وكمتحدث باللغة الألمانية، تم إلحاقه بوحدة استخبارات في مصر، بوظيفة محقق مع الأسرى. لقد تمكن من إتقان اللغة الإنجليزية وتعلم بعض العربية، وشارك في التحقيق مع الجنود الألمان الذين كانوا يحاربون في الصحراء الغربية. وأثناء خدمته في مصر، تعرف لوتز أيضا على زوجته ريفكا ميركيز، التي كانت عاملة مقسم هاتف (سنترال) في مقر الجيش البريطاني في القاهرة.

شارك في حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، ثم اتبع بعدها دورة ضباط مشاة وخدم في لواء جولاني. كما عبرن اسمه آنذاك أيضا ليصبح زئيف جور أرييه. وفي عام ١٩٥٨م، تم تسريحه من الجيش برتبة نقيب. وقد عاشت عائلته في يافا، حيث أسس شركة لنشر وتوزيع الكتب، لكن العمل لم يسر على ما يرام. وفي أواخر الخمسينيات، التقى جور أرييه مع أحد معارفه، عضو في الشاباك، وبعد اللقاء توجه إلى هيئة الاستخبارات «أمان» وعرض خدماته. وقد كان أبراهام شالوم أحد الذين أوصوا به.

تم تجنيد جور أرييه في الوحدة ١٨٨، وخلال تدريبه خضع لسلسلة من الاختبارات، الجسدية والعقلية. وقد كتب أحد الذين قاموا بفحصه: «تبدو القدرة على تحمل التعذيب لديه ضعيفة... إنه من النوع الذي يحب نفسه ويهتم بنفسه لدرجة أكبر من أن يتحمل المعاناة. ضعيف أمام الألم والتهديدات... لديه مشاكل في السيطرة على شغف النساء والنبيذ». كما تم تشخيصه بأنه «طائش» و «يجد صعوبة في تكوين علاقات بريئة». على الرغم من ذلك، وبالأخص بسبب أن الآراء الأخرى كانت جيدة، تم قبوله في المهمة. وقد قال عنه مشغله يعقوب نحمياس(١): «كان لديه أعصاب حديدية.

(١) يعقوب نحمياس **יעקב נחמיאס** (١٩٢٢ - ٢٠٠٦م): كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي، خدم في مجموعة متنوعة من الوظائف في هيئة الاستخبارات والموساد، من بينها قائد الوحدة ٥٦٠ وقائد وحدة حتساف.

لقـد كان قـادرا عـلى النظـر في عينـي مـلاك المـوت وشرب كأس معـه».

أطلقـوا عليـه في الموسـاد اسـم فولفـي مـن بـاب المـودة، أمـا الاسـم الحـركي الـذي أعطـي لـه فـكان «شمشـون». ومثـل كوهـين، كذلـك جـور أرييـه كان مـن المفـترض أن يكـون وسـيلة تحذيـر. فوفقـا لأمـر العمليـة الصـادر في يونيو/حزيـران عـام ١٩٦٠م، كانـت وظيفتـه هـي التسـلل إلى مـصر لفـترة طويلـة مـن الزمـن، والوصـول إلى موقـع يمكنـه مـن خلالـه الحصـول عـلى معلومـات والتحذيـر مـن خطـط شـن حـرب ضـد إسرائيـل. ولنسـج قصـة التغطيـة، عـاد جـور أرييـه إلى اسـمه الألمـاني وأصبـح ضابطـا في الفيرماخـت حـارب في الصحـراء الغربيـة ضمـن جيـش رومـل[١]، ثـم هاجـر بعـد الحـرب إلى أسـتراليا حيـث أصبـح غنيـا مـن تجـارة الخيـول. وقـد جـاء إلى مـصر لإنشـاء مزرعـة لتربيـة الخيـول.

قـال قائـد الوحـدة، ياريـف، أن لوتـز كان يخـشى مـن أن خدمتـه في الجيـش البريطـاني في مـصر قـد تشـكل عائقـا في طريقـه. «اقترحـت عليـه الذهـاب في جولـة إحـماء في ليبيـا. وفي النهايـة ذهـب لمـدة ثلاثـة أسـابيع إلى دمشـق وخمسـة أسـابيع إلى القاهـرة، مـن أجـل أن يتعـرف عـلى الخيـول العربيـة. وعندمـا عـاد مـن الجولـة كان مليئـا بالثقـة». كان العقـد الموقـع معـه لمـدة

(١) إرفين رومل Erwin Rommel (١٨٩١ - ١٩٤٤م): ضابط عسكري ألماني نازي، كان يلقب بثعلب الصحراء. حصل على رتبة مشير أثناء الحرب العالمية الثانية في شمال أفريقيا.

خمس سنوات مع إمكانية التمديد أو الإلغاء بإشعار مدته شهر مسبقا. وبالإضافة إلى راتبه، حصل على حساب للنفقات، ٣٥٠ دولارا شهريا وجنيه إسترليني آخر يوميا، تعويضا عن الإقامة في دولة معادية.

انتقل لوتز وزوجته وابنهما عوديد ابن ال ١١ عاما إلى باريس، وفي مطلع عام ١٩٦١م بدأ مهمته. حيث أنشأ بالقرب من القاهرة مزرعة خيول، أصبحت مركز جذب للكثيرين. وقد تقرب لوتز بسهولة من أبناء الجالية الألمانية في المدينة وكذلك من أفراد الجيش والشرطة. وأحد أصدقائه المقربين كان الجنرال غراب، وهو ضابط كبير في الشرطة. وفي كل مرة كان يعود من رحلة في أوروبا، كان لوتز يحضر له الهدايا، بما في ذلك غسالة ملابس، وبالمقابل كان الضابط يحرص ألا يطلب منه أبدا فحص الجمارك. وبهذه الطريقة، تمكن أيضا من أن يدخل إلى مصر جهاز الإشارة الذي كان يبث بواسطته لمشغليه في تل أبيب، حيث كان مخبئا ضمن ميزان محفوظ في درج بشقته. وخلال رحلاته إلى أوروبا، كان يمضي بعض الوقت مع عائلته ويلتقي مع مشغليه، نحمياس ولاحقا أرييه سيفان.

في إحدى الرحلات، التقى لوتز على متن القطار مع فالتراود (تيدي) نويمان، وقدم لها نفسه وفق قصة التغطية الخاصة به. كان عمره ٤١ عاما، وهي كانت في الثلاثين من عمرها. وقد أخبرت فالتراود صديقتها المقربة أنها قابلت «رجل

أحلامها»؛ قالت إنه في إحدى لقاءاتهما شرب الشمبانيا من حذائها. وبعد أسبوعين تزوجا وانضمت إليه في القاهرة.

علم مشغلو لوتز بالأمر عن طريق الصدفة. حيث قال ياريف: «في أحد الأيام، تلقينا رسالة منه. داخل الرسالة كانت هناك بطانة سوداء لمنع المتلصصين من قراءة النص المكتوب. وقد كانت البطانة ممزقة بعض الشيء واكتشفنا أنها تحمل عنوانا غير مكتمل، تمكنا أن نميز منه عبارة ‹السيدة والسيد لوتز›». سارع الموساد إلى استدعاء «شمشون» لاجتماع توضيحي في إسرائيل. وسأله ياريف بسذاجة: «كيف حال السيدة؟» فأجاب لوتز: «شكرا جزيلا لك، كل شيء على ما يرام».

قال ياريف أن لوتز كان يميل إلى إخفاء الأشياء، لكن عندما تتم مواجهته بالحقائق، فإنه يسارع إلى تأكيدها. وهذا ما كان هذه المرة أيضا. كان زواجه المزدوج وإخفاؤه سببا كافيا لإلغاء المهمة على الفور وإعادته إلى إسرائيل، لكن لوتز كان جاسوسا ناجحا ولم يرغب الموساد في خسارة عميل بهذه الأهمية. فقرر ياريف الاستمرار في تشغيله وعدم إبلاغ زوجته ريفكا بأي شيء.

في مرحلة معينة، كشف لوتز لفالتراود أنه جاسوس، لكنه أخفى عنها أنه يعمل لصالح إسرائيل. وقد وافقت على التعاون معه وكانت، على حد تعبير ياريف، «نجاحا غير عادي، ساعده في عمله». وفي وقت لاحق، اعترف أبراهام

شالوم أن «السماح له بأن يعيش حياة مزدوجة حقيقية كان خطأ جوهريا، وهذا ما جعل شخصيته أكثر انقساما».

في مايو/أيار عام ١٩٦٢م، بناء على أوامر هاريل، تم تغيير أمر مهمة لوتز: «إضافة إلى التحذير، عليك التقرب من دائرة العلماء غوركيه، بيلز، كلاينفختر. والهدف هو تصفيتهم». وكعادته، أنجز «شمشون» المهمة. حيث نقل له المشغلون مواد متفجرة مخبأة في صابون «ياردلي»، فقام بتفخيخ طرود، أرسلها إلى العلماء من القاهرة. كان أحدهم مخصصا لفولفغانغ بيلز، لكن سكرتيرته فتحته وأصيبت بالعمى. وتسبب طرد آخر في مقتل خمسة فنيين مصريين.

كانت الرسائل موقعة باسم تنظيم «الجدعونيم»، الذي كان من اختراع الموساد. وفي وقت لاحق، أدرك عميت وشالوم وكل من كان متورطا في العمليات في تلك السنوات أن تحويل مهمة لوتز، من التحذير إلى الاغتيالات، كان خطأ.

في أواخر فبراير/شباط عام ١٩٦٥م، عند عودتهما من مرسى مطروح بالقرب من الحدود الليبية، كان أفراد الشرطة بانتظار الزوجين لوتز، وكانوا قد عثروا على جهاز الإشارة المخبئ في الميزان. وإلى جانبهما، تم إلقاء القبض على أربعة أشخاص آخرين لم يكونوا يعرفون شيئا عن أفعالهما: والدا فالتراود اللذان كانا يزورانها ووكيل شركة ألمانية وزوجته المصرية. حيث تم الإفراج عن الوالدين والمرأة المصرية بعد فترة

وجيـزة، فيـما تمـت محاكمـة رجـل الأعـمال الألمـاني وتبرئتـه.

علـم الموسـاد بأمـر اعتقـال لوتـز مـن زوجتـه ريفـكا. حيـث ذهـب الابـن عوديـد، الـذي كان آنـذاك في السادسـة عـشرة مـن عمـره، كالمعتـاد بطلـب مـن أمـه لـشراء صحيفـة «إنترناشـونال هيرالـد تريبيـون» مـن كشـك بيـع الصحـف. وفي طريـق عودتـه ألقـى نظـرة عـلى العناويـن الرئيسـية. وكان أحدهـا «سـتة مـن الألمـان الغربيـين اختفـوا في مـصر»، وبينهـم فولفغانـغ لوتـز وزوجتـه فالـتراود. قـال عوديـد: «كـوني كنـت أعلـم أن والـدي كان جاسوسـا، فقـد كان مـن الواضـح بالنسـبة لي أن والـدي لم ‹يختفي›، وإنمـا تـم إلقـاء القبـض عليـه مـن قبـل المصريـين. كنـت متأكـدا مـن أنهـم سيكتشـفون أنـه إسرائيـلي وهـذه هـي نهايـة القصـة، مـما يعنـي أنهـم سـيقتلونه. أمـا الصدمـة الثانيـة فكانـت عندمـا سـألت نفـسي مـن هـي فالـتراود هـذه؟ زوجتـه؟ والـدتي هـي زوجتـه. إذن كيـف يمكـن أن يكـون لـه زوجـة أخـرى؟ ومـاذا سـأقول لوالـدتي بعـد بضـع دقائـق؟»

قـال عوديـد أن والدتـه قـرأت الخـبر وهرعـت إلى الهاتـف. «لقـد اتصلـت بأريبـه سـيفان، جهـة اتصالنـا بالموسـاد. ربمـا لأنـه كان يـوم السـبت، لم يسـتيقظ أفـراد الموسـاد في الصبـاح ولم يقـرؤوا الصحـف ولذلـك لم يعلمـوا أنـه تـم إلقـاء القبـض عـلى والـدي. حقيقـة أن الموسـاد لم يعلـم أنـه تـم اعتقـال والـدي وأنهـم سـمعوا عـن ذلـك مـن والـدتي، التـي كانـت قـد سـمعت منـي، بعـد أن

قـرأت عـن ذلـك في الصحيفـة، سـببت لي نقطـة انكسـار أخـرى. لقـد غـرس والـدي لدينـا أنـا وأمـي ثقـة هائلـة. أعطانـا الشـعور بأنـه يعـرف كل شيء. أنـه يعـرف دائمـا كيـف يدبـر الأمـور ولا داعـي للقلـق. وأن وراءه منظمـة ونظامـا يعرفـون مـاذا يفعلـون وسـيهتمون بـه عنـد الحاجـة. حتـى ذلـك الحـين، كنـت عـلى يقـين بـأن الموسـاد يسـتطيع فعـل أي شيء. أن لديهـم مصـادر وأنهـم يعرفـون دائمـا كل شيء. في جيـل المراهقـة سـبب لي ذلـك خيبـة أمـل كبـيرة».

تـم القبـض عـلى فالـتراود وتعذيبهـا مـن قبـل المحققـين. وفي سـجن النسـاء، وجـدت نفسـها برفقـة مارسـيل نينـو، مـن شـبكة التخريـب اليهوديـة. لقـد اسـتمرت محاكمـة الزوجـين لوتـز لمـدة يومـين فقـط. حيـث تـم الحكـم عليـه بالسـجن المؤبـد، وهـي لمدة ثـلاث سـنوات. ومـن أجـل منـع احتـمال أن يتعـرف أحـد مـا في إسرائيـل عـلى لوتـز، قـام الموسـاد بالتشـويش عـلى بـث التلفزيـون المـصري أثنـاء المحاكمـة.

فـور اعتقـال لوتـز، توجـه رئيـس الموسـاد عميـت إلى غيلـين، رئيـس دائـرة الاسـتخبارات الاتحاديـة الألمانيـة، وطلـب منـه تـولي رعايـة لوتـز. فاسـتجاب غيلـين، لكـن ذلـك كان مفيـدا بشـكل جـزئي فقـط: فقـد علمـت أجهـزة الاسـتخبارات المصريـة أن لوتـز كان جاسوسـا إسرائيليـا. وأكـد ضابـط الاسـتخبارات المصريـة العقيـد محمـود خليـل ذلـك خـلال محادثـة مـع القنصـل الألمـاني

في القاهرة. حيث قال القنصل: «لقد قال لي أنه من الملائم بالنسبة لمصر أن تقدمه على أنه جاسوس ألماني».

حتى يومنا هذا، هناك عدة إجابات على السؤال حول كيفية انكشاف «شمشون». وطبقا لأحدها، والتي لم يستبعدها ياريف، فقد تم القبض عليه عن طريق الخطأ. حيث اعتقلته الشرطة اعتقالا احتياطيا، كما فعلوا في ذلك اليوم مع معظم الألمان الغربيين في مصر، بسبب زيارة رئيس ألمانيا الشرقية الشيوعية فالتر أولبريشت[1]. ولوتز، الذي لم يكن يعرف بزيارة أولبريشت، ظن خطأ أنه قد تم اكتشافه، وكونه «يهودي ألماني» محافظ، فقد اعترف بأفعاله من تلقاء نفسه، وسلم جهاز الإشارة، على الرغم من أنه احتفظ بهويته المزورة.

بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، تم إطلاق سراح الزوجين لوتز (جنبا إلى جنب مع سجناء «قضية العار») في صفقة تبادل أسرى، وذلك بفضل إصرار عميت. وفقط على متن الطائرة من القاهرة، في طريقه إلى الحرية، تجرأ لوتز على إخبار فالتراود عن حياته المزدوجة، وحتى ذلك فعله في رسالة سلمها إياها باليد. تم نقل لوتز جوا إلى ميونخ ومن هناك إلى اجتماع استجواب في بروكسل، مع ياريف ورجل موساد آخر. لقد كانوا يشتبهون في أن المصريين جعلوه عميلا مزدوجا، لكن

(١) فالتر أولبريشت (١٨٩٣ - ١٩٧٣م): سياسي ألماني شيوعي. أحد أبرز قادة ألمانيا الشرقية في الفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٠م. أول أمين عام لحزب الوحدة الاشتراكي الذي كان يحكم جمهورية ألمانيا الديمقراطية في الفترة ١٩٤٩ - ١٩٩٠م.

الشبهة دحضت.

كانت ريفكا، التي عادت إلى إسرائيل بعد اعتقال زوجها، تنتظره بفارغ الصبر وبحماس. ولم يخبرها أحد، ولو حتى تلميحا، أن زوجها لا ينوي العودة إليها. وفقط في اللحظة الأخيرة، جاء أبراهام شالوم وزوجته إلى شقتها في رمات أفيف، وأبلغاها أنه من الأفضل لها عدم الذهاب إلى المطار.

تطلقت من زوجها وغرقت في الاكتئاب. قال عوديد: «لقد تأذت والدتي من سلوك الموساد. حيث شعرت أن العالم بأسره من حولها قد خدعها: زوجها، الموساد، زوجات موظفي الموساد، أعز صديقاتها». وقد ساعدها الموساد في العثور على عمل في وزارة السياحة، وحول راتب زوجها إليها.

ساعد الموساد أيضا في إعادة تأهيل لوتز وأعانه في إنشاء حديقة خيول في جنوة. على مدى عدة سنوات، كان بطلا قوميا وشخصية اجتماعية، كان يتذكر بشوق ماضيه المجيد كجاسوس، وحياته المسرفة والمبهرة، والحفلات والنساء الجميلات. ووجد صعوبة في التعود على الواقع والحياة الروتينية. وقد انهارت أعمال المزرعة وتدهورت حالته في أعقاب موت فالتراود المفاجئ عام ١٩٧١م، نتيجة للتعذيب الذي تعرضت له في السجن.

غادر إسرائيل متوجها إلى ألمانيا، وحاول الاستمرار في عيش نمط حياة مبهرج، وأن ينتج فلما عن حياته. ومن أجل ذلك،

سافر إلى الولايات المتحدة، لكنه فشل. وحتى وفاته في عام ١٩٩٣م، كان لديه بالكاد ما يكفي من الغذاء والمال للعيش، حيث كان يقترض المال، الذي لم يكن قادرا على سداده، ويستبدل النساء. وقد أحضره ابنه، بمساعدة الموساد، لدفنه في مقبرة كريات شاؤول. إن قصة لوتز المأساوية، وكذلك قصة بوتون أيضا، هي دليل على الثمن الباهظ الذي يمكن أن يدفعه من اختار أن يكون جاسوسا.

لو كان كوهين ولوتز قد تم اعتقالهما بعد عقد من الزمن، لكان من الممكن أن تصل الحياة المهنية لعميت إلى نهايتها، ولكان اضطر إلى الاستقالة. ولكن في الستينيات، غالبا ما كان الرأي العام ووسائل الإعلام يتعاطفان مع الموساد، ولم يطالبوا أي شخص بتحمل المسؤولية عن الإخفاقات. كما كانت تنسب إلى عميت أيضا حقيقة أنه يعتبر رئيس موساد جيد، قام بالترويج للمنظمة ووفر لها «السلع الأساسية»: الحصول على معلومات استخباراتية عالية الجودة.

تجنيد جواسيس في سيناء

كان لـدى الموسـاد جواسـيس آخـرون في مـصر. أحدهـم كان شـلومو غـال[1]. ولـد غـال في بلجيـكا عـام ١٩٣٥م تحـت اسـم شـلومو غوديليفيتـش، وخـلال الحـرب العالميـة الثانيـة فـر مـع والـده إلى سـويسرا. وبعـد هجرتـه إلى إسرائيـل، تجنـد في الجيـش الإسرائيـلي وخـدم في سـلاح المدفعيـة. وقـد أصيـب في أكتوبـر/ تشريـن الأول عـام ١٩٥٦م، خـلال هجـوم للمظليـين عـلى مركـز شرطـة قلقيليـة. في عـام ١٩٦٢م، تجنـد في الموسـاد وتـم تعيينـه في «قيسـارية». كان لديـه خلفيـة أوروبيـة ويتحـدث عـدة لغـات، لكـن في الموسـاد اعتقـدوا أن قصـة التغطيـة الخاصـة بـه سـتكون أفضـل إذا ذهـب إلى المهمـة كرجـل متـزوج. وهكـذا، تـزوج مـن صديقتـه دافنـا، مضيفـة طـيران في شركـة إل-عـال، وتـم إدخـال العروسـين كـزوج جواسـيس إلى مـصر. ولترسـيخ هويتـه هنـاك، اسـتعان غـال أيضـا بهوايتـه في الرسـم.

كانـت إحـدى مهماتـه هـي الإبـلاغ عـما إذا كانـت حركـة السـفن في قنـاة السـويس قـد توقفـت عندمـا تـم مـد كوبـري الفـردان فوقهـا بالقـرب مـن مدينـة الإسـماعيلية، للسـماح بمـرور المركبـات.

(١) شلومو غال **שלמה גל** (١٩٣٥ - ١٩٩٤م): كان أحد كبار مسؤولي الموساد.

وقد كان الجسر هو الرابط البري الرئيسي بين مصر وسيناء. فحتى حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، كانت شبه الجزيرة منزوعة السلاح وكان هناك قيود على إدخال القوات العسكرية إليها. بعد الحرب، تمكن الزوجان غال من الهرب عبر ليبيا وعادا للعمل في الموساد. وقد ترقى غال في مناصب إدارية وتسلم رئاسة شعبتين اثنتين: قيسارية وبيتسور.

لتحسين التغطية الاستخباراتية لمصر، عمل إلى جانب محاربي الموساد أيضا ضباط مهام خاصة من الوحدة ٥٠٤. حيث قاموا بتجنيد عملاء من بين البدو في سيناء. فقد عمل مجال الجنوب في ثلاث مسارات تجنيد: في شمال سيناء والعريش، وفي الوسط مقابل جبل لبني، وفي إيلات على طول الشريط الساحلي، باتجاه شرم الشيخ. وكان تجنيد العملاء يتم بمساعدة «قوادين»، غالبا أبناء عائلة واحدة، بعضهم كان يعمل بالفعل لصالح الوحدة. وقد كان التواصل معهم صعبا. حيث كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن من الممكن تجهيزهم بأجهزة اتصال لاسلكي. ويتذكر إيلي هلحمي، أحد ضباط مجال الجنوب، شعور الفرح الذي غمرهم عندما تم تجنيد ابن شيخ من إحدى القبائل، كان قد درس لعدة سنوات في مدرسة العريش: «علمناه كيف يشغل الجهاز ويبث إرسالا». ومن خيمته على الجبل كان يرصد المطار القريب، ثم يبث عبر جهاز الاتصال اللاسلكي المخبأ في إبريق زيت.

لقد وافق على أن يكون عميلا لأنه أراد الانتقام من مصر، بعد أن قام ضابط مصري بصفعه. لكنه شعر لاحقا أن أحد قادة الوحدة في مجال الجنوب قد جرح كرامته. فقام بتسليم نفسه للاستخبارات المصرية، وبث المصريون بواسطة جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به معلومات كاذبة إلى إسرائيل.

كان التواصل مع بقية العملاء يتم عبر الحمام الزاجل أو الرسائل الشفهية عن طريق سعاة. وقد حضر معظم العملاء البدو إلى اجتماعات مع مشغليهم في نقاط قريبة من الحدود، وحرص ضباط المهام الخاصة على إبلاغ قوات الجيش الإسرائيلي في القطاع مسبقا، حتى لا يطلقوا النار. كما تم اصطحاب العملاء إلى قاعدة في بئر السبع، حيث خضعوا لتدريب مكثف: عرضت عليهم صور دبابات وآليات وطائرات، وطلب منهم الإبلاغ عن كل ما شاهدوه وجمع خرائط من معسكرات الجيش المصري في سيناء. وإذا كان هناك متسع من الوقت، حرصوا في الوحدة على إحضار بائعات هوى للعملاء. كان بعض العملاء مهربين وتجار مخدرات، لكن أفراد الوحدة ٥٠٤ حذروهم فقط من تهريب المخدرات إلى إسرائيل. ولم يستجب الجميع للتحذيرات.

يعتقد قائد المجال في ذلك الوقت، المقدم إيغال سيمون، والذي تم تعيينه لاحقا قائدا للوحدة ٥٠٤، أن مساهمة العملاء وضباط المهام الخاصة في النصر في حرب الأيام الستة (نكسة

حزيران ٦٧) كانت كبيرة، حيث قال: «تغطيتنا الأساسية في سيناء كانت ممتازة. قمنا بتجهيز العملاء بكاميرات ذات عدسات كبيرة، كانت تعتبر حينها في طليعة التكنولوجيا. لقد علمناهم إخفاءها وتشغيلها ووجهناهم إلى ما يجب تصويره ومن أي مكان وبأي زاوية». كان هناك من شكك في قدرة العملاء البدو على السيطرة على المعدات، غير أنهم قاموا بتزويد ضباط المهام الخاصة بآلاف الصور للقواعد العسكرية وتحركات الآليات وغيرها. أما أبرز إنجازاتهم فكان الكشف عن قاعدة جوية جديدة مع منصات هبوط في بير الجفجافة (مطار المليز). وقد أكد سيمون: «لم تكن استخباراتنا تعلم حتى ذلك الحين بوجودها».

بالمقابل، في الشمال، مقابل سوريا ولبنان، كان نتاج عملاء الوحدة ٥٠٤ ضعيفا جدا. فمعظم المعلومات عن سوريا في الستينيات جاءت من عملاء الموساد والصور الجوية. وقد تم تشغيل بعض العملاء كخلايا عملياتية لمهمات خاصة، تضمنت اغتيالات وإدخال مواد متفجرة وزرع أجهزة تنصت على خطوط الهاتف في سوريا ولبنان.

عملية ألماس.. الطائر الأزرق

كجزء من استعدادات الجيش الإسرائيلي لحرب مستقبلية، كانت عملية «يهلوم – ألماس». في الواقع، كانت تلك فكرة عيزرا وايزمان، الذي تم تعيينه عام ١٩٥٨م قائدا لسلاح الجو. فقد أراد وايزمان أن يضع يديه على الطائرات المقاتلة الأكثر تقدما، ويفضل أن تكون من طراز ميغ ٢١، التي قام الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر والعراق وسوريا بها. حيث أدرك أهمية تعرف ضباطه على أسرار الطائرات التي مُنحت للعدو، لدراسة كيفية التصدي لها.

في الوقت نفسه، واصلت مجموعة الاستخبارات الجوية الإسرائيلية، بقيادة زئيف ليرون، جهودها للعثور على طيار مصري أو أردني أو سوري أو عراقي مستعد للانشقاق مع طائرته. واستندت هذه المحاولات إلى المعرفة الواسعة التي تراكمت لدى الاستخبارات، ولا سيما من التنصت على شبكات اتصالات الطيارين. حيث تم دراسة قراءات تحديد هوياتهم، والتي تم تكييفها مع أصواتهم، ومن وقت لآخر تم الحصول على صورهم من مصادر مفتوحة مثل الصحف، أو عندما ذهبوا للدراسة في الخارج. وتم تسجيل جميع التفاصيل

والمعلومات عن طياري العدو في ملفات الاستخبارات، بما في ذلك المحادثات التي أجروها أثناء الرحلات الجوية عن الأمور الخاصة والعائلية، حتى شعر المسؤولون عن هذه الملفات كما لو كانوا معارف.

وأخيرا، في أوائل عام ١٩٦٤م، انشق بالفعل طيار مصري إلى إسرائيل. وعلى الرغم من أن الكابتن محمود عباس حلمي[(١)] كان طيارا في سلاح الجو، وكانت الطائرة من صنع الاتحاد السوفييتي، إلا أنها كانت طائرة تدريب من طراز ياك، التي لم تكن تقلق إسرائيل.

على الرغم من خيبة الأمل، فقد أضاف الكابتن حلمي معلومات مهمة إلى الاستخبارات، وحظي باستقبال شديد التعاطف في إسرائيل. كما تم استغلاله أيضا لأغراض دعائية: فقد ندد في برامج إذاعية بمشاركة الجيش المصري في حرب اليمن، وكشف أن بلاده تستخدم الغاز. ورغم أنه حصل على مساعدة مالية وعرض عليه عمل، إلا أنه لم يتمكن من التأقلم في إسرائيل، واختار الهجرة إلى أمريكا الجنوبية رغم تحذيرات الإسرائيليين بخطورة ذلك على سلامته.

(١) مردخاي (موتي) هود **מרדכי (מוטי) הוד** (١٩٢٦ - ٢٠٠٣م): كان قائد سلاح الجو الإسرائيلي أثناء نكسة حزيرا محمود عباس حلمي (١٩٣٨ - ١٩٦٦م): كان طيارا، ومدرب طيران برتبة نقيب في سلاح الجو المصري، انشق إلى إسرائيل أثناء طيرانه بطائرة تدريب من طراز «ياك ١١»، من صنع الشركة الروسية لتصميم وتصنيع الطائرات «ياكوفليف». وقد أعدمته السلطات المصرية في سجن بالقاهرة في ١١ مايو/أيار عام ١٩٦٦م.ن ١٩٦٧م.

ساعده الموساد في تمويل وتصميم هوية جديدة له، لكن عندما هبط في بوينس آيرس، وخلافا للتعليمات، ارتكب الطيار المصري الخطأ الذي كلفته حياته. فقد أرسل لوالدته في القاهرة بطاقة بريدية حملت عنوانه الجديد ، ليتم اعتراض الرسالة من قبل الاستخبارات المصرية. وأقام علاقة غرامية مع فتاة مصرية، وعدته بليلة ساخنة إذا زارها بشقتها، وهو ماحدث بالفعل فكان بانتظاره ضباط الاستخبارات المصرية، الذين قاموا باختطافه وإعادته لمصر.

وبقي النصف الأخير من القصة غامضا. حيث تم الإعلان عن إعدام الكابتن حلمي في عام ١٩٦٥م، ولا يعرف بالضبط متى أو أين تم ذلك. رواية السلطات المصرية أنه تم نقله في صندوق إلى مبنى السفارة وبعدها جرى تهريبه على متن سفينة شحن إلى مصر، وهناك تمت محاكمته وإعدامه شنقا بتهمة الخيانة. لكن هناك رواية أخرى تقول بأنه قتل بدم بارد، دون محاكمة، فور القبض عليه في الأرجنتين وفي ذات الليلة الساخنة.

أضرت حادثة إعدام الكابتن حلمي بسمعة إسرائيل، باعتبارها غير قادرة على ضمان سلامة المشتغلين لصالحها من العملاء، وإن لم يكن الخطأ ارتكبته الاستخبارات الإسرائيلية، وإنما خطأ الجاسوس الذي لم يلتزم بتعليمات السلامة، إلا أن الحادثة كانت درسا قاسيا لها.

لم يتسبب هذا التسلسل من الإخفاقات في جعل وايزمان أو خلفه موتي هود أو عميت يتخلون عن حلم الطائرة. وهكذا، في أوائل عام ١٩٦٦م، ولدت عملية يهلوم، المعروفة أيضا باسم «الطائر الأزرق».

ترأس عملية الطائر الأزرق رئيس شعبة «تسومت» رحافيا فاردي. حيث قام اليهودي العراقي يوسف شماش[١]، عميل الاستخبارات الإسرائيلية، بالإشارة إلى النقيب الطيار منير روفا[٢] على أنه منشق محتمل. وعن طريق صديقة تربطها علاقات عائلية مع روفا، أجرى شماش الاتصال الأولي معه. كان روفا ابنا لعائلة ثرية من أصل مسيحي ماروني، وكطيار في القوات الجوية العراقية، خضع عام ١٩٦٥م لدورة طيران في الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما وصل حزب البعث الاشتراكي إلى السلطة في بغداد وتعززت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، ذهب روفا للتدرب في الاتحاد السوفييتي ولدى عودته كان طيارا ماهرا على طائرة «ميغ ٢١»، أحدث ما أنتجته الصناعات الجوية السوفييتية.

لكن في تلك الأيام، بدأ أبناء الأقلية المارونية في العراق

(١) يوسف شماش **יוסף שמש** (١٩٢٢ - ١٩٧٣م): يهودي عراقي، كان عنصر موساد إسرائيلي.

(٢) منير جميل حبيب روفا (١٩٣٤ - ١٩٩٨م): جاسوس إسرائيلي من أصل عراقي، تمكن في عام ١٩٦٦م من الهروب بطائرة «ميغ ٢١» تابعة للقوات الجوية العراقية إلى مطار في إسرائيل في عملية منظمة من قبل الموساد واشتهرت بعملية ٠٠٧، وقد اعتبر الموساد هذه العملية المخابراتية واحدة من أنجح عمليات الموساد.

يشعرون بمواقف عنصرية من جانب الحكومة ذات الأغلبية المسلمة، كما تم أيضا تقويض مكانة روفا. وعلاوة على ذلك، عانى من تأنيب الضمير بسبب أنشطته العملياتية؛ وقصف قرى كردية في شمال البلاد.

بعد أن اتضح بأن روفا قد قبل العرض، بدأ الموساد واستخبارات سلاح الجو في الاستعدادات لانشقاقه. كما تم أيضا إشراك ملحق الجيش الإسرائيلي في طهران يعقوب نمرودي[1] في هذا الأمر السري. وقد روى ليرون في مذكراته: «في أحد الأيام اتصل بي عيزرا وقال: ‹انتظرني في الأسفل›. فسألته: ‹حاضر، سيدي. إلى أين نحن ذاهبون؟› فقال لي: ‹إلى إسحاق (رابين[2]، رئيس الأركان آنذاك)›. وعندما سألت عن الموضوع، أجاب بأن رئيس الموساد مئير عميت موجود هناك، ‹وهناك فكرة مع طيار عراقي مسيحي ليست جيدة بالنسبة له››». (موشيه رونين[3]، «الهاوية والسماء - حياة العقيد (احتياط) زئيف ليرون»، مشكال/يديعوت سفاريم، ٢٠١٣م).

تقرر أن يسافر روفا إلى أوروبا بحجة زيارة أسرة زوجته في

---

(١) يعقوب نمرودي **יעקב נמרודי** (ولد عام ١٩٢٦م): هو رجل استخبارات وعقيد احتياط ورجل أعمال إسرائيلي.

(٢) إسحاق رابين **יצחק רבין** (١٩٢٢ - ١٩٩٥م): سياسي إسرائيلي وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي ورئيس وزراء إسرائيل، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية وأحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية والعسكرية والأمنية في إسرائيل..

(٣) موشيه رونين **משה רונן** (ولد عام ١٩٥٣م): صحفي ومحامي إسرائيلي.

بريطانيـا، ليلتقـي مـع ممثـلي الاسـتخبارات الإسرائيليـة. والحصول عـلى مكافـأة انشـقاقه ومقدارهـا خمسـون ألـف دولار، وهـو مايعـادل قيمـة خمسـة مليـون دولار، في أيامنـا هـذه (٢٠٢٣م.)

في أوائـل عـام ١٩٦٦م، وصـل روفـا إلى اليونـان لعقـد أول اجتـماع لـه مـع لـيرون، الـذي تقـرر أن يكـون مشـغله. حيـث قـدم لـيرون نفسـه عـلى أنـه طيـار بولنـدي معـارض للنظـام الشـيوعي، وسرعـان مـا كسـب ثقتـه. وقـد تشـكل لديـه انطبـاع بـأن روفـا كان بالفعـل طيـارا محترفـا وناضجـا للانشـقاق.

بعـد حـوالي أسـبوعين، أعلـن روفـا أنـه سـيوافق عـلى أن يهبـط بطائـرة «ميـغ ٢١» في إسرائيـل مقابـل المبلـغ المعـروض عليـه، ومقابـل إخـراج عائلتـه مـن العـراق مقدمـا وتأمـين مسـتقبلهم. وقـد تـم الاتفـاق عـلى أن يـأتي إلى أثينـا، ومـن هنـاك ينقـل لحضور اجتماعـات تمهيديـة في إسرائيـل، وهـو مـاكان حيـث التقـى مـع مسـؤولين كبـار في سـلاح الجـو وطـار في سـماء إسرائيـل وتعـرف عـلى مسـارات الطـيران وعـلى مطـار حتسـور، الـذي سـيهبط فيـه.

في ٩ أغسـطس/آب، أرسـل روفـا الرسـالة المشـفرة بأنـه جاهـز. وفي الـرد، الـذي تـم تشـفيره في إرسـال إذاعـة صـوت إسرائيـل باللغـة العربيـة الـذي يتـم التقاطـه في العـراق، تـم منحـه الإذن وتحديـد التاريـخ. في غضـون ذلـك، حـرص عنـاصر الموسـاد عـلى إخـراج زوجتـه مـن العـراق، والتقـى بهـا لـيرون في فنـدق كان معـدا مسـبقا في أثينـا. ولم يخبرهـا لـيرون أنهـا وزوجهـا سـيهربان

إلى إسرائيـل، إلا في الليلـة التـي سـبقت العمليـة. وقـد كتـب لـيرون في مذكراتــه عــن رد فعلهــا الــسيء. حيــث رفضــت المجــيء إلى إسرائيـل، وأصبحـت العمليـة برمتهـا الآن معلقـة بخيـط رفيـع. ولم توافـق إلا بعـد جهـود الإقنـاع والوعـود.

في ١٤ أغسـطس/آب، أقلـع روفـا في طريقـه إلى إسرائيـل، ولكـن بسـبب عطـل اضطـر للعـودة عـلى أعقابـه. ثـم بعـد يومـين، أقلـع مـرة أخـرى. وقـد مـر دون أن يتـم اكتشـافه في سـماء الأردن ودخل المجـال الجـوي الإسرائيـلي، حيـث كانـت بانتظـاره طائرتـا «مـيراج» تابعتــان لســلاح الجــو. لم يتــم إطــلاع الطياريــن، ران بيكــر[١] وشـموئيل شـيفر[٢]، عـلى العمليـة، وتلقيـا أمـرا بعـدم فتـح النـار عـلى الطائـرة العراقيـة بـل مرافقتهـا حتـى هبوطهـا. وفي حتسـور، كان بالانتظـار كل مـن هـود ووايزمـان وعميـت ومسـؤولون كبـار آخـرون مـن سـلاح الجـو والموسـاد. لقـد كانـت الإثـارة كبـيرة.

بعـد أن تـم لم شـمله مـع عائلتـه وبـدأ بالتأقلـم في إسرائيـل، قامــت الاســتخبارات الإسرائيليــة باســتخدام روفــا في الحــرب النفسـية. حيـث تـم تقديمـه في مؤتمـر صحفـي وقـال إنـه انشـق طواعيـة بعـد أن لم يعـد يوافـق عـلى المشـاركة في الهجـمات ضـد

(١) ران بيكـر **רן פקר** (١٩٣٦ - ٢٠١٦م): كان طيـارا مقاتـلا في سـلاح الجـو الإسرائيـلي، وصـل إلى رتبـة عميـد. يعتـبر مـن كبـار طيـاري السـلاح وقادتـه، وتـم تسـجيل سـبع عمليـات إسـقاط طائـرات معاديـة بحسـابه

(٢) شـموئيل شـيفر **שמואל שפר** (١٩٢٩ - ٢٠١٨م): كان ضابطـا طيـارا في الجيـش الإسرائيـلي برابـة عقيـد، خـدم كقائـد لقاعـدة تـل نـوف أثنـاء حـرب الأيـام السـتة وحـرب الاسـتنزاف، وكرئيـس لقسـم الاسـتخبارات في سـلاح الجـو.

المدنيين الأكراد.

في الأشهر التالية، قام بمساعدة سلاح الجو في دراسة الطائرة الروسية، وتدرب طيارو «الميراج» على المعارك الجوية ضد طائرة «ميغ ٢١». وقد كان التدريب مفيدا جدا وقت الحرب، بعد عام. كما قام عميت بإبلاغ رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سي آي إي» ريتشارد هيلمز[1] عن الانشقاق، وتمكن الطيارون الأمريكيون أيضا من دراسة الطائرة وأدائها. بعد حوالي عقد من حصول إسرائيل على خطاب خروتشوف، قدمت «عملية يهلوم» مساهمة هامة أخرى في إبراز صورة الاستخبارات الإسرائيلية بشكل عام والموساد بشكل خاص في عيون الأمريكيين.

بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، تم توظيف روفا كطيار على طائرة خفيفة لنقل العمال إلى آبار النفط الإسرائيلية في أبو رديس بسيناء. لكن عائلته لم تجد مكانا لها في إسرائيل، فساعدهم الموساد على الاستقرار في أوروبا، وقام بتمويل دراسة روفا للهندسة. وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها، فقد فشلت الاستخبارات العراقية في تعقب آثار روفا وتصفيته. وفي أغسطس/آب عام ١٩٩٨م، توفي بنوبة قلبية عن عمر يناهز ٥٤ عاما.

(١) ريتشارد هيلمز Richard Helms (١٩١٣ - ٢٠٠٢م): كان رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الثامن، في الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٣م.

جاك بيتون.. «رفعت الجمال»

إلى جانب الموساد وهيئة الاستخبارات «أمان»، قدم الشاباك أيضا مساهمة هامة جدا في نتائج حرب الأيام الستة، مما يشير إلى أن النصر قد تحقق بفضل التعاون الوثيق بين جميع أذرع الاستخبارات. حيث كان الشاباك مسؤولا عن عملية «ياتيد»، الاسم الحركي لرفعت الجمال[1].

ولد الجمال في مصر عام ١٩٢٧م، وكان يحلم أن يصبح ممثلا سينمائيا. كان يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، لكنه اكتفى بوظيفة مساعد لضابط حسابات في أسطول السفن التجارية المصري. وخلال رحلاته البحرية إلى أوروبا ارتكب العديد من أعمال الاحتيال والتزوير والسرقة من أرباب عمله. ولدى

(١) رفعت الجمال (الاسم الحركي المصري: رأفت الهجان) (١٩٢٧ - ١٩٨٢م): مواطن مصري، رحل إلى إسرائيل بتكليف من المخابرات المصرية في إطار خطة منظمة في يونيو/حزيران عام ١٩٥٦م، وتمكن من إقامة مصالح تجارية واسعة وناجحة في تل أبيب وأصبح شخصية بارزة في المجتمع الإسرائيلي. وحسب الرواية المصرية، فإن الهجان قام ولسنوات طويلة بالتجسس وإمداد جهاز المخابرات المصري بمعلومات مهمة تحت ستار شركة سياحية داخل إسرائيل، حيث زود بلاده بمعلومات خطيرة، منها موعد حرب ٦٧، وكان له دور فعال في الإعداد لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م بعد أن زود مصر بتفاصيل عن خط بارليف. أما الرواية الإسرائيلية فتقول إنه كان عميلا مصريا مزدوجا عمل في إسرائيل.

عودته إلى مصر في عام ١٩٥٢م، اعتقلته الشرطة السرية، التي اشتبهت في كونه جاسوسا لصالح إسرائيل. وبعد أن تمت تبرئته من الشبهات، عرضت عليه صفقة: التعاون أو السجن، فاختار الجمال العمل كجاسوس لصالح المخابرات المصرية في إسرائيل. كان الاسم الذي اختير له هو **جاك بيتون**، ومن أجل بناء قصة التغطية تم إدخاله في الجالية اليهودية في الإسكندرية. وقد طلب منه تعلم الصلوات والعادات اليهودية وزيارة الكنيس وتزويد مشغليه بمعلومات حول ما يحدث داخل الجالية.

انخرط الجمال في الطائفة اليهودية، بل إنه تعرف أيضا على أعضاء شبكة التخريب اليهودية. وقالت زوجته فالتراود شيفلت في مقابلة صحفية («كايرو تايمز»، ٢٠٠٤/٥/٢٧م) أن زوجها كتب في مذكراته (التي لم تنشر على الإطلاق) بأنه كان يعرف مارسيل نينو وإيلي كوهين. ربما كان يعرفهم بالفعل، لكنه لم يكن يعلم أنهم أفراد تابعين للمخابرات إسرائيلية.

ووفقا للمذكرات، فقد تم اعتقال الجمال وكوهين معا في عام ١٩٥٤م، وبعد فترة وجيزة تم الإفراج عنهما؛ الجمال لأنه كان رجل مخابرات مصرية، وكوهين لأن المحققين اقتنعوا بأنه غير مرتبط بالشبكة اليهودية.

أراد مشغلو الجمال تحويله إلى «جاسوس قمة». حيث خضع لسلسلة مرهقة من الدورات التدريبية تعلم خلالها

الكتابة بالحبر السري، والتقاط وبث شفرة لاسلكية، والتشفير وفك الشفرات، وإخفاء أفلام التصوير وما إلى ذلك. وقد كانت بعض الأساليب متقدمة جدا. فعلى سبيل المثال، كان الجمال يغمر أفلام الصور التي قام بتحميضها بالأسيتون، حتى ينزل منها السيلولويد ويبقى المستحلب فقط. ثم كان يقوم بتقطيع الفيلم ولصق القطع تحت الطوابع البريدية، على الرسائل التي كان يرسلها إلى مشغليه.

أبحر الجمال-بيتون في أوائل عام ١٩٥٥م من الإسكندرية إلى جنوة في إيطاليا. وبالمصطلحات الاستخباراتية، كانت إيطاليا بالنسبة له هي «بلد القاعدة»، بينما كانت إسرائيل هي «بلد الهدف». وقد سافر من جنوة على متن القطار إلى روما، حيث التقى عدة مرات مع الملحق العسكري في السفارة المصرية، الذي زوده بالحبر السري وأعطاه عنوان صندوق بريد في روما، لإرسال تقاريره إليه. ووفقا للإرشادات، توجه الجمال بعد بضعة أسابيع إلى السفارة الإسرائيلية في روما، وقدم نفسه على أنه يهودي يطلب الهجرة إلى إسرائيل، فتم إحالته إلى ممثلي الوكالة اليهودية. الذين أرسلوه إلى معسكر مؤقت في مرسيليا، ومن هناك أبحر إلى حيفا.

كان هناك مئات المهاجرين في المعسكر المؤقت وعلى متن السفينة، معظمهم من المغرب وأقلية من مصر. وبالفعل أثناء الرحلة البحرية، تساءل بعض المسافرين عما إذا كان بيتون

يهوديا حقا؛ فقد تحدث بآراء غريبة عن إسرائيل واليهود. وعندما وصل إلى إسرائيل وبدأ ببناء حياته الجديدة، فإن قصة التغطية لم تساعده.

حدث ذلك بشكل أساسي بفضل موسى أبراموفيتش، الذي كان يعمل في قسم خاص - كان لا يزال آنذاك تابعا لهيئة الاستخبارات «أمان»، وأصبح فيما بعد تابعا للشاباك - كانت وظيفته استجواب المهاجرين الجدد ومعرفة ما إذا كان قد تم الاتصال بهم من قبل أجهزة استخبارات أجنبية وحاولوا تجنيدهم ليكونوا جواسيس في إسرائيل. كما كان يطلب من المهاجرين في تلك المقابلة أيضا تقديم أي تفاصيل تثير الشبهات عن الآخرين. وهكذا، كان هناك من أبلغ عن المسافر الغريب على متن السفينة.

بدأت الوحدة العملياتية في الشاباك («الخلية») بمراقبة بيتون، الذي كان يعيش في شقة مستأجرة في تل أبيب. وخلال فترة زمنية قصيرة تم اكتشاف ميزة أساسية أخرى لدى الشاب بيتون - لقد كان عاشقا صارخا للنساء. وساهمت في تأكيد الشبهات ضده إحدى الهيئات التي كانت موجودة في بريد إسرائيل في ذلك الوقت، والتي كانت تشرف على الرسائل المرسلة إلى الخارج. حيث وجه بيتون رسائله إلى صناديق بريد في أوروبا، كان الشاباك يعلم أنها تابعة للمخابرات المصرية.

عندئذ تقرر بدء العمل. ويتذكر ذلك موتكا (مردخاي)

شارون[1]، الذي كان منسقا ومشغلا للعملاء في القسم العربي (المقر ٣) في الشاباك، حيث قال: «قام عناصر العمليات باقتحام شقته، فوجدوه في الفراش مع فتاة شابة. وأمروها بارتداء ملابسها ومغادرة المكان على الفور، لكن ليس قبل طمأنتها بأنه لن يلحق بها أي أذى وطلبوا منها عدم التحدث مع أحد عما جرى».

تم اقتياد بيتون إلى مركز استجواب تابع للشاباك. وقال شارون: «في الغرفة، كان بانتظاره يوسف هرملين، مرتديا ملابس ضابط في الجيش». كان هرملين آنذاك مسؤولا كبيرا في الشاباك (في عام ١٩٦٣م، تم تعيينه رئيسا للجهاز، خلفا لمانور). «كان هرملين والمحققون الآخرون عنيفين جدا، وخلال وقت قصير جدا جعلوه ينهار. لقد كانت قصة التغطية الخاصة به ضعيفة للغاية. حيث كانت معلوماته عن اليهودية وإسرائيل متواضعة جدا وكان من الواضح أنه ليس يهوديا ولا مهاجرا جديدا إلى إسرائيل. وقد وضع هرملين أمامه خيارين - إما العمل لصالحنا أو قضاء بقية حياته في السجن. فوافق بيتون فورا على أن يكون عميلا لنا».

في العمل الاستخباراتي، يبدو أنه لا توجد مهمة حساسة

(١) موتكا (مردخاي) شارون **מוטק'ה (מרדכי) שרון** (١٩٢٦ - ٢٠١٧م): كان عضوا في مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، ومن كبار مسؤولي جهاز الأمن العام. وتدعي إسرائيل أنه كان مسؤولا عن تشغيل رفعت الجمال (رأفت الهجان)، الذي تذكر أنه كان عميلا مصريا مزدوجا عمل في إسرائيل قبل حرب الأيام الستة.

ومعقـدة أكـثر مـن كشـف جاسـوس للعـدو وتحويلـه إلى عميـل مـزدوج.

وقـد أكـد إيـسر هاريـل ذلـك، قائـلا: «لـن تكـون قـادرا عـلى الوثـوق بـه مطلقـا، ولـن تكـون متأكـدا أبـدا لمـن ينتمـي ولاؤه حقـا». يتحـرك العميـل المـزدوج في منطقـة الشـفق التـي بـين الجانبـين. إنـه يعـبر الخطـوط ذهابـا وإيابـا، محفوفـا بتشـابك الهويـات والأكاذيـب والخيانـات، دون مرسـاة للثقـة.

كان شـارون أحـد مشـغلي بيتـون، إلى جانـب كل مـن شـلومو جولانـد وديفيـد رونـين[1]. وقـد تذكـر، قائـلا: «بالطبـع كنـا نشـك فيـه وكانـت لدينـا مخـاوف مـن أنـه قـد يخوننـا كـما خـان مصر». كـما قامـوا بمراقبتـه حتـى عندمـا سـافر لحضـور اجتماعـات مـع الملحـق العسـكري المـصري في إيطاليـا. «كانـت أكـثر مخاوفنـا عندمـا سـافر مـن رومـا للخضـوع لفـترات تحقيـق أطـول في مصر».

بعـد كل رحلـة مـن هـذا القبيـل، كان يتـم اسـتجواب بيتـون واختبـاره باسـتخدام جهـاز كشـف الكـذب. كـما تـم اختبـاره أيضـا دون علمـه: «أرسـلنا لـه رسـائل لم يكـن مسـموحا لـه فتحهـا قبـل أن يعرضهـا علينـا. حيـث أردنـا أن نـرى مـا إذا كان قـد فتـح الظـرف ثـم أغلقـه بالصمـغ». وقـد أدت الاختبـارات إلى الاسـتنتاج بـأن بيتـون كان مخلصـا للإسرائيليـين، «لكـن المخـاوف والشـكوك

---

(١) ديفيد رونين דוד רונן (ولد عام ١٩٢٨م): عضو في المنظومة الأمنية الإسرائيلية في الاحتياط، شغل منصب نائب رئيس جهاز الأمن العام وقائد منطقة القدس والضفة الغربية.

كانت حاضرة دائما».

أعطاه مشغلوه المصريون راديو ترانزستور، كي يستخدمه لتلقي التعليمات منهم، وقد أشرف عليه شارون أثناء استقبال البث. ولكن عندما أراد المصريون تزويده أيضا بجهاز بث يمكنه من إرسال المعلومات إليهم لاسلكيا، رفض الشاباك ذلك. «طلبنا منه إقناع المصريين بأنه لن يكون من الممكن إدخال جهاز الإرسال إلى إسرائيل وأن هناك خطر من أن يتم كشفه».

استأجر الشاباك لبيتون فيلا في حي أفيكا، كان الهدف منها تعزيز قصة التغطية الخاصة به، كجاسوس ناجح انخرط في المجتمع الإسرائيلي. ولهذه الغاية، تقرر أيضا أن يقوم بإنشاء وكالة سفريات، يمكنه تحت رعايتها أن يسافر إلى الخارج بشكل متكرر. وقد كانت المخابرات المصرية متحمسة لهذه الفكرة، التي قدمها لهم بيتون، وقاموا بتحويل الأموال إليه، وهكذا تم تأسيس وكالة سفريات «سيتور» في شارع برنر بتل أبيب. وأصبح إيميري فريد، وهو أحد أصدقاء مانور، «شريكا» لبيتون.

كان «التقسيم والفصل» مطلقا. قلة قليلة فقط كانوا يعرفون بأمر بيتون، وكان هاريل هو الحكم الأخير. كما كان هو أيضا من أطلق عليه لقب «ياتيد»، ثم أضيف له لاحقا اسم رمزي آخر، «أوكسفورد».

أعجب شارون ورونين بأن بيتون «لم يكن ذكيا جدا ولكنه قام بالمهمة. وظل طوال الوقت يطلب المال». وقد اشتكى يعقوب لانكين، الضابط الإداري في الشاباك، من أنه يكلف أكثر من اللازم، لكن هاريل أمره أن يدفع له. كان بيتون يحب النساء، ويحب الملابس الجميلة. ويتذكر شارون، قائلا: «لأنه كان يحب المال، كان دائما يتاجر بشيء ما. وقد عرض عليّ ذات مرة أن أشتري منه أحد أحذيته».

الشيء المهم في بناء مكانة العميل المزدوج هو أن يثير الثقة لدى مشغليه الأصليين، الذين خانهم. وللقيام بذلك، ينبغي عليه نقل معلومات تبدو هامة ودقيقة. «سمحنا له أن ينقل لمصر صور معسكرات جيش غير مهمة، فضلا عن أخبار سياسية - ثرثرة من الكنيست وأشياء هامشية من هذا القبيل». وكان الخبر الأهم الذي وافق هاريل على نقله إلى بيتون هو قرار إسرائيل بشن عملية سيناء في أواخر أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٥٦م. فقد كان من الواضح أن رسالة بيتون لن تصل إلى صندوق البريد في أوروبا إلا بعد أسبوع واحد على الأقل، لذا فإن عملية سيناء لن تتعرض للخطر. وعلى الرغم من هزيمة جيشهم، فقد كان المشغلون المصريون سعداء بالمعلومات التي نقلها جاسوسهم، ومنذ تلك اللحظة اعتمدوا عليه تقريبا وأعينهم مغلقة.

مكنت هذه الثقة إسرائيل من القيام، بمساعدة بيتون، ربما

بأهـم عمليـة احتيـال في تاريخهـا. فمنـذ سـتينيات القـرن المـاضي، بـدأ سـلاح الجـو تحـت قيـادة وايزمـان بإعـداد خطـط الحـرب المسـتقبلية. وكان الاسـم الرمـزي لهـا هـو «موكيـد - البـؤرة». ووفقـا لهـذه الخطـط، في حـال انـدلاع حـرب، فإنهـا سـتبدأ بهجـوم عـلى المطـارات وحظائـر الطائـرات، بهـدف تدمـير سـلاح الجـو المـصري.

نقلـت إسرائيـل بواسـطة بيتـون أخبـارا لمـصر مفادهـا أنـه في حـال انـدلاع حـرب فإنهـا سـتبدأ بهجـوم بـري، كـما أفيـد أيضـا بـأن سـلاح الجـو الإسرائيـلي ليـس لديـه طائـرات يمكنهـا الوصـول إلى المطـارات في عمـق الأراضي المصريـة. وصـدق المصريـون ذلـك.

إن ثقـة سـلاح الجـو بانتصـاره في حالـة نشـوب الحـرب لم تمنـع هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» بقيـادة أهـارون ياريـف مـن الفشـل في تقييمهـا. حيـث أن مسـاهمة هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» في نجـاح الجيـش الإسرائيـلي في الحـرب قـد سـبقها فشـل اسـتخباراتي.

في ٨ مايو/أيـار عـام ١٩٦٧م، قـال ياريـف خـلال جلسـة اسـتماع في هيئـة الأركان العامـة: «يمكننـا اليـوم أن نقـول بثقـة تامـة بـأن المصريين ليسـوا مسـتعدين للانخراط بأي شيء بسـبب السـوريين... هـذه معلومـات موثوقـة للغايـة، تعـزز التقييـمات، التـي توضـح بـأن المصريـين والـروس يريـدون كبـح جـماح السـوريين». حتـى ذلـك الحـين كان الخـوف الوحيـد مـن المصريـين هـو أن يرسـلوا طائراتهـم لقصـف مفاعـل ديمونـا النـووي، حيـث قامـت إسرائيـل،

وفقا لمصادر أجنبية، بتجميع قنبلتها النووية الأولى بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧م.

ولد هذا الخوف، قبل بضع سنوات من ذلك، ما أطلق عليه «سنتور»، وهي إحدى عمليات جمع المعلومات الهامة، التي تم في إطارها تحسين وحدات التنصت التابعة للوحدة ٨٢٠٠. وقد كتب عاموس جلبوع[1] (في كتاب السيرة الذاتية «سيد الاستخبارات - أرليه، اللواء أهارون ياريف، رئيس هيئة الاستخبارات»، يديعوت سفاريم، ٢٠١٣م) أنه من أجل تقديم تحذير في الوقت المناسب في حال نفذ المصريون نيتهم في مهاجمة ديمونا، تم إنشاء مركز إنذار ليتم فيه تركيز ما يتم تلقيه من سلاح الجو المصري.

بعد أسبوع من تقييم الوضع الذي قدمه ياريف، اتضح أنه كان مخطئا. وفي ١٤ مايو/أيار بدأ عبد الناصر بالدفع بقوات الجيش إلى شبه جزيرة سيناء المنزوعة السلاح، منتهكا الاتفاق الذي أنهى عملية سيناء قبل حوالي عقد من الزمن.

تسبب تمركز القوات المفاجئ في سيناء في حالة من الذعر الشديد وسط الجمهور الإسرائيلي وجزء من المنظومة الأمنية وحكومة إشكول. حيث أظهرت الصور التي بثها التلفزيون المصري حشودا متحمسة تدعو إلى «إلقاء اليهود في البحر»،

(١) عاموس جلبوع **עמוס גלבוע** (١٩٣٩ - ٢٠٢٠م): كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي برتبة عميد، شغل منصب رئيس قسم البحوث في هيئة الاستخبارات «أمان». مؤرخ وباحث في التاريخ العسكري الإسرائيلي.

ما أثار خوفا رهيبا من «محرقة ثانية»، حتى أنه تم النظر في استخدام الأداة النووية الأولى التي تمكنت إسرائيل من تجميعها قبل بضعة أشهر. وبمبادرة من رئيس الأركان السابق تسفي تسور، الذي كان حينها معاون وزير الدفاع للتدابير الخاصة، جرت مناقشة بمشاركة مدير عام «رفائيل» مئير (مونيا) ماردور والعقيد يتسحاق (ييتسا) يعقوب، الذي كان رئيس البحث والتطوير في المنظومة الأمنية، ومسؤولين كبار آخرين. كما دعي إلى جلسة المناقشات رئيس سييرت «متكال» (وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة) المقدم دوف تماري[1]، وطلب منه تحضير طاقم من المحاربين وطائرة مروحية لنقل «أداة كبيرة»، وإسقاطها في سيناء. وفي نهاية المطاف، استعادت المنظومة الأمنية رشدها وتخلت عن الخطة.

كان هناك أيضا من لم يخشوا الحرب، ومنهم وايزمان وهود. حيث كانوا يعرفون الحقيقة عن ميزان القوى بين الجيشين وقوة سلاح الجو وخطة «موكيد». وعلاوة على ذلك، فقد رأوا من تقارير الاستخبارات والصور الجوية والاستماع إلى إذاعة القاهرة، أن المصريين كانوا راضين عن أنفسهم؛ إذا أنهم كانوا يثقون بالتقارير الواردة إليهم من الجمال، «جاسوسهم النوعي»، والتي تفيد بأن الجيش الإسرائيلي سيبدأ بشن هجوم بري، وتركوا طائراتهم مكشوفة على مدرجات الطيران.

(١) دوف تماري דב תמרי (ولد عام ١٩٣٦م): هو ضابط احتياط في الجيش الإسرائيلي برتبة عميد، أحد قادة «سييرت متكال» وأول ضابط استخبارات رئيسي في الجيش الإسرائيلي.

ضغطت هيئة الأركان العامة من أجل الحرب، لكن إشكول والحكومة ترددوا. حيث أنهم كانوا يخشون من رد الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد عودة وزير الخارجية أبا إيبان من زيارة إلى واشنطن مع انطباع بأن إدارة الرئيس جونسون لن تدعم إسرائيل إذا بدأت الحرب. كما أن الرئيس الفرنسي ديغول قد حذر إسرائيل من أن تكون «أول من يطلق النار».

قرر إشكول إرسال عميت لمزيد من البحث في موقف الولايات المتحدة. التقى عميت برئيس وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي» هيلمز، وتحدث أيضا مع وزير الدفاع روبرت ماكنامارا[1]، ثم عاد بانطباع مختلف عن انطباع إيبان. حيث ذكر أن هناك على الأقل ضوء أصفر من الأمريكيين لضربة وقائية من قبل الجيش الإسرائيلي. وقد أدت رسالة عميت، قبل يومين من الحرب، إضافة إلى تعيين دايان وزيرا للدفاع قبل فترة وجيزة من ذلك، إلى اتخاذ قرار شن الحرب، مع طلوع فجر يوم ٥ يونيو/حزيران. فتم تدمير معظم الطائرات المصرية وهي على الأرض. وفي غضون ثلاث ساعات، انتهت حرب الأيام الستة بالفعل.

أدى «ياتيد» دوره على أفضل وجه. لقد كانت عملية

(١) روبرت سترانج ماكنامارا Robert Strange McNamara (١٩١٦ - ٢٠٠٩م): هو مسؤول تنفيذي أمريكي ووزير الدفاع الثامن. لعب دورا رئيسيا في تصعيد تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام.

الاحتيـال ناجحـة. وبعـد الحـرب، بـدأ بيتـون يطالـب بدفـع أجـر أكـبر لـه. وتدهـورت علاقاتـه مـع مشـغليه، رغـم أنـه قـد تـم ترتيـب عمـل لـه كمنـدوب لشركـة نفـط إيطاليـة، لديهـا امتيـاز لتشـغيل حقـول النفـط في سـيناء وخليـج السـويس.

في وقـت سـابق، عـام ١٩٦٣م، خـلال رحلـة إلى ألمانيـا، تعـرف بيتـون عـلى فالـتراود شـيفلت، وهـي مطلقـة في الثانيـة والعشريـن مـن عمرهـا وأم لطفـل، ثـم تزوجـا، وفي أواخـر السـبعينيات غـادرت الأسرة إسرائيـل متوجهـة إلى ألمانيـا. وفي عـام ١٩٨٢م، تـوفي الجـمال بعـد إصابتـه بمـرض السرطـان، وحتـى يومنـا هـذا يعتـبر الجـمال في مـصر بطـلا قوميـا، قـام بخـداع إسرائيـل.

كان الانتصـار في الحـرب أيضـا أجمـل أوقـات عميـت. ولكـن كانـت لديـه مهمـة أخـرى بالغـة الأهميـة. فقـد تـرك مـوت إيـلي كوهـين وأسر لوتـز انطباعـا سـيئا لديـه. وادعـى بعـض مسـاعديه أنـه كان عـلى وشـك الإصابـة بالاكتئـاب. ولذلـك، مـن الآن وصاعـدا، كان مصممـا عـلى: أن تفعـل إسرائيـل كل مـا في وسـعها لتحريـر جواسيسـها. وفقـط بفضـل إصراره بعـد الحـرب، بمـا في ذلـك التهديـد بالاسـتقالة، طالبـت إسرائيـل بـإدراج عمـلاء «قضيـة العـار» ولوتز-جـور أريـه في صفقـة تبـادل الأسرى أيضـا.

لم يكـن ياتيـد هـو القنـاة الوحيـدة التـي قامـت مـن خلالهـا الاسـتخبارات الإسرائيليـة بتزويـد مـصر وروسـيا بمعلومـات كاذبـة.

فقد واصل فيكتور جرايفسكي[1]، الذي كان وراء نشر خطاب خروتشوف، مساعدة الشاباك بعد هجرته إلى إسرائيل في عام ١٩٥٧م. حيث أنه أثناء وجوده في معهد لتعليم اللغة العبرية، قام أحد زملائه في الفصل بإقامة صداقة معه، وقد كان هذا الشخص دبلوماسيا في سفارة الاتحاد السوفييتي. فقام جرايفسكي بالإبلاغ عن ذلك إلى مانور، الذي أمره بالمواصلة وإقامة علاقة مع الدبلوماسي، بل وحتى قبول عرضه بالتجسس لصالح الاتحاد السوفييتي. على مدار العقد التالي، وبتوجيه من مشغليه في الشاباك، رؤوفين ميرحاف ورؤوفين حزاك[2]، قام جرايفسكي بتزويد الاتحاد السوفييتي بمعلومات كاذبة. وقبل الحرب بعشرة أيام، ذهب جرايفسكي بسيارته «NSU برينز ٤» إلى الرملة واصطحب معه ضابط استخبارات سوفييتية «كي جي بي» من سفارة الاتحاد السوفييتي في تل أبيب. حيث ذهبا إلى غابة بالقرب من كيبوتس تسوفا في جبال القدس. قال الضابط السوفييتي مستفسرا: «من المعلومات التي بحوزتي، أفهم أن إسرائيل تنوي شن حرب ومهاجمة عبد الناصر». فأكد جرايفسكي ذلك، وشدد على أن:

(١) فيكتور جرايفسكي **ויקטור גרייבסקי** (١٩٢٥ - ٢٠٠٧م): كان صحافيا إسرائيليا ولد في بولندا. وهو الذي نقل إلى مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي الخطاب السري الذي ألقاه نيكيتا خروتشوف في الجلسة المغلقة للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، والذي أدان فيه جرائم ستالين.

(٢) رؤوفين مردخاي حزاك **ראובן מרדכי חזק** (ولد عام ١٩٣٨م): عضو سابق في المنظومة الامنية، شغل منصب نائب رئيس الشاباك ورئيس بلدية القدس.

«إسرائيل لن تكون قادرة على كبح جماح نفسها». هذه المرة كانت المعلومات صحيحة.

تم نقل معلومات مماثلة لكن أكثر دقة إلى الاتحاد السوفييتي عبر قناة أخرى كان يديرها الشاباك: صحفي إسرائيلي معروف، قام بتوجيه من مشغليه بإقامة صداقة مع أفراد بعثة الاستخبارات السوفييتية «كي جي بي» في تل أبيب وزودهم بمعلومات كاذبة. وخلال لقاء الصحفي مع ممثل المخابرات الروسية قبل بضعة أيام من الحرب، أكد له أن: «الضربة التي ستوجهها إسرائيل لمصر ستكون مؤلمة للغاية. الجيش المصري سينهزم خلال ٢٤ ساعة». لقد كانوا في إسرائيل يأملون أنه من خلال نقل المعلومات حول نواياها الحقيقية، سيقوم الاتحاد السوفييتي بالتحرك وتحذير عبد الناصر وبذل كل ما في وسعه لمنع الحرب. لكن ذلك لم يحدث. ويتذكر الصحفي ذلك بابتسامة، قائلا: «المعلومات التي نقلتها لم تكن دقيقة. لقد هزمنا المصريين في ثلاث ساعات وليس في يوم واحد».

كان الانتصار في حرب عام ٦٧ هو الذي وضع دولة إسرائيل، ومعها مجتمع الاستخبارات، على مفترق طرق تاريخي.

الذراع اليهودية الطويلة

أثار الانتصار في حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧) ابتهاجا كبيرا في أوساط الجاليات اليهودية في مختلف أنحاء العالم، حيث تحول الخوف على مصير الدولة اليهودية إلى فخر كبير. وأثر الانتصار بشكل خاص على يهود الاتحاد السوفييتي، على الرغم أو ربما بالتأكيد بسبب حقيقة قيام دول الكتلة الشيوعية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل.

رأت الاستخبارات الإسرائيلية في نفسها أيضا أنها «استخبارات يهودية»، مهمتها حماية ملايين اليهود في مختلف أنحاء العالم، ومساعدة أولئك الذين يريدون الهجرة إلى إسرائيل ولكن تم منعهم. وهذا بالرغم من أن يهود العالم لم يطلبوا من إسرائيل فعل ذلك.

إن عمليات ونشاطات الاستخبارات الإسرائيلية في الجانب اليهودي، ذات طابع حساس. فاليهود في العالم هم مواطنو الدول التي يعيشون فيها، ولا يوجد دولة تحب التدخل في شؤونها؛ ومن شأن اليهود أن يصبحوا متهمين بازدواجية الولاء. ومع ذلك، يبدو أنه على مر السنين، وبالتأكيد في إسرائيل وخارجها أيضا، اتفقوا مع حقيقة أن الاستخبارات الإسرائيلية

تتعامـل مـع هـذه القضايـا.

الجهـة التـي كانـت مكلفـة بتقـصي الأخبـار اليهوديـة هـي «منظمـة الهجـرة (ب)». وبعـد حلهـا في عـام ١٩٥٢م، تـم توزيـع مهامهـا بـين هيئـة جديـد تدعـى «بيلـو»، التـي سرعـان مـا تغـيّر اسـمها إلى «نتيـف» وكانـت تتبـع مسـؤوليتها لرئيـس الحكومـة، وبـين وحـدة «بيتسـور»، التـي تعمـل ضمـن هيكليـة الموسـاد. اسـتمر كلا الجهازيـن كـما في السـابق بإرسـال مبعوثـين بهويـات مـزورة إلى الجاليـات اليهوديـة. واسـتمرا بالبحـث عـن عوامـل التأثـير، والتـي مـن خلالهـا وصـلا إلى سياسـيي الـدول التـي نشـطوا فيهـا، وأرسـلا مدربـين مـن إسرائيـل لتدريـب شـباب في الجاليـات اليهوديـة عـلى أسـاليب الدفـاع عـن النفـس، وقامـا بجمـع أمـوال مـن أثريـاء يهـود لمصلحـة مهـمات الهجـرة.

كانـت تجزئـة العمـل واضحـة: حيـث ألقيـت عـلى عاتـق «بيتسـور» مهمـة نقـل المهاجريـن اليهـود مـن الـدول العربيـة والإسـلامية، وتدريـب الجاليـات اليهوديـة في مختلـف أنحـاء العـالم عـلى الدفـاع عـن النفـس. وقـد التقـوا مـع زعـماء الجاليـات اليهوديـة ونصحوهـم بإقامـة أقسـام أمـن ودفـاع عـن النفـس. وقدمـوا، في الحـالات التـي يشـعرون فيهـا بخطـر كبـير عـلى تلـك الجاليـات، خططـا للدفـاع. هـذا مـا حـدث بالتحديـد في أمريـكا الجنوبيـة، ودول أخـرى، بينهـا دول أوروبـا الغربيـة.

بينـما تـم تكليـف رجـال «نتيـف» بيهـود الاتحـاد السـوفييتي

ودول الكتلة الشرقية. وركزوا على تقديم المساعدة للهجرة، لكنهم قاموا أيضا بنشاطات استخباراتية وجمع معلومات. وفي قضايا الدفاع عن النفس، لم يقدموا أي شيء، خوفا من السلطات.

استمرت كل من «نتيف» و «بيتسور» بتنمية العلاقات مع منظمة «جوينت» (لجنة التوزيع الأمريكية اليهودية المشتركة)/ (American Jewish Joint Distribution Committee)، التي تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى. وكان قد تم إبلاغ هنري مورغنثاو[1]، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في تركيا، بمحنة الاستيطان اليهودي في إسرائيل. حيث توجه نحو عدد من الأثرياء اليهود في أمريكا، وعلى رأسهم جاكوب شيف[2]، وطلب منهم تبرعات مالية لتمويل إرسال سلل غذائية وألبسة وأدوية.

من هذه البداية المتواضعة - حيث تم تجنيد خمسين ألف دولار - تطورت منظمة إغاثة يهودية مؤثرة ولها أفرع في مختلف أنحاء العالم. هذا وتم بعد الحرب العالمية الثانية إجراء أول اتصال بين منظمة «جوينت» و «منظمة الهجرة (ب)». وكان المبادر هو يوسف-يهوشع (جو) شوارتز، مدير

(١) هنري مورغنثاو Henry Morgenthau (١٨٥٦ - ١٩٤٦م): هو محامي ورجل أعمال وسفير أمريكي، وهو السفير الأمريكي الأكثر شهرةً في الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

(٢) جاكوب هنري شيف Jacob Henry Schiff (١٨٤٧ - ١٩٢٠م): هو رجل أعمال ومصارف أمريكي ألماني يهودي.

«جوينت» في أوروبا. لقد كان شوارتز في أيام المحرقة مشاركا بمحاولات إنقاذ يهود من أوروبا، واستطاع في أواخر الحرب أن يقنع رؤساء «جوينت» بتوجيه حوالي مليون دولار لمساعدة «منظمة الهجرة (ب)» في عمليات الهجرة غير الشرعية. واستمرت منظمة «جوينت» بتقديم المساعدات المالية والقوى البشرية والتدريب ودفع رشاوي لشراء صمت قادة عن عمليات «منظمة الهجرة (ب)» في اليمن والعراق، ولاحقا عمليات كل من «نتيف» و «بيتسور» أيضا.

نشط عناصر «نتيف» تحت غطاء دبلوماسي في سفارات إسرائيل في الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية. وقد كانت أهمية الاتحاد السوفييتي واضحة. حيث كان يعيش فيه ثاني أكبر جالية يهودية في العالم، بعد الولايات المتحدة الأمريكية وقبل إسرائيل.

في أواخر حكم ستالين، ازدادت معاداة السامية ووصلت حد الذروة في «قضية الأطباء» – مؤامرة من قبل الاستخبارات السوفييتية «كي جي بي» لاتهام أطباء يهود بمحاولة تسميم الزعيم السوفييتي ستالين. فساء وضع اليهود في الاتحاد السوفييتي والدول التي يرعاها. وأصبحت مهمة الوصول إلى من أطلق عليهم الأديب إيلي فيزيل[1] لقب «اليهودية

(١) إيلي فيزيل **אלי ויזל** (١٩٢٨ – ٢٠١٦م): بروفيسور أمريكي يهودي وناشط سياسي. ألف ٥٧ كتابا وهو يكتب عادة باللغة الفرنسية. أحد الناجين من المحرقة.

الصامتة» أمرا في غاية الصعوبة.

قامت «نتيف»، برئاسة شاؤول أفيغور، بإرسال موفدين نشطوا من السفارات في موسكو وحملوا صفات دبلوماسية مثل «سكرتير أول» أو «سكرتير ثاني». وكانت مهمتهم هي السفر في أنحاء الاتحاد السوفييتي، والوصول إلى المعابد اليهودية، وإبلاغ أبناء الجالية المحلية أن ممثلي إسرائيل الرسميين مهتمين بهم. لقد سعوا لإيقاظ الوعي اليهودي والصهيونية وإرادة الهجرة إلى إسرائيل، وأحضروا معهم كتب صلاة ولوائح التقويم (الروزنامة) وقواميس عبرية وكتبا وصحف، وأشياء خاصة أخرى من شأنها أن تربطهم باليهودية وبإسرائيل، على الرغم من معرفتهم بأن كل هذا هو في القانون السوفييتي يعتبر «معاداة للسوفييتية».

عملت الاستخبارات السوفييتية «كي جي بي» كل ما في وسعها لتشويه عمل عناصر «نتيف». حيث قام عملاء «كي جي بي» بمراقبتهم، واقتحموا الشقق، وتنصتوا على الهواتف، وحاولوا الإيقاع بهم في «مصيدة العسل» - العملية القديمة للإغواء الجنسي، والتي ستصبح لاحقا أساس القتل.

لقد خرقت الاستخبارات السوفييتية «كي جي بي» القانون الدولي في أحداث عدة ولم تعترف بالحصانة الدبلوماسية واعتقلت عناصر «نتيف» للتحقيق معهم. وأعلنت عن بعضهم بأنهم «شخصيات غير مرغوب فيها» وتم طردهم من الاتحاد

السوفييتي. هذا وقد استمرت الجهود ١٥ عاما، لكن عناصر «نتيف» فشلوا في مهمتهم: فهم لم يمهدوا الطرقات لقلوب يهود الاتحاد السوفييتي، ولا تزال الغالبية العظمى غير مبالية باليهودية والصهيونية وإسرائيل.

كان الأمر الذي أحدث التغيير هو حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧).

عندما وصل كازاكوف إلى إسرائيل، حاول رؤساء «نتيف»، أفيغور وخليفته نحميا لفانون[١]، بتوجيه من رئيس الوزراء جولدا مائير، إسكاته. حيث يروي قائلا: «لقد حذروني من الحديث مع الصحفيين كي لا أثير غضب الاتحاد السوفييتي». في حين تم تنشيط الرقابة العسكرية لمنع أي منشور. لكن حاجز الصمت لم يدم. فقد تحول كازاكوف إلى نجم إعلامي وشخص مزعج بالنسبة لعناصر «نتيف»، حيث تم استدعاؤه لإلقاء محاضرات بالجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، وانضم في عام ١٩٧٠م في نيويورك إلى مهاجر آخر جديد، يدعى دوف شبيرلينغ[٢]، في إضراب عن الطعام استمر تسعة أيام أمام مقر الأمم المتحدة، للمطالبة بالسماح لعائلاتهما بالهجرة من الاتحاد السوفييتي إلى إسرائيل.

(١) نحميا لفانون **נחמיה לבנון** (١٩١٥ - ٢٠٠٣م): كان رجل استخبارات ودبلوماسي إسرائيلي، ورئيس منظمة «نتيف».

(٢) دوف شبيرلينغ **דב שפרלינג** (١٩٣٧ - ٢٠١٤م): ناشط من أجل هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي إلى إسرائيل، تم اعتقاله وسجنه في روسيا بتهمة «الترويج للصهيونية».

دفع الصدى الشعبي جولدا مئير إلى تغيير سياساتها، وتحولت «نتيف» إلى منظمة تدعو بصوت عال: «أرسل شعبي». وشعر كازاكوف أنه حقق هدفه. وتجند بالجيش، وبدل اسمه إلى يعقوب كيدمي وحارب في حرب يوم الغفران (حرب تشرين/ أكتوبر). وفي عام ١٩٧٧م، بعد وصول الليكود إلى الحكم، انضم إلى «نتيف» بناء على دعوة رسمية من رئيس الوزراء مناحيم بيغن، وتدرج في المنظمة على مدى عشرين عاما حتى عين رئيسا لها. حدث هذا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وانهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية. حيث تم تجديد العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وروسيا والجمهوريات السوفييتية سابقا ودول أوروبا الشرقية، أو بالأحرى إعادة بنائها من جديد. وتم فتح أبواب الهجرة الحرة. وبالرغم من أن الحاجة إلى منظمة «نتيف» قد تضاءلت، إلا أنه لم يوجد رئيس وزراء لديه الشجاعة لإصدار أمر بإغلاقها. والقرار الموضوعي الوحيد الذي تم اتخاذه هو إخراج منظمة «نتيف» من الجهاز الاستخباراتي.

بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، كانت الدولة الوحيدة من بين دول الكتلة السوفييتية التي لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل هي رومانيا، بقيادة نيكولاي تشاوتشيسكو[١]، الذي أقام سياسة خارجية مستقلة.

(١) **نيكولاي تشاوتشيسكو Nicolae CeauŞescu (١٩١٨ - ١٩٨٩م): هو سياسي روماني راحل، كان الأمين العام للحزب الشيوعي الروماني في الفترة ١٩٦٥ - ١٩٨٩م، وكان هو الزعيم**

في الواقـع، أدارت رومانيـا لعبـة دبلوماسـية واسـتخباراتية مزدوجـة ومؤثـرة. فمـن جانـب، سـمحت للمنظـمات الفدائيـة الفلسـطينية بالنشـاط عـلى أرضهـا. وقـد قـام ال «سـكيوريتات»، وهـو جهـاز اسـتخبارات تشاوتشيسـكو المعروف بسـمعته السـيئة، بتدريـب فدائيين فلسـطينيين وزودهـم بالوثائق والسـلاح. ومنحت رومانيـا رعايـة خاصـة للمنظمـة الفدائيـة التابعـة لأبـو نضـال[1]، كـما كان يـاسر عرفـات أيضـا ضيفـا مرحبـا بـه في بوخارسـت. لكـن في نفـس الوقـت، قـام عمـلاء «السـكيوريتات» بمراقبـة المنظـمات الفلسـطينية وزرعـوا فيهـا جواسـيس، وتـم تقاسـم المعلومـات عنها مـع إسرائيـل. كـما كان عرفـات تحـت المراقبـة أيضـا، وتـم تركيـب كامـيرات مخفيـة في حجـرة الفنـدق الـذي كان ينـزل فيـه.

كان أحـد أعـلى مسـتويات التعـاون الـسري بـين كلا الدولتـين، يتمثـل في الاتفـاق المتعلـق بموضـوع هجـرة اليهـود. حيـث وافقت رومانيـا عـلى السـماح لعـدد مـن اليهـود بالهجـرة كل عـام مقابـل مبالـغ نقديـة دفعتهـا إسرائيـل عـن كل مهاجـر. وكان الممـول هـي منظمـة «جوينـت»، وقـد تـم تحديـد المبلـغ خـلال مباحثـات بـين ممثليهـا وممثـلي «نتيـف» وحكومـة رومانيـا. كـما أن المبلـغ كان يتغـير مـن مهاجـر إلى آخـر، ومـن عائلـة إلى أخـرى، حيـث تحـدد

الشـيوعي الثـاني والأخـير في البـلاد. وكان أيضـا رئيـس جمهوريـة رومانيـا الاشـتراكية مـن عـام ١٩٦٧م حتـى محاكمتـه وإعدامـه في ٢٥ ديسـمبر/كانون الأول عـام ١٩٨٩م.

(١) صـبري خليـل البنـا «أبـو نضـال» (١٩٣٧ - ٢٠٠٢م): مؤسـس مجلـس فتـح الثـوري، وهـي جماعـة مسـلحة فلسـطينية منشـقة، عرفـت أيضًـا باسـم «منظمـة أبي نضـال».

بناء على تعليمهم وخلفيتهم ووضعهم. أما الأساس وراء هذا الترتيب، فكان الفكرة بأن المبلغ هو تعويض لرومانيا عن استثمارها في تربية وتعليم اليهود، في الوقت الذي ستستفيد فيه إسرائيل من ذلك. لكن المنطق لم يخفي حقيقة أن هذا كان نفاقا.

كان منسق العملية من جانب إسرائيل هو يشعياهو (شايكه) دان[1]، الذي كان مظليا في بعثة المخابرات البريطانية إلى رومانيا عام ١٩٤٤م، للمساعدة في إنقاذ الطيارين البريطانيين والأمريكيين. وبعد الحرب، نشط دان في إطار «منظمة الهجرة (ب)» في يوغوسلافيا، ومع إقامة «نتيف» كان من أوائل المنضوين في خدمتها.

بدءا من النصف الثاني لسنوات الستين، اعتاد دان القدوم إلى بوخارست مرة أو مرتين كل عام. وفي طريقه إلى هناك، كان يتوقف في جنيف. حيث كان يستلم من ممثل منظمة «جوينت» مبلغا ماليا كبيرا نقدا - في رومانيا كانوا يطلبون مارك ألماني - ويضعه في حقيبة اليد. وفي بعض الأحيان، كان دان يسافر إلى فيينا لمقابلة دبلوماسي روماني رفيع المستوى، كان غالبا أحد أقارب تشاوتشيسكو. حيث يقوم دان بإعطائه قسما من المال، ويحصل منه على موافقة خطية بأنه

---

(١) يشعياهو «شايكه» دان ישעיהו "שייקה" דן (١٩٠٩ - ١٩٩٤م): كان من «مظليي الاستيطان» الذين تم إرسالهم إلى الأراضي الأوروبية المحتلة من قبل النازيين وحلفائهم، وقد كان من النشطاء الرئيسيين في حركة «بريخا»، ومن مؤسسي منظمة «نتيف».

يستطيع المتابعة في طريقه. كانت هذه من أموال الفساد التي أودعها أفراد عائلة تشاوتشيسكو في مصارف النمسا وسويسرا. في بوخارست، وبعد أن يظهر المذكرة، يسمح لدان بمقابلة قادة النظام وإعطائهم بقية المال. وكان يتم إيداع جزء قليل من المال في خزانة الدولة. هذا وقد تحدث دان عن إحدى لقاءاته مع جنرال في «السكيوريتات» سلمه خلالها المال باليد، فانزعج الجنرال قائلا: « لماذا تستخدم حقيبة يد؟ فلتحضر معك حقيبة سامسونايت «. وفي المرة التي تلتها سلم الجنرال المال والحقيبة.

على مدار عقدين من الزمن، حتى انهيار النظام الشيوعي في رومانيا، والتي انتهت بمقتل تشاوتشيسكو وزوجته في عام ١٩٨٩م، هاجر إلى إسرائيل ما يقارب ٢٠٠ ألف من يهود رومانيا. وفي المقابل، دفعت إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر، حوالي ٤٠٠ مليون دولار.

لكن رومانيا أرادت الاستفادة من الجميع، واستغلت أمواج المهاجرين لإدخال جواسيس إلى إسرائيل. وقصة عائلة صموئيل نموذجا على ذلك.

كان أفرايم صموئيل(١) يهوديا تدرج في السلم الحزبي، ووصل إلى وظيفة رئيس مكتب وزير الزراعة الروماني. وعندما تمت

(١) أفرايم صموئيل **אפרים סמואל**: جاسوس روماني، عمل تحت غطاء مهاجر جديد إلى إسرائيل، ألقي القبض عليه من قبل الشاباك عام ١٩٦٥م.

إقالة الوزير عام ١٩٥٢م، اعتقل صموئيل وسجن وتعرض لتعذيب شديد. وبعد أربع سنوات أطلق سراحه، ومن ثم وجهت له تهمة «انحرافات يمينية» وقدم له عرض «للتكفير عن ذنبه» - وصموئيل وافق. تم تجنيده لصالح المخابرات، حيث تلقى تدريبات لمدة نصف عام على تجنيد العملاء وأساليب الاتصالات السرية، وتم إرساله إلى إسرائيل وتوجيهه للاستثمار في حيفا. وكانت مهمته معرفة النظام السياسي في إسرائيل، والتحري عن الوضع الاقتصادي، وتحديد شخصيات للتجنيد.

عائلة صموئيل

في عام ١٩٥٨م، هاجر صموئيل مع زوجته أرتسا وولديهما إلى إسرائيل. فاستقروا في حيفا وعمل كهربائيا. في بعض الأحيان، كان مسؤولا عن صيانة قطع الغسالات شمال البلاد. وبعد عدة أشهر، تلقى الشاباك معلومات أنهم اشتبهوا به كجاسوس. فتم استدعاؤه للتحقيق، وكانت إجاباته تريح المحققين. لكن المعلومات استمرت بالتدفق، خاصة من مهاجرين من رومانيا، فبدأت وحدة العمليات الخاصة التابعة للشاباك بمراقبته. وكشف صموئيل المراقبة وضاعف حذره.

تم اعتقاله عام ١٩٦٥م. عندما انتقلت العائلة إلى حي نفيه شانان، حيث قام الشاباك باستئجار شقة بجوارهم وبدأ بالمراقبة والتنصت، حتى تم اعتراض بث مشفر للمخابرات

الرومانية مجهز لصموئيل. وخلال البث التالي اقتحم عناصر العمليات الشقة ووجدوا الزوجين عاريين في سريرهما ويستمعان إلى البث المشفر.

تعاون صموئيل مع التحقيق خوفا على ولديه، وكشف عن أسماء ضباط المخابرات الرومانيين الذين التقى بهم في البلاد. أخذت المحكمة بتقديرات تجنيده تحت التهديد، وحكمت عليه بالسجن لمدة ست سنوات، وأطلقت سراح زوجته، التي لم تعترف بما يدينها. فيما بعد، تجند ابنهما البكر في الجيش الإسرائيلي، بعد أن اتضح بشكل لا يثير الشك بأنه لم يكن على دراية بأعمال ذويه التجسسية. وبعد مرور عدة أشهر، وجه تشاوتشيسكو نداء للسلطات في رومانيا للمطالبة بإطلاق سراح صموئيل، فوافقت إسرائيل. وفي عام ١٩٦٧م، عادت عائلة صموئيل، بما فيهم ابنهم الجندي، إلى رومانيا.

أقام رجال «بيتسور» تعاونا وثيقا مع منظمة «جوينت» أيضا. وأنشأوا في الوحدة قسمين: «هتسالا» إنقاذ و «مسكاروت» أطر، (هاغانا). العملية الأهم والأكبر التي نفذتها «الهاغانا» كانت في المغرب، عام ١٩٥٦م.

إدارة عمليات الهجرة للكيان الجديد

هاجر إلى إسرائيل منذ إعلان قيام الدولة، وعلى مدى ثمان سنوات، حوالي مئة ألف يهودي من يهود المغرب. لكن منذ انتهاء حكم الاستعمار الفرنسي ونيل المغرب استقلالها، غيرت تعاملها مع اليهود، خاصة بعد الضغط الذي مارسه عبد الناصر وأصوات راديكالية أخرى في العالم العربي. وكان مستقبل عشرات آلاف اليهود الذين بقوا في المغرب موضع قلق بالنسبة لإسرائيل. فقررت الحكومة والوكالة اليهودية أن توجها الموساد لإعادة تفعيل نشاطه في المغرب، من أجل إعادة تجديد عمليات الهجرة، وهذه المرة بشكل سري. وبناء على توجيهات إيسر هاريل، قامت منظمة «بيتسور» بتجنيد قوى بشرية، وبالتحديد ضباط خدموا سابقا في الجيش الإسرائيلي وهم من المهاجرين من المغرب ويتحدثون اللغتين العربية والفرنسية. وكان على رأس القائمة شموئيل توليدانو، الذي كان اسمه الحركي «أمنون». والذي نشط في باريس. كما نشط في العملية إلى جانب «بيتسور»، حركة الشباب في المغرب، وأطلق على البناء التنظيمي وخطط العمل الاسم الحركي «ميسغيريت» إطار العمل.

كان على عاتق «بيتسور» مهمتان اثنتان: الأولى، تنظيم الشباب اليهود في المغرب وبذلك يستطيعون الدفاع عن الجاليات في وجه مضايقات جيرانهم العرب. والمهمة الثانية هي إيجاد سبل لإخراج ما تبقى من يهود المغرب ونقلهم إلى إسرائيل.

في المرحلة الأولى، وبمساعدة منظمة «جوينت»، حصلت مجموعات قليلة على وثائق مزورة، وتمت رشوة موظفين كي يغضوا الطرف ويسمحوا لهم بمغادرة المغرب. وكانت إحدى السبل المفضلة هي التهريب عبر الحدود من المغرب إلى الجيب الذي يقع تحت سلطة إسبانيا، مقابل مضيق جبل طارق. وقد سمحت إسبانيا، بزعامة الجنرال فرانسيسكو فرانكو[1]، بمثل هذه الأعمال السرية لإسرائيل.

كانت السلطات البريطانية في صورة الوضع أيضا. وقامت «بيتسور» جنبا إلى جنب مع الوكالة اليهودية باستئجار قاعدة عسكرية على الشاطئ الجنوبي لإسبانيا في مستعمرة التاج البريطاني في جبل طارق، تم فيها استيعاب يهود المغرب. ومن هناك أبحروا على متن السفن إلى مارسيليا في فرنسا، والتي أقيم فيها أيضا قاعدة استيعاب كبيرة، ثم تابعوا منها إلى ميناء حيفا.

(١) الجنرال فرانسيسكو فرانكو Francisco Franco (١٨٩٢ - ١٩٧٥م): هو جنرال وديكتاتور إسباني أحد قادة انقلاب سنة ١٩٣٦م للإطاحة بالجمهورية الإسبانية الثانية التي أدت إلى الحرب الأهلية الإسبانية. وبعد ذلك حكم إسبانيا حكما ديكتاتوريا بين عامي ١٩٣٩ - ١٩٧٥م، ملقبا نفسه بالكوديو أو الزعيم.

في عام ١٩٦١م، حدثت كارثة. حيث غرقت سفينة الصيد «إيغوز» أثناء عاصفة بحرية، وعليها ٤٤ مهاجرا من المغرب وطاقم إسباني وعامل لاسلكي تابع للموساد. وأثار الحادث صدى وتعاطفا حول مصير يهود المغرب، لكنه ولد انتقادا حادا في العالم العربي ضد ملك المغرب محمد الخامس[1]، الذي سمح، حتى وإن كان من خلال غض الطرف، بخروج اليهود من بلاده. فأصبح من الواضح لإسرائيل أنه يتوجب عليهم التصرف بطريقة مختلفة، وبسرعة. وهذه المرة أيضا، التمس الموساد مساعدة «جوينت»، والتقى مديروها مع كبار موظفي إدارة أيزنهاور، وقاموا بتحريك عوامل التأثير والنفوذ في فرنسا من أجل تغيير موقف ملك المغرب. وما لم تفعله الدبلوماسية فعله المال؛ فقد جندت منظمة «جوينت» مبالغ ضخمة، استخدم جزء منها كرشوة للملك ومساعديه. وبعد حوالي شهرين من غرق سفينة «إيغوز»، مات محمد الخامس، وتولى ابنه الحسن الثاني[2] عرش المملكة، وسعى إلى

(١) محمد الخامس (١٩٠٩ - ١٩٦١م): هو محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي، بويع محمد سلطانا للمغرب في ١٨ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٢٧م، ولم يزل سلطان المغرب إلى سنة ١٩٥٧م، قضى منها في المنفى بين عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٥م، ثم اتخذ لقب الملك عام ١٩٥٧م ولم يزل ملكا إلى وفاته سنة ١٩٦١م.

(٢) الحسن الثاني (١٩٢٩ - ١٩٩٩م): ملك المغرب تمتد أصوله للأسرة العلوية، حكم المغرب بين عامي ١٩٦١ - ١٩٩٩م. ساهم برفقة والده الملك محمد الخامس في تحرير المغرب من الاحتلال الفرنسي حيث عرف بحنكته ودهائه السياسي منذ ريعان شبابه، استطاع قيادة المغرب بقبضة من حديد وتحقيق استقرار وتوجيهه لبلاده نحو المعسكر الرأسمالي

تحسـين علاقاتـه مـع واشـنطن.

كل هـذه الأمـور مجتمعـة فعلـت فعلهـا. فقـد سـمح ليهـود المغـرب بمغـادرة الدولـة بطريقـة منظمـة، وإن كانـت الوجهـة النهائيـة، إسرائيـل، ظلـت سريـة. وتـم إعطـاء عمليـة تجديـد الهجـرة مـن المغـرب اسـما حركيـا هـو «ياخـين» (مسـتعد).

ووفقـا للعمليـة، فقـد تـم إرسـال عمـلاء «ميسـغيريت» إلى اليهـود في كافـة أنحـاء المغـرب، وتـم جمعهـم وتركيزهـم في مواقـع حـددت مسـبقا. ومـن هنـاك، تـم نقلهـم بحافـلات وشـاحنات إلى موانـئ المغـرب، ومـن ثـم نقلهـم بحـرا إلى معسـكر الاسـتيعاب في مرسـيليا ومنـه إلى إسرائيـل.

غـادر المغـرب بهـذه الطريقـة حـوالي ثمانـين ألـف يهـودي. وبطريقـة مشـابهة، تـم في صيـف عـام ١٩٦١م إخـراج حـوالي ألـف مهاجـر يهـودي مـن تونـس الجـارة. وقـد أبحـروا في سـفينة حربيـة فرنسـية، بعـد أن اضطـرت فرنسـا إلى إغـلاق القاعـدة البحريـة الأخـيرة لهـا في شـمال أفريقيـا.

تهجير يهود الأرجنتين

كانـت المهمـة التاليـة في أمريـكا الجنوبيـة، حيـث يعيـش يوجد في الأرجنتـين إحـدى أكـبر الجاليـات اليهوديـة في العـالم، والتي تقدر

في حـين كانـت معظـم الجمهوريـات العربيـة تُسـاند المعسـكر الاشـتراكي. كـما يعـدّ الحسـن الثـاني بانيـا للمغـرب الحديـث وباعـث نهضتـه وموحـدا للبـلاد ومحـررا للصحـراء المغربيـة مـن قبضـة الاسـتعمار الإسـباني بمسـيرة خـضراء سـنة ١٩٧٥م.

بنصف مليون شخص. وبعد اعتقال أيخمان، ازدادت موجة معاداة السامية، وشكلت خطرا عليها. الخطر الرئيسي شكلته «تاكوارا» («نبتة القصب»)، وهي منظمة يمينية متطرفة ذات إيديولوجية بدائية-فاشية، والتي جمعت حولها ضباط جيش وشرطة وشخصيات رفيعة وإلى جانبهم رجال أعمال وسياسيين.

وصلت الأحداث المعادية للسامية ذروتها في يونيو/حزيران عام ١٩٦٢م في بيونس آيرس. حيث تم اختطاف الشابة اليهودية غراسييلا سيروتا على يد عصابة من أعضاء «تاكوارا»، الذين قاموا بضربها ووضع إشارة صليب معقوف على صدرها. شكل الحادث خطرا على الجالية اليهودية، وازداد الضغط في إسرائيل أيضا على الحكومة لإنقاذ اليهود».

شكلت «بيتسور» بتوجيه من بن غوريون وهاريل وحدات «ميسغيريت» مشابهة لتلك التي نشطت في المغرب، والتي كان هدفها الرئيسي في مجال الدفاع عن النفس. وتم إرسال رجال «بيتسور» إلى الجاليات اليهودية في الأرجنتين وأقاموا فيها فصائل أمنية، غالبا دون علم السلطات المحلية. وقد جند فيها الشبان أعضاء حركات الشباب الصهيونية، فيما قدم لهم ضباط الجيش الإسرائيلي وعناصر الشاباك التدريب الأساسي في الدفاع عن النفس وتأمين وحماية مؤسسات الجالية. كما تم نقل جزء منهم إلى إسرائيل وخضعوا لتدريبات على السلاح وأساليب الجمع الاستخباراتي والمراقبة والرصد وغيرها.

لكـن «ميسـغيريت» التـي تـم إنشـاؤها في الأرجنتـين، والتـي ضمـت مئـات الأعضـاء، لم تقتـصر عـلى أعـمال الدفـاع، فقـد قـام أعضاؤهـا مـن حـين لآخـر بعمليـات اسـتباقية رادعـة. حيـث قامـوا بـضرب قـادة «نازيـون جـدد»، وهدّمـوا أماكـن لقاءاتهـم، وفخخـوا المطابـع التـي كانـت تطبـع المنشـورات المعاديـة للسـامية.

تـم وصـف إحـدى تلـك العمليـات مـن قبـل الصحفـي غوغـا كوغـان في صحيفـة «عـال همشـمار» في أواخـر عـام ١٩٩٤م. والتـي حدثـت في مقهـى اعتـاد أن يجلـس فيـه أعضـاء مجموعـة معاديـة للسـامية، قامـوا بمضايقـة فـرع حركـة «هشـومير هتسـعير - الحـارس الشـاب» المحـلي. حيـث كتـب: «أراد عـدد مـن أعضـاء فـرع حركـة ‹هشـومير هتسـعير› وضـع حـد لهـذا الأمـر وبأكـثر الطـرق عنفـا: بتكسـير رؤوسـهم، حرفيـا. إننـي أتذكـر بوضـوح الصـوت الشـديد لتحطيـم الطاولـة مـع زجاجـات الكـوكا كـولا التـي كانـت عليهـا. دخـل أول زوج مـن الشـبان إلى المقهـى بخطـى ثابتـة وتوجهـا إلى الطاولـة التـي كانـت تجلـس حولهـا المجموعـة المتسـكعة ‹البلطجيـة›، وقالـوا لهـم عبـارة كانـوا قـد جهزوهـا عـلى طـول الطريـق: ‹نحـن مـن الفـرع اليهـودي، يـا قطـع القـذارة›، عندئـذ قـام أحدهـم ولـوح بقطعـة أخرجهـا مـن تحـت السـترة وأنزلهـا بـكل قوتـه عـلى رأس أقـرب رجـل».

تهجير يهود سوريا

أدار أيضا رجال «بيتسور»، في سنوات السبعين، عملية لتهريب بقية يهود سوريا. هنا أيضا تم استخدام نسخة من عمليات الهجرة السابقة: من خلال إقامة اتصال مع زعماء الجالية وتنسيق خطة الفرار. تم تشفير التفاصيل برسائل تم إرسالها من أقرباء العائلات أو من يهود غادروا سوريا وعاشوا في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

طلب من اليهود الوصول بمجموعات صغيرة إلى نقاط التجمع في لبنان. وهناك كان بانتظارهم عناصر من الاستخبارات الإسرائيلية، حيث تم نقلهم بحاملات إلى شاطئ البحر. كان رجال «شيطت ١٣» قد نزلوا على الشاطئ في منتصف الليل وأمنوا المهاجرين أثناء نقلهم بحرا بقوارب صغير إلى سفينة تابعة لسلاح البحرية، والتي أبحرت إلى ميناء حيفا. وتم تكرار العملية عدة مرات.

كانت الشخصية الرئيسية في العملية هي جودي فيلد كار[1]، وهي يهودية كندية تم دفع الفدية من مالها. حيث روت قائلة: «اشترينا يهودا الواحد تلو الآخر. كان هذا هو السر المعروف الأشد سرية في العالم اليهودي. لقد اشتريت اليهود كما يشترون الماشية». وبهذه الطريقة، أنقذ من سوريا منذ

(١) جوديث (جودي) فيلد كار **ג'ודית (ג'ודי) פלד-קאר** (ولدت عام ١٩٣٨م): هي موسيقية وناشطة حقوق إنسان يهودية كندية، اشتهرت بشكل خاص بتهريب يهود سوريا إلى خارج البلاد.

عـام ١٩٧٣م وحتـى عـام ١٩٩٠م حـوالي ٣٢٠٠ يهـودي. الغالبيـة هاجـروا إلى إسرائيـل، وجـزء منهـم وصـل إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وكنـدا.

ساعدت «بيتسـور» أيضـا فيلـد كار مـن أجـل تهريـب «تـاج دمشـق» مـن سـوريا. وهـو مخطـوط مهـم ل «التنـاخ» مـن القـرن الثالـث عـشر، حيـث تـم تهريبـه إلى كنـدا بمسـاعدة الجاليـة اليهوديـة وأحـد أصدقـاء فيلـد كار، ومـن هنـاك وصـل إلى إسرائيل.

تهجير يهود اليمن

أجريـت عمليـة أخـرى، باسـتخدام أسـاليب مشـابهة، في التسـعينيات في اليمـن. حيـث ذهـب عنـاصر «بيتسـور» او الصحفيـون الذيـن أرسـلوا مـن قبلهـا، إلى الجاليـات اليهوديـة للوقـوف عـلى وضعهـم ومعرفـة رغباتهـم. في الوقـت نفسـه، بواسـطة منظمـة «جوينـت» وضمـن نشـاط الإدارة الأمريكيـة، تـم التواصـل مـع رئيـس اليمـن عـلي عبـد اللـه صالـح[1]، الـذي سـمح لليهـود بالخـروج مـن الدولـة برحـلات جويـة منظمـة، وكل هـذا ضمـن سريـة تامـة ومقابـل أن تقـوم الإدارة الأمريكيـة بمنـح اليمـن مسـاعدة ماليـة. كان هنـاك أيضـا مـن جهـد نفسـه لإيـداع المـال لـه ولمسـاعديه في البنـوك البريطانيـة. لكـن السريـة انتهكـت عندمـا قـام نشـطاء جماعـة «ناطـوري كارتـا» بفضـح أمـر العمليـة

(١) عـلي عبـد اللـه صالـح (١٩٤٧ - ٢٠١٧م): هـو الرئيـس السـادس للجمهوريـة العربيـة اليمنيـة (اليمـن الشـمالي) مـن عـام ١٩٧٨م وحتـى عـام ١٩٩٠م، وأصبـح أول رئيـس للجمهوريـة اليمنيـة بعـد توحيـد شـطري اليمـن (الجنـوبي والشـمالي).

- في محاولـة للتأثـير عـلى يهـود اليمـن كي لا يهاجـروا إلى إسرائيـل، ويفضلـوا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

تهجير يهود أثيوبيا.. «عملية موسى»

كانـت العمليـة الأكـثر تأثـيرا، والتـي اسـتغرقت ثمـان سـنوات ونالـت إشـادة دوليـة وتغطيـة واسـعة النطـاق، هـي نقـل مهاجري يهـود إثيوبيـا. فقـد وافـق الموسـاد عـلى مـر السـنين، وعـلى غـير عادتـه، عـلى كشـف عـدد غـير قليـل مـن التفاصيـل السريـة حـول مـا حـدث هنـاك.

في أيـام حكومـات «مبـاي» (حـزب عـمال أرض إسرائيـل) وحـزب العمـل، لم يتـم فعـل أي شيء للاسـتجابة لطلبـات يهـود إثيوبيـا الراغبـين بالهجـرة إلى إسرائيـل. عـلى الرغـم مـن أنـه كان مـن الممكـن فعـل هـذا بسـهولة بالغـة؛ فإثيوبيـا بقيـادة القيـصر هيـلا سـلاسي كانـت حليفـا اسـتراتيجيا وشريكـة لإسرائيـل. والعـذر لعـدم العمـل هـو أن الحاخاميـة لا تعـترف بيهوديـة يهـود إثيوبيـا، لكـن عـلى مـا يبـدو أنهـا كانـت تخفـي وراءهـا نزعـة عنصريـة خفيفـة.

تغـيرت هـذه السياسـة بعـد انقـلاب عـام ١٩٧٧م. حيـث أعطـى رئيـس الحكومـة مناحيـم بيغـن توجيهـات لرئيـس الموسـاد إسـحاق حـوفي لإعـداد خطـة عمـل. عـلى الرغـم مـن أنـه في ذلـك الوقـت قـد سـيطرت عـلى الحكـم في أديس أبابـا حكومة ماركسـية برئاسـة

الكولونيل منغستو هيلا مريام[1]، وأطاحت بالقيصر في عام ١٩٧٤م وتسببت باندلاع حرب أهلية. وقد استمرت إثيوبيا لفترة من الزمن بالحفاظ على علاقات سرية مع إسرائيل واشترت أسلحة منها، ولكن بعد أن أكد وزير الخارجية موشيه دايان في مؤتمر صحفي أن إسرائيل تبيع عتادا أمنيا للنظام الماركسي في إثيوبيا، أمر منغستو بإيقاف التعاون: طرد الإسرائيليين وإغلاق محطات التنصت التابعة للموساد وهيئة الاستخبارات «أمان». وبهذا فقدت إسرائيل ثروة استخباراتية استراتيجية هامة، وانقطع الاتصال مع الجالية اليهودية. وقد ساء الوضع في إثيوبيا عندما تفاقمت الحرب بشدة.

تسلل عناصر «بيتسور» إلى إثيوبيا بهويات مزورة، بعضها إيطالية، والشكر لموافقة المخابرات الإيطالية على تأمين الوثائق اللازمة للعملية، وكذلك للسودان، التي فرّ إليها مئات آلاف اللاجئين، ومن بينهم يهود. وقد تم تعيين داني ليمور[2] لإدارة مشروع العملية، وهو ضابط جمع استخباراتي تابع لوحدة

(١) منغستو هيلا مريام (وُلِد عام ١٩٣٧م): كان أبرز ضابط في ديرغ، الطغمة العسكرية الشيوعية التي حكمت إثيوبيا بين عامي ١٩٧٤ - ١٩٨٧م، ورئيس جمهورية إثيوبيا الشعبية الديمقراطية بين عامي ١٩٨٧ - ١٩٩١م. وقد أشرف على الإرهاب الأحمر الإثيوبي الذي امتد في الفترة ١٩٧٧ - ١٩٧٨م. وقاد حملة ضد الحزب الثوري الشعبي الإثيوبي والفصائل الأخرى المناوئة لـ (ديرغ). فر منغستو إلى زمبابوي في عام ١٩٩١م في نهاية تمرد طويل ضد حكومته، وبقي هناك بالرغم من حكم قضائي إثيوبي غيابي وجده مذنبًا بتهمة القتل الجماعي.

(٢) داني ليمور דני לימור: هو رجل استخبارات إسرائيلي، اشتهر بعد خدمته في الموساد باعتباره الشخص الذي قاد عملية «الإخوة» لنقل يهود إثيوبيا إلى إسرائيل عبر السودان.

«تسـومت».

كان ليمـور قبـل ذلـك بعـدة سـنوات مـن بـين تسـعة موقعـين عـلى المعـروض الـذي تـم إرسـاله لرئيـس الموسـاد حـوفي. حيـث أبـدوا في معروضهـم استياءهم مـن الفسـاد في المؤسسـة، وخاصـة مـن قبـل رؤسـائهم المعينـين عليهم، قـادة البعثـات الذين يسـيئون اسـتخدام المـال. كان محظـورا عـلى موظفـي الموسـاد التكتـل، وقـد رأى حـوفي في ذلـك «تمـردا»، يذكّـر بتمـرد الجواسـيس بدايـة الخمسـينيات ضـد رؤيفـين شـيلواح، والمعارضـة التـي حصلـت في سـنوات السـتين ضـد تعيـين مئـير عميـت. في الحقيقـة، أمـر حـوفي بتعيـين ضابـط للتحقيـق في الشـكوى، لكـن النتائـج التـي توصـل إليهـا كانـت فاتـرة، ومـن المشـكوك فيـه مـا إذا كان قـد بـذل جهـدًا للوصـول إلى جـذور التهـم الخطـيرة. فوجـد جـزء مـن الموقعـين عـلى المعـروض أنفسـهم، وبسرعـة، خـارج الموسـاد، كـما تـم وضـع ليمـور أيضـا في «الثلاجـة»، وأصبـح عاطـلا عـن العمـل. لقـد كان لتكليفـه بمهمـة إثيوبيـا دليـل عـلى أنـه مـن الممكـن ألا تؤمـن المؤسسـة بإمكانياتهـا. لكـن نظـرا لصلابـة ليمـور، وحقيقـة أنـه في مرحلـة معينـة كان رئيـس «بيتسـور» هـو أفرايـم هليفـي، الـذي أصبـح فيـما بعـد رئيسـا للموسـاد، أصبحـت خطـة العمـل واقعـا.

بـدأ ليمـور، الـذي انتحـل صفـة عـالم أنثروبولوجيـا جـاء للقيـام بجولـة في السـودان، مـع عنـاصر الموسـاد بالبحـث، ونجحـوا

بمساعدة منظمات إغاثة يهودية ودولية في التواصل مع اليهود الباقين في مخيمات اللجوء المؤقتة جنوب السودان. وفي الوقت نفسه، سجل محامو الموساد شركة أجنبية في جنيف تحت اسم «نافاكو». وقد تم تقديم التغطية المهنية من قبل رجل الأعمال اليهودي - السويسري نسيم جاعون[١]، الذي ساعد الموساد على مدى عقود في علاقاته مع العالم العربي وإفريقيا، وخاصة السودان. أقامت الشركة وكالات غوث، واستأجرت منتجعات مهجورة في إيطاليا باسم «أراوس»، وعلى شواطئ البحر الأحمر بجانب مدينة الميناء البحري بور سودان. جند الموساد للعملية العشرات من عناصره، وأعاد المتقاعدين إلى الخدمة، حيث تم إرسال جزء منهم لتأهيل المنتجعات، وانتحلوا صفة مدربي غوص وتزلج. ولإحكام العملية تم إدخال وكالات السفر في الصورة، وبدأت بتسيير رحلات جوية إلى المنتجعات السياحية من أوروبا.

قام رجال الموساد بتجميع اليهود ونقلهم ليلا عبر طرقات غير نظامية إلى مقربة من المنتجعات، في الأوقات التي لا يوجد فيها نزلاء. ومن هناك قام رجال «شيطت ١٣» بإصعادهم على متن سفن سلاح البحر والإبحار بهم إلى شرم الشيخ، التي كانت آنذاك تحت السيطرة الإسرائيلية، أو إلى إيلات. استمر

(١) نسيم جاعون נסים גאון (ولد عام ١٩٢٢م): هو سياسي سوداني «يهودي تركي» من أصل سويسري نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، ورئيس «اتحاد السفارديين في العالم»، ورئيس مجلس الحكام في جامعة بن غوريون في إسرائيل.

العمل بهذه الطريقة لأكثر من خمس سنوات، حيث كانت تصادف رجال الموساد من وقت لآخر حوادث مع قوات أمنية سودانية، مطالبين فيها بالتعامل مع نزلاء أبرياء لكن مشبوهين، والذي كان من شأنهم كشف العملية.

لكن بيغن طالب بالحث على زيادة وتيرة الهجرة. ولأجل ذلك، صيغت في الموساد خطة أخرى، لا تقل إبداعًا بل وأكثر فاعلية: تم العثور على مهبط قديم، وبعد أن أعيد تأهيله هبطت فيه طائرات النقل التابعة لسلاح الجو من طراز هيركوليز. ونفذت ثلاث عمليات نقل للمهاجرين بهذه الطريقة، لكن من الواضح أن خطر كشف العملية كان كبيرا جدا.

في نهاية عام ١٩٨٢م، حل ناحوم أدموني خلفا لحوفي في رئاسة الموساد. فعمل أدموني وأوجد حلا آخر، ذكر بعمليات نقل المهاجرين من اليمن والعراق في الخمسينيات، ومن المغرب في الستينيات. وبمساعدة وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي» وعناصر ارتباط آخرين، وجد الموساد قنوات تواصل مع الرئيس السوداني الموالي لأمريكا، الجنرال جعفر النميري[١]، ومع رئيس أجهزته الأمنية عمر الطيب[٢]. هذا وتم تجنيد

(١) جعفر محمد النميري (١٩٣٠ - ٢٠٠٩م): الرئيس الرابع لجمهورية السودان خلال الفترة ١٩٦٩ - ١٩٨٥م.

(٢) الفريق الدكتور عمر محمد الطيب (ولد عام ١٩٣٦م): النائب الأول لرئيس جمهورية السودان الاسبق. وقد ظهرت شهرته العسكرية عندما ضرب التمرد في جنوب السودان والذي

أمـوال منظـمات يهودـيـة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وكنـدا، وقامـت تلـك المنظـمات بإيـداع الأمـوال في حسـابات سريـة للاثنين ومسـاعديهما. فجـددت أمـوال الفسـاد (الرشـوة) التـي كانـت تقـدر بعـشرات ملايـين الـدولارات، موافقاتهـم عـلى نشـاط عنـاصر «بيتسـور» في السـودان، ونقـل اليهـود منهـا جـوا.

وضـع النمـيري والطيـب شروطـا: أن يعمـل رجـال الموسـاد بوثائـق أجنبيـة، وأن تتـم عمليـة الترحيـل الجـوي عـن طريـق شركـة غـير إسرائيليـة، وأن يتـم نقـل اليهـود إلى أوروبـا وليـس مبـاشرة إلى إسرائيـل. ومـرة أخـرى دخلـت منظمـة «جوينـت» في الصـورة، ووقعـت عقـدا مـع شركـة تأجـير بلجيكيـة «ترانـس يوروبيـان للطـيران – TEA»، التـي تقـوم بنقـل الحجـاج إلى مكـة. وقـد تـم إطـلاع صاحـب الشركـة جـورج جوتلـمان[1]، البلجيـكي اليهـودي، عـلى سر العمليـة وأبـدى موافقتـه التامـة. هكـذا أتـت إلى العـالم «عمليـة مـوسى». وعـلى مـدار سـتة أسـابيع، مـن نهايـة يناير/كانـون الثـاني عـام ١٩٨٤م، نقـل عنـاصر الموسـاد كل ليلـة تقريبـا اليهـود مـن مخيـمات اللجـوء إلى الخرطـوم، وهنـاك قامـوا

قـاد إلى اتفاقيـة أديـس أبابـا عـام ١٩٧٢م. تـولى منصـب رئيـس جهـاز المخابـرات السـودانية، وعـين نائبـا أول لرئيـس الجمهوريـة نتيجـة لجهـوده في المصالحـة الوطنيـة. وبعـد انتفاضـة أبريـل/ نيسـان عـام ١٩٨٥م، حكـم عليـه ١٤٤ سـنة سـجن في محاكمـة سياسـية، سـافر بعدهـا إلى المملكـة العربيـة السـعودية في عـام ١٩٨٩م في رحلـة للمنفـى الاختيـاري، ثـم عـاد إلى السـودان في عـام ٢٠٠٠م بعـد العفـو عنـه وإرجـاع ممتلكاتـه المصـادرة.

(١) جـورج جوتلـمان (١٩٣٨ – ٢٠١٩م): مهنـدس ورجـل أعـمال بلجيـكي يهـودي، أحـد الناجـين مـن المحرقـة، وصاحـب شركـة الطـيران «TEA»، والمعـروف بمسـاهمته الكبـيرة في «عمليـة مـوسى» لنقـل اليهـود الإثيوبيـين مـن السـودان إلى إسرائيـل.

بإصعادهم على متن الطائرة. حيث توجهت غالبية الرحلات إلى أثينا ومن هناك تابعت إلى إسرائيل.

تمت العمليات بسرية، وحتى المراسلون الأجانب في إسرائيل وافقوا على عدم نشر أي تقرير حول العملية، لمعرفتهم بأن كل منشور من شأنه أن يفشل العملية ويشكل خطرا على حياة المشاركين فيها. من لم يحافظ على صمته، كان يهودا دومينيتز[١]، وهو موظف رفيع في الوكالة اليهودية، حيث أجرى مقابلة مع مجلة المستوطنين «نكودا» (نقطة)، والتي لم تقم بعرض المقابلة للرقابة العسكرية مثل غالبية وسائل الإعلام.

بدأت المعلومة بالانتشار، ووصلت أيضا إلى العالم العربي وإلى السودان. فأمر النميري بوقف الرحلات على الفور، وكان هناك خوف على مصير نحو ألف يهودي ينتظرون في المخيمات جنوب السودان، وعلى العشرات من عناصر الموساد و «شيطت ١٣» الذين استمروا بصيانة المنتجعات. هذا وتوجهت حكومة إسرائيل لطلب مساعدة الإدارة الأمريكية.

في ربيع عام ١٩٨٥م، وصل جورج بوش[٢]، الذي كان حينئذ

---

(١) يهودا دومينيتز יהודה דומיניץ (١٩٢٦- ٢٠٠٩م): ناشط صهيوني وإحدى الشخصيات العامة الإسرائيلية، كان من المهتمين بقضايا الهجرة اليهودية، كما كان مدير عام دائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية وكذلك عضو مجلس إدارة في جمعيات ومنظمات مختلفة.

(٢) جورج بوش الأب George Bush (١٩٢٤ - ٢٠١٨م): كان سياسيًا أمريكيًا والرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٣م. كان بوش عضوًا في الحزب الجمهوري، وعضوًا في الكونغرس وسفيراً ثُمّ مديرًا للمخابرات المركزية الأمريكية.

نائب الرئيس ريغان، إلى الخرطوم للقاء النميري. كما شارك في اللقاء أيضا رئيس محطة «سي آي إي» في الخرطوم ميلت بيردن[١]. وقد روى بيردن قائلا: «في ذلك اللقاء، طلب بوش من النميري السماح بنقل اليهود إلى إسرائيل، وتمت المصادقة». اهتم بيردن ورجاله بتنظيم قطار جوي لطائرات النقل الأمريكية، التي قامت بترحيل اليهود في منتصف الليل من مدرج تم إعداده في الصحراء.

لكن أيام النميري في السلطة كانت معدودة. ففي نفس العام، أطاح به ضباط جيشه، بمساعدة حاكم ليبيا معمر القذافي[٢](٢٧)، وسيطروا على الحكم. وقد قال بيردن أن أحد كبار رجال المخابرات السودانية وقع بأيدي المتمردين وعقد معهم صفقة: حيث اشترى حياته مقابل إخبارهم عن أماكن اختباء عناصر الموساد في الخرطوم. فوصل الخبر للموساد، وبالتنسيق مع بيردن فرّ أربعة عناصر من الموساد إلى منزله.

يتذكر بيردن قائلا: «فتحت زوجتي الباب، وعندما فتح وقف شاب وقال لها: ‹أنا فرنسي وأريد التحدث إلى زوجك›،

(١) ميلتون بيردن **מילטון בירדן**: هو ضابط متقاعد في وكالة المخابرات المركزية، ومؤلف ومستشار أفلام. شغل منصب الرئيس والمدير التنفيذي لمجموعة مشاريع آسيا وأفريقيا، وهي شركة لتطوير الموارد والخدمات الاستشارية مقرها واشنطن العاصمة.

(٢) مُعمّر محمد عبد السلام القذّافي (١٩٤٢ - ٢٠١١م): المعروف باسم «العقيد القذافي». كان سياسيًا وثوريًا ليبيًا حكم ليبيا لأكثر من ٤٢ سنة. كان أولا كرئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية ١٩٦٩ - ١٩٧٧م. بعدها صار يُعرف بالأخ القائد للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ١٩٧٧ - ٢٠١١م.

فابتسمت زوجتي وقالت له: ‹أنت لست فرنسيا، فأنا فرنسية. وأنا أعلم من تكون، تفضل بالدخول واصعد إلى الطابق الثاني وستجدهم جميعهم هناك››». فتش السودانيون، وكذلك الليبيون، عن عناصر الموساد، ومروا بين أماكن الاختباء، وبعد مرور نحو شهر تم نقلهم بواسطة طائرة نقل كانت قد هبطت في مطار الخرطوم. ويلخص بيردن ذلك قائلا: «يجب أن أشير إلى أنني أرفع القبعة أمام شجاعة هؤلاء الرجال».

لكن العمليات في السودان سلبت «بيتسور» معظم مواردها، كما لم تتألق العمليات الأخرى للوحدة أيضا. واستمر عناصرها ببذل الجهود لمساعدة اليهود الذين طلبوا مغادرة إيران. حيث استعان رجال الموساد وموفديهم بمهربين، قاموا بتهريب يهود عبر الحدود إلى باكستان. فقد سافروا في السيارات، وركبوا على الجمال، واختبأوا في الكهوف، وتمت استضافتهم في باكستان وحرصوا على إخفائهم حتى غادروا الدولة بالطائرات. وبهذه الطريقة تم تهريب نحو ٣٠٠ ألف شخص. لكن عمليات التهريب توقفت في بداية التسعينيات، بعد اختفاء أثر ١١ يهوديا كانوا في طريقهم إلى باكستان. وبعد حوالي عقدين من التحقيقات المكثفة، وصلت للموساد معلومة مؤكدة بأنهم قتلوا.

وكما في حالة «نتيف»، عندما وصلت العمليات الكبرى لنقل المهاجرين إلى نهايتها، استيقظ السؤال عما إذا كان

هناك حاجة لوحدة مثل «بيتسور». وخرجت أصوات مطالبة بتفكيكها، وتساءلوا مرة أخرى ما إذا كان من مهام مؤسسة مخابرات سرية العمل بالهجرة إلى إسرائيل. لكن كما في الماضي، لم يكن لدى رئيس الوزراء الشجاعة لاتخاذ مثل هذا القرار المثير للجدل، حتى لو لم يكن هناك يهود اليوم يعيشون في دولة لا تسمح لهم سلطاتها بمغادرة البلاد. ومجددا صادق رؤساء الموساد، واحدًا تلو الآخر حتى يومنا هذا، على تفويض «بيتسور» لمواصلة العمل بمهمة الدفاع عن النفس.

من بين معظم العمليات والنشاطات، كان من أروع اللحظات الإشراف على العمليات السرية والخاصة لنقل المهاجرين اليهود من العراق وسوريا ولبنان وإيران واليمن وإثيوبيا والسودان، ومن الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة السوفيتية. ويقول تسفي زامير: «من بين كل العمليات والنشاطات التي كنت مسؤولا عنها، كانت أكثر التجارب والأعمال تأثيرا، هي تلك التي عملت فيها على إنقاذ إخوتنا اليهود ونقلهم إلى إسرائيل، لقد كانت هذه أعمالا إنسانية عظيمة».

ياسر عرفات

بينما كان يشرب الشاي في غرفته، سمع ياسر عرفات القوات الإسرائيلية، التي كانت تقترب منه. وخلال الثواني التي تبقت له، قفز من نافذة الطابق الثاني. وعندما اقتحم الجنود، بقيادة أفراد الشاباك، الشقة الواقعة في ضواحي رام الله، كان قد اختبأ في سيارة شخصية كانت متوقفة في مكان غير بعيد.

عندما غادرت القوات، سارع إلى مكان جديد للاختباء، وبعد بضعة أيام فر عائدا إلى الأردن. بالنسبة له، كان هذا حلما وتحطم. فبعد أسبوع من حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧) تسلل إلى الضفة الغربية والآن، بعد بضعة أسابيع، اضطر لمغادرتها مرة أخرى. وسيمر أكثر من ربع قرن قبل أن يعود إليها.

كان ياسر عرفات آنذاك في الثامنة والثلاثين من عمره. وقبل ثماني سنوات من ذلك كان قد أسس سرا في الكويت، جنبا إلى جنب مع كل من خليل الوزير -أبو جهاد-[1] وصلاح خلف

---

(١) خليل الوزير (١٩٣٥ – ١٩٨٨م): اسمه الكامل خليل إبراهيم محمود الوزير، ويُكنى بأبي جهاد ولقبه أمير الشهداء. هو سياسي وعسكري فلسطيني لاجئ وأحد مؤسسي حركة

-أبو إياد[١]- وخالد الحسن -أبو السعيد[٢]- وفاروق القدومي -أبو اللطف[٣]-، حركة فلسطينية سرية. أطلقوا عليها اسم «فتح» اختصارا لعبارة «حركة تحرير فلسطين» مقلوبة. لقد كانوا أكاديميين (درس عرفات الهندسة) يئسوا من الأمل في أن تقوم الدول العربية وجيوشها بمساعدة الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه، أي القضاء على دولة إسرائيل.

صاغ عرفات ورفاقه عقيدة «الكفاح المسلح»، التي تهدف إلى الخروج من الدول المجاورة وإلحاق الضرر بالمنشآت والمدنيين الإسرائيليين من أجل إثارة رد فعل متسلسل: سترد إسرائيل بأعمال انتقامية ضد جيرانها، فيحاول هؤلاء الانتقام منها فينجرون إلى مواجهة عسكرية لصالح الشعب الفلسطيني.

في أواخر عام ١٩٦٤م، خطط أعضاء فتح لثلاث هجمات فدائية من الأردن ولبنان وغزة، كان من المقرر أن تحدث بشكل متزامن في رأس السنة الميلادية الجديدة، ١ يناير/كانون

«فتح» وجناحها المسلح (العاصفة). وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، والمجلس العسكري الأعلى للثورة الفلسطينية، والمجلس المركزي الفلسطيني.

(١) صلاح خلف (١٩٣٣ - ١٩٩١م): اسمه الحركي أبو إياد، هو سياسي فلسطيني بارز. كان من مؤسسي حركة تحرير فلسطين (فتح)، وقائد الأجهزة الأمنية الخاصة لمنظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح لفترة طويلة.

(٢) خالد الحسن (١٩٢٨ - ١٩٩٤م): أحد قادة حركة (فتح)، وأحد رموز النضال الفلسطيني، وأحد المؤسسين، شغل عضو اللجنة المركزية لفتح.

(٣) فاروق رفيق الأسعد القدومي «أبو اللطف» (ولد عام ١٩٣١م): سياسي فلسطيني يشغل منصب رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية وهو أمين سر حركة فتح، ومن أبرز المعارضين لاتفاقية أوسلو.

الثاني عام ١٩٦٥م. لم يتم تنفيذ إلا واحدة منها فقط. حيث تم وضع قنبلة صغيرة بالقرب من عبارة مياه في الجليل، على خط الناقل القطري (مشروع المياه القطري في إسرائيل)، لكن العبوة الناسفة لم تنفجر وتم اكتشافها.

قللت هيئة الاستخبارات «أمان» من شأن مجموعة عرفات ورأوا فيهم شبانا غير أكفاء يعيشون أحلام اليقظة، وذلك على الرغم من أن المعلومات عن التنظيم قد وصلت إلى إسرائيل من مصادر علنية وسرية. فمن بين أمور أخرى، خلال عام ١٩٦٤م، قام اثنان من محاربي الموساد كانا يعملان في بيروت ودمشق (أحدهما هو أوري يسرائيل، من مجموعة المستعربين الذين جندهم شموئيل موريه قبل عقد من ذلك) بكتابة تقارير تحذر من أهمية وخطورة «فتح».

لم تدرك المؤسسة الأمنية أنه يجب أخذهم على محمل الجد إلا في أعقاب محاولة الهجوم. حيث أخذت الخلايا والشبكات التي تم إنشاؤها في الدول العربية تتوسع. وانضم إليها أعضاء جدد. وأصبحت «فتح» منظمة جماهيرية، حازت على تعاطف وسط الشباب الفلسطيني في الشتات. كما كان هناك شبان عرب إسرائيليون تسللوا عبر الحدود إلى لبنان أو الأردن للانضمام إليها.

كانت إحدى الأفكار التي أثيرت هي تصفية كبار أعضاء المجموعة. فقام رافي إيتان، الذي كان رئيس مركز عمليات

الموساد في أوروبا، بفرض مراقبة لصيقة على هاني شقيق خالد الحسن، أحد مؤسسي «فتح»، الذي كان يدرس في فرانكفورت. وهكذا علمت إسرائيل بخطط عرفات لتكثيف الهجمات الفدائية في إسرائيل من أجل إشعال حرب شاملة بينها وبين الدول العربية. وبالفعل، زاد خلال عام ١٩٦٥م عدد عمليات التسلل من قبل أعضاء «فتح» إلى إسرائيل، وخاصة من الأردن، بغرض تنفيذ عمليات فدائية. وعندما علم إيتان أنه من المتوقع عقد مؤتمر لفتح في ألمانيا، كان من المفترض أن يحضره مؤسسو المنظمة، بعث برسالة إلى مئير عميت واقترح التخطيط لعملية اغتيال. لكن عميت رفض الموافقة على العملية.

في وقت لاحق، وضعت هيئة الاستخبارات «أمان» والموساد خطة جديدة: إرسال مظاريف متفجرة إلى عرفات، الذي انتقل إلى دمشق وتمتع بحماية المخابرات السوريا، وكذلك إلى أبو جهاد وأعضاء آخرين من فتح كانوا في الأردن. هذه المرة، أيد عميت العملية، لكن رئيس الوزراء ليفي إشكول عارضها. وكان يخشى الفشل. فقد كانت لا تزال حاضرة في ذاكرته إخفاقات لعمليات اغتيال بطريقة مماثلة ضد ألويس برونر في دمشق والعلماء الألمان في مصر.

الآن، بعد فترة قصيرة من حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، عندما هرب عرفات مرة أخرى، كتب يهودا

أربيل[1]، رئيس منطقة القدس والضفة الغربية في الشاباك، في مذكراته: «إن اغتيال أبو عمار هو شرط لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية». وعلى الرغم من أن هذا كان ولا يزال تقييما خاطئا - المشكلة الفلسطينية لن تحل باغتيال هذا الزعيم أو غيره - فقد حاول منذ ذلك الحين أفراد الشاباك وهيئة الاستخبارات «أمان» والموساد والوحدات الخاصة في الجيش الإسرائيلي اغتيال عرفات ما لا يقل عن عشر مرات، من الجو والبحر والبر، وكانوا دائما يفشلون.

قام عناصر الشاباك، الذين وجدوا الشقة التي كان يختبئ فيها عرفات فارغة، بأخذ بضعة أغراض منها وسلموها لمكاتب المنظمة في القدس، كتذكار للفشل. وبعد عام من ذلك، تم انتخاب عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية، المنظمة الجامعة للحركات الوطنية الفلسطينية. وكانت «فتح» هي القوة المركزية فيها.

(١) يهودا أربيل **יהודה ארבל**: كان رئيس منطقة القدس والضفة الغربية في الشاباك.

تحدي المقاومة الفلسطينية

بالنسبة للفلسطينيين، كانت هزيمة العرب في حرب يونيو ١٩٦٧ نقطة تحول. فرصة جديدة لاستفزاز الشعب للنضال، على أرض فلسطين - في الضفة الغربية وغزة. من ناحية أخرى، كانت إسرائيل في حالة من نشوة الانتصار. فقد اعتقد الكثيرون من العامة وفي الحكومة والمؤسسة الأمنية أن عصر الحروب قد انتهى وأن إسرائيل قد وصلت إلى بر الأمان حيث السلام والهدوء. قلة فقط أفسدوا الفرحة وادعوا بأن الاحتلال سيفسد إسرائيل ويقوض أخلاقها ويلوث قيمها الديمقراطية ويحولها إلى قوة قمعية. وسرعان ما أدركت إسرائيل أنها كانت مصابة بالعمى. فقد حل محل جيوش مصر وسوريا والأردن المهزومة عدو جديد - التنظيمات الفلسطينية بقيادة عرفات.

لم تكن المؤسسة الأمنية مستعدة للواقع الجديد. وفي ١٩ يونيو/حزيران عام ١٩٦٧م، ألقى إشكول على عاتق الشاباك مسؤولية العمل ضد التنظيمات الفلسطينية، الأمر الذي أثار استياء هيئة الاستخبارات «أمان».

كانت المهمة معقدة، والتحدي هائل. فكيف يمكن السيطرة

على سكان محتلين، وإن كانوا خاضعين لكنهم عدائيين، يبلغ تعدادهم نحو مليون ونصف المليون فلسطيني؟ وكيف يمكن الموازنة بين الحفاظ على روتين الحياة وضمان النظام والسلام والاستقرار؟ كان اختيار الشاباك أمرا غير مفهوم. فقد كان حينها ذو بنية صغيرة، لا يزيد قوامه على ٥٠٠ شخص، ويعمل في الظلام. ومجرد ذكر اسمه، بالأحرف الأولى المختصرة «شين بيت»، كان دائما همسا. وكان هناك خوف من أن تكون المهمة الجديدة أكبر منه. من ناحية الأخرى، فحتى اندلاع الحرب، كان الشاباك منخرطا بشكل أساسي في مهمات مكافحة التجسس ومراقبة عرب إسرائيل. وكانت المعرفة والخبرة في الإشراف على السكان العرب الإسرائيليين هي المهر الأساسي الذي جلبه معه إلى المهمة الجديدة.

كان رئيس المنظمة آنذاك يوسف هرملين، وهو رجل طويل القامة ذو ملامح جادة، حل في مطلع عام ١٩٦٤م خلفا لعاموس مانور. ولد هرملين في فيينا عام ١٩٢٢م. وفي عام ١٩٣٨م، هاجر إلى إسرائيل بينما فر والداه من الإرهاب النازي إلى المكسيك. وخلال الحرب العالمية الثانية، التحق بالجيش البريطاني، ثم لاحقا بالهاغانا، حيث التقى إيسر هاريل. وفي نهاية حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، انضم إلى الشاباك.

بناء على أوامر من رئيس الوزراء، تم بعد حرب الأيام الستة مباشرة تشكيل طاقم من رجال الاستخبارات بهدف

فحص الحالة المزاجية السائدة في الضفة الغربية وقطاع غزة واقتراح أفكار عملية وسياسية بشأن مستقبلهم. وقد ترأس الطاقم المسؤول في الموساد ديفيد كمحي، وكان من المقرر أن يجري أعضاؤه محادثات مطولة مع «الوجهاء» - شخصيات بارزة في المناطق (الأراضي الفلسطينية المحتلة). يتذكر كمحي ذلك، قائلا: «كان الفلسطينيون في حالة صدمة. اعتقدنا أنها فرصة نادرة لإسرائيل لكي تكون كريمة وتقدم لهم مقترحات لتسوية سياسية». كانت إحدى الأفكار هي منح الفلسطينيين حكما ذاتيا، الأمر الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى إنشاء كيان أو حتى دولة منفصلة. وقد تمت صياغة الاقتراح على أمل أن يؤدي ذلك إلى إنهاء الصراع بين إسرائيل والعالم العربي.

قام إشكول ووزراء الحكومة، الذين ساروا على موجات الابتهاج العام، بتجاهل توصيات طاقم كمحي. حيث فضلوا عدم الشروع في التحركات والتركيز على الوضع الراهن. وكان أفضل من عبر عن الشعور بأن الوقت يعمل لصالح إسرائيل هو وزير الدفاع دايان، الذي أصبح رمزا للانتصار. وعندما سئل عن الخطوة التالية، أجاب: «ننتظر اتصالا هاتفيا من العرب».

لم يتصل العرب. أما كمحي فعاد لعمله في الموساد وتم إرساله في أغسطس/آب بمهمة سرية في الخرطوم. حيث قام، تحت غطاء صحفي بريطاني، بتغطية مؤتمر القمة لقادة

الدول العربية، الذي اتخذ قرارات تم تلخيصها ب «اللاءات الثلاثة»: لا سلام مع إسرائيل، لا مفاوضات معها، لا اتفاقيات سلام.

كمحي، الذي نقل ما جرى وراء الكواليس في المؤتمر، أدرك متأخرا أن «أول شهرين بعد الحرب كانا دراماتيكيين وتميزا بفرصة تاريخية أضاعها الجانبان ولاسيما نحن، الفريق المنتصر».

دعت المنظمات الفلسطينية السكان الفلسطينيين إلى الوقوف ضد الاحتلال الإسرائيلي-الصهيوني. حيث خططوا للسيطرة على مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة وإقامة حكم مستقل. وبمساعدة فاعلة من المخابرات السوريا والمخابرات العراقية، قامت المنظمات بإدخال المئات من أعضائها، مسلحين بالأسلحة والمواد المتفجرة، إلى الأراضي المحتلة. لقد جندوا نشطاء وأقاموا مقرات قيادة وأعلنوا انطلاق «الثورة الشعبية المسلحة لتحرير فلسطين». كان ذلك بالنسبة للفلسطينيين كفاحا مشروعا، بينما كان في نظر الإسرائيليين إرهابا عشوائيا.

لم يكن أفراد الشاباك جاهزين للقيام بالمهمة الجديدة. فالمناطق المحتلة كانت أرضا مجهولة بالنسبة لهم، وكان عليهم أن يبدؤوا تقريبا من الصفر. أولا، كان على التنظيم أن يوسع صفوفه. وفي الأسابيع الأولى، تم استدعاء المتقاعدين والمسرحين إلى العلم. وبموافقة عميت، استعار الشاباك أفرادا من الموساد،

معظمهم ضباط ناطقين باللغة العربية. كانت هذه التحركات بمثابة «إسعافات أولية». وكان من الواضح أنه يجب إطلاق عملية تجنيد وعدم الاكتفاء بالطريقة القديمة «صديق يجلب صديقا»، فقام قسم القوى البشرية في الشاباك بفحص الملفات الشخصية العسكرية، لا سيما الخاصة بالمحاربين القدامى في الوحدات القتالية، بحثا عن مرشحين.

تم تكليف غالبية المجندين بوظيفة «منسق استخبارات»، لكن معظمهم لم يكونوا يجيدون اللغة العربية. فتم إرسالهم إلى دورات تدريبية سريعة في معهد لغات كان يديره الشاباك في كيبوتس رمات راحيل. كما كان من بين المتعلمين أيضا يعقوب بيري[1]، الذي سيتم تعيينه رئيسا للشاباك بعد عقدين من الزمن، وقد كتب عن ذلك في كتابه «القادم لقتلك» (كيشيت، ١٩٩٩م). كانت الدورات التدريبية مكثفة، وشملت بالطبع مختلف اللهجات العربية الفلسطينية المحكية، ودراسة الثقافة والعادات، وكذلك القراءة والاستماع إلى البث الإذاعي والكتابة وفك الخطوط.

تم تكليف ثلاثي الشاباك – هرملين ونائبه أبراهام أحيتوف وأربيل – بمهمة تطبيق نهج «العصا والجزرة» الذي تبنته المؤسسة الأمنية. كانت الطريقة بسيطة: فالفلسطيني الذي

(١) **يعقوب بيري** **יעקב פרי** (ولد عام ١٩٤٤م): **هو نائب في الكنيست الإسرائيلي عن حزب «هناك مستقبل»، شغل منصب رئيس جهاز الأمن العام «الشاباك» في الفترة ١٩٨٨ – ١٩٩٥م، وكان أول رئيس للجهاز يتم الكشف عن هويته الكاملة وهو ما يزال في منصبه.**

وافق على التعاون مع الحكم العسكري والشرطة وخاصة مع الشاباك، كان يتمتع بالمزايا. أما من رفض أو أخطر من ذلك، تعاطف أو ساعد أو انضم إلى منظمة فلسطينية، فقد تم اعتقاله واستجوابه تحت التعذيب ومعاقبته. وحكم على كل من شارك في هجمات فدائية بالسجن لمدة طويلة. كما تم فرض عقوبات شديدة على أولئك الذين ارتكبوا جرائم بسيطة نسبيا كالاضطرابات المدنية أو رشق الحجارة.

أصبح منسقو الشاباك «ملوك الميدان». وقد حددت لكل منسق منطقة نشاط – مدينة أو مجموعة قرى – وكان مطلوبا منه معرفة كل ما يحدث في منطقة مسؤوليته. وتم تدريبه على معرفة جميع السكان بأسمائهم، بينما هم لم يعرفوه إلا بلقبه، الذي كان دائما عربيا. ولم يكن من الممكن لأي فلسطيني أن يأتي ويذهب إلى «أرضه» دون علم وموافقة الشاباك.

قام كل منسق بتجنيد مخبرين في قطاعه. ولهذا الغرض، كان تحت تصرفه منظومة كاملة من العصي والجزر. وإذا تقدم أي فلسطيني بطلب للحصول على رخصة بناء، كانت سلطات الحكم العسكري عادة ما تستشير الشاباك. وإذا أراد تاجر تصدير البرتقال من غزة أو زيت الزيتون من الضفة الغربية، فلم يكن يحصل على الأوراق اللازمة إلا بعد موافقة الشاباك. لقد كان الروتين اليومي لأي فلسطيني، تقريبا كل دقيقة من حياته، خاضعا للمراقبة. وفي كثير من الحالات، كان المنسق

يـرى في عمله نوعـا مـن العمـل التجـاري: حيـث كان المواطنـون يقدمـون المعلومـات ويحصلـون في المقابـل عـلى الأمـن والمزايـا.

وبالفعـل، سـيطر الشـاباك عـلى المشـاكل الاسـتخباراتية في الأراضي المحتلـة بسرعـة قياسـية. ولكـن كانـت هنـاك أيضـا إخفاقـات. حيـث قتـل جنـود مـن الجيـش الإسرائيـلي في مواجهـات مـع فدائيـين فلسـطينيين، وتـم زرع عبـوات ناسـفة وتفجيرهـا. لكـن سرعـان مـا نجـح الشـاباك في إنشـاء نظـام متشـعب مـن العمـلاء والمخبريـن في أرجـاء الضفـة وغـزة، تمكـن مـن خلالـه مـن الحصـول عـلى معلومـات مسـبقة عـن خطـط العمليـات الفدائيـة. فعندمـا تـم سرقـة سـيارتين عسـكريتين، كان عمـلاء الشـاباك يعرفـون بالفعـل أن منظمـة التحريـر الفلسـطينية تخطـط لتفخيخهـما ووضعهـما في وسـط القـدس. وعندمـا وردت معلومـات حـول تخطيـط منظمـة التحريـر الفلسـطينية لاغتيـال رئيـس الـوزراء، تـم نقـل إشـكول عـلى مـتن سـيارة مصفحـة إلى جانـب عنـاصر وحـدة التأمـين والحمايـة التابعـة للشـاباك.

كان الاسـتجواب هـو إحـدى أكـثر الوسـائل فعاليـة للحصـول عـلى المعلومـات. حيـث تـم اسـتجواب الفلسـطينيين المعتقلـين وتعذيبهـم، وغالبـا مـا اعترفـوا بأفعالهـم أو أفعـال رفاقهـم وقدمـوا معلومـات حـول مخططـات فدائيـة. ثـم كان يتـم تغطيـة رؤوسـهم بكيـس، مثقـوب في منطقـة العينيـن، وكان أفـراد الشـاباك يسـيرون معهـم أو يقتادونهـم عـبر شـوارع المـدن والقـرى ومخيـمات

اللاجئين من أجل عمليات تحديد الهوية والتجريم. حيث كان يطلب منهم الإشارة إلى الأشخاص الذين يعرفونهم من التدريبات المشتركة أو ممن كانوا زملاء لهم في خلية فدائية، حتى لو لم يعرفوا أسماءهم الحقيقية. وقد كان هناك حالات قام فيها معتقلون باستغلال الفرصة لتصفية حسابات شخصية وتلفيق التهم لأبرياء.

أولئك الذين لم يضعفوا خلال الاستجواب، كان يتم إدخالهم إلى زنزانات مع «دمى متحركة» - وهو لقب للأشخاص المتعاونين الذين كانوا يحاولون استخلاص المعلومات من المعتقلين. كما زعمت المنظمات الفلسطينية أيضا أن الشاباك تسبب في «حوادث عمل». حيث كان الهدف المزعوم هو الإعداد لهجوم فدائي معا، لكن عمليا كان قد تم إزالة إبر ضرب النار من الأسلحة، وفي بعض الحالات انفجرت العبوة الناسفة وقتلت من كان يتعامل معها.

في غضون خمسة أشهر، بحلول نهاية عام ١٩٦٧م، حقق الشاباك إنجازا مذهلا: حيث سقطت معظم خلايا «فتح» وبقية المنظمات الفلسطينية في الضفة. واضطرت مقرات القيادة الأمامية للتراجع إلى المملكة الأردنية، وقتل المئات من الفدائيين الفلسطينيين في معارك مع قوات الجيش الإسرائيلي، كما تم اعتقال وسجن أكثر من ألف منهم.

كان هناك إنجاز مماثل للشاباك والوحدات الخاصة، بما

في ذلـك وحدتـا «سـييرت شـاكيد» و «سـييرت ريمـون»، بقيـادة مئـير داغـان[1]، الذيـن عملـوا في قطـاع غـزة بـين عامـي ١٩٦٩ – ١٩٧١م. حيـث تـم كشـف الشـبكات الفدائيـة التابعـة للمنظـمات الفلسـطينية، وعناصرهـا إمـا قتلـوا في عمليـات للجيـش الإسرائيـلي وفي «حـوادث عمـل» دبرهـا الشـاباك، أو تـم اعتقالهـم. وقـد كان السـلوك الهـاوي للمنظـمات الفلسـطينية هـو مـا سـاعد الشـاباك والجيـش الإسرائيـلي في ذلـك.

سـعوا في الاسـتخبارات إلى اسـتغلال الوضـع للقيـام بمحاولـة أخـرى لاغتيـال عرفـات، بطريقـة ربمـا لم تبـدو سـخيفة بالنسـبة لهـم. حيـث ادعـى الأخصـائي النفـسي لسـلاح البحـر، الرائـد بنيامين شـاليط، أنـه سـيتمكن مـن تنويـم أسـير فلسـطيني مغناطيسـيا ليتـم إطـلاق سراحـه مـن السـجن ويقـوم بقتـل عرفـات. فعـثر الشـاباك عـلى معتقـل أمنـي، قـام شـاليط بتطبيـق أسـاليبه عليـه، ثـم زودتـه الوحـدة ٥٠٤ بمسـدس ونقلتـه إلى الأردن. وصـل الشـاب إلى مقـر قيـادة حركـة «فتـح» في الأردن وبـدلا مـن إخـراج مسدسـه، قـام بكشـف الخطـة.

كان هنـاك ثمـن آخـر للاحتـلال والنجـاح في قمـع الانتفاضـة

---

(١) مئير داغـان מאיר דגן (١٩٤٥ – ٢٠١٦م): هـو سـياسي إسرائيـلي ورئيـس جهـاز الموسـاد العـاشر، وُلـد في قطـار بـين سـيبيريا وبولنـدا، هاجـر إلى فلسـطين عـام ١٩٥٠م، تطـوع في الجيـش الإسرائيـلي عـام ١٩٦٣م، عُـين داغـان قائـدًا لمنطقـة جنـوب لبنـان عـام ١٩٨٠م، وبعدهـا التحـق بجهـاز الموسـاد، سـاهم داغـان في التخطيـط لاغتيـال عـماد مغنيـة، كـما سـاهم أيضًـا في عمليـة قصـف القافلـة السـودانية المتوجهـة إلى قطـاع غـزة عـام ٢٠٠٩م. اسـتقال داغـان مـن منصبـه عـام ٢٠١٠م عقـب احتجاجـات طالبتـه بالاسـتقالة بعـد عمليـة اغتيـال محمـود المبحـوح.

الفلسطينية: فخلال وقت قصير نسبيا، أهدرت إسرائيل الرصيد الذي كان لها في العالم. وتحولت من محبوبة لدى وسائل الإعلام العالمية إلى مكروهة. من «مستضعف» إلى محتل وحشي. الثمن الذي اضطر الشاباك لدفعه كان في الأعراف والقيم والأخلاق. فحتى اندلاع الحرب، كان الشاباك يشبه جهاز الأمن لدولة غربية صغيرة. أما بعدها، فقد أصبح بين عشية وضحاها جهاز أمن لقوة محتلة متغطرسة وواثقة من نفسها، تسيطر على شعب آخر.

فرضت طبيعة العمل أساليب جديدة. ففي الوقت الذي اعتقل فيه آلاف الأشخاص شهريا وانفجرت سيارات مفخخة وكانت الفنادق والطائرات أهدافا لهجمات فدائية، كانت هناك حاجة حيوية للحصول على معلومات محدثة وعلى وجه السرعة، ولذلك كان من الضروري استخدام أساليب عنيفة. في البداية، وجد الشاباك صعوبة في التكيف؛ عندما رأى هرملين ذات مرة أحد محققيه الشباب يصفع معتقلا فلسطينيا، طالب بطرده من الخدمة. لكن الواقع الجديد كان أقوى. لقد تعلم الشاباك بالطريقة الصعبة ما ينطوي عليه الاحتلال، وما هو العمل القذر. كان بإمكان هرملين وأحيتوف وأربيل أن ينسبوا لأنفسهم الفضل في مكافحة الإرهاب، ولكن أيضا في إدخال «الأسلوب».

خلق الاحتلال الإسرائيلي للمناطق نظامين، هما معياران

للقانـون. أحدهـما ينطبـق عـلى إسرائيـل بشـكل عـام وعـلى مواطنيهـا اليهـود بشـكل خـاص، والآخـر، مختلـف تمامـا، تشـكل في منطقـة الشـفق بـين مـا هـو مسـموح ومـا هـو محظـور وينطبـق عـلى الأراضي المحتلـة وعـلى السـكان الفلسـطينيين. وقـد نجحـت هـذه الطريقـة.

في دولـة الشـاباك، كانـت المعتقـلات تضـم أجنحـة خاصـة للمعتقلـين الفلسـطينيين. ومـن يتـم إحضـاره للتحقيـق في جنـاح الشـاباك، كان يتـم تكبيـل يديـه وتغطيـة رأسـه بكيـس أسـود مغمـوس في البـول، وكان يتـم وضعـه لسـاعات طويلـة في شـمس الصيـف أو في بـرد الشـتاء. كان التحقيق يسـتمر لسـاعات ويشـمل الـضرب القـوي والتعذيـب الـذي لا يـترك أي آثـار واضحـة عـلى الجسـم، مثـل الحرمـان مـن النـوم وتقييـد اليديـن والقدمـين بوضعيـات مؤلمـة وسـكب المـاء المتجمـد عليهـم. وقـد اشـتكى معتقلـون فلسـطينيون أمـام المحاكـم مـن أن الاعترافـات انتزعـت منهـم بالعنـف. الأمـر الـذي أنكـره أفـراد الشـاباك. حيـث كذبـوا عـلى المحاكـم بوقاحـة، متسـلحين بالسـلطة والصلاحيـات التـي منحهـا لهـم قادتهـم، وعـلى رأسـهم هرملـين.

بعـد فشـلها في الأراضي المحتلـة، نقلـت منظمـة التحريـر الفلسـطينية حربهـا إلى أماكـن أخـرى. لقـد حولـت العـالم كلـه إلى قريـة فدائيـة. وعندمـا هاجـرت منظمـة التحريـر الفلسـطينية إلى الخـارج، تبعهـا الشـاباك والموسـاد كظلهـا. وأصبحـت الاسـتخبارات

الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية كيانا تكافليا. وقد اعترف هرملين: «في البداية كنا على وشك اليأس. الحرب ضد الإرهاب، وخاصة الإرهاب الجوي، بدت لنا مهمة مستحيلة».

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ذات التوجه الماركسي اللينيني، بقيادة طبيب الأطفال الدكتور جورج حبش[1] بمفاجأة إسرائيل في ٢٢ يوليو/تموز عام ١٩٦٨م. وقد أفاد هرملين في تقريره إلى رئيس الوزراء إشكول أن: «طائرة بوينغ ٧٠٧ تابعة لشركة إل عال الرحلة ٤٢٦ من روما إلى تل أبيب تم اختطافها وهبطت في الجزائر».

بعد مفاوضات مرهقة للأعصاب، وعندما اتضح أن الجيش الإسرائيلي غير قادر على تنفيذ عملية إنقاذ، اضطرت إسرائيل إلى الاستسلام للمطالب الفلسطينية. وفي غضون ستة أسابيع، تم إطلاق سراح عدد من الفدائيين مقابل تحرير المسافرين وأفراد الطاقم والطائرة.

في أعقاب الحادث، قام الشاباك بصياغة عقيدة أمنية جديدة. حيث تم وضع حراس أمن مسلحين على متن طائرات إل-عال، وتم نصب أبواب فولاذية عند مدخل قمرة القيادة. كما تم تعزيز الحراسة على السفارات الإسرائيلية حول العالم. وقد أطلق الشاباك حملة لتجنيد قدامى محاربي الوحدات

(١) جورج حبش (١٩٢٦ - ٢٠٠٨م): سياسي وطبيب فلسطيني، من مؤسسي حركة القوميين العرب ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. قيادي في منظمة التحرير الفلسطينية. شغل منصب الأمين العام في الجبهة الشعبية منذ تأسيسها عام ١٩٦٧م حتى عام ٢٠٠٠م.

القتالية في مناصب أمنية، وفي نفس الوقت تقرر تحويل «سييرت متكال»، إلى جانب بقية وظائفها، أيضا إلى قوة مهام خاصة لمكافحة الإرهاب، متخصصة في تحرير الرهائن. وعلى الرغم من كل هذا، لم يكن قد تم بعد تطوير مفهوم أمني شامل في مجتمع الاستخبارات. وإنما تم بلورة ذلك، عن طريق التجربة والخطأ، بعد أن تمت مهاجمة السفارات والشركات الإسرائيلية والمؤسسات اليهودية في جميع أنحاء العالم. حيث أنشئت في وزارة الخارجية وحدة أمنية خاصة، «أمن وزارة الخارجية»، بتوجيه مهني من الشاباك.

بينما بذل الشاباك قصارى جهده لتحسين رده الدفاعي، كان رد إسرائيل الهجومي على موجة الأعمال الفدائية روتينيا. حيث تم إرسال محاربي الجيش الإسرائيلي لتنفيذ أعمال انتقامية عبر الحدود، في الأردن ولبنان، على غرار سنوات الخمسينيات والستينيات. لقد كانت هذه فكرة خاطئة، لم تأخذ بعين الاعتبار الافتراض بأن المنظمات الفلسطينية لها مصلحة في جر إسرائيل إلى الحرب. وهكذا سقطت إسرائيل في الفخ الذي نصبوه لها.

بلغت سياسة الرد الإسرائيلي ذروتها في الإنزال المروحي الذي نفذته «سييرت متكال» في مطار بيروت الدولي في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٦٨م. فبعد يومين من مهاجمة فدائيين لطائرة إل-عال في اليونان، قام جنود الجيش الإسرائيلي بتفجير

١٣ طائرة تابعة للخطوط الجوية الوطنية اللبنانية وشركات لبنانية أخرى. وقد كانت إسرائيل تأمل أن ترد الحكومة اللبنانية وتتحرك ضد المنظمات الفلسطينية، لكن القيادة في بيروت كانت ضعيفة وتجنبت المواجهة. ولم تتوقف الأعمال الفدائية.

إن نقل معظم العمليات الفدائية الفلسطينية إلى الخارج، قد نقل أيضا مركز الثقل الاستخباراتي من الشاباك إلى الموساد. ولذلك طلب الموساد عددا من منسقي الشاباك، الذين أصبحوا ضباط جمع. ومع ذلك، كان أفراد الشاباك أيضا يعملون من وقت لآخر خارج حدود إسرائيل.

في عام ١٩٦٨م، تقاعد عميت من منصب رئيس الموساد وحل محله جنرال آخر، هو تسفي زامير. كان اختيار زامير مفاجئا للغاية. فقد كان أول وآخر رئيس موساد لم تكن له خلفية سابقة في الاستخبارات أو العمليات الخاصة. لقد كان رقيق الكلام وفعالا ودقيقا، لم يردعه العمل الشاق، لكنه لم يكن أحد الأبطال المتألقين الذين عبدتهم الصحافة في موجة النشوة التي أعقبت حرب الأيام الستة. فلماذا تم اختياره هو تحديدا ليكون رئيسا للموساد؟ كان السبب الرئيسي هو أن قيادة حزب «ماباي» كانت تعتبره «واحدا منا».

وفقا للرؤية الإسرائيلية كان يقف أمامه تحد جديد لم يكن مجتمع الاستخبارات يعرفه: «الإرهاب الفلسطيني»، الذي بدأ

يضرب إسرائيل من الداخل، لم يتوقعوا أنه سيأتي أيضا من الخارج على متن رحلات جوية.

في ٣٠ مايو/أيار عام ١٩٧٢م، هبط في مطار اللد ثلاثة شبان يابانيين، هم أعضاء في «الجيش الأحمر الياباني»، جاؤوا في مهمة وبتمويل من منظمة الجبهة الشعبية الفلسطينية. وقد اجتازوا المراقبة الحدودية مستخدمين جوازات سفر مزورة، ثم اقتربوا من حزام نقل الأمتعة لانتظار حقائبهم. وعندما وصلت، سحبوا من داخلها بنادق كلاشينكوف هجومية وقنابل يدوية وبدأوا موجة قتل. حيث قتل ٢٨ شخصا، وأصيب ٧٨ آخرين. وقد انتحر أحد أعضاء الخلية، وقتل آخر برصاص رجل أمن إسرائيلي، أما الثالث، كوزو أوكاموتو[١]، فقد أصيب وتم اعتقاله. حكم عليه بالسجن المؤبد، لكن بعد ١٣ عاما، في عام ١٩٨٥م، تم إطلاق سراحه في صفقة تبادل أسرى بين إسرائيل ومنظمة أحمد جبريل[٢].

حل الغضب محل الصدمة في إسرائيل. وقرر الموساد

(١)كوزو أوكاموتو (ولد عام ١٩٤٧م): هو طالب علم نبات من عائلة من الطبقة المتوسطة، وكان عمره ٢٤ عاما عندما تم تجنيده في الجيش الأحمر الياباني، اعتقل في وقت لاحق في لبنان. وخلال إقامته في لبنان، أشهر إسلامه، وكان واحدا من منفذي عملية مطار اللد.

(٢) أحمد جبريل (١٩٣٨ - ٢٠٢١م): سياسي وقائد عسكري فلسطيني، أسس عام ١٩٥٩م جبهة التحرير الفلسطينية، وشارك في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وانفصل عنها عام ١٩٦٨م ليؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، التي تولى أمانتها العامة حتى وفاته.

اغتيال غسان كنفاني[1]، وهو شاعر وكاتب مسرحي كان متحدثا باسم الجبهة الشعبية، وذلك بسبب نشر صورة له في الصحيفة برفقة مؤسسة منظمة الجيش الأحمر الياباني التي كانت تتدرب في لبنان ووجدت في بيروت ملجأ لها. وبعد ستة أسابيع من الهجوم الفدائي في مطار اللد، قام عملاء للاستخبارات الإسرائيلية بزرع عبوة ناسفة في سيارته ببيروت. حيث قتل كنفاني وابنة أخته البالغة من العمر ١٦ عاما على الفور. لقد تغلبت الرغبة في الانتقام على تأنيب الضمير.

تم تسجيل رقم قياسي آخر في دورة العنف في سبتمبر/أيلول عام ١٩٧٢م، خلال دورة الألعاب الأولمبية في ميونخ بألمانيا. حيث قام ثمانية فدائيين باستغلال الثغرات الأمنية، وتسللوا تحت جنح الظلام إلى جناح في القرية الأولمبية، واحتجزوا ١١ شخصا من أعضاء البعثة الإسرائيلية كرهائن. أعلنت منظمة «أيلول الأسود» مسؤوليتها عن العملية. وقد كانت ظاهريا منظمة جديدة ومستقلة، لكنها في الواقع كانت «جبهة» - منظمة وهمية أنشأتها «فتح» لتنفيذ عمليات فدائية جريئة، دون أن يقود تعقب آثارها إلى منظمة التحرير الفلسطينية.

يعتبر الهجوم الذي وقع في أولمبياد ميونخ أحد الأحداث الفارقة في القرن العشرين. وقد كان لهذا الحدث أثران

(١) غسان كنفاني (١٩٣٦ - ١٩٧٢م): هو روائي وقاص وصحفي فلسطيني، ويعتبر أحد أشهر الكتاب والصحافيين العرب في القرن العشرين.

متعارضـان. فمـن ناحيـة، نجحـت منظمـة التحريـر الفلسـطينية في لفـت الانتبـاه الـدولي إلى القضيـة الفلسـطينية، ومـن ناحيـة أخـرى، أثـار الهجـوم الدمـوي عـلى الأراضي الألمانيـة تعاطفـا هائـلا مـع «إسرائيـل».

طالبـت رئيسـة الـوزراء جولـدا مائـير بإرسـال وزيـر الدفـاع دايـان إلى ألمانيـا للتعامـل مـع الأزمـة. فرفـض دايـان، وتـم إرسـال زامـير بـدلا منـه. وقـد رفضـت السـلطات الألمانيـة عـرض إسرائيـل السـماح لوحـدة «سـييرت متـكال» بالمسـاعدة في عمليـة الإنقـاذ، وشـاهد زامـير بـلا حـول ولا قـوة المحاولـة غـير المتقنـة التـي قامـت بهـا شرطـة ولايـة بافاريـا للسـيطرة عـلى الحـادث. وتـم قتـل أعضـاء البعثـة الإسرائيليـة الأحـد عـشر عـلى يـد الفدائيـين.

بعـد أربعـين عامـا فقـط، أصبـح مـن الواضـح أنـه كان مـن الممكـن منـع المذبحـة. حيـث نـشر أرشـيف الدولـة تقريـر لجنـة التحقيـق التـي تشـكلت بعـد ثمانيـة أيـام مـن المجـزرة برئاسـة مفتـش الشرطـة السـابق بنحـاس كوبـل[١]. وقـد أظهـر التقريـر أنـه في مجتمـع الاسـتخبارات الإسرائيـلي.

«لم تحـظ قضيـة الأولمبيـاد بمعاملـة مختلفـة كثـيرا» عـن الحـوادث الصغـيرة التـي تتطلـب اليقظـة أو الأمـن. فوفقـا لتوجيهـات الشـاباك، تـم صياغـة إجـراء «معـارض وتجمعـات»،

(١) بنحـاس كوبـل פנחס קופל (١٩١٨ – ١٩٩٧م): كان القائـد الأول لحـرس الحـدود، والمفتش الثالـث لشرطـة إسرائيل.

والـذي حـدد كيفيـة تأمـين مشـاركة الإسرائيليـين في المعـارض الخارجيـة. قبـل ذلـك ببضعـة أشـهر، أرسـل ضابـط أمـن وزارة التربيـة والتعليـم خطابـا إلى شـعبة التأمـين والحمايـة في الشـاباك وطالـب بتطبيـق الإجـراء عـلى البعثـة الإسرائيليـة إلى الأولمبيـاد. لكـن لم يتـم الـرد عـلى خطابـه.

وفقـا للتقريـر، فقـد تلقـت شـعب الاسـتخبارات في أغسـطس/آب مـا لا يقـل عـن ثلاثـة أخبـار كان مـن المفـترض أن تثـير الانتباه. حيـث وردت في الخامـس مـن أغسـطس/آب معلومـة تفيـد بـأن «منظمـة أيلـول الأسـود تجهـز لعمليـة ذات طابـع دولي»، وبعـد يومـين ورد خـبر آخـر يحـذر مـن أن «مجموعـات إرهابيـة معاديـة قـد غـادرت إلى أوروبـا في مهـمات مجهولـة». وفي ٢٤ أغسـطس/آب، أي قبـل حـوالي عـشرة أيـام مـن المذبحـة، أفـادت أنبـاء بـأن «إرهابيـين اثنـين قـد مكثـا في ألمانيـا مـن أجـل التخطيـط لتنفيـذ هجـوم وسـيعودان إلى هنـاك في أوائـل شـهر سـبتمبر/أيلول أو في منتصفـه». ورغـم كل ذلـك، في ٣١ أغسـطس/آب عـام ١٩٧٢م، عندمـا اجتمعـت لجنـة رؤسـاء الأجهـزة (هرملـين ورئيـس هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» اللـواء إيـلي زعـيرا[(١)]، الـذي حـل محـل أهـارون ياريـف، ورئيـس الموسـاد زامـير)، فإنهـا «لم تربـط هـذه الأخبـار بالأولمبيـاد».

(١) إيـلي زعـيرا **אלי זעירא** (ولـد عـام ١٩٢٨م): هـو جـنرال سـابق في الجيـش الإسرائيـلي، ومديـر الاسـتخبارات العسـكرية الإسرائيليـة خـلال حـرب أكتوبـر عـام ١٩٧٣م.

خلص فريق التحقيق إلى أن ما حدث في الأولمبياد كان «فشلا مطلقا للألمان». ومن ناحية أخرى، فقد كان متسامحا مع الشاباك وبرأه من مسؤولية تأمين الإسرائيليين والمؤسسات في الخارج. وانتهى التقرير بسلسلة من التوصيات لتحسين الإجراءات الأمنية في الخارج واقتراح بأن «يستخلص رئيس الشاباك استنتاجات، كما يراه مناسبا، بخصوص المسؤولين الذين تشير استنتاجات الفريق إلى أوجه قصور في عملهم».

بعبارة أخرى، لم تجد اللجنة أي متهم إسرائيلي مسؤولا، وبدلا من ذلك سمحت لهرملين بأن يقرر بنفسه من سيطرد من منظمته. وقد ألمح نائب رئيس الوزراء إيغال آلون إلى أنه من أجل التهرب من المسؤولية، يمكن أن يكون هرملين قد أدلى بشهادة زور أمام لجنة كوبل. وقام هرملين بضم زامير إليه وأوصى الاثنان بعزل ثلاثة أشخاص من مناصبهم، لكن دون اتخاذ أي إجراءات ضدهم. كان الثلاثة هم: المسؤول عن شؤون حماية أمن الشخصيات في الشاباك ميشكا دروري، ورئيس أمن وزارة الخارجية والمسؤول البارز في الشاباك غابرييل غابرييلي، وضابط الأمن في السفارة الإسرائيلية في بون زئيف كمران، الذي كان تابعا له.

قررت الحكومة أنه من الآن وصاعدا، فإن مسؤولية حماية أمن الشخصيات والمؤسسات والمنظمات الإسرائيلية في الخارج والإشراف على التنفيذ ستكون بيد الشاباك فقط، وليس بيد

الـوزارات الحكوميـة المعنيـة.

بعـد خمسـة أيـام مـن مذبحـة الرياضيـين، نفـذت منظمـة «أيلـول الأسـود» عمليـة أخـرى، مخططـة جيـدا وطويلـة الأمـد انتهـت بإطـلاق النـار عـلى رجـل الموسـاد تسـادوك أوفـير في بروكسـل.

منـذ أن تـم طـرد عنـاصر الشـاباك مـن فرنسـا في أعقـاب قضيـة بـن بركـة، أصبحـت بروكسـل هـي مركـز نشـاط الموسـاد في أوروبـا الغربيـة. وكان أوفـير منسـقا للشـاباك تمـت إعارتـه إلى شـعبة «تسـومت» في الموسـاد وعمـل في تحديـد وتجنيـد وتشـغيل عمـلاء وسـط المنظـمات الفلسـطينية. وقـد قـال أوفـير: «في أحـد الأيـام، تلقينـا رسـالة مـن رجـل مسـجون بتهمـة السرقـة في سـجن أرنهيـم بهولنـدا. كتـب أنـه ثـوري مغـربي كان مـع بـن بركـة، ثـم التحـق بحركـة ‹فتـح› في سـوريا والآن يريـد العمـل معنـا».

توجـه الموسـاد إلى المخابـرات الهولنديـة وطلبـوا الإفـراج عـن السـجين لكـن الـرد كان سـلبيا، فلجـأ إلى طريقـة أخـرى. وقـد تذكـر أوفـير ذلـك، قائـلا: «تنكـرت في هيئـة أحـد أقاربـه، وذهبـت إلى السـجن. فقدمـت نفـسي باسـم ‹شـفيق›، واسـتجوبته لمـدة سـاعتين. لقـد قـدم الكثـير مـن التفاصيـل التـي كنـت أعـرف أنهـا صحيحـة. وأخـبرني أنـه خـدم في قاعـدة فتـح في جـرش، وكنـت أعـرف كامـل قيـادة فتـح التـي كانـت في تلـك القاعـدة. كان هنـاك سـائق مجنـون انقلـب بسـيارة جيـب وكسرت سـاقه، ثـم تعـافى

وانقلب مرة أخرى، وقد كان يعرف عنه. أعطيته رقم هاتف وأخبرته أنه يستطيع الاتصال بالسفارات الإسرائيلية في أي مكان في العالم والسؤال عني».

عندما تم إطلاق سراح ذلك الشاب من السجن، بعد حوالي عام، اتصل بأوفير. «رتبنا للقاء في أحد المقاهي، ثم الذهاب من هناك إلى مقهى آخر. حيث جاء إلى مقهى ‹برنس› في بروكسل. وبعد وصولنا، قال إنه يجب عليه الذهاب إلى الحمام. وعندما عاد أخرج مسدسا. وقد كان واقفا وأنا جالس. إن الدماغ البشري شيء مذهل. ففي جزء من الثانية راودتني آلاف الأفكار عن العائلة. أمسكت منفضة سجائر كبيرة من الخزف وأردت أن ألقيها عليه. لكن لم تسنح لي الفرصة. حيث أطلق علي أربع رصاصات. أصابت إحداها فروة رأسي وذهبت. فيما استقرت رصاصة أخرى بالقرب من القلب. لقد كان يطلق النار وهو ينسحب إلى الخلف، فأصاب السقف أيضا وهرب. أما أنا فقد انهرت على الأرض. لم يكن بصحبتي حارس أمن. لم يكن لدينا آنذاك حراس أمن. ومن الجيد أنه لم يكن معي مسدس حينها، لأنني كنت سأحاول إخراجه وسأبقى في مكاني. وقد وصل القاتل إلى باريس، حيث ساعده ممثل منظمة التحرير الفلسطينية محمود الهمشري[1]،

(١) محمود الهمشري (١٩٣٩ - ١٩٧٣م): سياسي ودبلوماسي فلسطيني، كان أول سفير لمنظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، وهو من المناضلين الأوائل في حركة فتح. اغتاله جهاز الموساد الإسرائيلي في العاصمة الفرنسية باريس.

ثـم هـرب لاحقـا بمسـاعدة السـفارة العراقيـة. ولسـوء حظـي لم نتمكـن مـن وضـع يدينـا عليـه». تعـافى أوفـير واسـتمر في الخدمـة في الموسـاد، في فرعـي طهـران وأمريـكا الجنوبيـة، حتـى تقاعـد في عـام ١٩٨٨م.

كانـت هـذه أول مـرة يتعـرض فيهـا ضابـط اسـتخبارات إسرائيـلي لإطـلاق نـار أثنـاء نشـاط عملياتي في الخـارج. وكان مـن المفـترض أن يـؤدي ذلـك إلى إحـداث تغيـيرات في إجـراءات الموسـاد والشـاباك. لكـن مذبحـة ميونـخ طغـت عـلى أي حـادث آخـر.

عصر الاغتيالات

بعد ميونخ، كانت جولدا مائير مشتتة بين الغضب ورغبة الانتقام وبين ضرورة التروي وتحكيم العقل. ومن أجل اتخاذ القرار المناسب، قامت بإيجاد وظيفة جديدة في مكتب رئيس الحكومة: «مستشار لشؤون الحرب ضد الإرهاب». وعينت في هذا المنصب رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» السابق أهارون ياريف.

ترسخت في تلك الفترة الأسطورة التي تقول بأن الموساد سيثأر من كل من له علاقة باغتيال الرياضيين الإسرائيليين. وبالفعل قام الموساد باستهداف فدائيين فلسطينيين في أوروبا والشرق الأوسط، لكن دوافعه كانت أكثر تعقيدا من مجرد الثأر، حيث أكد تسفي زامير في مقابلة صحفية («هآرتس»، ٢٠٠٦/٢/١٧م) أنه: «لم تكن هناك أية توجيهات للثأر من قبل جولدا مائير، فجولدا لم تقل لي أبدا أن عليك الثأر ممن كانوا وراء أحداث ميونخ. ولم يقل لي أحد شيئا كهذا».

وفقا لزامير، فإن كل العمليات التي نفذها الموساد في تلك الفترة لم تكن لها علاقة بالهجوم الفدائي في ميونخ. وحتى مذبحة الأولمبياد، رفضت جولدا مقترحات الموساد باتخاذ

إجــراءات مضــادة في أوروبــا لأنهــا كانــت تعتقــد بــأن الــدول الأوروبيــة ســتعمل بــكل قوتهــا لمواجهــة الإرهــاب عــلى أرضهــا. لكــن في أوروبــا اتبعــوا طريقــا آخــر «فصحيــح أنهــم كانــوا يقومــون بالكشــف وإلقــاء القبــض عــلى الفدائيــين، لكنهــم كانــوا يســارعون إلى إطــلاق سراحهــم بمجــرد أن تختطــف طائــرة لهــم أو يتلقــون تهديــدات. أنــا أتذكــر محاثــة مــع أحــد رجــال الأمــن الأوروبيــين، حيــث قــال لي: جــنرال زامــير، أنتــم تحاولــون جرنــا، ونحــن لا نريــد أن نكــون طرفــا في صراعكــم».

ذكــر زامــير أن التوجــه الآخــر لم يبــدأ إلا بعــد ميونــخ، حيــث قــال: «الآن أصبــح واضحــا للجميــع، المعارضــين ولجولــدا مائــير أيضــا، أن الأوروبيــين لــن يفعلــوا مــا هــو مطلــوب منهــم. وتــم عقــد جلســة نقــاش في الحكومــة حــول مــا يجــب القيــام بــه. وقلــت أثنــاء الجلســة بأننــا في الموســاد ســنبذل كل مــا في وســعنا للمشــاركة بسياســات حمايــة المنشــآت والمواطنــين الإسرائيليــين خــارج إسرائيــل».

وبالفعــل، لم تكــن عمليــات الاغتيــال دفاعيــة بــل هجوميــة. وبحســب زامــير: «إن الهجــوم خــير وســيلة للدفــاع، لقــد عرفنــا طريقــة عمــل المنظــمات الإرهابيــة، وقررنــا التعامــل مــع عنــاصر الارتبــاط لديهــم والمكاتــب والممثلــين وطــرق تحركاتهــم في أوروبــا، ورأينــا في ذلــك جــزءا مــن منظومــة دفاعيــة ورادعــة أيضــا، والتــي تضــع حــدا للإرهــاب الفلســطيني الواضــح في أوروبــا».

قام كل من رجال المباحث وضباط الاستخبارات في قيادات الموساد و «أمان» وعناصر العمليات الميدانية بجمع معلومات عن ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية وناشطيها البارزين في أوروبا والشرق الأوسط. وبناء على هذه المعلومات تم إعداد قائمة. تم تمريرها لمراجعتها من قبل مجلس رفيع ومختصر للموساد، ضم رئيس الموساد وعددا من رؤساء الوحدات. حيث تقرر في هذا المجلس من سيتم تصفيتهم، وصادقت جولدا مائير على ذلك.

قام زامير بتعيين مايك هراري، الذي خلف في عام ١٩٧٠م تسفي أهاروني في منصب رئيس «قيسارية»، مديرا تنفيذيا للسياسة الجديدة. ولد هاراري في تل أبيب عام ١٩٢٦م، وانضم إلى «الهاغانا» ومن ثم إلى البلماح. وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبح عامل لاسلكي لحساب «منظمة الهجرة (ب)» في عمليات الهجرة غير الشرعية. ومع نهاية حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، انضم إلى الشاباك، وكان ضابط أمن في وزارة الخارجية، ثم انتقل من هناك إلى وحدة العمليات التابعة للاستخبارات، ومنها وصل إلى الموساد.

قام هراري بتجنيد عدة طواقم من رجال عمليات «قيسارية» ومن وحدات أخرى في الموساد ومن هيئات إضافية في أوساط الاستخبارات. وقام بإنشاء غرفة قيادة متقدمة في

باريس، وعين أبراهام جمار[1] قائدا لها. وحمل هراري نفسه عدة جوازات سفر مزيفة لعدة شخصيات.

قرر كل من زامير وهراري العمل ضد ما يمكن تسميته ب «البنية التحتية للإرهاب» لمنظمة التحرير الفلسطينية في أوروبا، بما فيها ما كان له علاقة مباشرة أو غير مباشرة أو ليس لها علاقة بمجزرة ميونخ. وقد حصل الاغتيال الأول في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٢م، والهدف كان وائل عادل زعيتر[2]، وهو مفكر فلسطيني كان يقيم في روما. وقد عمل كمترجم لدى السفارة الليبية، لكنه في الواقع كان منسقا لمنظمة التحرير الفلسطينية و «منظمة أيلول الأسود» في المدينة. ووفقا للمعلومات التي كانت لدى الموساد، فقد كان زعيتر متورطا في محاولة تفجير طائرة «إل عال». وأثناء دخوله إلى شقته قام اثنين من المنفذين بإطلاق ١١ رصاصة عليه من مسدسات مزودة بكواتم صوت. وفي العمليات اللاحقة، استخدم المنفذون ذخيرة أقل.

خلال تسعة أشهر، كان رجال هراري قد اغتالوا ستة فلسطينيين، في روما وباريس ونيقوسيا وأثينا. وقد كان من بينهم محمود الهمشري، وهو ناشط في منظمة التحرير الفلسطينية

(١) أبراهام إيتان (جمار) **אברהם איתן** (**גמר**) (١٩٣٧ - ٢٠١٥م): ضابط عمليات في شعبة «قيسارية» التابعة للموساد، كان أحد المشاركين في عمليات الاغتيال ضد منفذي مجزرة ميونخ.

(٢) وائل عادل زعيتر (١٩٣٤ - ١٩٧٢م): دبلوماسي وأديب عربي فلسطيني عمل ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في روما.

و «أيلول الأسود» في باريس، كان قد ساعد المغربي الذي أطلق النار على تسادوك أوفير. وبناء على نظرية العمليات ل «قيسارية»، فبالإضافة إلى قائد العملية، يجب أن يتواجد بالقرب من المكان واحد من هؤلاء الثلاثة: رئيس الموساد أو رئيس قيسارية أو نائبه، بمستوى قائد، لاتخاذ القرار في حال حدوث خطب ما.

بالتوازي مع الاغتيالات في أوروبا، أرسل الموساد مغلفات متفجرة لناشطين رفيعي المستوى من منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت. حيث أصيب بسام أبو شريف[1]، المتحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، من مغلف كهذا. وقتل سلفه في المنصب غسان كنفاني، الأديب والناشط في الجبهة الشعبية بانفجار سيارته. ولم تتحقق خطط اغتيال عرفات ونائبه، بل وحتى فشلت، لكن الموساد استطاع أن يصل إلى أحد أهم الفدائيين: ألا وهو الدكتور وديع حداد[2].

كان حداد طبيبا مثل جورج حبش، الذي استقال من الجبهة الشعبية وشكل حزبا مستقلا بدعم من العراق واليمن. وقام بتجنيد الشباب من اليسار الراديكالي في أوروبا، واستعان بهم

(١) بسام توفيق أبو شريف (ولد عام ١٩٤٦م): هو أحد المستشارين السابقين للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات. ومن مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وصاحب وثيقة أبو شريف حول السلام.

(٢) وديع حداد (١٩٢٧ – ١٩٧٨م): طبيب وسياسي فلسطيني، كان قيادي وأحد مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقبلها حركة القوميين العرب، هو ورفيق دربه جورج حبش.

في تنفيذ عمليات شديدة ضد أهداف إسرائيلية، كان من بينها اختطاف طائرة «إير فرانس» إلى عنتيبي عام ١٩٧٦م.

قام ضابط الجمع الاستخباراتي في «تسومت» بتجنيد عميل داخل منظمة حداد، قام بتزويد معلومات عن عاداته وهواياته، وهكذا تبين أن حداد يحب نوع شوكولا فاخر (أهارون كلاين[1] «حساب مفتوح: سياسة الاغتيالات الإسرائيلية في أعقاب مجزرة ميونخ»، يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٦م)، فاشترى الموساد في بلجيكا علب شوكولا من نوع «كادبوري»، وبمساعدة أعضاء معهد البحوث البيولوجية في نيس زيونا، أحد المنشآت السرية في إسرائيل، تم تسميم إحداها، وأحضرها العميل إلى حداد في المعسكر، والذي أكل الشوكولا بتلهف.

في مارس/آذار عام ١٩٧٩م، تدهور وضع حداد الصحي وتم نقله إلى ألمانيا الشرقية. وكان جهاز أمن الدولة «شتازي»، المعروف بسمعته السيئة والذي يقوم من حين لآخر، إضافة للتدريب، بتمويل ومنح «الإرهابيين» أجهزة تسجيل، بوضع حداد تحت رعايته. فتم إدخاله للعلاج في مستشفى شرق برلين ولم يخرج منها. وحتى يومنا هذا، لا زالوا في الموساد منقسمين حول ما إذا كان حداد قد مات من السم أو من أمراض أخرى كان يعاني منها، أو من مجموعة الظروف. وبعد

(١) أهارون كلاين **אהרון קליין** (١٩٦٠ - ١٩١٦م): كاتب وصحفي إسرائيل، كان خبيرا في مواضيع الاستخبارات والأمن القومي والإرهاب في الشرق الأوسط.

موتـه، تفككـت منظمتـه.

واسـتضافت **اليمـن** قيـادة حداد ومعسـكرات تدريـب لمنظمات فدائيـة أخـرى . لكـن إسرائيـل أولتهـا اهتمامـا بسـبب موقعهـا الجيو-اسـتراتيجي. حيـث سـيطرت اليمـن، التـي عانـت حتـى عـام ١٩٦٧م مـن حـرب أهليـة، عـلى مضيـق بـاب المنـدب، طريـق الملاحـة الحيـوي مـن الخليـج العـربي والمحيـط الهنـدي إلى إيـلات. وتمـر في هـذه الطـرق ناقـلات النفـط مـن إيـران إلى إسرائيـل. وفي ١١ يونيو/حزيـران عـام ١٩٧١م، اقـترب زورق سـباق مـن ناقلـة كهـذه، تسـمى «كـورال سي»، كانـت تبحـر تحـت علـم ليبـيري. وكان في الـزورق فدائيـون مـن جبهـة التحريـر الشـعبية، حيـث أطلقـوا عليهـا ٦ قذائـف مـن نـوع «آر - بي - جـي»، مـا أدى لاحتراقهـا. ونجـى الطاقـم والناقلـة بفضـل مهـارة قبطانهـا اليونـاني.

تـم اتخـاذ قـرار في الموسـاد بإعـداد عنـصر مـن «قيسـارية» وإرسـاله إلى اليمـن لجمـع المعلومـات الاسـتخباراتية. وقـد اختـير للمهمـة بـاروخ مزراحـي[١][٦]، كان مزراحـي قـد ولـد في مـصر عـام ١٩٢٧م، ودرس في الجامعـة. وفي عـام ١٩٥٧م، هاجـر إلى إسرائيـل وتجنـد في الشرطـة. وخـلال موجـة التجنيـد الكـبرى بعـد حـرب الأيـام السـتة (نكسـة حزيـران ٦٧)، انضـم إلى الشـاباك وتـم ندبـه

(١) بـاروخ زكي مزراحـي **ברוך מזרחי** (١٩٢٧ - ٢٠٠٥م): كان محاربـا في وحـدة العمليـات التابعـة للموسـاد. خـرج لمهمـة ضـد أهـداف فلسـطينية عـام ١٩٧٢م، فتـم اعتقالـه مـن قبـل أجهـزة الأمـن اليمنيـة وتسـليمه لمـصر. ثـم أعيـد لإسرائيـل في إطـار صفقـة تبـادل أسرى عـام ١٩٧٤م، بعـد حـرب يـوم الغفـران (حـرب تشرين/أكتوبـر).

إلى الموساد، وفي أواخر عام ١٩٧١م، أرسل إلى اليمن. وبعد حوالي أسبوعين، بعد أن تكللت عمليته بالنجاح، عاد إلى البلاد. وفي مايو/أيار عام ١٩٧٢م، تم إرساله مرة أخرى إلى إثيوبيا لمتابعة مهمة، تحت غطاء رجل أعمال مغربي باسم أحمد السباج. لكن خطأ ما قد حدث.أثناء سفره إلى اليمن، ساء حظ مزراحي وجاءت جلسته بجانب أحد المعارضين المراقبين من قبل أجهزة المخابرات اليمنية. وعند نزولهما من الطائرة، استمرا بالحديث، وهكذا أصبح مزراحي تحت الرقابة الأمنية أيضا. وبعد عدة أيام، تم اعتقاله عند قيامه بتصوير ميناء الحديدة، دون أن يعرف أحد بأنه إسرائيلي.

قام مئير عميت بإرسال محام أجنبي، انضم إلى محام محلي، من أجل تمثيله. وفقط عند تعذيبه أثناء التحقيق اتضح لليمنيين أن مزراحي إسرائيلي من أصل مصري. وحام فوق رأسه خطر عقوبة الإعدام. وأجرى عميت منظومة اتصالات وضغوط في شتى أنحاء العالم، بينها رسائل تهديد، ففضلت الحكومة اليمنية التخلص من الجاسوس، وادعت بأنه مواطن مصري وقامت بتحويله إلى القاهرة، وهناك تم أيضا التحقيق معه وتعذيبه، وبدأت محكمته في يوم نشوب حرب يوم الغفران (حرب أكتوبر/تشرين) وحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.

بعد نهاية الحرب، بدأت مباحثات إسرائيلية مصرية غير

مباشرة لإطلاق سراح مزراحي، لكن المصريين رفضوا ضمه لصفقة تبادل الأسرى، بحجة أنه مدني وجاسوس وليس جنديا. كان وزير الدفاع دايان مستعدا للاستسلام، لكن مع إصرار زامير الذي هدد بالاستقالة، نجح الموساد بالوصول إلى تحريره في عام ١٩٧٤م. وبالمقابل، أطلقت إسرائيل سراح ٦٥ من بدو سيناء وعدد من سكان قطاع غزة واثنين من المواطنين العرب الإسرائيليين، كانا عميلين لدى المخابرات المصرية.

في غضون ذلك، ردت منظمة التحرير الفلسطينية، بمنظماتها المختلفة، على تصفية أعضائها في أوروبا. حيث تم إرسال طرود متفجرة لدبلوماسيين إسرائيليين في أوروبا، ولشخصيات في إسرائيل. أحدها كان في ١٩ سبتمبر/أيلول عام ١٩٧٢م، وقد أسفر عن مقتل عامي شحوري[١]، الملحق الزراعي في السفارة الإسرائيلية في بريطانيا. فنشب الصراع السري بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية - أطلقوا عليها في وسائل الإعلام اسم «حرب الجواسيس» - بكامل قوته على الأراضي الأوروبية.

---

(١) الدكتور عامي شحوري ד"ר עמי שחורי (١٩٢٨ - ١٩٧٢م): ملحق الزراعة الإسرائيلي في السفارة الإسرائيلية في بريطانيا، تم اغتياله عام ١٩٧٢م بطرد متفجر من قبل منظمة التحرير الفلسطينية.

حرب الجواسيس

في ٢٦ يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٣م، تم إطلاق النار على رجل أعمال إسرائيلي يحمل اسم موشيه حنان ياشي بجانب مقهى في مدريد وقتله. وبعد موته، تبين أن اسمه الحقيقي كان باروخ كوهين[1]، وأنه وصل إلى إسبانيا ضمن بعثة الاستخبارات الإسرائيلية. ومثل تسادوك أوفير، كان باروخ كوهين منسق شاباك تم ندبه إلى «تسومت» من أجل تجنيد وتشغيل عملاء في المنظمات الإرهابية. وأحد أولئك العملاء الذين تم تشغيلهم، تم تحويله إلى عميل مزدوج من قبل منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد أصبح كوهين أول ضابط استخبارات إسرائيلي يتم قتله في أوروبا على يد منظمة فلسطينية. بعد أن جاء لمقابلة العميل برفقة حارس أمني واحد فقط.

بعد موته، تم تغيير عمليات تأمين ضباط الجمع

(١) باروخ كوهين ברוך כוהן (١٩٣٦ - ١٩٧٣م): رجل أمن إسرائيلي، خدم في لواء «الناحل» بالجيش، وكان جنديًا متفوقًا، وشارك إلى جانب ١٣٠ جنديًا إسرائيليًا بتنفيذ مجزرة قبية تحت قيادة أرئيل شارون، انضم إلى الشاباك، وتم ندبه إلى الموساد. قتل بعد إطلاق النار عليه أثناء مهمة في إسبانيا.

الاستخباراتي أثناء لقائهم مع العملاء. وأطلق على الخطة الجديدة اسم «تأمين العمليات الاستخباراتية». فأصبح الفحص المسبق لمكان اللقاء أكثر صرامة، وكان على عناصر الموساد أن يسلكوا «مسارا» - الذهاب إلى اللقاء سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا، أو عبر رحلة طويلة في أنحاء المدينة، لكشف ما إذا كان وراءهم من يراقبهم أو ينصب الكمائن لهم.

كان النجاح الكبير والهام لإسرائيل في أبريل/نيسان عام ١٩٧٣م، في عملية أطلق عليها اسم «ينبوع الشباب». ومن أجل العملية، تم إرسال محاربة من «قيسارية» إلى بيروت، وقد تم تأليف كتاب عن تجربتها (إفرات ماس، «ياعيل[١] - محاربة الموساد في بيروت»، الكيبوتس المتحدة، ٢٠١٥م). هي ولدت في كندا ونشأت في الولايات المتحدة الأمريكية ضمن عائلة يهودية ليس لها انتماء للصهيونية. وهاجرت إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، حيث عثر عليها الموساد، وأصبحت محط رعاية هراري. وهو الذي أرسلها إلى بيروت، تحت غطاء مؤرخة تسعى إلى اقتفاء أثر رحالة إنكليزية من القرن التاسع عشر في لبنان.

طلب منها استئجار شقة لرصد منازل مسؤولي منظمة

(١) ياعيل مان **יעל מן** (١٩٣٦ - ٢٠٢١م): عميلة لجهاز الموساد الإسرائيلي، شاركت في العديد من العمليات في البلدان العربية، أشهرها جمع معلومات استخباراتية لعملية «ينبوع الشباب» (عملية فردان). (ياعيل مان ليس اسمها الحقيقي، بقيت تعيش في ظروف سرية ولم ينشر اسمها حتى وفاتها).

التحرير الفلسطينية والإبلاغ عن: مواعيد دخولهم وخروجهم، ومن كان يرى من خلف النوافذ، ومتى يطفؤون هم وأفراد عائلتهم الأضواء ليلا. وفي نهاية المهمة، التي استمرت ثلاثة أشهر، عادت إلى إسرائيل، واستمرت بالاشتراك في مهمات عظيمة أخرى حتى تقاعدها. كما أنها لم تكون أسرة على الإطلاق، وقد عزت ذلك في كتابها إلى التزامها العميق بالموساد والعمليات.

تم إدارة العملية بناء على المعلومات التي جمعتها. حيث نزل مقاتلون من وحدات الجيش الإسرائيلي، من بينها «سييرت متكال» (وحدة استطلاع هيئة الأركان) بقيادة إيهود باراك[1]، متنكرين بزي النساء، على شاطئ بيروت بمساعدة عناصر من «قيسارية»، الذين كانوا بانتظارهم مع سيارات ووسائط أخرى، وتوجهوا من هناك إلى منازل ثلاثة من قياديي منظمة التحرير الفلسطينية - يوسف النجار[2] (أبو يوسف، رقم ٣ في المنظمة) وكمال عدوان[3] (ضابط عمليات رئيسي) وكمال

(١) إيهود باراك **אהוד ברק** (ولد عام ١٩٤٢م): سياسي إسرائيلي، كان عاشر رئيس وزراء لإسرائيل ووزير الدفاع بين عامي ١٩٩٩ - ٢٠٠١م، ثم تولى مرة أخرى وزارة الدفاع في الفترة ٢٠٠٧ - ٢٠١٣م.

(٢) محمد يوسف النجار المعروف بأبو يوسف النجار (١٩٣٠ - ١٩٧٣م): قيادي فلسطيني بارز؛ وأول قائد عام لقوات العاصفة عند الانطلاقة وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان، وممثل فلسطين في مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع العرب في القاهرة عام ١٩٧١م.

(٣) كمال عدوان (١٩٣٥ - ١٩٧٣م): سياسي فلسطيني، كان أحد أهم قادة حركة فتح قبل أن يغتاله الإسرائيليون في بيروت. شارك في انطلاقة حركة فتح وانتخب في لجنتها المركزية سنة

ناصر[1] (المتحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية) - وقاموا بقتلهم. **كانت هذه عملية الاغتيال الأولى لإسرائيل في أرض هدف، بل وفي عاصمة عربية.**

وصلت «حرب الجواسيس» إلى نهايتها الدرامية التراجيدية في ليلهامر، وهي مدينة سياحية صغيرة شمال النرويج. ففي ٢١ يوليو/تموز عام ١٩٧٣م، قام عناصر «قيسارية» بقتل نادل مغربي يدعى أحمد بوشيقي[2]. وكانت هذه إحدى أكثر العمليات فشلا وإهمالا في تاريخ الموساد؛ فقد قتل بوشيكي بعد خطأ في تحديد الهوية. والهدف كان علي حسن سلامة[3]، ابن أحد القادة الفلسطينيين الذي قتل في حرب الاستقلال (حرب فلسطين ٤٨)، حيث كان واحدا من أهم وأنجح رجال العمليات لحركة «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية. وكان مقربا من عرفات وقائد «القوة ١٧»، وحدة النخبة في

١٩٧١م. اختير عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني سنة ١٩٦٣م. لعب دورا مهما بصفته مسؤولا عن مكتب الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية.

(١) كمال ناصر (١٩٢٤ - ١٩٧٣م): من قياديي الثورة الفلسطينية. توفي في بيروت عام ١٩٧٣م في عملية عسكرية إسرائيلية استهدفته وقائدين فلسطينيين آخرين هما كمال عدوان ومحمد يوسف النجار.

(٢) أحمد بوشيقي (١٩٤٠ - ١٩٧٣م): هو نادل من أصل مغربي (كان يحمل جواز سفر مغربيًا) اغتاله عملاء الموساد عام ١٩٧٣م بمدينة ليلهامر بالنرويج عن طريق الخطأ ظنا منهم بأنه علي حسن سلامة الذي يعتقد أنه المدبر الأول لعملية ميونخ عام ١٩٧٢م.

(٣) علي حسن سلامة (١٩٤١ - ١٩٧٩م): اسمهُ الحركي أبو حسن، هو مناضلٌ فلسطيني وقياديٌ في منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة أيلول الأسود. يُلقب بالأمير الأحمر، كما قاد العمليات الخاصة ضد المخابرات الإسرائيلية في العالم من لبنان، واغتيل على يد إسرائيل في لبنان.

المنظمة، التي سميت على رقم بعثتها في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت. كما جند سلامة أيضا للصراع الفلسطيني شبابا راديكاليا من اليسار الأوروبي وأرسلهم للتدرب في لبنان. وكان أحدهم أندرياس بادر من قيادات «فصيل الجيش الأحمر» الألماني، الذي كان يعرف ب «عصابة بادر-ماينهوف».

أوضح هراري أن سلامة كان من بين المخططين لمجزرة الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ، وجعله المطلوب رقم واحد، لكن كان هناك في الموساد وهيئة الاستخبارات «أمان» من شكك في تورط سلامة بذلك. وفي كلتا الحالتين، كان الاشتباه به كافيا لتحديده بأنه «يجب قتله».

منع في إسرائيل نشر وثائق تخص القضية، وتم إخفاء الموضوع عن نقاشات الحكومة ولم يعرف موعد تصفيته. لكن ظهرت من الوثائق السرية في أرشيف الدولة في النرويج صورة واضحة للعملية، من تقارير للشرطة حول استجواب عناصر الموساد المحتجزين، الذين تعاون بعضهم مع المحققين النرويجيين.

في تمام الساعة ٢٢:٤٥ من يوم ٢١ يوليو/تموز عام ١٩٧٣م، عاد أحمد بوشيقي وزوجته النرويجية، التي كانت حاملا، من فيلم «حيث يجرؤ النسور» ونزلا من الحافلة في محطة مجاورة لمنزلهما، حيث كان ينتظرهما في مكان قريب اثنان من منفذي العملية وقاما بقتل بوشيقي.

كان القتل في النرويج في تلك الفترة جريمة نادرة الحدوث جدا. وخاصة في الصيف، في بلدة هادئة مثل ليلهامر، التي لا تستيقظ إلا عند قدوم الشتاء وفصل التزلج. قامت قيادة الشرطة الجنائية «كريبو» بإرسال اثنين من المحققين ذوي الخبرة، أحدهما كان ستاين رافيلو الذي عين رئيسا للفريق. وخرجوا إلى ما بعد منتصف الطريق المؤدي إلى ليلهامر التي تبعد حوالي ١٧٠ كم عن أوسلو. وكانوا يعتقدون بأنهم سيحققون في جريمة قتل على خلفية صفقة مخدرات.

بينما شق المحققون طريقهم من أوسلو، نشرت شرطة ليلهامر حواجز على الطرق المؤدية إلى العاصمة. وقبل حوالي نصف ساعة من منتصف الليل، مرت بواحد منهم سيارة بيجو ٥٠٤ تقودها امرأة، فتباطأت سرعة السيارة، وحدقت المرأة التي في مقعد الراكب في الشرطي عند الحاجز. والذي كتب في تقريره «رأيت امرأة جميلة ذات شعر مسّرح، والتقت أعيننا للحظة». وقد قام بتسجيل رقم رخصة القيادة، DA97943، وبلغها لاسلكيا، فقام مركز شرطة ليلهامر بإرسال الرقم عبر الفاكس إلى قيادة «كريبو» والتي بدورها عممت التفاصيل في كافة أنحاء الدولة.

كانت المرأة التي في المقعد الأمامي هي سيلفيا رافائيل. أما التي كانت تقود السيارة فهي ماريان غلادنيكوف. وقد كانت رافائيل من أعضاء «قيسارية» ذوي الخبرة، حيث شاركت في

عمليات خطرة في دول عربية. بينما كانت غلادنيكوف متدربة في دورة الموساد بدون أية تجربة عملية. وقد تم اختيارها للمهمة أيضا بسبب جنسيتها السويدية، وتمكنها من اللغات الاسكندنافية.

في صباح اليوم التالي، خرج أحد رجال الشرطة في مطار أوسلو بعض الوقت ليشرب سيجارة، فلاحظ فجأة على الرصيف المقابل سيارة البيجو المشبوهة. وتحولت المفاجأة إلى دهشة عندما رأى شابة شقراء تتكئ على السيارة. اقترب واستفسر، فقالت الشقراء: «أنا سويدية، أنتظر صديقي من الدنمارك»، والسيارة؟ «هذه السيارة استأجرتها صديقتي، وطلبت مني إعادتها». وأثناء حديثهما، توقفت سيارة فولفو مستأجرة من شركة «هيرتز» بجانبهما، وخرج منها رجل في الثلاثين من عمره. فقالت غلادنيكوف: «هذا هو صديقي الدنماركي الذي أنتظره».

تم أخذ غلادنيكوف وصديقها إلى مقر قيادة الشرطة في المدينة. وهناك اعترف الرجل بأن اسمه دان إيرت، وأنه مواطن دنماركي يسكن مع صديقته في أوسلو. حيث اقتادهما اثنان من رجال الشرطة إلى العنوان الذي حدده. فوجدت الشرطة هناك زوجا آخر، قدمت الزوجة نفسها باسم باتريشيا روكسبيرج، مصورة صحفية كندية. وكانت هذه رافائيل. فيما أبرز الرجل جواز سفر شخصي باسم ليزلي أورباوم، مدرس

مـن مدينـة ليـدز غـرب يوركشـاير، في إنجلـترا.

إن سلسـلة الاحـداث - تـوالي الصـدف، إلى جانـب الإهـمال العملياتي الناجـم عـن الثقـة الزائـدة بالنفـس - قـد أثبتـت مـرة أخـرى أن مـا بـين الفشـل والنجـاح يفصـل خيـط رفيـع جـدا.

تـم نقـل الأربعـة مـن أوسـلو إلى ليلهامـر، وهنـاك كان بانتظارهـم رافيلـو ومحقـق آخـر. وعـلى الرغـم مـن تشـعب هـذه القضيـة، اعتقـد النرويجيـون أنهـا قضيـة جنائيـة. واسـتنادًا إلى التقريـر الـذي أرسـل مـن أوسـلو، فقـد اعتـبروا غلادنيكـوف وإيرت الحلقـة الأضعـف. بـدأ التحقيـق مـع غلادنيكـوف في اليـوم التـالي، يـوم الأحـد ٢٣ يوليو/تمـوز، عنـد السـاعة السادسـة صباحـا. حيـث كتـب المحقـق: «بقيـت صامتـة لمـدة ثلاثـين دقيقـة، ثـم بـدأت بالحديـث، وهـذه قصتهـا: أقلتنـي يـوم الأربعـاء المـاضي عنـد السـاعة الخامسـة صباحـا في تـل أبيـب سيارة مـع سـائق، وتابعنـا لإحضـار امـرأة، لا أعرفهـا مطلقـا، قالـت إن اسـمها باتريشـيا وهـي مـن كنـدا، ثـم تابعـت السـيارة وأصعـدت رجـلا، ومـن ثـم توجهنـا إلى المطـار في اللـد. شـاهدت في المطـار مجموعـة مـن ١٠ - ١٥ شـخصا. أعطـاني أحدهـم ٥٠٠ دولار ومبالـغ أخـرى بالمـارك الألمـاني والفرنـك الفرنـسي، وتذكـرة طـيران إلى زيـورخ. فصعـدت عـلى مـتن الطائـرة وجلسـت بجانـب باتريشـيا، التـي قالـت لي بـأن اسـمها الكامـل هـو باتريشـيا روكسـبيرج. وفي زيـورخ، قابلنـا رجلـين اثنـين، قـالا لنـا: أنتـما ستسـافران إلى أوسـلو عـبر كوبنهاغـن».

تـم إيقـاف التحقيـق مـن أجـل وجبـة الإفطـار، ثـم تـم استئنافه عنـد السـاعة التاسـعة. «وأكملـت أن عنـد وصولهـا إلى ليلهامـر قابلـت رجـلا يدعـى مايـك، أمرهـا بالتوجـه إلى فنـدق (أسـكتلندي) في المدينـة». ولاحقـا، قالـت غلادنيكـوف أنهـا جـاءت إلى النرويـج «في بعثـة إسرائيليـة رسـمية»، وقـد كتـب المحقـق في التقريـر أنـه لا يصدقهـا.

مـا جعلـه يغير رأيـه، هـو التحقيـق مع إيـرت مـن قبـل رافيلو، والـذي بـدأ عنـد السـاعة التاسـعة مـن صبـاح اليـوم التـالي لوقـوع الجريمـة. حيـث كتـب المحقـق: «لقـد ادعـى أن اسـم عائلتـه إيـرت، ولكـن لصعوبـة نطقـه في اسرائيـل قـام بتغيـيره إلى أربيـل، ثـم قـال لاحقـا: أنـا هنـا في بعثـة دولـة إسرائيـل. وعندئـذ، فاجـأني قائـلا: أنـا أخـشى أن أكـون محبوسـا، أخرجنـي مـن هنـا. فاقترحـت عليـه أن يخـبرني بـكل شيء، وعندهـا سـأفتح لـه البـاب، ووافـق عـلى الفـور». وقـد قـال إيرت-أربيـل أنـه منـذ أن كان طفـلا في أيـام الحـرب العالميـة الثانيـة تـم اخفـاؤه عـدة أشـهر في أحـد الأقبيـة في الدنمـارك، حتـى تـم تهريبـه مـن قبـل الحركـة السريـة إلى السـويد، ومنـذ ذلـك الوقـت وهـو يعـاني مـن رهـاب الأماكـن المغلقـة. وكان لا يـزال ينفـي أي صلـة لـه بمقتـل بوشـيقي.

كان مكتوبـا عـلى الوجـه الداخـلي لغـلاف جـواز السـفر رقـم هاتـف بخـط اليـد، لكـن إيرت-أربيـل رفـض الإفصـاح للمحقـق عـن صاحـب الرقـم. وفقـط بعـد أن أكـد لـه بـأن هـذا التفصيـل

لـن يذكـر في المحكمـة، اسـتجاب قائـلا: «هـذا رقـم مايـك مـن وزارة الدفـاع». وبخصـوص رقـم آخـر كان مكتوبـا هنـاك، 141589، قـال عـلى الفـور أنـه لرجـل مـن شركـة الطـيران «إل عـال» في أوسـلو.

عنـد السـاعة العـاشرة مسـاء، قـرع رجـال الشرطـة جـرس بـاب الشـقة في أوسـلو. فتحـت امـرأة شـابة البـاب. واقتحمـت قـوة مسـلحة الشـقة ووجـدوا في الداخـل طفلـة وثلاثـة رجـال. قـدم أحدهـم نفسـه بأنـه زوج المـرأة، إيغـال إيـال[1]، ضابـط أمـن سـفارة إسرائيـل، وأبـرز جـواز سـفر دبلومـاسي. وبعـد عشريـن دقيقـة، غـادر رجـال الشرطـة الشـقة ومعهـم الشـخصان الآخـران، الذيـن قدمـا نفسـيهما أنهـما تسـفي شـتينبرغ ومايـكل دورف.

قـال شـتينبرغ أثنـاء اسـتجوابه أنـه مـن مواليـد ريـو دي جانيرو، وأن اسـمه كان فلاديمـير هينريـك. هاجـر إلى إسرائيـل عـام ١٩٥٥م وأقـام في مسـتوطنة غـان شـموئيل. وحسـب أقوالـه، فإنـه وصـل إلى النرويـج عـلى مـتن رحلـة جويـة مـن أمسـتردام، لكنـه رفـض إعطـاء تفاصيـل عـن عملـه.

وجـدت الشرطـة في محفظـة دورف مفاتيـح شـقق في باريـس، وورقـة مكتـوب عليهـا أوامـر باللغـة العبريـة: ١. أخرجـوا مـن النرويـج بواسـطة القطـار. ٢. اسـتخدموا جـواز سـفر إسرائيليـا. ٣.

(١) إيغـال إيـال **יגאל אייל** (ولـد عـام ١٩٤٤م): ضابـط احتيـاط في الجيـش الإسرائيـلي برتبـة عميـد، قـاد لـواء هارئيـل وشـغل منصـب رئيـس قسـم التاريـخ في الجيـش الإسرائيـلي. وضابـط أمـن السـفارة الإسرائيليـة في أوسـلو.

سافروا جوا من العاصمة الدنماركية إلى أمستردام وتواصلوا مع «SNT» (الاسم السري لمحطة الموساد في العاصمة الهولندية). ٤. لا تحملوا معكم أية مادة قد تدينكم. ٥. سيكون مايك في السفارة في النرويج وسيتواصل مع القيادة ويقدم أخبارا خاصة. قامت الشرطة النرويجية بطلب المساعدة من أجهزة الشرطة حول العالم، عبر الإنتربول الدولي.

وبعد حوالي أربعة أشهر من الجريمة تلقت شرطة باريس معلومة عن شقة في بناء بشارع باسي ٥١، تم استئجارها في مايو/أيار عام ١٩٧٣م من قبل رجل أعمال برازيلي، قال لصاحبة الشقة أنه تاجر ألماس. وقد تم استئجار الشقة قبل شهر من التفجير الذي وقع في باريس واستهدف سيارة **محمد بو دية**[١]، المقاوم الجزائري ومساعد منظمة التحرير الفلسطينية في الاعمال الفدائية ضد إسرائيل. حيث اشتبهت شرطة باريس في أن المستأجر البرازيلي هو شتينبرغ، وأن للشقة علاقة باغتيال بو دية. وعندما وصلت الشرطة إليها وجدت بداخلها بطاقة جامعية تحمل اسم ماريسا بلسم - زوجة شتينبرغ. وأيضا كما عثرت هناك أيضا على ١١ مفتاحا عليها أسماء دور سينما، وعلى أحدها مكتوب برج إيفل. حيث أشارت التقديرات إلى أن هذه مفاتيح شقق، قد تم وضع الأسماء عليها لتمييز مواقعها.

(١) محمد بو دية (١٩٣٢ - ١٩٧٣م): مقاتل ثوري ومسرحي وصحفي جزائري انخرط في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كان اثنان من المفاتيح يعودان لشقة باتريشيا روكسبيرج. التي وجد المحقق أثناء استجوابها في اليوم التالي لوقوع الجريمة صعوبة في تصديقها. حيث كتب ما قالته: «أنا صحفية مستقلة من كندا مقيمة في باريس، وقد سافرت في أواسط يوليو/تموز إلى زيورخ للقاء أصدقاء أمريكيين. والتقيت في الشارع في زيورخ مع ليزلي أورباوم، الذي كنت أعرفه منذ خمس سنوات. فقال لي بأنه سيسافر إلى النرويج لقضاء عطلة ودعاني للانضمام إليه. ووافقت. وعندما وصلت إلى أوسلو في ١٨ يوليو/تموز، طلبت استئجار سيارة من شركة «كاروب». وركبت السيارة أنا وليزلي سوية وتوجهنا إلى فندق «بانوراما» في أوسلو، ثم ذهبت للنوم. وفي اليوم التالي، خرجت للتنزه في أوسلو، والتقيت في الفندق بدان إيرت وماريان غلادنيكوف. وذهبنا إلى شقة تعود لإيرت، وهناك عند المساء تشاجرت مع ليزلي فغادرت الشقة. وفي يوم الأحد، ٢٢ يوليو/تموز، أعاد إيرت السيارة، وقادت ماريان سيارتي البيجو». ونفت تماما أنها كانت في ليلهامر.

وجد المحققون النرويجيون الذين تم إرسالهم إلى باريس في شقة أخرى زجاجة كالفادوس وأواني مطبخ، كان عليها بصمات روكسبيرج-رافائيل. كما عثروا في الشقة أيضا على تفصيل آخر: جريدة «لو فيغارو» عدد ١٩٧٣/٦/٢٧م، اليوم الذي سبق اغتيال بو دية.

مثل رافائيل، تبين أيضا أن أورباوم – أبراهام جمار – صلب كالجوز ويصعب كسره. وقد استمر بادعائه أنه مدرس من ليدز، كما كان واضحا أن لغة المحقق النرويجي الإنجليزية جيدة مثل لغة أورباوم. حيث كتب المحقق: «هذه أسوأ قصة تخف سمعتها على الإطلاق». توجهت الشرطة النرويجية إلى الشرطة الإنجليزية وتلقت ردا بأنه صحيح أن هناك شخص يعيش في ليدز باسم ليزلي أورباوم، ومكتوب في ملفه الصحي أن لديه خصية واحدة. حذر المحقق النرويجي أورباوم: «إن لم تكشف لنا هويتك الحقيقية، سأضطر أن أطلب منك التعري». تفاجأ أورباوم من هذا التهديد المبطن واعترف أنه ليس أورباوم، لكنه رفض كشف هويته الحقيقية. ولم يعترف بأنه إسرائيلي، كبقية رفاقه، إلا عندما تلقى الأوامر من الموساد، عندما تم فتح قضيتهم في فبراير/شباط عام ١٩٧٤م. فليزلي أورباوم الحقيقي لم يكن مدرسا في ليدز، بل يهودي إنكليزي صهيوني، هاجر إلى إسرائيل وانضم إلى مستوطنة لافي، ووافق على إرسال جواز سفره للموساد دون أن يعرف ماذا سيفعلون به.

كان الشخص الذي ساعد المحققين النرويجيين في فك رموز القضية هو دان أربيل. فقد روى بعد يومين من الجريمة أنه تم إرساله إلى النرويج من قبل حكومة إسرائيل كجزء من حربها ضد «منظمة أيلول الأسود». وبحسب شهادته، فإنه في عام ١٩٦٣م، بعد أن هاجر إلى إسرائيل من الدنمارك، التي عمل

فيها بتجارة المفروشات، توجهوا إليه من الموساد، وطلبوا منه تفاصيل عن أشخاص عرفهم في الدنمارك. وبحسب أقواله، فإنه فقط بعد مرور خمس سنوات، في أغسطس/آب عام ١٩٦٨م، رجعوا إليه مرة أخرى، عند عودته من باريس، حيث عمل لحساب شركة المفروشات الاسكندنافية «فايكينغ».

جاء في التقرير: «دعاني مايك رجل الموساد، وطلب مني أن أعمل لصالحه، وعندما سألته بماذا، أكد لي أنها مجرد شؤون قانونية». وأكد أربيل أنه لم يتلق أموالا من الموساد، باستثناء المصاريف المدفوعة. وقال: «لقد جمعت بين عملي الخاص وعملي في أوروبا من أجل الحكومة، ولم يكن لي وظيفة ثابتة في الموساد».

بحسب شهادته، فإنه قابل مايك عام ١٩٧٠م في تل أبيب، حيث طلب منه السفر بمهمة تصوير منازل في طرابلس بليبيا، وبعد مرور عدة أشهر، تم إرساله لتصوير موانئ في عدة دول عربية، وهذه المرة مع باتريشيا روكسبيرج.

رفع رافيلو تقريره لقادته: «قال لي مصدر (على ما يبدو دان أربيل) أن اسم باتريشيا روكسبيرج هو سيلفيا رافائيل، وهي مولودة عام ١٩٣٧م في جنوب أفريقيا، وتتحدث الإنجليزية والفرنسية، وربما الإيطالية والهولندية. إنها نصف يهودية، ووالداها مطلقان، ولها علاقة بالموساد منذ سنوات كثيرة. في عام ١٩٧٠م، كانت هي ودان أربيل، معا بمهمة

استطلاع للموانئ من قبل الموساد في تركيا ولبنان ومصر. وفي يونيو/حزيران كانت في باريس عندما قتل شخص عربي جراء انفجار عبوة ناسفة تم زرعها في سيارته (المقصود بو دية)».

جاء في تقرير آخر: «مايك هراري هو نجم كبير في الموساد، لكن المصدر يخشى تقديم معلومات إضافية عنه». كما كتب قائد الشرطة السرية في تقرير مشابه له: «أنا واثق بأن الشخص الذي دخل إلى النرويج باسم إدوار لاسكر، هو مايك هراري».

أخبر أربيل محققيه أيضا عن مهمة سرية أخرى شارك فيها في خريف عام ١٩٦٨م، حيث قال: «طلب مني ترتيب بيع سفينة اسمها ‹شيرسبيرغ إي›». هذه هي السفينة التي نقلت اليورانيوم المهرب من بلجيكا مرورا بإيطاليا إلى إسرائيل.

قام زامير، الذي كان في النرويج لمراقبة العمل عن كثب، بالفرار على متن يخت يعود لأحد اليهود المحليين المتعاونين، كما نجح هراري بالهروب أيضا. أما دورف، فقد تمت تبرئته وبقي يعمل في قيادة الموساد حتى تقاعده. بينما أدين الباقون، لكن لم يتم تنفيذ سوى حوالي ثلث مدة عقوبتهم وطردوا من النرويج: أدين شتينبرغ بتهمة التجسس وحكم عليه بالسجن لعام واحد، ثم عاد بعدها ليكون محاربا في صفوف الموساد وتم إدخاله إلى دول عربية. وحكم على غلادنيكوف بالسجن لمدة سنتين ونصف بتهمة المساعدة على

القتل. وبعد عودتها إلى إسرائيل، خافت على حياتها وشعرت أنها كشخص تخلى عنه الذين أرسلوه، حيث قالت في مقابلة تلفزيونية لها: «حتى المساعدة النفسية لم يقدموها لي». (”وجوه حقيقية»، القناة العاشرة، فبراير/شباط عام ٢٠١٧م).

حكم على أربيل بالحبس لمدة خمس سنوات بتهمة المساعدة على القتل. وبعد خروجه من السجن، عمل في أعمال متعددة وأحيانا كان يعمل حارسا في مول في كفر سابا. فيما حكم على رافائيل بالحبس لمدة خمس سنوات ونصف لمساعدتها على القتل. وخلال محاكمتها، وقعت في حب محاميها النرويجي أنوس شودت، وتزوج الاثنان وعاشا في إسرائيل. وقد توفيت عام ٢٠٠٥م، ودفنت وسط بساتين مستوطنة رامات هكوفيش. كما حكم على جمار بالحبس خمس سنوات ونصف لمساعدته على القتل. وعند عودته إلى إسرائيل، غير اسم عائلته إلى إيتان، وعمل في قيادة الموساد عدة سنوات ثم استقال، وقد توفي عام ٢٠١٣م. لو لم يكن هراري واثقا من نفسه ومصمما على قتل سلامة، لكان تم تفادي قتل بوشيقي. حيث استطاعت غلادنيكوف، التي طلب منها مراقبة بوشيقي، السباحة بالقرب منه في أحد مسابح ليلهامر، وقالت لهراري أنها سمعته يتحدث اللغة النرويجية بطلاقة، وأنه لا يشبه الصورة التي لسلامة. كما كان لرافائيل وجمار دور في تحديد الشخصية. هذا وحددت نظرية الاغتيالات التي

كان هراري من صائغيها، أنه إن لم يتم تأكيد هوية الشخصية، لا تنفذ العملية. لكن هراري فضل أن يراهن على إحساسه، بدلا من التوجيهات التي صاغها هو بنفسه. والنتيجة كانت أضرارا جسيمة لإسرائيل ولسمعة الموساد، بل أكثر من ذلك، فقد أدت لموت شخص بريء.

على الرغم من كل ذلك، كان حظ الموساد جيدا. فالسلطات القانونية النرويجية لم تخرج عن المألوف لكي تعمق التحقيق، والمحكمة لم تفرض عقوبات شديدة، والحكومة النرويجية لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل. وفي الحقيقة، قامت المخابرات العسكرية النرويجية بقطع علاقاتها مع الموساد، لكن تم استعادتها بعد خمس سنوات - وتم نقل معلومات لإسرائيل عن إس-١٧، بطاريات الصواريخ أرض - جو السوفييتية، والتي كانت تعتبر حينها الأكثر تطورا في العالم. وقد ساعدت المعلومات سلاح الجو في يونيو/حزيران عام ١٩٨٢م، في بداية حرب لبنان الأولى، على تدمير بطاريات الصواريخ التي كانت بحوزة الجيش السوري في هجوم مفاجئ.

في عام ٢٠١٤م، تم نشر كتاب السيرة الذاتية «رجل العمليات: قصة مايك هراري، قائد الوحدة العملياتية في الموساد» بقلم أهارون كلاين. وتم التطرق في الكتاب إلى فشل ليلهامر بشكل موجز جدا، وكأنه لم يحصل أي حادث في تاريخ الموساد، وبالتأكيد في ولاية هراري. حيث ورد في الكتاب

أنه بعد انتهاء العملية، عمد كل من هراري وزامير لتقديم استقالتهما، لكن جولدا مائير رفضت الاقتراحات، وقالت أنها بحاجتهما.

كانت تفسيرات هراري لما حدث في ليلهامر شائنة بشكل خاص. فقد عزا الفشل إلى خطأ في تحديد الهوية، ولحقيقة أن عناصر الخلية قرروا إعادة وسائط النقل لشركات التأجير من أجل الفرار بواسطة القطار، مثل ما طلبت منهم قيادة الموساد. لقد حمل عناصره المسؤولية، بزعم أن بعضهم لم يكونوا عناصر عمليات أصحاب خبرة. ومن هو الشخص الذي اختارهم للعملية إن لم يكن رجل العمليات الأكثر منهم خبرة، هراري؟ وكان لزامير رد مختلف، حيث قال: «المسؤولية كلها تقع على عاتقي كقائد»، واعترف قائلا: «الكود الهرمي والقيادي في الموساد أن القائد يتحمل المسؤولية سواء كانت النتائج جيدة أم سيئة». وقد بينت المعلومات التي تم نشرها في نهاية عام ٢٠١٩م المزيد من أبعاد الفشل. وفي مقابلة مع نوعم تيفر لصالح بحثه «ليلهامر – ملف مفتوح» («معاريف»، ٢٠١٩/١٢/٦م)، تم الادعاء بأنه ليس فقط عناصر الخلية أبلغوا عن وجود خطأ بتحديد الهوية، بل اتضح أيضا أنه قبل أربعين دقيقة من عملية الاغتيال وصل إرسال من الوحدة ٨٢٠٠، تبلغ فيه أنه تم العثور على سلامة في لبنان. ووصف زامير الجو في ذلك الوقت: «لقد كانت صدمة في

الموساد، ليس هناك شك بأن مخابراتنا حينها لم تكن بخير، وكان المصدر غير موثوق. لكن هذه كانت حكمة متأخرة. حتى ذلك الوقت، كان يقدم لنا معلومات جيدة عن الأعمال في لبنان». امتنع زامير عن كشف اسم المصدر، العميل الذي نشط داخل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان. ووفقا لزامير، فإن السبب الأساسي للفشل كان خطأ الغرور. لقد كانت عمليات الاغتيال للموساد ناجحة حتى ليلهامر. وتابع: «اختفى أشخاص رئيسيون، وقتل بعضهم، لكننا تضررنا من الثقة بالنفس، لقد كنا ‹ Tigger Happy/تواقين لإطلاق النار› - إصبع خفيفة على الزناد».

في عام ١٩٩٦م، وافقت الحكومة الإسرائيلية على دفع ٤٠٠ ألف دولار كتعويضات دون الاعتراف بالذنب، لأرملة بوشيقي وابنه اللذان استمرا بالإقامة في النرويج.

وبعد ولاية دامت ستة أعوام، أنهى زامير خدمته في عام ١٩٧٤م، وخلفه في المنصب اللواء إسحاق حوفي. وبعد مرور ثلاث سنوات على ذلك بدأ «الانقلاب»، حيث صعد الليكود برئاسة مناحيم بيغن إلى السلطة. اقترح حوفي على بيغن أن يستقيل، من أجل أن يعينه تحت خدمته رئيسا للموساد، كونه هو بيت سره، لكن بيغن رفض الفكرة. في حين استجاب بيغن لاقتراح آخر من حوفي: تجديد ملاحقة سلامة.

حسن سلامة

لم تغب عن حسن سلامة فكرة أن الموساد لن يتخلى عن نية تصفيته، ومع هذا لم يكن حذرا بما يكفي. حيث تزوج من جورجينا رزق[1]، وهي لبنانية مسيحية كانت «ملكة جمال الكون» لسنة ١٩٧١م. وقد غادر الزوجان لقضاء شهر العسل في الولايات المتحدة الأمريكية، فأمضيا بعض الوقت في منتجع والت ديزني، واستجما على شواطئ هاواي. في الحقيقة، إن الثقة التي لدى سلامة كانت نابعة من أنه كان على علاقة مع وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي» منذ عام ١٩٦٩م تقريبا.

كان روبرت أميس[2] رجل إدارة العمليات في وكالة المخابرات

---

(١) جورجينا رزق (ولد عام ١٩٥٣م): هي عارضة أزياء وممثلة لبنانية، حصلت على لقبي ملكة جمال لبنان ١٩٧٠م وملكة جمال الكون ١٩٧١م. وهي تنحدر من عائلة مسيحية مارونية لبنانية، من والد لبناني ووالدة مجرية. تزوجت من علي حسن سلامة والذي لُقّب من قبل الصهاينة بالأمير الأحمر والذي أُغتيل عام ١٩٧٩م من قبل الموساد وأنجبت منه ابنها «علي». تزوّجت المطرب اللبناني المعروف وليد توفيق عام ١٩٩٠م وأنجبت منه ابنها الثاني «الوليد» وابنتها «نورهان». شاركت في العديد من الأفلام السينمائيّة قبيل الحرب الأهلية اللبنانية.

(٢) روبرت كلايتون أميس Robert Clayton Ames (١٩٣٤ - ١٩٨٣م): كان جاسوسًا أمريكيًا، ومدير الشرق الأدنى في وكالة الاستخبارات المركزية «سي آي إي». قُتل في تفجير سفارة الولايات المتحدة في بيروت عام ١٩٨٣م.

المركزية «سي آي إي»، ومهمته هي تحديد وتجنيد عملاء لبنانيين وفلسطينيين. وبمساعد متعاون - وسيط استطاع إقامة لقاء أول مع سلامة، قاد إلى علاقة مستمرة، التقى خلالها الرجلان من حين لآخر، غالبا في إحدى شقق «سي آي إي» المخفية في بيروت، وتبادلا الآراء والتقديرات والمعلومات.

لقد أرادت وكالات المخابرات الوصول إلى تفاهم هادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية، بحيث لا تقوم منظماتها بمهاجمة أهداف أمريكية. وفي مرحلة معينة حاولت إدارة العمليات تحويل سلامة إلى وكيل، الأمر الذي أثار استياء أميس؛ وفقا لما جاء في كتاب كاي بيرد[1] (The Good Spy: The Life and Death of Robert Ames, Penguin Random House, ٢٠١٤م)، فقد قدم له في لقاء في روما ٣٠٠ ألف دولار. رفض سلامة الاقتراح وأخبر عرفات به، فأمره بمتابعة الاتصالات. حيث فهم كلا الطرفين أنهما بحاجة لقناة سرية.

وفي نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٤م، وصل عرفات في زيارة تاريخية إلى نيويورك، وخطب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، ورافقه سلامة حاملا جواز سفر دبلوماسي جزائري باسم رفيق بحلولي.

قام أميس بتحذير سلامة من الموساد، لكن سلامة بقي مطمئنا. قدم هراري ومسؤولون رفيعون في الموساد اقتراحات

(١) كاي بيرد Kai Bird (ولد عام ١٩٥١م): هو كاتب سير وصحفي ومؤرخ أمريكي.

لعمليـة التصفيـة. وقامـوا بتجنيـد محـارب الموسـاد «د»، الـذي تـم إدخالـه إلى لبنـان بهويـة رجـل أعـمال ثـري، حيـث أصبـح صديقـا لسـلامة، وتـدرب معـه في صالـة الرياضـة في فنـدق «انتركونتيننتال» في بـيروت. وقـد تمـت اسـتضافة «د» عـلى وجبـات الطعـام عـدة مـرات في منـزل سـلامة، وخـرج معـه ومـع زوجتـه للتنـزه – حتـى أن جورجينـا حاولـت التوفيـق بينـه وبـين شـقيقتها و «د»، خلافـا للتعليـمات، امتثـل وأقـام علاقـة رومانسـية معهـا.

لم يكـن صعبـا عـلى «د» أن يقـدم تقريـرا يوميـا عـن روتـين حيـاة سـلامة اليومـي. فقـد كانـت نقطـة ضعفـه هـي الثقـة الزائـدة بالنفـس، والتـي بـرزت أيضـا بذهابـه إلى صالـة الرياضـة في الفنـدق للتـدرب مرتـين في الأسـبوع، وعـلى نفـس محـور التحـرك دائمـا. وبنـاء عـلى هـذه المعلومـة، تقـرر زرع عبـوة شـديدة الانفجـار في طريقـه، يتـم التحكـم بهـا عـن بعـد. وضـع «د» مـواد التفجـير في مؤخـرة سـيارته وقـام بتهريبهـا عـبر سـوريا إلى لبنـان.

تـم إرسـال اثنـين مـن عنـاصر وحـدة «كيـدون»، يحمـلان جـوازي سـفر بريطـاني وكنـدي، إلى بـيروت، حيـث قامـا بتركيـب العبـوة في سـيارة فـان طـراز فولكـس فاجـن، كان قـد تـم شراؤهـا لهـذا الغـرض، ثـم ركناهـا في الشـارع. وقـد ألقـى هـراري مهمـة التشـغيل، بعـد موافقـة حـوفي، عـلى محاربـة مـن «قيسـارية»، كانـت قـد أظهـرت خـلال التدريبـات التـي أجريـت في إسرائيـل رباطـة جـأش وقـدرة عـلى تحديـد التوقيـت المناسـب بشـكل

دقيق للضغط على مفتاح التحكم عن بعد. كانت هذه إريكا تشامبرس[1]، من مواليد لندن، ابنة لأم يهودية من أصل تشيكي ولأب مسيحي. درست الهيدرولوجيا (علم المياه) في إنجلترا، وبعد ذلك في أستراليا. وفي عام ١٩٧٢م، جاءت إلى إسرائيل للمشاركة في دراسة ميدانية في النقب ومتابعة تعليمها في الجامعة العبرية. قام الموساد بتحديدها، وكانت هي ميالة إلى «قيسارية». وكجزء من التدريب، قضت تشامبرس بعض الوقت في ألمانيا، من أجل تأسيس قصة تغطيتها، وبعد ذلك تم إرسالها إلى بيروت على أنها «بينيلوبي»، ممثلة منظمة خيرية ألمانية لرعاية الأطفال، مقرها في جنيف. وفي إطار وظيفتها، قامت بزيارة مخيم للاجئين الفلسطينيين، وجالت على منازل الأيتام، ومنحت نقودا وملابس وأغراضا، بل وحتى أنها نجحت في لقاء قادة كبار في منظمة التحرير الفلسطينية. وقد أقامت في شقة في طابق مرتفع تطل على أحد الشوارع التي يتحرك عليها سلامة.

بعد ظهر يوم ٢٢ يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٩م، تحرك سلامة بسيارة دفع رباعي من طراز شيفروليه في شارع فردان في بيروت، وخلفه سيارة دفع رباعي شيفروليه أخرى فيها حرسه الشخصي. وعندما مرّ بجانب سيارة الفولكس فاجن

(١) إريكا تشامبرس אריקה צ׳מברס: هو الاسم المستعار المفترض لعميل الموساد وراء العملية في ٢٢ يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٩م، والتي أسفرت عن مقتل علي حسن سلامة، قائد منظمة «أيلول الأسود» ورائد عملية ميونخ.

المركونـة، ضغطـت تشـامبرس عـلى الـزر، فـدوى انفجـار ضخـم أرعـب المحيـط، قتـل عـلى إثـره سـلامة وحرسـه الشـخصي وأربعـة مـن المـارة في الشـارع.

لم تكـن هـذه المـرة الأولى، ولا الأخـيرة، التـي تسـتخدم فيهـا الاسـتخبارات الإسرائيليـة سـيارة مفخخـة لتصفيـة عـدو. لقـد كان هـراري مصمـما عـلى تصفيـة الحسـاب مـع سـلامة، وغسـل عـار ليلهامـر. لكـن بعملـه بهـذا الشـكل، أنـزل الموسـاد إلى مسـتوى أعدائـه، الذيـن لم يـترددوا بإيـذاء الأبريـاء في سـبيل تحقيـق أهدافهـم.

عـثر في شـقة تشـامبرس عـلى جـواز السـفر البريطـاني وعليـه اسـمها الحقيقـي، وغـير معـروف إذا كان قـد تـم تركـه عـن قصـد أو بالخطـأ. وهربـت هـي واثنـين مـن الطاقـم إلى شـاطئ البحـر، حيـث كان ينتظرهـم هنـاك مقاتلـو «شـيطت ١٣»، وتـم إصعادهم عـلى مـتن قـارب صغـير، توجـه بهـم إلى سـفينة صواريـخ تابعـة لسـلاح البحريـة، كانـت ترسـو في مـكان غـير بعيـد عـن الشـواطئ اللبنانيـة. وعـلى مـتن السـفينة، كان هـراري بانتظارهـم. وعنـد وصولهـم إلى قيـادة الموسـاد، تـم اسـتقبالهم كأبطـال، ومنحهـم شـهادات تقديـر. أمـا تشـامبرس، التـي «أحرقتهـا» العمليـة، فلـم تعـد لتنفيـذ عمليـات أخـرى. ويرجـح بـيرد في كتابـه احتـمال أن الدافـع وراء ملاحقـة سـلامة وتصفيتـه لم ينبـع مـن كونـه إرهابيـا رفيعـا ومـن المقربـين لعرفـات، بـل مـن كونـه حلقـة الوصـل في

الحوار السياسي السري الذي دار بين الإدارة الأمريكية ومنظمة التحرير الفلسطينية، والذي أزعج إسرائيل.

بعد عملية الاغتيال، استقال هراري من الموساد. وعمل مستشارا لحاكم بنما، الديكتاتور الجنرال مانويل نورييغا[1]، وشغل منصب القنصل الفخري لبنما في إسرائيل. حيث كانت المعرفة بينهما قد بدأت عندما شغل نورييغا منصب رئيس المخابرات العسكرية واستعان به الموساد في الحصول على وثائق لبناء قصص التغطية ولتسجيل شركات وهمية في بنما. وكان نورييغا عميلا مأجورا لدى وكالة المخابرات المركزية «سي آي إي»، واتضح بعد أن سيطر على الحكم بانقلاب عسكري أنه كان متورطا بالاتجار في المخدرات.

زعم عدد ليس بالقليل في الموساد أن الصراع ضد الكفاح الفلسطيني المسلح في فترة ما بعد ميونخ، قد تحول لنوع من الهوس وزعزعة المفاهيم، وبالتالي ساهم في العمى الاستخباراتي قبل حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر). ومن الممكن أن تكون حقيقة أن زامير قد شاهد فظائع ميونخ قد ساهمت في التضخيم الزائد لقضية الإرهاب.

أحد أولئك المنتقدين كان كمحي. حيث ادعى، قائلا: «كان يتوجب على الموساد التقليل من الاغتيالات، لأنهم شوهوا

(١) مانويل نورييغا Manuel Antonio Noriega (١٩٣٤ - ٢٠١٧م): كان سياسيًا بنميًا وضابطًا عسكريًا، وكان الحاكم الفعلي لبنما بين عامي ١٩٨٣ - ١٩٨٩م. وكان له علاقة طويلة مع وكالة المخابرات الأمريكية. ومع ذلك، تم خلعه من السلطة نتيجة الغزو الأمريكي لبنما.

صورتنـا وخلقـوا مثـل هـذا الانطبـاع بأننـا نتعامـل فقـط مـع القتـل. وكان مـن الممكـن توجيـه الطاقـات والمـوارد التـي أنفقناهـا آنـذاك عـلى ملاحقـة الإرهابيـين إلى هـدف أكـثر أهميـة، مثـل جمـع المعلومـات الاسـتخباراتية عـن القـدرات العسـكرية لمـصر وسـوريا».

غرور القوة

الهوس، النشوة، الغرور، إنها الكلمات الثلاثة التي تمثل الست سنوات وأربعة أشهر ويوم، التالية لحرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧) وحتى اندلاع حرب يوم الغفران (حرب تشرين التحريرية/حرب أكتوبر ١٩٧٣).

كانت النشوة التي أعقبت الانتصار في عام ١٩٦٧م هي إرث غالبية الجمهور وقادتهم، وترجمت إلى غرور وغطرسة وتعجرف في المؤسسة الأمنية. فإسرائيل، التي احتلت وسيطرت على مساحة أكبر بثلاث مرات من مساحة أراضيها، صورت نفسها كإمبراطورية. وقامت وسائل الإعلام بزيادة الطين بلة عندما التحقت طواعية بمهرجان النصر، ومجدت أبطال الجيش الإسرائيلي وعززت عبادة الشخصية لديهم. حتى صدقوا أنفسهم. ولم يأخذ أحدهم على محمل الجد التهديدات التي أطلقها الرئيس المصري أنور السادات بأنه سيذهب إلى الحرب إذا لم يتم إعادة سيناء إليه.

كما تسرب التسلط والغرور أيضا إلى التقييم الاستخباراتي الذي تم صياغته من قبل لواء الأبحاث التابع لهيئة الاستخبارات «أمان» وأصبح هو خطة العمل، ووفقا لهذا

المفهوم، فإنه على الرغم من أن مصر ستبدأ الحرب إذا لم يتم إعادة سيناء إليها بمفاوضات سياسية، إلا أن مثل هذا السيناريو لن يحدث قبل أن تحقق مصر تفوقا جويا على إسرائيل. ولهذا الغرض، كان على المصريين الحصول على طائرات مقاتلة وطائرات هجوم أرضي متطورة وصواريخ أرض-أرض من طراز سكود، الأمر الذي من شأنه أن يمكنهم من مهاجمة المطارات والتجمعات السكانية في عمق إسرائيل. أما سوريا، بحسب المفهوم، فإنها لن تخوض حربا بدون مصر.

ربما كانت حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر) ستبدو مختلفة لو أن رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» أهارون ياريف كان قبل ثلاث سنوات أكثر حزما مع إيلي زعيرا. ففي عام ١٩٧٠م، كان العقيد زعيرا ملحقا استخباراتيا للجيش الإسرائيلي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تجاوز سلطته وعمل مع الإدارة من وراء ظهر ممثل الموساد في واشنطن. لو كان ياريف قد عزله آنذاك أو أخر ترقيته، فربما ما كان ليتم تعيين زعيرا بعد حوالي عامين ليحل محله. ولو كان من يترأس هيئة الاستخبارات «أمان» في صيف-خريف عام ١٩٧٣م شخص آخر، أقل غطرسة، لكان ممكنا للغاية أن تقوم هيئة الاستخبارات «أمان» بالتحذير من خطر الحرب. لكن ذلك لم يحدث. لقد رأى ياريف في زعيرا ابنه المدلل، الذي تمت ترقيته وتعيينه رئيسا لهيئة الاستخبارات «أمان». وقبل ساعات قليلة من

الهجوم المصري-السوري المفاجئ، كان قد قدر كذلك أن احتمال نشوب حرب هو «احتمال منخفض».

الحقيقة المذهلة هي أن عبارة «احتمال منخفض» مستمدة من نفس التقييم الاستخباراتي الذي قال العكس تماما، وتحدث عن «احتمال مرتفع»؛ حيث قدر لواء الأبحاث التابع لهيئة الاستخبارات «أمان» أن مصر ترى في سيناء أصلا مهما جدا، ولن يكون أمامها خيار سوى الذهاب إلى الحرب لاستعادتها. وفي الواقع، فإنه فور انتهاء حرب الأيام الستة استعدت هيئة الاستخبارات «أمان» لاحتمال اندلاع حرب أخرى.

في إطار الاستعدادات لسيناريو احتمالية الحرب، قال ياريف لأفراد قسم البحوث التابع لهيئة الاستخبارات «أمان»: «انتهت الحرب ولكنني لازلت قلقا، يمكننا أن نتدبر أمورنا مع العرب، لكن المشكلة لدينا الآن مع عدو جديد هو «الروس».

ومن هنا ولدت الحاجة لوحدة استخباراتية متخصصة جديدة هي «مسريجا» أو إبرة الحياكة، كوحدة مختصة بالتنصت وتقديم المعلومات الاستخباراتية حول التواجد السوفييتي في الشرق الأوسط (تم اختيار اسمها عشوائيا من بنك الأسماء الرمزية في قسم الأمن الميداني).

«مسريجا».. إبرة في رأس الدُب

إذا كانت «الحاجة هي أم الاختراع» كما يقولون، جاءت المبادرة لإنشاء «وحدة استخبارتية إسرائيلية متخصصة في الشأن الروسي» كدرس مستفاد من الأحداث التي أدت إلى حرب الأيام الستة. ففي السنوات التي سبقتها، وخاصة في الشهر الأخير الذي سبق اندلاعها، أصيبت الاستخبارات بحالة من العمى ووجدت صعوبة في فهم السياسات السوفييتية، والتي أدت سواء بقصد أو بدونه، إلى دفع إسرائيل ومصر وسوريا إلى خوض حرب، لم يكونوا يرغبون بها.

أسند ياريف مهمة «مسريجا» إلى الرائد توفيا فاينمان[١]، رئيس دائرة الأسلحة الخفيفة في الفرع الفني التابع لهيئة الاستخبارات «أمان». ولد توفيا في كيشينيف، وهاجر إلى إسرائيل في يناير/كانون الثاني عام ١٩٤٨م. وفي عام ١٩٥٥م، تجند في كتيبة الناحل للإنزال المظلي، وبعد إصابته في إحدى عمليات الإنزال المظلي انتقل إلى الاستخبارات، وهكذا تعرف على ياريف.

---

(١) توفيا فاينمان **טוביה פיינמן** (١٩٣٥ – ٢٠٠٢م): كان عقيدا في الجيش الإسرائيلي، وأحد كبار مسؤولي وحدة الاستخبارات ٨٢٠٠.

قال المقدم احتياط ديفيد ريشف[1]، أحد أوائل الجنود في وحدة «مسريجا»: «كان علينا العمل من الصفر، وتأسيس هيئة تتعامل مع المعلومات الاستخباراتية في مجال لم يكن مألوفا غي «إسرائيل». فبعد التعامل مع دول الجوار، كان علينا التعامل مع قوة عظمى، لا نملك معرفة مناسبة أو فهما لتحركاتها».

في إسرائيل الستينيات، قبل الهجرات الكبيرة من الاتحاد السوفييتي، لم يكن من السهل العثور على متحدثين باللغة الروسية بين جنود الجيش الإسرائيلي. وفي سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٧م، تجمع في منطقة «رمات غان» عشرون مرشحا للوحدة. وقد كان أحد الاختبارات هو قراءة صحيفة «برافدا»، صحيفة الحزب الشيوعي السوفييتي. وتم قبول خمسة أشخاص.

بطبيعة الحال، تم إنشاء الكيان الجديد كجزء من الوحدة «خمسة وربع» (٥١٥)، حاليا ٨٢٠٠ - وحدة التنصت وفك التشفير الرئيسية للجيش الإسرائيلي ولمجتمع الاستخبارات بأكمله. والتي كانت معظم آذانها في تلك الأيام موجهة إلى البلدان العربية. وقد قال العميد احتياط الدكتور إفرايم لبيد[2]، الذي أصبح في وقت لاحق ضابطا كبيرا في هيئة

(١) ديفيد ريشف **דוד רשף** (١٩٠٥ - ١٩٨٦م): كان عضوا في «الهاغانا»، وقائد الدفاع المدني، وثالث رئيس مجلس لمدينة رمات هاشارون.

(٢) إفرايم لبيد **אפרים לפיד** (ولد عام ١٩٤٢م): هو رجل اتصالات إسرائيلي وباحث تاريخي صهيوني-يهودي. خدم كمتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، وضابط استخبارات كبير في

الاستخبارات «أمان»: «في السنوات الأولى كانت «مسريجا» عبارة عن مجموعة مغلقة لأقلية عرقية داخل وحدة مستعربة». كان لبيد جزءا من فريق التأسيس كخبير في «استخبارات الإشارات» على الرغم من أنه لم يكن يعرف اللغة الروسية. وفي عام ١٩٦٨م، تم إرساله إلى جانب فاينمان لاتباع دورة متقدمة في ألمانيا، من أجل دراسة وفهم الاتحاد السوفييتي وقدراته العسكرية بشكل أفضل.

توجه الاتحاد السوفييتي في منتصف الستينيات إلى مصر وعرض عليها المساعدة والتعاون. فوافق عبد الناصر على ذلك. وقد كان القوة الدافعة وراء دخول الاتحاد السوفييتي إلى الشرق الأوسط هو وزير الدفاع المارشال أندري غريتشكو[١](أطلق عليه من يخدمون في وحدة مسريجا لقب «الغريتشكويين»). في غضون بضع سنوات، زاد تواجد الأسطول السوفييتي في البحر الأبيض المتوسط بنسبة مئات في المئة ووصل عدد القطع البحرية إلى خمسين - بما في ذلك سفن تجسس تابعة للاستخبارات العسكرية (جي آر يو)، كان على متنها عمال لاسلكي يتحدثون اللغة العبرية، قاموا بالإبحار والتنصت ليس بعيدا عن الشواطئ الإسرائيلية.

بالتزامن مع الوجود البحري، بدأت تصل إلى مصر وسوريا

الوحدة ٨٢٠٠، ومدير إذاعة الجيش الإسرائيلي.

(١) أندري غريتشكو (١٩٠٣ - ١٩٧٦م): ضابط وسياسي سوفييتي، من أصل أوكراني.

طائـرات مقاتلـة وطائـرات نقـل روسـية، وتبعهـا أيضـا أنظمـة دفـاع جـوي وصواريـخ أرض-أرض مـن طـراز سـكود ومعـدات حـرب إلكترونيـة وخـبراء ومستشـارين عسـكريين. توزعـوا في جميـع الوحـدات البريـة تقريبـا.

وقـد جـاء هـذا التعزيـز السـوفييتي ردا عـلى قصـف سـلاح الجـو الإسرائـيلي لعمـق الأراضي المصريـة خـلال حـرب الاسـتنزاف، ١٩٦٩ - ١٩٧٠م.

كتـب بيسـاح مالوفـاني[1]، وهـو عقيـد سـابق في هيئـة الاسـتخبارات «أمـان»، في كتابـه «العلـم الأحمـر فـوق الـشرق الأوسـط: التدخـل العسـكري السـوفييتي في المنطقـة وقصـة ‹مسريجـا› في الوحـدة ٨٢٠٠» (إيفـي ملتـسر، ٢٠١٧م)، أنـه في مرحلـة معينـة بلـغ عـدد القـوات العسـكرية السـوفييتية في مـصر ١٥ ألـف فـرد. ولم يكتـف الخـبراء الـروس بتقديـم المشـورة لجيـشي مـصر وسـوريا فحسـب، وإنمـا شـاركوا فعليـا في المعـارك أيضـا؛ حيـث جلسـوا في الدبابـات السـورية التـي هاجمـت مرتفعـات الجـولان خـلال حـرب يـوم الغفـران (حـرب تشرين/أكتوبـر٧٣). بـل وتكبـدوا خسـائر أيضـا.

أصبحـت «مسريجـا» في مواجهـة قـوة عظمـى تقـف بالفعـل ضـد إسرائيـل. ويتذكـر ريشـف ذلـك، قائـلا: «لقـد كانـت أدواتنـا

(١) بيسـاح مالوفـاني **פסח מלובני** (ولـد عام ١٩٤٥م): هو ضابـط متقاعد في الجيش الإسرائيلي برتبـة عقيـد. خـدم في هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» في مجـالي الجمـع (الوحـدة ٨٢٠٠) والأبحـاث (لـواء الأبحـاث) وفي شـعبة البحوث/الاسـتخبارات في الموسـاد. مـؤرخ وباحـث في التاريخ العسـكري.

قديمة، من الحرب العالمية الثانية. الأشرطة التي سجلنا عليها لم تكن تعمل أحياناً. لم يكن لدينا تكتيك عسكري وانضباط كما في الوحدة ٥١٥، التي كان يعمل فيها طواقم مشتركة تضم عامل إشارة ومترجما فوريا وضابط استخبارات شبكية». لكن العزيمة والحماس والموهبة غطت على النواقص ونقاط الضعف.

الإنجاز الأول

تم تسجيل الإنجاز الأول لأفراد «مسريجا» بعد وقت قصير من إنشاء الوحدة. ففي فبراير/شباط عام ١٩٦٨م، هبط سرب طائرات توبوليف سوفييتية في مطار غرب القاهرة. وقد بدا أنهم جاؤوا في زيارة ودية، لكنهم سرعان ما «اختفوا». وبعد حوالي شهرين، التقط عناصر التنصت في وحدة «مسريجا» محادثات لطيارين سوفييت وتعرفوا عليهم من خلال أصواتهم التي كانوا يعرفونها بالفعل - هؤلاء هم طيارو طائرات التوبوليف. حيث اتضح أنهم أقلعوا من مطار غرب القاهرة للعودة إلى الاتحاد السوفييتي، لكنهم فعليا هبطوا في مرسى مطروح، بالقرب من الحدود الليبية. وأضاف ريشف أن عناصر وحدة «مسريجا» كانوا أول من أعلن أن الطيارين السوفييت يشاركون في طلعات جوية عملياتية خلال حرب الاستنزاف، إلى جانب الطيارين المصريين. حيث كانوا يتسللون إلى سيناء لأغراض التصوير وجمع المعلومات الاستخباراتية وشاركوا في

غـارات جوية عـلى طـول القنـاة.

سـاعدت قـدرات وحـدة «مسريجـا» أيضـا في تحسـين وتعميـق التعـاون الاسـتخباراتي بـين إسرائيـل وكل مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والـدول الأعضـاء في «الناتـو»، حيـث كان هـذا التعـاون قائمـا عـلى أسـاس المصالـح المشـتركة وعلاقـات الأخـذ والعطـاء.

حتـى ذلـك الحـين، كانـت معظـم المعلومـات التـي يمكـن لمجتمـع الاسـتخبارات الإسرائيـلي أن يقدمهـا لنظرائـه في الغـرب تتعلـق بالـدول العربيـة. والآن، بمسـاعدة وحـدة «مسريجـا»، أصبـح يقـدم أيضـا معلومـات محدثـة عـن السـوفييت في البحـر الأبيـض المتوسـط والـشرق الأوسـط.

تفاخـر عنـاصر «مسريجـا» والوحـدة ٨٢٠٠ بإنجـازات هامـة أخـرى. كان أحـد أبرزهـا في يوليو/تمـوز عـام ١٩٧٠م، في المعركـة الأولى والوحيـدة بـين الطياريـن السـوفييت والطياريـن الإسرائيليين. ففـي ٢٥ يوليو/تموز، هاجمـت طائـرات سـلاح الجـو جنـوب قنـاة السـويس. وقـد حـاول تشـكيل رباعـي مـن طائـرات «ميـج» سـوفييتية اعتراضهـا، فأطلقـت إحداهـا صـاروخ جو-جـو، أصـاب ذيـل طائـرة «سـكاي هـوك» إسرائيليـة، مـا أجبرهـا عـلى تنفيـذ هبـوط اضطـراري. في الجيـش الإسرائيـلي قـرروا عـدم الصمـت عـلى ذلـك.

كان هنـاك تخـوف مـن أن التدخـل المباشر للطيارين السـوفييت في الطلعـات الجويـة العملياتيـة مـن شـأنه أن يـضر بحريـة العمـل

الجوي لإسرائيل في قطاع القناة وخليج السويس. ولذلك تم اعتماد خطة خاصة، صادق عليها وزير الدفاع دايان. وفي ٣٠ يوليو/تموز، انطلقت العملية «**ريمون ٢٠**».

قامت طائرة تجسس من طراز «ستراتوكروزر» بالتحليق في السماء، وعلى متنها طاقم من عمال التنصت التابعين لوحدة «مسريجا» بقيادة ريشف، وأقلعت طائرات حربية في طلعات جوية لقصف محطة رادار في مصر. أرسل السوفييت لمواجهتهم دزينة من طائرات «ميج ٢١»، دون أن يعلموا أن أربع طائرات «ميراج» وأربعة طائرات «فانتوم» كانوا ينصبون كمينا لهم. فنشبت معركة جوية كبيرة، أسفرت في نهايتها عن إسقاط خمس طائرات سوفييتية. وقد عزز هذا الحادث من مخاوف اندلاع مواجهة إسرائيلية-سوفييتية مباشرة، لكنه عمليا شجع على إجراء اتصالات لوقف إطلاق النار، والذي دخل حيز التنفيذ بعد أيام قليلة منهيا حرب الاستنزاف التي استمرت ٥٠٠ يوم.

في الاتحاد السوفييتي، لم يتم نشر أي شيء إطلاقا، لا عن المعركة ولا عن نتائجها. فيما قامت إسرائيل من جهتها بإبلاغ الولايات المتحدة الأمريكية على الفور، وبعد حوالي شهرين سربت إدارة الرئيس ريتشارد نيكسون[1] خبر المعركة الجوية

(١) ريتشارد نيكسون (١٩١٣ - ١٩٩٤م): هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثون، ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثون، اضطر للتنحي من منصبه عام ١٩٧٤م خوفًا من أن توجه إليه تهمة التستر على نشاطات غير قانونية لأعضاء حزبه في فضيحة

إلى وسائل الإعلام. لم تكن فرحة الإذلال السوفييتي مقتصرة على إسرائيل فقط؛ فقد ابتهجوا أيضا في مصر سرا. الشخص الذي كشف عن ذلك هو الرئيس المصري حسني مبارك[1]، وهو طيار سابق، حيث قام لاحقا، بعد معاهدة السلام بين الدولتين، بإبلاغ صديقه عيزر وايزمان بذلك.

المعلومة الذهبية

كان الإنجاز الكبير الآخر لوحدة «مسريجا» في ٤ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، عندما التقط عمال التنصت التابعين لها الأمر الذي تم إعطاؤه للمستشارين السوفييت وعائلاتهم، بمغادرة سوريا ومصر على الفور. كان من المفترض أن تكون هذه هي «**المعلومة الذهبية**»، لكن رئيس هيئة الاستخبارات «أمان»، زعيرا، الذي كان يؤمن بأن احتمال اندلاع حرب هو «احتمال منخفض»، قد قام بتجاهلها.

ولم يكن هو فقط من كان متهاونا. ففي يوم الاثنين، ١ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، خرج ضباط استخبارات في جولة على طول قناة السويس وفي وحدات الجيش الإسرائيلي في القطاعين الأوسط والشمالي. وعندما وصلوا، لم يصدقوا أعينهم. حيث أفاد أحدهم، وهو يوسي بركان، بأن: «مستوى جاهزية قوات الجيش الإسرائيلي على الخط الأمامي بقي روتينيا».

واترغيت تحت وطأة تهديد الكونغرس بإدانته.

(١) محمد حسني مبارك (١٩٢٨ - ٢٠٢٠م): هو الرئيس الرابع لجمهورية مصر العربية.

وذلـك عـلى الرغـم مـن أن قائـد قيـادة المنطقـة الجنوبيـة اللـواء شـموئيل غونـين (غورودیـش)[1] قـد أمـر قبـل بضعـة أيـام برفـع مسـتوى الجاهزيـة إلى الدرجـة ج› - أعـلى درجـة.

يحــكي كتــاب الدكتــور داني آشر[2]»عمــل هيئــة الاســتخبارات ‹أمــان› - قصــة الاســتخبارات العســكرية في الجيــش الإسرائيــلي» (وزارة الدفــاع، ٢٠١٨م) قصــة عنــاصر الاســتخبارات الصغــار - جنــود عاديــون وصــف ضبــاط وضبــاط - الذيــن بذلــوا جهدهــم طــوال الفــترة التــي ســبقت الحــرب، في ســيناء وهضبــة الجــولان، لجمـع أكـبر قـدر مـن المعلومـات عـن العـدو وقدراتـه. هـؤلاء هم الرجـال الرماديـون، المخبـؤون في ظـلال كبـار الجـنرالات ومشـغلي عمـلاء الموسـاد والباحثـين في هيئـة الاسـتخبارات «أمـان»، أمـام أجهـزة الكمبيوتـر في «الكريـاه».

مـن ناحيـة أخـرى، وكـما لـو أنهـم في عـالم مـواز، عمـل كل مـن المراقبـون والراصـدون في نقاطهـم المحصنـة عـلى ضفـاف القنـاة، ورجـال الاسـتطلاع الجـوي في الطائـرات، ومحللـو الصـور الجويـة

(١) شــموئيل غونــين **שמואל גונן** (**גורודיש**) (١٩٣٠ - ١٩٩١م): هــو قائــد عســكري إسرائيـلي ولـد سـنة ١٩٣٠م في بولنـدا. هاجـر إلى فلسـطين عـام ١٩٣٣م ودرس في المعاهـد الدينيـة التابعـة لأبنـاء عـكا، وانضـم سـنة ١٩٤٤م إلى منظمـة الهاغانـا الصهيونيـة. حـارب في كتيبـة هرئيـل خـلال حـرب ١٩٤٨م وتـولى قيـادة فرقـة عسـكرية خـلال العـدوان الثـلاثي عـلى مـصر سـنة ١٩٥٦م. وقـد كان قائـد اللـواء ٧ مدرعـات في حـرب السـتة أيـام، وقائـد قيـادة المنطقـة الجنوبيـة في حـرب يـوم الغفـران.

(٢) داني آشر **דניאל** (**דני**) **אשר** (ولــد عــام ١٩٤٤م): هــو ضابــط احتيــاط في الجيــش الإسرائيــلي برتبــة عميــد، مــؤرخ وباحــث في التاريــخ العســكري الإسرائيــلي.

في الغرفة المظلمة، وعمال التنصت وفك الشيفرات، وضباط وصف ضباط الاستخبارات الشبكية وتحليل المعلومات، إضافة إلى ضباط المهام الخاصة في مكان ما، الذي كانوا من على الكثبان الرملية في الصحراء أو على قمة جبل أجرد يجمعون المعلومات من مصادرهم. هؤلاء هم الأشخاص الذين نبهوا، وقاموا بتنشيط جميع أجهزة الإنذار، لكن التقارير التي قدموها تم إلقاؤها في سلة المهملات أو حفظها في ملف، في أحسن الأحوال. حيث لم يكن رئيس هيئة الاستخبارات «أمان»، زعيرا، ورئيس قسم الأبحاث العميد أرييه شاليف(١) يريدان الاستماع. وكل تقييم يتعارض مع «المفهوم» كان يتم تفسيره من قبل هيئة الاستخبارات «أمان» على أنه دليل على استعدادات الجيش المصري لإجراء تدريب عسكري واسع النطاق (كان اسمه الرمزي هو «التحرير ٤١»)، وفي حالة سوريا - على أنه تعزيز دفاعي خشية من هجوم إسرائيلي.

---

(١) أرييه شاليف **אריה שלו** (١٩٢٦ - ٢٠١١م): كان ضابطا عسكريا برتبة عميد، شغل منصب الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، كما كان مساعدا لرئيس الاستخبارات العسكرية للأبحاث قبل اندلاع حرب أكتوبر.

التجسس على مصر وسوريا

في السنوات التي سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣، استمر قسم جمع المعلومات في هيئة الاستخبارات «أمان»، بقيادة العقيد مناحم ديجلي[1] الذي حل في المنصب خلفا لأفراهام أرنان، في مهامه، ومعه أيضا فرع العمليات الخاصة. ومن بين أمور أخرى، تم تركيب أجهزة تنصت على خطوط الهاتف المصرية في الضفة الغربية لقناة السويس، القادمة من القاهرة. حيث تم تطوير هذه الأجهزة، التي تم شراء بعض مكوناتها من المساعدة العسكرية الأمريكية، في الوحدة التكنولوجية التابعة لهيئة الاستخبارات «أمان». وبعد الحرب، اتضح أنه في الأيام التي سبقت اندلاعها لم يتم تفعيل هذه الأجهزة، بناء على أوامر صريحة من زعيرا.

كان من أبرز الشخصيات وراء الجهود الرامية لتطوير فهم أفضل لمصر وقدراتها ونواياها، هو المقدم يوئيل بن بورات، مساعد أرنان وديجلي في قسم جمع المعلومات. كان

(١) مناحم ديجلي **מנחם דיגלי** (١٩٣٧ - ١٩٩٨م): ضابط إسرائيلي سابق، كان ضابط «سييرت متكال»، وقائد قسم جمع المعلومات التابع لهيئة الاستخبارات «أمان» خلال فترة حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر).

بن بورات ابن الوحدة ٨٢٠٠ وضابط أبحاث سابق، وقد رأى في التحذير مهمة رئيسية. كما تم تعيينه فيما بعد قائدا للوحدة. وهو الذي جاء بفكرة تشكيل «لجنة تحذير» مشتركة لجمع المعلومات والبحوث، تتعامل مع كل من المبادئ وتطوير الأدوات على حد سواء. وقد كان ممثل البحوث في الطاقم هو الرائد إلكانا هار-نوف[1].

كان المنتج الرئيسي للجنة هو قائمة «علامات دالة» على الحرب. وقد شملت ١٥٠ عملية (في الجو والبحر وبشكل أساسي في البر) في القطاع المصري ونحو مئة عملية على الجبهة السوريا - والتي إن حدثت، ستكون بمثابة مقياس على توجه العدو للحرب. ومن بين ما تضمنته العلامات على الجبهة الجنوبية، ما يلي: تعزيز قوات عبور الموانع المائية في الخنادق ونقاط العبور، وبناء أنظمة تحصين ورمبات (منحدرات رماية) للدبابات على طول القناة، وتعزيز المدفعية، وتعزيز القوات المدرعة، وتغيير انتشار الدبابات على طول قناة السويس، وتعزيز بطاريات صواريخ أرض-جو، والإبحار المباغت للسفن من الموانئ الرئيسية.

تم تجميع القائمة في شكل كتاب، وأمر بن بورات مرؤوسيه أنه إذا تم تحديد أي من هذه العلامات الدالة فيجب تلوينها

(١) إلكانا هار-نوف **אלקנה הר־נוף** (١٩٣٩ - ٢٠٢١م): كان رئيس لواء الأبحاث في هيئة الاستخبارات «أمان»، والسكرتير العسكري لوزير الدفاع إسحاق رابين، ورئيس قسم الاستخبارات في ركن مكافحة الإرهاب التابع لمجلس الأمن القومي.

باللـون الأحمـر. وإذا تـم تلويـن سـتين إلى سـبعين بالمئـة مـن العلامـات، فيجـب التحذيـر بـأن الحـرب باتـت وشـيكة، حتـى لـو لم تكـن هنـاك أي معلومـات اسـتخباراتية ملموسـة تشـير إلى نيـة مـصر أو سـوريا شـن حـرب.

كان يـوسي بـركان في ذلـك الوقـت رئيـس دائـرة مـصر في اسـتخبارات القيـادة الجنوبيـة. ومنـذ أن تـولى منصبـه، في يونيـو/ حزيـران عـام ١٩٧٢م، حـاول تحسـين قـدرات جمـع المعلومـات الاسـتخباراتية في القيـادة. حيـث حـث عـلى تكثيـف الطلعـات الجويـة لصالـح الصـور الجويـة البانوراميـة وزيـادة عـدد الجـولات الاسـتطلاعية والمراقبـة عـلى الخـط والقيـام بعمليـات تفتيـش في وحـدات الاسـتخبارات. ومـع تعيـين بـركان، تـم أيضـا تعيـين المـلازم أول عوديـد كامينيتـس. عُـرف بلقـب (كام) قائـدا لخليـة فـك التشـفير في القيـادة الجنوبيـة. وقـد توصـل إلى فكـرة مبتكـرة وهامـة للغايـة في مجـال الإنـذار: إيجـاد وتحديـد مواقـع الطـوارئ لبطاريـات المدفعيـة المصريـة عـلى جبهـة القنـاة - ومراقبـة وتعقـب تلـك المخصصـة للتعزيـز.

تحقيقـا لهـذه الغايـة، تواصـل كامينيتـس مـع وحـدة الكمبيوتر التابعـة لمجمـع الأبحـاث النوويـة في ديمونـا، والتـي كانـت واحـدة مـن أكـثر الوحـدات تقدمـا في هـذا المجـال. وبمسـاعدتها، تـم تسـجيل جميـع المواقـع المحفـورة لبطاريـات المدفعيـة المصريـة غـرب القنـاة. وتـم إعطـاء كل موقـع «رقـما حديديـا». في نهايـة

كل طلعة تصوير جوية، تم نقل بيانات المواقع المأهولة إلى وحدة الكمبيوتر، وبعد بضعة أشهر تبلورت الصورة التي مكنت من فهم خريطة استعداد الطوارئ الخاصة بالجيش المصري. إن تطبيق استعداد طوارئ هو علامة دالة رئيسية على بدء الحرب.

بالمقارنة مع التهاون على الجانب الإسرائيلي، فإن سوريا أيضا لم تقف مكتوف الأيدي. حيث قامت المخابرات السورية بتفعيل خلية فدائية تابعة لمنظمة «الصاعقة» الفلسطينية، من أجل صرف الأنظار الإسرائيلية عن الاستعدادات للحرب. انشغال الاستخبارات الإسرائيلية بمكافحة «الإرهاب» يعطل جهودها ويشتت تركيزها. وقبل حوالي أسبوع من حرب أكتوبر، وتحديدا في ٢٨ سبتمبر/أيلول، سيطرت خلية «الصاعقة»الفلسطينية على قطار كان يقل مهاجرين يهود من الاتحاد السوفييتي إلى معسكر مؤقت بالقرب من فيينا. وقد تم تحويل جزء كبير من اهتمام وموارد الاستخبارات الإسرائيلية للتعامل مع الأزمة، وسافرت رئيسة الوزراء جولدا مائير للقاء المستشار النمساوي برونو كرايسكي[١]، الذي استسلم لمطالب الخاطفين.

(١) برونو كرايسكي Bruno Kreisky (١٩١١ - ١٩٩٠م): هو سياسي نمساوي، من قادة الحزب الاشتراكي النمساوي، شغل منصب وزير الخارجية بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦٦م، ثم منصب مستشار النمسا بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٣م، ويعد أشهر قادة النمسا الاشتراكيين في النصف الثاني من القرن العشرين وأكثرهم تأثيراً.

كان لـدى الوحـدة ٥٠٤ معلومـات، قبـل عيـد الغفـران، تفيـد بـأن السـوريين حصلـوا مـن الـدروز في الجـولان عـلى معلومـات حـول تحصينـات الجيـش الإسرائيـلي. كـما حـدث شيء آخـر قبـل الحـرب: حيـث أبلـغ ثلاثـة منشـقين مـن الجيـش السـوري عـن أمر رئـاسي بتجميـد التسريـح مـن الجيـش. وقـد قـام عميـل لاسـلكي لقبـه «كينشاسـا»، تـم تشـغيله مـن قبـل الوحـدة ٥٠٤، بإرسـال برقيـات أشـارت إلى حـدوث تغيـيرات في الاسـتعدادات والجاهزيـة في هضبـة الجـولان. وفي ٢ أكتوبر/تشريـن الأول، اعترضـت الوحـدة ٨٤٨ اتصـالا هاتفيـا مـن زوجـة أحـد ضبـاط لـواء المدرعـات ٤٧، جـاء بموجبـه أن اللـواء تحـرك مـن منطقـة حمـص باتجـاه الحـدود مـع إسرائيـل. لقـد كانـوا في هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» يعلمـون أن هـذا اللـواء قـد تـم إنشـاؤه لغـرض واحـد: محاربـة إسرائيـل. كـما وردت معلومـات إضافيـة، حـول شـاحنات خبـز قامـت بتحويـل مسـارها المعتـاد مـن أجـل إيصـال الغـذاء إلى الوحـدات التـي تـم نشرهـا بالقـرب مـن الحـدود. ومعلومـة أخـرى: تـم منـع الرعـاة مـن الخـروج إلى الحقـول المجـاورة للحـدود.

وإذا لم يكـن كل هـذا التدفـق في المعلومـات كافيـا، ففـي ٢٥ سـبتمبر/أيلول، وصـل العاهـل الأردني الملـك حسـين إلى إسرائيـل للقـاء جولـدا مائـير في «مدراشـا»، مقـر الموسـاد عنـد مفـترق جليلـوت. ولم تكـن هـذه هـي المـرة الأولى التـي يلتقـي فيهـا الملـك حسـين سرا بممثـل إسرائيـلي. حيـث كانـت المـرة الأولى في

عـام ١٩٦٣م، عندمـا التقـى في لنـدن مـع المديـر العـام لمكتـب رئيـس الـوزراء يعقـوب هرتسـوغ[1]، وبعـد ذلـك بعامـين، تـم رفـع مسـتوى المحادثـات، واجتمـع حسـين في باريـس مـع وزيـرة الخارجيـة جولـدا مائـير. وبعـد حـرب الأيـام السـتة، تـم نقـل الاجتماعـات إلى سـطح يختـه في خليـج العقبـة وإلى «مدراشـا».

في ذلـك الاجتـماع، في سـبتمبر/أيلول عـام ١٩٧٣م، قـام الملـك حسـين بإخبـار جولـدا مائـير عـن الاسـتعدادات للحـرب وعـن الخطـط المنسـقة بـين مـصر وسـوريا، وأن الجيـش السـوري عـلى وشـك الهجـوم. وقـد اسـتمع إلى هـذه المحادثـة مسـؤولون رفيعـو المسـتوى مـن هيئـة الاسـتخبارات «أمـان»، لكـن حتـى هـذه لم تكـن لتزعـزع كلا مـن زعـيرا وشـاليف عـن تهاونهـما.

عملـت الاسـتخبارات الإسرائيليـة عـلى الحصـول عـلى معلومـات محدثـة ودقيقـة عـن الجيـش المـصري. وقـد أراد الموسـاد، وبشـكل خـاص هيئـة الاسـتخبارات «أمـان»، معلومـات مفصلـة: أسـماء الوحـدات وحجمهـا مـن مسـتوى الفصيلـة، السريـة، الكتيبـة وحتـى الألويـة والفـرق والتشـكيلات العسـكرية. العتاد المسـتخدم. أسـماء قـادة الوحـدات، معلومـات عـن عاداتهـم ونقـاط ضعفهـم. وبذلـك، لم يكـن إدخـال محاربـين إلى مـصر كافيـا، بـل كان مـن الـضروري أن يتـم تجنيـد عمـلاء يكونـون أفـرادا عسـكريين، لديهم

(١) يعقوب هرتسوغ **יעקב הרצוג** (١٩٢١ – ١٩٧٢م): كان محاميا ودبلوماسيا إسرائيليا.

إمكانيـة الوصـول إلى المعلومـات الحيويـة.

أحـد هـؤلاء الذيـن تـم تحديدهـم في وقـت مبكـر مـن عـام ١٩٦٩م، هـو ضابـط مـصري كبـير، أصبـح أحـد أنجـح عمـلاء إسرائيـل. فعـلى مـدى أربـع سـنوات، ومقابـل دفعـات منتظمـة تـم إيداعهـا في حسـابه المـصرفي في الخـارج، قـدم معلومـات هامـة ودقيقـة عـن تحـركات قـوات الجيـش المـصري وعـن المنـاورات البريـة عـلى طـول قنـاة السـويس. وقـد أثبـت العميـد، الـذي كان اسـمه الحـركي «كوريـت» أو الحطـاب، كفاءتـه منـذ صيـف عـام ١٩٧٣م وحتـى انـدلاع الحـرب.

ولكـن حتـى التقاريـر التـي قدمهـا ضابـط جمـع المعلومـات اسـتنادا إلى المعلومـات التـي تلقاهـا مـن «الحطـاب» ، تمـت معاملتهـا بنفـس الطريقـة في لـواء الأبحـاث التابـع لهيئـة الاسـتخبارات «أمـان»: حيـث تـم قراءتهـا وأرشـفتها وتجاوزهـا.

يمكـن أيضـا إضافـة البرقيـة التـي تـم اعتراضهـا في ٥ أكتوبـر/ تشريـن الأول مـن قبـل الوحـدة ٨٤٨، والتـي أرسـلها الملحـق العسـكري العراقـي في موسـكو إلى مقـر القيـادة في بغـداد. حيـث تـم فـك شـيفرة البرقيـة مـن قبـل المقـدم رؤوبـين يـردور[١]، قائـد فـرع فـك التشـفير. وقـد ذكـر فيهـا صراحـة أن مـصر وسـوريا تتجهـان لشـن حـرب.

(١) رؤوبـين يـردور **ראובן ירדור** (ولـد عـام ١٩٣٨م): كان عميـدا في الجيـش الإسرائيـلي، تـولى خـلال الفـترة ١٩٨٠ – ١٩٨٤م قيـادة وحـدة التنصـت الرئيسـية – الوحـدة ٨٢٠٠.

على الرغم من كل ذلك، والمزيد من المعلومات المفصلة الأخرى، لم يغير زعيرا وشاليف وأتباعهما تقييمهم بشأن «الاحتمال الضئيل». وفقط في ليلة ٥ - ٦ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، أدرك قادة هيئة الاستخبارات «أمان» والمستوى السياسي أنه على ما يبدو «ستندلع الحرب خلال هذا اليوم». وقد جاء ذلك في أعقاب المعلومات التي قام **أشرف مروان**[1] بإبلاغها مساء السبت لرئيس الموساد زامير خلال اجتماعهما في لندن.

(١) أشرف مروان (١٩٤٤ - ٢٠٠٧م): هو سياسي ورجل أعمال مصري، وزوج منى جمال عبد الناصر ابنة الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر. قُتل في ٢٧ يونيو/حزيران عام ٢٠٠٧م إثر سقوطه من شرفة منزله بلندن.

أشرف مروان.. «الملاك»

كان أشرف مروان رجلا طموحا، سعى إلى الثراء السريع. وقد ولد في القاهرة عام ١٩٤٤م لعائلة ثرية وراقية، درس الكيمياء في كلية العلوم بجامعة القاهرة والتحق بالجيش برتبة ضابط. وبينما كان يلعب التنس في أحد النوادي الرياضية المرموقة في المدينة، التقى مع منى، ابنة الرئيس عبد الناصر. حيث تزوجا في عام ١٩٦٦م، وعلى الرغم من عدم إعجاب عبد الناصر بالعريس، فقد منحه وظيفة في مكتبه. وهناك تعرض مروان لأول مرة لثروة من المعلومات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي سوف يستخدمها لاحقا.

في عام ١٩٦٨م، وعلى خلفية الأجواء الحزينة التي سادت مصر بعد الهزيمة في الحرب، انتقل الزوجان الشابان إلى لندن، بهدف الدراسة. وقد كان هناك تناقض صارخ بين العاصمة البريطانية ووطنهم، إلا أن مروان تكيف بشكل جيد. حيث أصبح زائرا منتظما لنادي «بلاي بوي» والكازينوهات، وعلى الرغم من أنه لم يكن لديه الكثير من المال للترفيه، إلا أنه تأقلم مع العالم الجديد الذي تكشف له.

قام ضباط الأمن بالسفارة المصرية في لندن بإبلاغ عبد الناصر بالتغيير الذي حصل في أسلوب حياة صهره، فأراد لابنته أن تتطلق. وعندما رفضت منى، تقرر أن تعود مع ابنهما الرضيع إلى القاهرة، في حين يبقى مروان على خط لندن-القاهرة، لإكمال دراسته في بريطانيا.

في إحدى تلك السفرات، في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٧٠م، دخل مروان إلى السفارة المصرية في لندن، واتصل بالسفارة الإسرائيلية من مكتب الملحق العسكري. إلى هذه الدرجة أظهر ثقته بنفسه وهو يعلم نسب عائلته. لم تتفاجأ عاملة الهاتف من سماع رجل يتحدث اللغة الإنجليزية بلكنة أجنبية ويطلب التحدث «مع شخص ما من الاستخبارات». ووفقا للإجراء المتبع، تم تحويل المكالمة إلى مكتب الملحق العسكري اللواء شموئيل إيال[١]. فقدم مروان نفسه، وقال أنه مهتم بالعمل لحساب الاستخبارات الإسرائيلية، وأشار إلى أنه سيبقى في لندن حتى اليوم التالي. لكن إيال لم يجب على الطلب.

وبالمصادفة، كان موجودا أيضا في المدينة في ذلك اليوم شموئيل غورين[٢]، رئيس مركز أوروبا في شعبة «تسومت»،

(١) شموئيل إيال **שמואל אייל** (١٩٢٢ - ٢٠٠٨م): كان لواء في الجيش الإسرائيلي. ومن بين المناصب التي شغلها: رئيس الدفاع المدني، وقائد قيادة الناحل، والرئيس السابع لهيئة القوى البشرية، والملحق العسكري في بريطانيا.

(٢) شموئيل غورين **שמואל גורן** (ولد عام ١٩٢٨م): شغل مناصب رفيعة في مجال الاستخبارات وفي الجيش والموساد. ومن بينها: قائد الوحدة ٥٠٤، ونائب رئيس الموساد، ومنسق أعمال الحكومة في المناطق برتبة لواء.

والـذي كان يعمـل في بروكسـل. حيـث كان غوريـن، الـذي انتقـل إلى شـعبة «تسـومت» قادمـا مـن الوحـدة ٥٠٤، قـد وصـل إلى لنـدن في زيـارة روتينيـة للبعثـات في أوروبـا. وعندمـا علـم عـن طريـق الصدفـة بأمـر المحادثـة مـع مـروان، أدرك عـلى الفـور مـن يكـون، ولم يرغـب في تفويـت هـذه الفرصـة النـادرة. وخلافـا للإجـراءات الصارمـة، التـي تتطلـب إجـراء فحـص معمـق للخلفيـة وترتيبـات أمنيـة قبـل الاجتـماع الأول، رتـب الاثنـان للقـاء بسرعـة في فنـدق بالقـرب مـن هايـد بـارك. وقـد جنـد غوريـن للعمليـة المرتجلـة كل مـن كان متاحـا في البعثـة. وللتعـرف عـلى الهويـة، احتفـظ غوريـن بصـورة لمـروان وزوجتـه في يـوم زفافهـما، كان قـد تـم نشرهـا في إحـدى الصحـف المصريـة.

بعـد أن دخـل مـروان إلى المقهـى وتعـرف عليـه غوريـن، أشـار إلى دوبي، الـذي كان آنـذاك ضابـط جمـع معلومـات شـابا في البعثـة، للتواصـل معـه. فاقـترب دوبي مـن مـروان وقـاده إلى طاولتـه، وأجـرى الاثنـان محادثـة قصـيرة ومريحـة باللغـة العربيـة. ثـم طلـب منـه مـروان التحـول إلى اللغـة الإنجليزيـة، وتوجـه الاثنـان إلى غرفـة كانـت معـدة مسـبقا.

في مجـال الاسـتخبارات، يتـم التعامـل بريبـة كبـيرة مـع «Walk in» – الشـخص الـذي يعـرض خدمـات التجسـس الخاصـة بـه. فقـد يكمـن وراء مثـل هـذا العـرض فـخ أو محاولـة مـن قبـل الخصـم لإدخـال معلومـات كاذبـة. ومـع ذلـك، وبعـد مناقشـات

ومداولات، قرر الموساد تجنيد مروان، على افتراض أنه إذا اتضح أنه قد تم إرساله من قبل المخابرات المصرية لتضليل إسرائيل، فسيكون الموساد قادرا على كشف ذلك والسيطرة على الوضع. وعلى الرغم من أن دوبي كان مبتدئا وعديم الخبرة، إلا أن غورين قرر المقامرة وعينه ضابط الاتصال. كان الاسم الحركي لمروان هو «أتموس» ثم «باكتي»، و «الملاك»، و «حوتيل»، وأيضا «رشاش».

تم تشغيل مروان على مدى ٢٨ عاما تقريبا، حتى عام ١٩٩٨م، التقى خلالها مع دوبي حوالي مئة مرة، أي عدة مئات من الساعات. وقد قدم معلومات سياسية وعسكرية غير مسبوقة في جودتها، وبلغت ذروتها في حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر). لكن طوال السنوات التي تم فيها تشغيله وحتى بعد ذلك، لم يعرف دوبي وغورين وزامير السبب الذي جعله يخون وطنه. هل أراد الانتقام من والد زوجته، الرئيس عبد الناصر، لأنه قلل من شأنه؟ هل كان ذلك جشعا خالصا؟أو ربما اعتقد مروان أنه بأفعاله كان يساعد وطنه؟ الاستنتاج الذي توصل إليه معظم المتورطين في القضية، هو أنه فعل ذلك لكل تلك الأسباب مجتمعة.

خلال سنوات تشغيله، حصل مروان على مبالغ كبيرة من المال، عادة في حقائب مع نقود، والتي قدر دوبي وغورين أنها وصلت إلى مليون دولار. وقد بلغت وقاحته وتفاخره

ذروتهما عندما أجبر الموساد على أن يشتري له سيارة رياضية حمراء ذات سقف مفتوح، تقتلع العيون، كان من شأنها أن تثير الشبهات حوله. كما لم يتردد مروان أيضا في ركن سيارته في السفارة المصرية في لندن. **وفي وقت لاحق، بعد أن تقاعد من مجتمع الاستخبارات وأصبح مديرا في شركة وقود، جاء غورين إلى القاهرة للاجتماع مع رجال أعمال. وخلال زيارته، مر بمنزل كبير فاخر وكان مهتما بمعرفة لمن تعود ملكيته. وقد كان الجواب: لأشرف مروان. فقال لنفسه: «هذا من أموالنا».**

كان التواصل مع مروان بسيطا للغاية: فقد تم إعطاؤه رقم هاتف **سيدة (س)**، وهي يهودية بريطانية. حيث لم تكن تعرف من هو المتصل، ولكن إذا قال الكلمات الرمزية، فإنها تتصل بدوبي، الذي يأتي إلى منزلها وينتظر اتصالا من مروان. كانت الكلمات الرمزية التي اختارها دوبي ومروان مرتبطة بالكيمياء، مجال دراسة مروان، وبذلك فإن أي شخص يستمع إلى المحادثات، سيجدها منطقية. وقد كانت كلمة «**مواد كيميائية**» تعني التحذير من حرب وشيكة.

عقدت الاجتماعات بين مروان ومشغله دوبي العديد من العواصم الأوربية لندن، باريس، روما وبالما دي مايوركا بوتيرة سمحت لمروان بمغادرة القاهرة دون إثارة الشكوك. وقد أصبح مروان جزءا لا يتجزأ من حياة دوبي ونشأت بينهما

علاقة شخصية، تجاوزت حدود علاقات مشغلي العملاء. كما قال زامير أيضا أنه رأى في الجاسوس صديقا شخصيا. وقد أثار هذا السلوك المحظور، من العلاقة المتقاربة، غضب غورين، ومع ذلك اعترف بوجود ثقة كاملة بالفعل بين مروان ودوبي وزامير. وفي أحد الاجتماعات، اكتشف دوبي أن مروان كان يحمل معه مسدسا، قال إنه للدفاع عن النفس. وقد قال غورين: «هل هناك أي رئيس آخر لمنظمة استخبارات يوافق على أن يكون عميله مسلحا؟ لقد وثقنا به».

بفضل مروان، علمت إسرائيل بالتحركات في المجال العسكري والسياسي وبالقرارات الاستراتيجية التي تم اتخاذها في مصر منذ بداية عام ١٩٧١م. كان مستشارا للرئيس السادات وشريكا سريا في معظم القرارات الهامة التي تم اتخاذها في الدائرة الداخلية للقيادة المصرية. وبواسطته حصلت إسرائيل على خطط مصر الحربية وتشكيل المعركة الخاص بها.

في ربيع العام ١٩٧٣م، وصلت إلى الموساد معلومات حول نية «منظمة التحرير الفلسطينية» تفجير طائرة تابعة لشركة «إل-عال» في مطار فيوميتشينو، القريب من روما. وكان من قدم هذه المعلومات هو مروان نفسه، وقد كانت المبادرة من قبل حاكم ليبيا معمر القذافي، حيث كان ضالعا في التخطيط للهجوم. سعيا للانتقام وردا على إسقاط إسرائيل طائرة ركاب تابعة للخطوط الجوية الليبية في ٢١ فبراير/شباط عام ١٩٧٣م.

كانت هذه رحلة روتينية من بنغازي إلى القاهرة، ولكن بسبب عطل في نظام الملاحة، اخترقت الطائرة الليبية المجال الجوي الإسرائيلي، فوق سيناء. وقد حاولت طائرات سلاح الجو التي تم إرسالها على وجه السرعة الاتصال بالطائرة والإشارة إليها بالعودة على أعقابها، لكن نظام الاتصال في الطائرة كان معطلا أيضا ولم يلاحظ الطيار الإشارات واستمر باتجاه إسرائيل.

كان مجتمع الاستخبارات في وقت سابق قد حصل على تحذيرات من أن منظمات إرهابية تخطط لتحطيم طائرة ركاب على برج شالوم في تل أبيب أو على مفاعل ديمونا النووي. وعلى الرغم من وجود مراقبين جو صغار الرتبة، قللوا من شأن الطائرة وأنها مجرد طائرة ركاب فقدت طريقها، إلا أن رئيس الأركان ديفيد (دادو) إلعازار[1] أمر بإسقاطها. ما أسفر عن مقتل ١٠٥ شخص هم من فيها من مسافرين وأفراد الطاقم.

طلب القذافي من السادات مساعدته في الانتقام من إسرائيل، وإرسال غواصة لإغراق السفينة البريطانية الفاخرة «الملكة إليزابيث الثانية» أثناء رسوها مع الآلاف من ركابها في ميناء أسدود. لم يرفض السادات ذلك صراحة، رغم أنه كان منغمسا في تلك الأيام في خطط أخرى تتعلق بإسرائيل. وقد

(١) ديفيد (دادو) إلعازار **דוד (דדו) אלעזר** (١٩٢٥ - ١٩٧٦م): عسكري إسرائيلي عمل قائدًا لجبهة الجولان في حرب ١٩٦٧م، ورئيسًا لأركان الجيش الإسرائيلي خلال حرب تشرين/ أكتوبر عام ١٩٧٣م.

أمر بإبلاغ القذافي أن الخطة فشلت لأن الغواصة التي تم إرسالها في المهمة لم تتمكن من تحديد موقع السفينة.

لم يستسلم القذافي وعزم على إسقاط طائرة «إل-عال» أثناء هبوطها. فاختار مسؤولو «منظمة التحرير الفلسطينية» المطار الإيطالي بسبب ترتيباته الأمنية الضعيفة. وقد كان رئيس خلية المفجرين هو أمين الهندي[1]، وهو مسؤول عمليات كبير مقرب من عرفات، أصدر السادات تعليماته لمخابراته بمساعدتهم وتزويدهم بصواريخ محمولة على الكتف من طراز «SA-7» (ستريلا).

بحسب تعليمات مروان، تم إخفاء الصواريخ في هيئة صناديق باسم زوجته منى وإرسالها بالبريد الدبلوماسي إلى المركز الثقافي المصري في روما. وبناء على تعليمات زوجها، سافرت منى إلى لندن، لإبقائها بعيدة عن أي علاقة بما كان يحدث، وتوجه مروان إلى روما. تم التسليم في متجر للأحذية في شارع «فيا فينيتو» الراقي، وبعد ذلك شق مروان طريقه إلى المطار، حيث أقلع إلى لندن وانتظر.

باءت المؤامرة الليبية-الفلسطينية بالفشل لأن مروان أبلغ عنها منذ اللحظة الأولى. حيث قامت أجهزة الأمن والشرطة الإيطالية بضبط الصواريخ واعتقال بعض الفدائيين، الذين لم

(١) أمين الهندي، أبو فوزي (١٩٤٠ - ٢٠١٠م): هو سياسي وعسكري فلسطيني، عين رئيسا لجهاز المخابرات الفلسطينية منذ تأسيس السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤م، ويحمل رتبة لواء.

يكن لديهم أدنى فكرة عن خيانة مروان لهم وأن الموساد كان يتعقب عمليتهم عن قرب.

وصل كل من زامير وهراري وتسفي ملحين مع فريق من العملاء تحت قيادته إلى روما. حيث تواصلت عميلات الموساد هناك في أحد الفنادق، مع رجال الهندي، وتحدثوا عن لقاء مرة أخرى مع الشبان الفلسطينيين في اليوم التالي في أحد المقاهي. وتم تحديد المبنى الذي كانوا يقيمون فيه، ولكن بقيت هناك مخاوف من أن يتمكنوا رغم ذلك من الهرب وتنفيذ الهجوم. قال زامير: «كان هذا بناء من خمسين أو مئة شقة ولم نكن نعرف الشقة التي كان الفدائيون فيها». فقرر إبلاغ الإيطاليين، واتصل برئيس الاستخبارات. «لقد كان مصدوما. طلبت منه خدمة واحدة فقط: إذا عثروا على صواريخ ستريلا في الشقة، أن يعطيني واحدا. لقد أراد الجيش الإسرائيلي حقا التعرف على هذا الصاروخ ودراسته. قال الجنرال: ‹لكننا سنحتاج الصاروخ كدليل›. فوعدته أنه إذا احتاجه في المحكمة، فسألتزم بإعادته إليه».

قامت أجهزة الأمن الإيطالية بتحديد الشقة، وعثروا بداخلها على شاب فلسطيني واحد وصواريخ ستريلا. بينما تم إلقاء القبض على بقية أفراد الخلية في مقهى مجاور أثناء تبادلهم أطراف الحديث مع «بغايا» الموساد.

ومما ذكره زامير حول هذه الحادثة: «شكرني الجنرال

الإيطالي، رغم أنه لم يعجبه كثيرا قيامنا بعملية مراقبة وتعقب في إيطاليا، ووعد أنه إذا تمت إدانتهم في المحكمة فسيقبعون في السجن لسنوات طويلة. لكن ما حدث هو أن الفلسطينيين قاموا بعدها ببضعة أشهر بخطف طائرة، فاستسلم الإيطاليون وأطلقوا سراح المحتجزين سابقاً».

ساعدت المعلومات التي قدمها مروان حول مخازن صواريخ ستريلا في إحباط خطتين أخريين لعمليات فدائية ضد إسرائيل في العواصم الأوروبية. في إحداها، كانت الصواريخ مخبأة في شقة استأجرها مروان. حيث دخل غورين ورجاله إلى الشقة وأخرجوا منها الصواريخ ملفوفة بالسجاد.

بعد ذلك بوقت قصير، في يونيو/ حزيران عام ١٩٧٣م، قدم مروان مزيدا من المعلومات الهامة. وقد كتب أوري بار يوسف[١] في كتابه «الملاك: أشرف مروان والموساد ومفاجأة حرب يوم الغفران» (زامورا-بيتان، ٢٠١٨م)، أنه بحسب تلك المعلومات، فقد توقف الجيش المصري عن الحديث عن ضرورة الحصول على طائرات قاذفة بعيدة المدى يمكنها أن تقصف المطارات الإسرائيلية، كشرط لبدء الحرب. حيث أنه وفقا لتقييم الاستخبارات الإسرائيلية، فقد كان التزود بطائرات قاذفة هو إحدى العلامات الدالة الواضحة على أن مصر

(١) أوري بار يوسف **אורי בר-יוסף** (ولد عام ١٩٤٩م): هو بروفيسور (فخري) في قسم العلاقات الدولية بكلية العلوم السياسية في جامعة حيفا.

تستعد للحرب. وكان يجب أن يشعل قرار التخلي عنها الضوء الأحمر في كل من هيئة الاستخبارات «أمان» والاستخبارات الجوية «لامدان». لكن مثل الكثير غيره، كذلك لم يغير هذا الخبر بأي شكل من الأشكال تمسك زعيرا بعدم احتمالية الحرب.

في يوم الخميس، ٤ أكتوبر/تشرين الأول، قبل يومين من حرب يوم الغفران، اتصل مروان من باريس، التي وصل إليها قادما من ليبيا، ووفقا للبروتوكول، بالهاتف مع «س» وعاود دوبي الاتصال به. كان مروان بصحبة ممثلين عن وفد تجاري مصري ولم يكن بإمكانه إطالة المكالمة. غير أنه أبلغ عن «مواد كيميائية»، الرمز الذي يشير إلى أن الحرب وشيكة. وعندما سأله دوبي عن عدد المواد الكيميائية، أجاب مروان: «الكثير منها». وقد رتبا لأن ينضم إليهما زامير في اليوم التالي ليعقدوا اجتماعا في شقة سرية في لندن.

في تمام الساعة ٢٣:٠٠ بتوقيت إنجلترا، ١:٠٠ بتوقيت إسرائيل، التقى الثلاثة في الشقة. حيث قال مروان لزامير ودوبي بلغة لا لبس فيا: ستشن كل من مصر وسوريا غدا السبت، وهو أيضا يوم الغفران، «عند غروب الشمس»، حربا ضد إسرائيل.

اتصل زامير على الفور مع رئيس مكتبه ألفريد (فريدي) عيني. وقد كانت الساعة تقترب من الرابعة قبل الفجر. فقال له: «ضع قدمك في ماء بارد»، حيث كانت تلك طريقة

زامير في توجيهه للاستيقاظ، ثم قرأ له رسالة قصيرة، تتضمن الكلمتين الرمزيتين «الملاك» و «مواد كيميائية». وبعدها فقط سافر زامير إلى السفارة وأملى برقية أكثر تفصيلا.

مرت حوالي خمسين دقيقة قبل أن تنقل المعلومات من «عيني» إلى السكرتير العسكري العميد يسرائيل ليئور[1]، الذي اتصل بجولدا وأيقظها على التقرير. وبعد حوالي ثلاث ساعات، وصلت أيضا البرقية الواردة من زامير والمبنية على تقرير دوبي، وقد افتتحت على النحو التالي: «١. الجيش المصري والجيش السوري على وشك شن هجوم على إسرائيل يوم السبت ١٩٧٣/١٠/٦م عند الغسق». وتابعت: «٢. سيبدأ الهجوم في آن واحد على جبهة السويس وجبهة الجولان. ٣. في الأسبوع الماضي، تم نقل فرقتين إلى الجبهة من منطقة القاهرة، وبالتالي، فإن الجيش المصري بأكمله يقف الآن فعليا في قطاع القناة (...).

في ٢٥ سبتمبر/أيلول، اتخذ السادات القرار بشن الحرب في ١٠/٦، لكنه لم يخبر أحدا بالموعد. وقد قال المصدر أنه تم اختيار هذا التاريخ لأنه من المفترض ان يكون ‹عيدا› لدينا - وعلى الرغم من صيام رمضان». لم يكن مروان يعرف متى ساعة الصفر. توقعت إسرائيل أن يبدأ الهجوم في السادسة

(١) يسرائيل ليئور **ישראל ליאור** (١٩٢١ - ١٩٨١م): كان عميدا في الجيش الإسرائيلي، والسكرتير العسكري لرئيسي الوزراء ليفي إشكول وجولدا مائير.

مساء. وقد استند هذا التقييم على معلومات استخباراتية وصلت إلى إسرائيل قبل أشهر، تفيد بأنه إذا حدث هجوم مصري على إسرائيل فإنه سيبدأ عند غروب الشمس، لأن الليل يصعب الأمور على سلاح الجو. ونظرا لأن موعد غروب الشمس في منطقة القناة في أوائل شهر أكتوبر/تشرين الأول هو حوالي الساعة السادسة، فقد قدرت إسرائيل أن هذا سيكون وقت الهجوم.

ما لم تعرفه هيئة الاستخبارات «أمان» ولا الموساد ولا مروان، هو أنه قبل بضعة أيام من اندلاع الحرب اجتمع ضباط كبار من مصر وسوريا واختاروا ساعة صفر جديدة. وبذلك تفاجأت إسرائيل مفاجأة مزدوجة. الأولى استراتيجية - حيث لم تعلم إسرائيل أن الحرب كانت حتمية إلا قبل ١٢ ساعة من موعدها. أما المفاجأة الثانية فكانت تكتيكية - حيث تعرضت إسرائيل للهجوم قبل أربع ساعات من الموعد الذي استعدت له.

انتقل مروان، الذي كان رجل أعمال وتاجر سلاح دوليا، للعيش في لندن، واستمرت العلاقة معه. لكن في عام ١٩٩٨م، قام بقطع علاقته مع الموساد بعد إعلامه باستبدال دوبي، مشغله منذ ٢٨ عاما. حيث أنه لم يوافق على العمل أمام أي شخص آخر. في ذلك العام، تم اتباع سياسة جديدة في الموساد، بموجبها سيتم تحديد الفترة الزمنية التي سيتم فيها

تشغيل عميل من قبل نفس المشغل (يرجع ذلك جزئيا إلى قضية يهودا جيل[1]).

منذ حرب يوم الغفران وعلى مدى عقدين من الزمن تقريبا، كان مروان يعتبر واحدا من أعظم الجواسيس الذين شغلتهم إسرائيل. لكن بعد ذلك ادعى زعيرا فجأة أن مروان كان عميلا مزدوجا، قام بخداع إسرائيل. وقد حاول تبرئة نفسه من المسؤولية عن الفشل وزعم بأن الموساد، برئاسة زامير، هم الذين وثقوا بمروان الذي تلاعب بإسرائيل. وكان هناك من اتبعوا هذه النظرية وآمنوا بها، بينهم صحفيون وعسكريون ومؤرخون.

عاد الجدل حول هذه القضية إلى الظهور أكثر بعد وفاة مروان في يونيو/حزيران عام ٢٠٠٧م إثر سقوطه من شرفة شقته في حي «مي فير» بلندن.

ولم يتمكن محققو «سكوتلاند يارد» من تحديد سبب وفاته على وجه اليقين، حيث ادعى شهود عيان أنهم رأوا غرباء يطلون من الشرفة بعد وقت قصير من سقوطه.

(١) يهودا جيل **יהודה גיל** (ولد عام ١٩٣٥م): كان ضابط جمع المعلومات في الموساد المسؤول عن مصدر استخباراتي سوري. في عام ١٩٩٧م، تم اعتقال جيل ومحاكمته بتهمته التجسس والسرقة من قبل موظف عام، حيث قام خلال التسعينيات بتقديم معلومات كاذبة والاستيلاء على الأموال المحولة إليه من أجل تشغيل عميل. وقد تسببت بعض المعلومات التي نقلها، في عام ١٩٩٦م، في حالة من الذعر خوفا من أن سوريا قد تهاجم إسرائيل، رغم الاستعداد الخاص للجيش الإسرائيلي على الحدود الشمالية. فتم إدانة جيل وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات.

على أي حال، لم يكن لدى الموساد وهيئة الاستخبارات «أمان» أدنى شك في أن مروان قد تم اغتياله على يد قتلة تابعين للمخابرات المصرية، قاموا بتلفيق عملية الانتحار. حيث توفي مروان بعد ثلاثة أسابيع من صدور قرار التحكيم في إسرائيل حول النزاع العلني بين زعيرا وزامير، اللذين رفعا دعاوى قضائية ضد بعضهما البعض بتهمة التشهير. حيث حكم قاضي المحكمة العليا تيودور أور[(١)(٢٥)] بأن زامير كان على حق عندما قال بأن زعيرا قد كذب. أي أن مروان لم يكن عميلا مزدوجا. كما أقر أور أيضا بأن زعيرا هو من سرب اسم مروان للصحفيين والباحثين في الأكاديمية.

كان الكشف عن اسم مروان كعميل إسرائيلي عملا غير مسبوق في تاريخ الاستخبارات، أدى إلى وفاته. وفي أعقاب شكاوى قدمها ضباط كبار سابقون في هيئة الاستخبارات «أمان» ضد زعيرا بتهمة تسريب أسرار الدولة، تم فتح تحقيق، لكن المدعي العام يهودا فاينشتاين[(٢)] اختار عدم تقديم لائحة اتهام ضده.

تم تشكيل لجان في كل من هيئة الاستخبارات «أمان»

(١) تيودور أور **תיאודור אור** (ولد عام ١٩٣٤م): رجل قانون إسرائيلي شغل منصب نائب رئيس المحكمة العليا وقاض سابق في المحكمة العليا.

(٢) يهودا فاينشتاين **יהודה ויינשטיין** (ولد عام ١٩٤٤م): هو محام إسرائيلي، شغل منصب المدعي العام للدولة.

والموساد للتحقيق فيما إذا كان «الملاك» عميلا مزدوجا. وقد توصلوا إلى نتيجة قاطعة: أشرف مروان كان عميلا أمينا وجديرا بالثقة وقدم معلومات دقيقة، تمت مقارنتها مع مصادر أخرى وثبت صحتها. علاوة على ذلك، من الصعب أن نتخيل أن السادات، الذي كان يستعد سرا للحرب لمدة ثلاث سنوات تقريبا، كان «يسرب» معلومات عن اليوم الذي ستندلع فيه، حتى لو كان قد زرع تفاصيل مضللة حول الوقت الدقيق. ولو كان قد فعل ذلك، لكان بإمكان إسرائيل أن تشن ضربة استباقية. فمنذ لحظة تلقي التأكيد النهائي لمروان، خلال الاجتماع في لندن، كان أمام إسرائيل حوالي ١٢ ساعة لشن هجوم جوي على تجمعات الجيشين المصري والسوري في المناطق الحدودية. لم يكن الرئيس المصري ليجرؤ على هذه المجازفة.

في نهاية المطاف، امتنعت إسرائيل عن توجيه ضربة استباقية عبر سلاح الجو. حيث خشيت جولدا مائير ودايان من أنه إذا هاجمت إسرائيل أولا، فسيتم اتهامها بالمسؤولية عن اندلاع الحرب. وفضلت الحكومة الإسرائيلية الانتظار واستيعاب الهجوم. عبر الجيش المصري القناة وسيطر على شريط يبلغ طوله حوالي عشرين كيلومترا داخل شبه جزيرة سيناء. فيما حرر الجيش السوري كامل الجولان ووصل إلى المنحدرات المطلة على بحيرة طبريا.

كان الوضع في اليوم الثالث من الحرب رهيبا للغاية لدرجة أن دايان، رمزالنصر في حرب الأيام الستة، بدأ يتحدث بعبارات مروعة. وقد نسب إليه البيان حول احتمال «خراب الهيكل الثالث». وصل دايان في ذلك اليوم إلى «البئر»، مركز القيادة العليا للجيش الإسرائيلي، واقترح البدء في التحضير للخيار الأخير: استخدام السلاح النووي، الذي يعزى وجوده إلى إسرائيل. كما قدم أيضا اللواء احتياط رحبعام زئيفي (غاندي)[1](٢٧) اقتراحا مماثلا. غير أن رئيسة الوزراء ورئيس هيئة الأركان رفضا الفكرة تماما.

أسفرت حرب يوم الغفران عن مقتل نحو ٢٧٠٠ جندي وإصابة آلاف آخرين بجروح جسدية ونفسية. لقد دفعت دولة إسرائيل برمتها ثمن الغطرسة والتهاون والثقة الزائدة بالنفس لقادتها وجيشها.

---

(١) رحبعام زئيفي (غاندي) **רחבעם זאבי (גנדי)** (١٩٢٥ - ٢٠٠١م): كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي برتبة لواء، وسياسي إسرائيلي. شغل منصب وزير السياحة، كان ينادي بفكرة «الترانسفير» وهو مصطلح إنجليزي (بالإنجليزية: transfer) ويعني الترحيل، والمقصود هو ترحيل كل ما هو عربي في فلسطين إلى البلدان العربية الأخرى عوضًا عن بقائهم في فلسطين. وهو يعتقد أن العرب كالنمل. تم اغتياله في فندق في القدس من قبل أفراد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ١٧ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م.

من الجاسوسية للانتحار

تتذكر العميلة «م» مشاهد وأصوات الهتافات في القاهرة بعد انتصار أكتوبر، قائلة: «شعرت أنها نهاية العالم». لقد كانت هذه الفرحة العارمة على نقيض تام مع الكآبة واليأس اللذين سادا في البلاد قبلها. كانت «م» ومعها «أ» زوجان من محاربي «قيسارية» تم إرسالهما إلى مصر. وكانا أيضا حبيبين (تظهر تفاصيل القضية في كتاب «حروب الظلال»، دان رافيف[1] ويوسي ميلمان[2]، يديعوت سفاريم، ٢٠١٢م).

وصل «أ» أولا. وهو من مواليد أمريكا الجنوبية عام ١٩٤٤م، انضم في سن مبكرة إلى «حركة بيتار الشبابية». كما كان موهوبا في اللغات، حيث تعلم حتى أتقن ثمانية منها، هي: الإسبانية والبرتغالية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية والعبرية واليديشية والعربية. وبعد الانتصار في حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧)، هاجر مشبعا بحماس صهيوني إلى إسرائيل كمتطوع، فتم إرساله إلى مستعمرة تسور نتان مقابل

---

(١) دان رافيف **דן רביב** (ولد عام ١٩٤٢م): صحفي إسرائيلي يعمل مراسلا في شبكة BBC.

(٢) يوسي ميلمان **יוסי מלמן** (ولد عام ١٩٥٠م): كاتب وصحفي إسرائيلي مختص بالشؤون العسكرية والأمنية.

طولكرم. وقد تعرف في تلك الفترة على ليندا، تلك الفتاة التي جاءت من جنوب أفريقيا للدراسة في معهد الوكالة اليهودية ولإعداد مدربين خارج إسرائيل.

تم الاهتمام ب»أ» من قبل الموساد. وكانت مقوماته الأساسية هي شكله الغريب وعدد لغاته التي يتقنها. وبعد الفحص والاختبارات، خضع لدورة خاصة وتم تجنيده بمهمة عميل في أرض «هدف». إن الفرق بين العمل في الأرض القاعدة والعمل في الأرض الهدف هو حبل المشنقة. فالعنصر الذي يتم إلقاء القبض عليه في الأرض القاعدة، كالدول التي تربطها بإسرائيل علاقات دبلوماسية، يتهم بالتجسس، ويرسل إلى السجن. بينما العنصر الذي يتم إلقاء القبض عليه في أمر كهذا في الأرض الهدف - دولة عربية أو إسلامية - فإنه يُعدم.

تعد العناصر في الأراضي الهدف بمثابة رأس الحربة للموساد، وفي كل لحظة من مهمتهم العملياتية هناك خطر على حياتهم.

راقب قادة «قيسارية»، يوسف ياريف ونائبه مايك هراري، عن كثب عملية إعداد وتدريب «أ» حتى نهايتها، في أواخر عام ١٩٦٩م. ثم وقع على عقد عمل مع الموساد لسبع سنوات، وتم إرساله إلى إحدى الدول الأوروبية لبناء شخصيته الجديدة.

وفي بداية السبعينيات، وبقصة تغطية مناسبة مع بطاقة استلمها من وكالة استخبارات أجنبية متعاطفة، ذهب «أ» إلى

مصر. كانت مهمته الأساسية هي معرفة ما إذا كانت مصر تخطط لحرب ضد إسرائيل، وإن كان ذلك، فمتى؟

ومن أجل أن يكون قادرا على التقرب من الوزراء والضباط والموظفين رفيعي المستوى، كان على «أ» أن يحيا بمستوى معيشة رفيع. فقد أقام في منزله دعوات وموائد، على أمل أن يحصل في مثل هذه المناسبات على معلومات عسكرية وسياسية هامة ويجند عملاء. بالإضافة إلى الخروج في جولات استطلاعية في أنحاء الدولة للمشاهدة، وإن أمكن التصوير، لأماكن تمركز وحدات الجيش بشكل عام والصواريخ بمختلف أنواعها بشكل خاص.

نجح «أ» بمهمته وقدم تقارير مرضية. لكن اتضح في نفس الوقت أنه يعيش نمط حياة يشكل خطرا عليه – حيث كان شابا أعزب، يقضي أوقاتا مع النساء. وقد ذكرت هذه الأفعال قادة «قيسارية» بالصدمة التي تلقوها من فولفغانغ لوتز والطريقة التي تعاملوا بها مع زواجه الثاني. ف «أ» أيضا لم يتوخى الحذر رغم تأكيد مشغليه على ذلك. حيث كان يرسل بواسطة جهاز الاتصال السري الذي بحوزته، وبوتيرة عالية، ليس ما كان يجمعه من معلومات فحسب، بل أيضا رسائل غير ضرورية، مثل تهنئات في أعياد الميلاد لأصدقائه في الموساد. لقد ذكر فعله هذا مشغليه بفعل سابقه إيلي كوهين.

تفاجأت ليندا، صديقة «أ» التي بقيت في إسرائيل، بمحادثة

هاتفية في أحد الأيام تم خلالها دعوتها للقاء مع هراري في إحدى الشقق في تل أبيب، حيث قالت: «قدم نفسه على أنه المسؤول عن ‹أ›، وأخبرني بأن ‹أ› يبلغ من العمر ٢٨ عاما وأنه قلق بعض الشيء ويخرج مع النساء وهذا أمر حساس وخطير للغاية، كما أنه يفتقدني كثيرا ويحتاج إلى امرأة جادة بجانبه. وعندئذ فاجأني وعرض عليّ الزواج منه والانضمام إليه. وقال: ‹نحن سنهتم بجميع الترتيبات›. لقد صدمت تماما، لكنني عدت إلى رشدي على الفور. كنت حينها صغيرة أبلغ من العمر ٢٢ - ٢٣ عاما، أدرس في الجامعة، وأتسكع مع البوهيميين التل أبيبيين والممثلين والفنانين. كنت شابة في عمر الزهور، ولم أكن أعتقد أنني ناضجة للزواج. فأجبته بأنني أريد متابعة الدراسة، وهو لم يضغط علي بل فقط قال: فكري في الأمر». لكن ليندا لم تعد إليه.

بناء على ذلك، قرر هراري «تزويج» «أ» من «م»، وهي إحدى عناصر «قيسارية» كانت قد هاجرت من فرنسا إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة (نكسة حزيران ٦٧) وتم تحديدها وتجنيدها. وبحسب أقوالها، فإنها لم تتردد قبل الموافقة على اقتراح هراري.

تزوج «أ» و «م» في إحدى الدول الأوروبية، وعند عودتهما إلى مصر سكنا في شقة فاخرة مع خدم، واستثمرا وضعهما للخروج للتنزه في أنحاء الدولة وتصوير منشآت عسكرية.

تعرض الزوجان لأكثر المواقف خطورة عندما كانا يخرجان في أوج حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر) في جولات استطلاع تصويرية، حيث تم في إحدى المرات إيقافهما من قبل أحد حواجز القوات الأمنية.

روت «م» كذلك (خلال البرنامج التلفزيوني «الموساد: قصة تنكر»، القناة الثامنة، ٢٠١٧م) أنها في البداية لم تحب «أ». وقالت: «لم يكن ‹أ› الشخص الذي أريد»، ومع هذا كله تحابا. وعند عودتها إلى إسرائيل، في نهاية مهمتها، تم استدعاء «م» لمقابلة هراري، حيث أمرها بأن تنهي علاقتها ب «أ»، التي كانت منذ البداية من أجل العملية. فاستجابت «م» له.

بعد فترة وجيزة من ذلك، وعلى ما يبدو خوفا من أن يتم كشفه، عاد «أ» إلى إسرائيل، وإلى صديقته ليندا أيضا، وتزوجا عام ١٩٧٦م. وبعد سنوات سعيدة، أنجب خلالها الزوجان طفلتين اثنتين، دخلا في أزمة. فقد فشل «أ» في عدة مشاريع أقامها، وساءت حالته النفسية وانفصل الزوجان. في عام ١٩٨٨م، غادر إسرائيل وعاد إلى مسقط رأسه في أمريكا الجنوبية، حيث كان يحصل على قوت يومه بصعوبة بالغة. وفي فبراير/شباط عام ٢٠٠٢م، تم العثور على جثته على شاطئ البحر بعد أن انتحر بطلق ناري في رأسه. كان حينها يبلغ من العمر ٥٨ عاما. قصته هي شهادة أخرى على صعوبة عودة العناصر - الجواسيس المتنكرين بشخصيات كبيرة من الأرض

الهـدف للحيـاة بشـكل روتينـي.

لم تغضـب لينـدا مـن الموسـاد، لكنهـا اعتقـدت أنـه كان بإمكانهـم مسـاعدة «أ» أكـثر. حيـث قالـت: «لقـد دفعـوا لـه كل مـا كانـوا ملزمـين بـه، لكنهـم لم يجهـزوه لما بعـد ذلـك». وفي أحـد الأيـام، تشـجعت والتقـت مـع «م» وسـمعت منهـا تفاصيـل عـن حياتهـما في الأرض الهـدف. وبعـد حـوالي سـت سـنوات عـلى وفاتـه، التقـت هـي وابنتيهـا مـع هـراري واثنـين مـن مشـغلي «أ». «لقـد حدثـوني كثـيرا عـن عملـه وخدمتـه للدولـة، وكـم كان جيـدا، ومـدى أهميـة المعلومـات التـي نقلهـا، وعندمـا سـألت لمـاذا لم يتـم رعايتـه بعـد عودتـه، كان هـراري محرجـا قليـلا وقـال لي: أنـت محقـة، لم نعـرف في تلـك الفـترة كيفيـة رعايـة الجواسـيس العائديـن». وفي نهايـة اللقـاء، تسـلمت مـن هـراري صـورة ل «أ»، شـاب صغـير أشـقر يداعـب كلـب رعـي، مكتـوب عليهـا: «إلى لينـدا، تكريمـا لذكـرى ‹أ›، مـن أصدقائـه في قيسـارية».

قالـت لينـدا: «بالنسـبة لي، ‹أ› هـو ‹الجاسـوس الـذي جـاء مـن الصقيـع›، لقـد تركنـي وتـرك إسرائيـل ك ‹أ›، وعـاد بعـد أقـل مـن عقـد مـن الزمـن كرجـل آخـر خـاسر». ويمنـع في إسرائيـل حتـى يومنـا هـذا نـشر اسـمه الكامـل أو صورتـه.

إعادة الهيكلة

تسببت نتائج حرب يوم الغفران (حرب تشرين/أكتوبر) في فقدان ثقة الشعب بالحكومة والجيش الإسرائيلي وأجهزة الاستخبارات. واضطرت جولدا مائير لتعيين لجنة حكومية، برئاسة رئيس المحكمة العليا شمعون أجرانات[1]، للتحقيق في إخفاقات الحرب. حيث حملت استنتاجاتها المسؤولية لكل من رئيس هيئة الأركان ديفيد (دادو) إلعازار، ورئيس هيئة الاستخبارات إيلي زعيرا الذي وجد مسؤولا عن الإخفاق الاستخباراتي إلى جانب رئيس قسم البحوث أرييه شاليف وآخرين، وقائد القيادة الجنوبية شموئيل غونين (غوروديش)، وضباط آخرين. لكن اللجنة برأت المستوى السياسي من «المسؤولية المباشرة».

لم يكن الجمهور راضيا عن تقرير أجرانات. وبعد موجة من الاحتجاجات والمظاهرات، اضطرت الحكومة للاستقالة، وتم في أبريل/نيسان عام ١٩٧٤م تعيين إسحاق رابين زعيما لحزب العمل ورئيسا للحكومة. فيما تم تعيين شمعون بيريز

---

(١) شمعون أجرانات **שמעון אגרנט** (١٩٠٦ - ١٩٩٢م): قاض إسرائيلي، كان الرئيس الثالث لمحكمة العليا.

وزيـرا للدفـاع.

كـما حصلـت أيضـا تغيـيرات كبـيرة في أوسـاط الاسـتخبارات. فتـم اسـتبدال زعـيرا بشـلومو جازيـت[١]، وهـو رجـل دايـان والشـخص الـذي أدار جنبـا إلى جنـب مـع الشـاباك سياسـة «العصـا والجـزرة» ل «الاحتـلال المسـتنير» في الأراضي الفلسـطينية المحتلـة. وحـل مـكان زامـير اللـواء إسـحاق حـوفي، الـذي نجـح في وظيفتـه كقائـد للقيـادة الشـمالية أكـثر مـن كل ألويـة القيـادة العامـة قبـل الحـرب وأثناءهـا. حيـث فضـل رابـين، الـذي عـرف حـوفي أكـثر مـن خـلال خدمتهـما العسـكرية، أن يجعلـه بيـت سره.

أوصـت لجنـة أجرانـات أيضـا بإقامـة أفـرع بحـوث في كل مـن وزارة الخارجيـة والموسـاد، كي لا تعتمـد الاسـتخبارات عـلى مصـدر واحـد، والـذي هـو هيئـة الاسـتخبارات «أمـان». والهـدف هـو التعدديـة الفكريـة، التـي تحسـن عمليـة اتخـاذ القـرار للمسـتوى السـياسي.

كان الشـخص الـذي طلـب منـه إقامة قسـم البحوث في الموسـاد هـو إسـحاق أورون[٢]. وهـو مسـتشرق انضـم إلى الموسـاد عـام ١٩٦٧م. والـذي أعـد بعـد حـرب الأيـام السـتة (نكسـة حزيـران

---

(١) شلومو جازيت **שלמה גזית** (١٩٢٦ - ٢٠٢٠م): هـو ضابـط عسـكري وأكاديمـي إسرائيلي. حمـل رتبـة لـواء في الجيـش الإسرائيـلي، وتـرأس مديريـة المخابـرات العسـكرية الإسرائيليـة. شـغل فيـما بعـد منصـب رئيـس جامعـة بـن غوريـون ورئيـس الوكالـة اليهوديـة.

(٢) إسـحاق أورون **יצחק אורון** (١٩٢٤ - ٢٠١٤م): كان مسـتشرقا إسرائيليـا، شـغل منصـب مدير معهـد شـيلواح ورئيـس قسـم البحـوث في الموسـاد ومستشـار اللجنـة الفرعيـة للاسـتخبارات والأجهـزة السريـة.

٦٧) بحثا معمقا عن الوضع الاجتماعي والسياسي لمصر، بناء على على محادثاته مع أسرى حرب مصريين.

ضم أورون إليه مستشرقين وباحثين آخرين من الأكاديمية وأنشأ وحدات عملت بالبحوث الأساسية، وليس فقط كهذه التي تهدف إلى خدمة العمليات. ولكن بسبب قرارات الميزانية، لا يزال قسم الأبحاث في الموساد حتى يومنا هذا أخا صغيرا، حيث يساهم بحصته في لواء الأبحاث التابع لهيئة الاستخبارات «أمان»، الذي لا يزال مسؤولا عن تقييم الاستخبارات الوطنية.

وجدت هيئة الاستخبارات «أمان» في البداية صعوبة في الخروج من الدمار الذي مرت به، لكن شيئا فشيئا بدأوا هناك بتغيير جذري. حيث تم تعيين ضباط في المناصب العليا اعتبروا «غير كفؤ»، وفي إطار هذه التغييرات تم تعيين يهوشع ساغي[١] رئيسا لقسم البحوث، وتم إنشاء مكتب ضمن القسم أطلق عليه اسم «هفيخا مستبرا – العكس صحيح»، والذي كانت مهمته تقويض التقييمات والتشكيك، والإعراب عن آراء أخرى وتقليص خطر الجمود الفكري.

بعد ثلاث سنوات من حرب اكتوبر، ومن خلال المفاوضات المباشرة وغير المباشرة، تم توقيع سلسلة اتفاقيات فصل قوات وترتيبات مؤقتة بين إسرائيل ومصر، أدت إلى انسحاب جزئي

(١) يهوشع ساغي **יהושע שגיא** (١٩٣٣ – ٢٠٢١م): ضابط سابق في الجيش الإسرائيلي برتبة لواء، وسياسي ودبلوماسي إسرائيلي. شغل منصب رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» وعضو كنيست وسفير إسرائيل في الفلبين.

للجيـش الإسرائيـلي مـن سـيناء وفصـل القـوات مـع سـوريا في الجـولان. لكـن في أوسـاط الاسـتخبارات كان مـن الصعـب عليهـم فهـم تحـركات وخطـط الرئيـس المـصري أنـور السـادات.

السادات.. الرئيس اللغز

بدأ السادات خلال عام ١٩٧٦م الحديث عن استعداده للتوصل إلى اتفاق سلام مع إسرائيل. وبحسب أقواله، فإن المصريين بعد حرب تشرين/أكتوبر مستعدون للسلام ويتطلعون لتحقيقه. ولأن السادات خدعهم في حرب أكتوبر، تذكر رئيس هيئة الاستخبارات «أمان»، وزميله رئيس قسم البحوث الأيام التي سبقت الحرب؛ وقتها لم يصدقوا أن السادات سيتوجه للحرب، والآن لا يصدقون أنه طالب سلام.

كان موقف المحللين وقادة الموساد وضباط أبحاث هيئة الاستخبارات «أمان» مختلفا تماما، حول إمكانية وجود فرصة للسلام. وقد فشلت محاولات تقريب وجهات النظر المتباعدة وإيجاد صياغة واحدة مشتركة، وتشبث كل طرف بموقفه.

أهان الرئيس المصري أنور السادات أيضا حزب عمال إسرائيل (مباي) وقادته. حيث فهم أن إسرائيل تشكك في مد يده للسلام. هذا ورتب يوسف بورات، ممثل الموساد في المغرب، التي حافظت على علاقة وثيقة مع إسرائيل، لقاء سريا لرابين في الرباط مع الحسن، ملك المغرب، تم عقده في ٩ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٦م. وقد أعرب الملك الحسن

عـن مخاوفـه مـن أن يـؤدي عـدم حـدوث تقـدم في المحادثـات مـع المصريـين إلى إضعـاف نظـام السـادات وزيـادة نفـوذ الإسـلام الراديـكالي. حيـث أبـدى رابـين تفهـمًا، لكنـه جعـل الأمـور صعبـة للغايـة بالأسـئلة التـي تـم نقلهـا إلى السـادات والتـي اسـتخلص اسـتنتاجاته منهـا؛ أن ينتظـر حتـى تتغـير الحكومـة في إسرائيـل، وعندهـا فقـط يكـرر اقتراحـه بإبـرام اتفـاق سـلام. وقـد قبـل رئيـس الحكومـة الجديـد مناحيـم بيغـن التحـدي.

كان بيغـن عـلى اسـتعداد لتحمـل مخاطـر بعيـدة المـدى في السياسـة الخارجيـة والأمنيـة. وقـد كانـت هـذه التحـركات في بعـض الأحيـان جريئـة ومبتكـرة، لكنـه مـد يـده أيضـا لمغامـرات خطـيرة. وأمـر رئيـس الموسـاد حـوفي، وبعـد ذلـك وزيـر الخارجيـة موشـيه دايـان، بالتحقـق مـن جديـة نوايـا السـادات. ومـرة أخـرى تـم التحقـق بمسـاعدة المغـرب. حيـث طـار حـوفي إلى الربـاط للقـاء الملـك حسـن ورئيـس المخابـرات المغربيـة أحمـد الدليمـي. تحـدث بعدهـا الملـك مـع السـادات، وتسـارعت الاتصـالات السريـة. وفي يوليو/تمـوز عـام ١٩٧٧م، التقـى دايـان في المغـرب مـع نائـب الرئيـس المـصري الدكتـور حسـن التهامـي[١]. وقـد رتـب الموسـاد اللقـاءات دون علـم هيئـة الاسـتخبارات «أمـان»، بأوامـر مـن بيغـن.

(١) الفريـق حسـن التهامـي (١٩٢٤ - ٢٠٠٩م): نائـب رئيـس وزراء مـصر الأسـبق وأحـد أعضـاء تنظيـم حركـة الضبـاط الأحـرار التـي قامـت بمـا عـرف بثـورة يوليـو ١٩٥٢م، كان قريبـا مـن الرئيـس السـادات وموضـع ثقتـه، عـلى عكـس الرئيـس عبـد النـاصر.

في ١٦ سبتمبر/أيلول عام ١٩٧٧م، وأثناء توقفه في بروكسل في طريقه إلى مقر الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، هرب وزير الخارجية موشيه دايان لاجتماع آخر في المغرب. فقد سافر متخفيا تحت حماية مرافقيه والموساد إلى باريس، حيث كان بانتظاره هناك كل من بورات والجنرال الدليمي (ساجيت ستيفي كيربيس، «تعامل المخابرات الإسرائيلية مع توجه السادات نحو السلام خلال سنوات ١٩٧٠ - ١٩٧٧م: من دراسة اختبار الذهاب إلى الواقع»، مركز تراث الاستخبارات، نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٨م)، وتم نقلهم في ساعة متأخرة من الليل إلى العاصمة المغربية على متن طائرة خاصة بالعائلة الملكية. وبعد أن استراحوا التقوا بالملك وكبار مستشاريه والتهامي. حيث استمر اللقاء أربع ساعات، حتى الليل، في أجواء مريحة وودية، وفي نهاية اللقاء، وعد دايان التهامي بأنه سيرسل له أحد كتبه باللغة الإنجليزية.

قام حوفي هذه المرة بإعلام رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» وأرسل له ملخص اللقاء، لكن جازيت تشبث بشكوكه حول توجهات السادات، ولم يتخلص منها إلا بعد مجيء الرئيس المصري في زيارته التاريخية إلى القدس.

وبناء على موقف هيئة الاستخبارات، أصدر رئيس هيئة الأركان غور تحذيرا عشية الزيارة من أنها قد تكون فخا، بحيث أنه عند هبوط الطائرة سيخرج منها عناصر كوماندوز

مصريين سيقومون بتصفية زعماء إسرائيل وقادة الجيش الإسرائيلي الذين سينتظرون على المدرج. هبط السادات في إسرائيل في ١٩ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٧٧م، ومرّ الاستقبال بسلام. استمرت بعدها المفاوضات حوالي سنة ونصف، وفي مارس/آذار عام ١٩٧٩م، تم توقيع اتفاقية السلام بين البلدين في واشنطن. أعادت إسرائيل فيها كل سيناء، وكانت هذه أول اتفاقية سلام بين إسرائيل ودولة عربية.

اختطاف طائرة العال .. عملية «نيروبي»

في نهاية عام ١٩٧٥م، وصلت للموساد معلومات خطيرة عن نية منظمة وديع حداد استهداف طائرة «إل عال» إسرائيلية في أفريقيا. وبحلول يناير/كانون الثاني عام ١٩٧٦م، بدت المعلومات بالفعل أكثر دقة: حيث ستنفذ العملية في نيروبي، عاصمة كينيا، التي كانت تتوقف فيها رحلات «إل عال» توقفا مؤقتا في طريقها من وإلى جوهانسبرج. وفي الوقت نفسه، أصبح معروفا أنه قد وصل إلى نيروبي صواريخ محمولة على الكتف من طراز ستريلا بواسطة البريد الدبلوماسي اليمني.

كان كل من رئيس الحكومة رابين ورئيس الموساد حوفي متواجدين في الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك قام ناحوم أدموني، نائب حوفي، بمعالجة القضية. وقد استفاد من حقيقة أنه يعرف جيدا، من خلال مهامه السابقة، دول القرن الإفريقي. كما عمل معه أيضا شموئيل غورين.

لم تكن تفاصيل العملية قد اكتملت بعد، لكن تقرر استباقها وإرسال عناصر من «قيسارية» و «تيفل» من الموساد و«الشاباك» إلى نيروبي، على متن طائرة خاصة تابعة لسلاح الجو، من أجل إحباط العملية.

كان الاسم الرمزي للعملية هو «تساريفت - حرقة المعدة». كان أدموني على رأس البعثة، ومع الوصول إلى نيروبي، كانت الصورة قد اتضحت: فقد وصل خمسة فدائيين إلى المدينة لإسقاط طائرة «إل عال» بصاروخ محمول على الكتف. كانت الخلية مؤلفة من خمسة أفراد ثلاثة فدائيين عرب، وشابين ألمانيين - توماس رويتر وبريجيتا شولتس، وهما ناشطان في «فصيل الجيش الأحمر». لقد برع حداد في تجنيد الشباب الراديكاليين من غرب أوروبا واليابان ودول أخرى.

تجادل عناصر البعثة الإسرائيلية حول آلية العمل. حيث اقترح عدد من عناصر الموساد، وعلى رأسهم غورين، أن يقوم عناصر «كيدون» بتصفيتهم. فقد خشي أن يؤدي التعاون مع الأجهزة الأمنية الكينية إلى كشف مصادر الموساد داخل منظمة حداد. لكن أدموني رفض الاقتراح وقرر إعلام السلطات الأمنية الكينية بالعملية، والتي حافظت على علاقات عمل وثيقة مع إسرائيل على الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين - على الأقل بفضل الصداقة الشجاعة بين بروس ماكنزي[1]، الوزير الأبيض الوحيد في حكومة الرئيس جومو كينياتا[2]، وبين قادة رفيعين في الموساد.

(١) بروس ماكنزي **ברוס מקנזי** (١٩١٩ - ١٩٧٨م): هو سياسي كيني، كان وزيرا للزراعة في بلاده، كما كان عميلا للاستخبارات البريطانية.

(٢) جومو كينياتا Jomo Kenyatta (١٨٩٤ - ١٩٧٨م): أول رئيس لكينيا بعد الاستقلال. تسلّم الحكم عام ١٩٦٤م عندما أصبحت الدولة جمهورية، وعمل رئيسًا حتى وفاته. طوّر اقتصاد كينيا ووحّد السكان من الإفريقيين والعرب والآسيويين والأوروبيين، ويُعدُّ من الرُّواد

ثبتت صحة قرار أدموني. فقد نجح عناصر وحدة الاستخبارات الخاصة الكينية، بالتعاون مع نظرائهم الإسرائيليين، بتحديد سيارة «الإرهابيين» وصواريخ الستريلا ونقطة الكمين. وبعملية سريعة، تم اعتقال المتورطين الخمسة في ١٦ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٧٦م وتحويلهم إلى التحقيق، الذي جرى بالاشتراك بين عناصر من الموساد والشاباك والمخابرات المحلية الكينية.

حيث اتضح أن حداد، الذي أشرف شخصيا على العملية من القاعدة في عدن ومقديشو، أنشأ في كينيا شبكة مكونة من عشرين فدائيا، تم اعتقالهم جميعا. وقد اتضح لاحقا أيضا أنه من خلال تدريبات التضليل والحرب النفسية، نجح الموساد في الحفاظ على عميله الموثوق والهام.

اقترح الكينيون، الذين خافوا من الاصطدام مع المنظمات الفدائية الفلسطينية، تصفية الفدائيين، لكن رئيس الحكومة رابين عارض ذلك. حيث تقرر نقل الخمسة جوا إلى إسرائيل وتقديمهم لمحاكمة سرية، دون إعلام الحكومة الألمانية. وكان كذلك.

قدم الخمسة أثناء استجوابهم تفاصيل مهمة عن **منظمة حداد**. وبعد مرور عدة أشهر، اكتشفت حكومة ألمانيا الغربية أنه قد تم اعتقال اثنين من مواطنيها، وأوضحت

المتحدثين باسم قضية القومية الإفريقية منذ أواخر العشرينيات.

إسرائيـل مـا أوضحتـه. وبعـد مـرور خمـس سـنوات ومـع ازديـاد الضغـط الألمـاني، تـم إطـلاق سراح الألمانيـين الاثنـين. عـلى الرغـم مـن أهميـة المعلومـات التـي أدلى بهـا أعضـاء الخليـة الفدائيـة، إلا أنهـا لم تكـن كافيـة. فبعـد حـوالي سـتة أشـهر مـن عمليـة الإحبـاط الناجحـة في كينيـا، فوجئـت إسرائيـل بعمليـة جريئـة لحـداد، تمـت أيضـا بتعـاون فلسـطيني ألمـاني.

إير فرانس .. الرحلة 139

كانت المبادرة من «حداد»، وكان قائد الفريق هو ويلفريد بوس[1]، صاحب ماض «إرهابي» غني، بما في ذلك تحت جناح إليتش راميريز سانشيز[2]، الإرهابي الدولي المولود في فنزويلا والمعروف بلقب «كارلوس الثعلب».

في ٢٧ يونيو/حزيران عام ١٩٧٦م، غادرت الرحلة ١٣٩ التابعة لشركة الطيران الفرنسية «إير فرانس» من مطار بن غوريون متوجهة إلى باريس، وعلى متنها ٢٤٨ مسافرا و١٢ من طاقم الطائرة. صعد إلى الطائرة أثناء هبوطها في المحطة المتوسطة في أثينا، أربعة فدائيين - فلسطيني وعراقي وألمانيان اثنان، هم أعضاء في المنظمة الراديكالية «خلايا الثورة».

قام الأربعة باختطاف الطائرة وتحويل مسارها إلى بنغازي

---

(١) ويلفريد بوس Wilfried Böse (١٩٤٩ - ١٩٧٦م): هو العضو المؤسس للخلايا الثورية اليسارية الألمانية. كان منظما لهجمات عصابات مدنية ضد الرأسمالية الغربية في ألمانيا الغربية. وهو أحد خاطفي الطائرة الألمانية سنة ١٩٧٦م.

(٢) إليتش راميريز سانشيز (ولد عام ١٩٤٩م): يعرف باسمه الحركي «كارلوس» ولقبته أجهزة الأمن والمخابرات «كارلوس الثعلب». ولد في أسرة فنزويلية ثرية ودرس المرحلة الجامعية في موسكو قبل أن ينضم إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اعتنق الإسلام عام ١٩٧٥م، وأطلق عليه لقب الثعلب بعد أن وجد بين أمتعته نسخة من كتاب فردريك فورسايت يوم الثعلب.

في ليبيـا، حيـث صعد عـلى متنها هنـاك ثلاثـة خاطفـين آخريـن، وبموافقـة القـذافي تـم تزويدهـا بالوقـود وتابعـت طريقهـا إلى أوغنـدا.

قـام حاكـم أوغنـدا أيضـا الدكتاتـور عيـدي أمـين[1]، الـذي كان حتـى سـنوات قليلـة قبـل ذلـك صديقـا لإسرائيـل، بالترحيـب بالخاطفـين، الذيـن هبطـوا بالطائـرة في مطـار مدينـة عنتيبـي. وفي اليـوم الثالـث لعمليـة الاختطـاف، تـم جمـع الإسرائيليـين واليهـود في الصالـة القديمـة للمطـار، فيـما أطلـق سراح الباقـين ورحلـوا إلى باريـس. وقـد اختـار قائـد الطائـرة ميشـيل باكـوس البقـاء مـع الرهائـن، وأقنـع بقيـة الطاقـم البقـاء. توسـط عيـدي أمـين في المفاوضـات بـين إسرائيـل والخاطفـين، الذيـن طالبـوا بإطـلاق سراح ٥٣ إرهابيـا، معظمهـم مـن إسرائيـل والبعـض مـن كينيـا، فضـلا عـن ناشـطي يسـار راديكاليـين كانـوا محتجزيـن في ألمانيا وسـويسرا وفرنسـا. كان الموعـد الأخير الـذي حـددوه لتنفيـذ مطالبهـم، قبـل البـدء بقتـل الرهائـن، هـو ٤ يوليو/تموز عـام ١٩٧٦م.

بالتـوازي مـع المفاوضـات، وجـه رئيـس الحكومـة أوامـره لرئيـس هيئـة الأركان مردخـاي (مـوتي) غـور[2] وللموسـاد بالتجهيـز

(١) عيـدي أمـين (١٩٢٥ – ٢٠٠٣م): هـو رئيـس أوغنـدا الثالـث في الفـترة بـين عامـي ١٩٧١ – ١٩٧٩م. ويوصـف دائمـا بالدكتاتـور العسـكري.

(٢) مردخـاي (مـوتي) غـور מרדכי (מוטה) גור (١٩٣٠ – ١٩٩٥م): هـو سـياسي وعسـكري إسرائيـلي، شـغل منصـب رئيـس الأركان العامـة في الجيـش الإسرائيـلي بـين عامـي ١٩٧٤ – ١٩٧٨م، وأشرف عـلى عمليـة الليطـاني عـام ١٩٧٨م والتـي قـام بهـا الجيـش الإسرائيـلي عـلى جنـوب لبنـان.

لعمليـة إنقـاذ. وقـد تلقـى المخططـون المسـاعدة مـن نينيـت مورينـو، وهـي كندية يهوديـة كانـت بـين المختطفـين لكـن لم يتـم التعـرف عـلى هويتهـا اليهوديـة وأطلـق سراحهـا. وعنـد وصولهـا إلى باريـس، التقـت مـع عنـاصر الموسـاد ومـع عمـيرام ليفـين[1]، الـذي كان آنـذاك ضابـط العمليـات في «سـييرت متـكال» (وحـدة اسـتطلاع هيئـة الأركان العامـة). حيـث روت لهـم مـا حـدث ووصفـت صالـة المطـار وأعطتهـم مجمـوع الخاطفـين.

شرع طاقـم مـن الموسـاد بقيـادة رئيـس «قيسـارية» هـراري، تحـت غطـاء رجـل أعـمال إيطـالي، ونائبـه شـلومو غـال في دراسـة جـدوى عمليـة الإنقـاذ. حيـث هبطـوا في كينيـا، ثـم بمسـاعدة كل مـن بـروس ماكنـزي والقـوى الأمنيـة المحليـة دخلـوا إلى أوغنـدا. كان مـن بـين أفـراد الطاقـم أيضـا ديفيـد، وهـو عنـصر من الموسـاد وطيـار، وقـد قـام باسـتئجار طائـرة في كينيـا وصـور مطـار عنتيبـي مـن الجـو.

تدفقـت المعلومـات الاسـتخباراتية التـي تـم الحصـول عليهـا مـن جميـع المصـادر إلى رابـين، الـذي كان يميـل حتـى ذلـك الحـين إلى الامتثـال لمطالـب الخاطفـين. وعـلى الرغـم مـن أن المعلومـات الاسـتخباراتية التـي سـبقت العمليـة لم تكـن كافيـة، إلا أنهـا كانـت بمثابـة نقطـة انطـلاق لمزيـد مـن التخطيـط للعمـل العسـكري.

---

(١) عميرام ليفين עמירם לוין (ولد عام ١٩٤٦م): هو لواء احتياط في الجيش الإسرائيلي، كان قائد القيادة الشمالية. وخدم على مدى سنوات طويلة في «سييرت متكال» (وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة).

أحـد المقترحـات كان إنـزال قـوة مـن عنـاصر «شـيطت 13» في بحـيرة فيكتوريـا، بالقـرب مـن عنتيبـي، لكـن سرعـان مـا تـم إبعـاد الفكـرة، لأنـه بالإضافـة إلى المخاطـر الأخـرى، كان هنـاك أيضـا خـوف مـن التماسـيح الموجـودة في البحـيرة.

اقترحـت «سـييرت متـكال» فكـرة أخـرى: أن تهبـط في منتصـف الليـل طائـرات نقـل مـن طـراز هيركلويـس مـع قـوة عسـكرية محمولـة، وتسـيطر عـلى مبنـى الصالـة وتقتـل الخاطفـين. وقـد مـرت الخطـة، التـي أطلـق عليهـا اسـم «كـرة الرعـد»، بالعديـد مـن الـدورات والتحسـينات حتـى تمـت المصادقـة عليهـا أخـيرا. كان قائـد القـوة العميـد دان شـومرون[١]، وألقيـت مهمـة الاقتحـام عـلى «سـييرت متـكال» بقيـادة يـوني نتنياهـو[٢] ومـوكي بيتسـير[٣].

خـرج المقاتلـون مـن بطـن طائـرات هيركوليـس، وكان مـن بـين الآليـات أيضـا سـيارة مرسـيدس سـوداء، مماثلـة لتلـك التـي كانـت لـدى عيـدي أمـين، حتـى يتـم تضليـل الجنـود الأوغنديـين ليظنـوا بـأن رئيسـهم موجـود فيهـا. وكان مـن أحـضر هـذه السـيارة هـي الوحـدة ٥٠٤، حيـث حصلـت عليهـا كهديـة مـن أحـد العمـلاء

(١) دان شـومرون **דן שומרון** (١٩٣٧ - ٢٠٠٨م): رئيـس أركان الجيـش الإسرائيـلي الثالـث عـشر في الفـترة ١٩٨٧ - ١٩٩١م.

(٢) يوناتـان (يـوني) نتنياهـو **יונתן "יוני" נתניהו** (١٩٤٦ - ١٩٧٦م): كان أحـد الضبـاط الكبـار في الجيـش الإسرائيـلي، وهـو شـقيق بنيامـين نتنياهـو. قتـل في عمليـة تحريـر الرهائـن في أوغنـدا عـام ١٩٧٦م.

(٣) موشيه (مـوكي) بيتسير **משה (מוקי) בצר** (ولـد عـام ولـد عـام ١٩٤٥م): مـن مؤسـسي وحـدة شـلداغ وقائدهـا الأول، وأحـد قـادة عمليـة إنقـاذ الرهائـن في عنتيبـي عـام ١٩٧٦م.

الذيـن كانـت تشـغلهم، وهـو تاجـر مخـدرات لبنـاني.

تلـك العمليـة الجريئـة والإبداعيـة، التـي تـم تنفيذهـا على بعد ٣٦٠٠ كـم مـن إسرائيـل، لا تـزال حتـى اليـوم تعتـبر إنجـازا هائـلا للاسـتخبارات والجيـش الإسرائيـلي: حيـث تـم تحريـر الرهائـن وقتـل الخاطفـين بأقـل الخسـائر. فقـد قتـل يـوني نتنياهـو بنـيران الجنـود الأوغنديـين الذيـن يحمـون المطـار، وأصيـب الرقيـب أول سـورين هرشـكو إصابـة بالغـة، وقتـل ثلاثـة رهائـن أثنـاء تبـادل إطـلاق النـار، وماتـت رهينـة أخـرى تدعـى دورا بلـوخ في المستشـفى، وجـرح سـتة آخريـن.

بعـد هـذه العمليـة، ازداد تقديـر إسرائيـل وقدراتهـا العسـكرية بشـكل كبـير. وقـد كان تأثيرهـا عـلى مكانـة الاسـتخبارات والجيـش الإسرائيـلي مشـابها لتأثـير الحصـول عـلى خطـاب خروتشـوف واختطـاف أيخـمان وانتصـار حـرب الأيـام السـتة (نكسـة حزيـران ٦٧).

ركـب رابـين موجـة النجـاح، وتحـول إلى بطـل وطنـي. لكـن بعد مـرور عـشرة أشـهر، اسـتقال مـن منصبـه بسـبب وجـود حسـاب مـصرفي غـير قانـوني لـه ولزوجتـه في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. حيـث تـم إجـراء انتخابـات مبكـرة وخـسر حـزب العـمال السـلطة لأول مـرة.

ضرب المفاعل العراقي

كان تصميم بيغن وإحساسه بالمصير التاريخي كمدافع عن الشعب اليهودي أكثر وضوحا في موقفه من المفاعل النووي العراقي. كان الفرنسيون هم من باع صدام حسين المفاعل وأعطوه اسمه «أوزيراق»، من دمج كلمة «أوزيريس»، وهو إله عالم الموتى المصري، مع كلمة العراق وداخل المفاعل الكبير مفاعل آخر أصغر منه أطلق عليه اسم «إيزيس»، أخت «أوزيريس» وزوجته في الأساطير المصرية.

كان «إيزيس» ذو قدرات أقل وتم استخدامه بشكل أساسي في تدريب القوى البشرية على تشغيل «أوزيريس». هذا وفضل العراقيون أن يطلقوا على المفاعلين اسمين آخرين: فأطلقوا على «أوزيريس» اسم «تموز ١» وعلى «إيزيس» اسم «تموز ٢». وتموز هو إله الخصوبة في أساطير بلاد ما بين النهرين، وهكذا يطلق أيضا على شهر يوليو في اللغة العربية. أما اسم الموقع بأكمله فهو «تموز ١٧»، وهو تاريخ صعود حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨م.

كان البرنامج النووي العراقي مصدر قلق كبير في إسرائيل، حتى قبل أن يتم انتخاب بيغن لرئاسة الحكومة. فلم يتوقف

رابين وبيريز عن التحذير من البرنامج النووي منذ عام ١٩٧٤م حتى عام ١٩٧٧م، واستخدموا دبلوماسية علنية وسرية لإقناع فرنسا والبرازيل وإيطاليا ودول أخرى بوقف مساعدة صدام حسين في تجسيد حلمه بامتلاك سلاح تدمير شامل. وطلبوا أيضا مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك. وقد تابع بيغن ووزراؤه على خطى أسلافهم، وذكروا العالم بأن صدام حسين يهدد بتدمير إسرائيل. ومن جهة أخرى، كان لدى اسرائيل رغبة في الحفاظ على احتكارها النووي وتفوقها بذلك على سائر دول الشرق الأوسط.

وعندما اتضح في أواخر عام ١٩٧٧م، أن المساعي الدبلوماسية لن تجدي نفعا، أمر بيغن بتنشيط الموساد وهيئة الاستخبارات ولجنة الطاقة الذرية لزيادة جمع المعلومات والإعداد لعمليات إحباط سرية. فقام حوفي بتعيين نائبه أدموني رئيسا تنفيذيا للمهمة. حيث قام أدموني بتشكيل طاقم من أفراد الموساد، من الوحدة التي تم تشكيلها للتو وأطلق عليها اسم «نباك» (سلاح غير تقليدي) ومن عناصر لجنة الطاقة الذرية. وقد عمل إلى جانبهم أفراد الوحدة ٨٢٠٠ وأفراد الدائرة الفنية في قسم البحوث. وقد أطلق على هذا الطاقم اسم «العصر الجديد».

حصل الموساد في مرحلة معينة على خرائط دقيقة إلى حد ما لمعظم الشركات التي شاركت في بناء المفاعل بالقرب

من بغداد. وقد كتب المقدم الدكتور رفائيل أوفيك، وهو عالم فيزياء من جامعة بن غوريون تم تجنيده في هيئة الاستخبارات «أمان»، ما يلي: «تم تلخيص هذه البيانات في كتيب من عشرات الصفحات، قامت الدائرة الفنية بتوزيعه على جميع وكالات الجمع الاستخباراتي» (موقع Israel Defense، ٢٠١٥/٥/٢١م). أتاح المسح التخطيطي إمكانية إعداد تمثيل بياني لموقع المفاعل والمباني والمستودعات والمخابر التي بداخله.

نجحت الوحدة ٨٢٠٠ في اعتراض محادثات هاتفية وبرقيات فاكس لشركات فرنسية وأخرى مشاركة في بناء المفاعل – كميات هائلة من المعلومات الملتقطة والمشفرة استدعت من هيئة الاستخبارات أن تطلب تجنيد مترجمين لغة فرنسية لمهام التنصت.

مكنت المعلومات التي تم جمعها ضباط الجمع الاستخباراتي في جهاز الموساد من خلق اتصال وتجنيد عملاء من بين الألفي عامل أجنبي الذين كانوا مشاركين في المشروع النووي. فعل بعض منهم ذلك مقابل المال، والبعض الآخر تطوع رغبة منه بمساعدة إسرائيل. وقدموا بذلك فائدة كبيرة لجهود جمع المعلومات الاستخباراتية. إضافة لذلك نجح الموساد في تجنيد عدد من المهندسين والفيزيائيين العراقيين الذين اعتادوا السفر لفرنسا للدراسة أو لشراء معدات.

عندما أصبح المشروع النووي مثل الكتاب المفتوح أمام أعين وآذان هيئة الاستخبارات، ومع تقدم بناء المفاعل، تقرر الانتقال إلى المرحلة الثانية. مرحلة الإحباط «الطرية».

بدأ عناصر وحدتي «قيسارية» و «كيشت» بالعمل، بتوجيهات من قادة «العصر الجديد». وتلقى تقنيو ومهندسو وعلماء ومدراء الشركات الفرنسية توصيات عبر الهواتف والرسائل «ينصحهم» فيها مجهولون بعدم التواصل مع نظام صدام حسين بشكل عام ومع بناء المفاعل بشكل خاص. وعندما لم تلقى تلك النصائح آذانا صاغية، بدأ عناصر الموساد بأساليب الترهيب التي أفادت إلى حد ما؛ حيث كان هناك من استقال. لكن معظم المتلقين تجاهلوا التهديدات، وشارف البرنامج النووي على الاكتمال قبل نهاية عام ١٩٧٩م. وبناء على ذلك، أمر بيغن بتغيير الاتجاه والبدء بالتحضير لعملية تفجير المعدات التي ستقوم فرنسا بتسليمها لإكمال المفاعل.

إحدى أكثر العمليات جرأة، وفقا للمنشورات الأجنبية، كانت تلك التي حدثت في ليلة ٦ أبريل/نيسان عام ١٩٧٩م في بلدة «لا سين سور مير» على شاطئ البحر المتوسط، غرب مدينة تولون. والهدف كان مستودعات شركة "CNIM»، التي كانت مختصة، فيمن بين أمور أخرى، في صناعة قطع السفن والمفاعلات النووية.

سبقت العملية أسابيع قام خلالها عناصر «قيسارية» و

«كيدون» بالمراقبة وجمع المعطيات حول روتين العمل اليومي في المستودعات، من دخول وخروج وتأمين وما إلى ذلك. كما تدرب عناصر «كيدون» الذين تم اختيارهم للعملية على نموذج مماثل في إسرائيل. وتقرر التنفيذ نهاية الأسبوع، خلال العطلة، حيث يكون الموقع خال من العمال وللتقليل من الأضرار البشرية قدر الإمكان. وبحسب نفس المنشورات الأجنبية، فقد وصل في تلك الليلة إلى منطقة المستودعات حوالي ١٥ مقاتلا ومقاتلة من «كيدون» مع قادتهم. حيث توقفت الآليات قرب المكان، وكان في إحداها قائد العملية وقائد «قيسارية» أيضا، مايك هراري.

وتقدمت اثنتين من المحاربات لتشتيت انتباه الحرس عند المدخل، في حين قام رفاقهما بقطع أسلاك السياج وزحفوا إلى الداخل. اقتربوا من حاويتين كبيرتين، وألصقوا عليهما عبوات متفجرة مع مؤقتات زمنية، ثم انسحبوا خارجا. وبعد مرور أقل من ساعة، حدثت سلسلة انفجارات.

كانت الحاويتان عبارة عن قلب مفاعل نووي، من المفترض أن يتم تحميلهما على السفينة بعد عدة أيام. وقد تضررتا بشكل كبير، لكن وبعكس ما هو مخطط له أساسا، لم يدمرا بشكل كامل. وبحسب المنشورات، وصل حوفي قبل ذلك بعدة أيام، إلى فرنسا، بهوية مزورة، لمتابعة العملية عن كثب. وبعد عدة ساعات من الانفجار، اتصل مجهول بصحفيين فرنسيين

ونقـل لهـم أن «المنظمـة الفرنسـية للبيئـة»، المعارضـة لتطويـر المفاعـلات النوويـة، تبنـت العمليـة. لكـن المخابـرات الفرنسـية شـكت بـأن المخـبر هـو ممثـل الحـرب النفسـية والتضليـل في الموسـاد.

أعاقـت عمليـة التفجـير إرسـال قلـب المفاعـلات عـدة أشـهر، لكنهـا لم تلغيهـا. وفهمـوا في الموسـاد أن الوقـت يمـر ويهـرول في غير صالحهـم. وبحسـب منشـورات أجنبيـة، تقـرر، وبمصادقـة بيغـن، العـودة بشـكل مشـابه تقريبـا إلى الخطـة التـي اسـتخدمت في بدايـة السـتينيات ضـد مـصر - بتصفيـة العلـماء الكبـار في العـراق.

اغتيال يحي المشد

كان الدكتـور يحيـى المشـد[1]، وهـو عـالم فيزيـاء مـصري مـن أبرزمـن تـم تجنيدهـم للعمـل في المـشروع النـووي العراقـي. ووفقا لكتـاب تلميـذ الموسـاد فيكتـور أوسـتروفسـكي[2] («By way of Deception", St. Martin's Press, 1990)، فإنــه في يونيو/حزيـران عــام ١٩٨٠م، وصـل ضابـط الاسـتخبارات يهـودا جيـل إلى غرفـة المشـد في الفنـدق في باريـس وحـاول تجنيـده بشـكل مبـاشر وصريـح، مـن خـلال عـروض ماليـة سـخية. وبعـد أن قـام المشـد بطـرد

(١) يحيـى المشـد (١٩٣٢ - ١٩٨٠م): هـو عـالم ذرَّة مـصري وأسـتاذ جامعـي، درّسَ في العـراق في الجامعـة التكنولوجيـة قسـم الهندسـة الكهربائيـة، وقـاد برنامـج العـراق النـووي. قُتـل المشـد في حجرتـه بفنـدق في باريـس في يونيو/حزيـران عـام ١٩٨٠م، في عمليـة منسـوبة للموسـاد.

(٢) فيكتـور أوسـتروفسـكي Victor Ostrovsky (ولـد عـام ١٩٤٩م): هـو كاتـب كنـدي، كان أحـد ضبـاط الموسـاد.

جيل تقرر العمل على تصفيته بسرعة. وفي ١٣ يونيو/حزيران، وجدت جثة المشد وعليها علامات خنق وحبل في رأسه.

عرف الموساد أنه يقيم في فندق «المريديان»، الغرفة ٩٠٤. وقد ادعت أرملته، زاموفا، بأن أحد زملائه في الشركة الفرنسية هو من نقل التفاصيل للموساد. ومن المحتمل أن تكون المعلومات قد وصلت عبر الوحدة ٨٢٠٠. وفي كلتا الحالتين، فقد تم إرسال عناصر «كيشت» وخلية عمليات «كيدون» لمراقبته ومعرفة إن كان هناك جدوى عملياتية من تصفيته. وكان الرد إيجابيا. دخلت خلية «كيدون» إلى غرفة المشد بعد وقت قصير من مغادرة المومس التي استأجرها. ولم يمت المشد إلا بعد صراع مع القتلة أدى لإصابة بالغة بأحد عملاء الموساد الكبار الذي استغرق علاجه وقتا طويلا، وانتقل بعدها لعمل اداري كسكرتير في بعثة الموساد في إحدى الدول الأوربية، وعمل هناك حتى مرحلة التقاعد.

بعد أسبوعين من الحادثة، وفي باريس أيضا كان استهداف العالم العراقي **عبد الرحمن رسول**، الذي وصل إلى المدينة للقاء عمل. أما سبب الوفاة فكان: التسمم بالطعام. وقد أشاروا في فرنسا والعراق هذه المرة أيضا إلى إسرائيل، لكن الدليل على أن كلا الاغتيالين الذين نفذا على يد الموساد لم يثبت أبدا.

كان الهدف من الاغتيالات، كما في العمليات ضد العلماء

الألمان، هو ترهيب زملاء **المشد ورسول** ودفعهم إلى ترك عملهم وبذلك يتم إعاقة تقدم المشروع النووي. لكن صدام، ردا على الاغتيالات، قام برفع الأجور وزيادة الحوافز المرافقة من أجل الحفاظ على علمائه وتشجيع آخرين على الانضمام إلى الأعمال في المفاعل.

توصل طاقم «عصر جديد» إلى استنتاجات مفادها بأن العمليات السرية لم تحقق أهدافها. حيث اعترف أدموني، قائلا: «تحرز العراق تقدما في برنامجها النووي، وبات من الضروري وضع الجيش الإسرائيلي في صورة إحباط المشروع. لقد بحثوا في كل أشكال إمكانية إحباط عسكري».

تم مناقشة عدة سيناريوهات، بما في ذلك عملية تفجير للمفاعل ينفذها عناصر من «قيسارية» و «كيدون» أو جنود من وحدات العمليات الخاصة. حيث قام جنود «سييرت متكال» في السابق بالتسلل إلى الأراضي السوريا والمصرية، بل ووصلوا أيضا إلى العراق، لكن هذه كانت عمليات بعدد قليل من المقاتلين. فإسرائيل لا تستطيع القيام بعمل هجومي يشارك فيها مئات الجنود والمروحيات والآليات وأطنان من العتاد والمواد المتفجرة ضد هدف محمي جيدا ومحصن على بعد آلاف الكيلومترات وبالقرب من عاصمة معادية خاصة لاتربطها معها حدود.

وبعد فحص معمق، توصل القائمون على المشروع إلى

استنتاج يقضي بأن خطر فشل عملية أرضية أكبر من فرص نجاحها. بقي خيار واحد فقط: هجوم من الجو. ومن ساعتها، كانت وظيفة الاستخبارات الأساسية، وبالأخص الموساد، هي تأمين معلومات حديثة عن نظام الدفاع الجوي للجيش العراقي في موقع المفاعل وحوله.

وقع الجزء الأكبر من العبء على هيئة الاستخبارات «أمان» والمخابرات الجوية «لمدان»، حيث طلب منهما إعداد تفاصيل العملية: مسار الرحلة، عدد الطائرات التي ستشارك في المهمة، كمية الذخيرة اللازمة لإحداث تدمير كامل، الطريقة الأسلم للتهرب من رادارات الدول المعادية والصديقة أيضا، وتلك الوسائط الدفاعية الجوية العراقية التي من الممكن أن يواجهها الطيارون.

كان مفتاح التحضيرات هو «بحث الأداء»، وهي نظرية تم تطويرها في بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية مصدرها هو الرياضيات التطبيقية، وقد تم في بحث الأداء الاستعانة بنماذج رياضية لحساب الاستخدام الأمثل والأكثر كفاءة للموارد المحدودة. وتكونت طواقم التحضير من رياضيين ومهندسين، حيث وجدوا أن الطريقة الأنسب لتدمير المفاعل هي بإلقاء قنابل ثقيلة قديمة «غبية»، وليست ذكية وموجهة.

كان هناك جانب آخر حاسم، هو موعد تنفيذ العملية. حيث أن تحديد اليوم والساعة لا يتطلب حساب أوقات

الحراسة الروتينية في المفاعل فحسب، بل هناك عوامل أخرى، مثل حالة الطقس والغيوم وزاوية أشعة الشمس. وكما في عملية تفجير قلب المفاعل التي حدثت في الميناء الفرنسي، فضلوا هنا أيضا أثناء التخطيط أن تكون العملية في عطلة نهاية الأسبوع، وتقليل الأضرار البشرية.

اتضح خلال النقاشات أنه يوجد عدد ليس بالقليل يعارض الهجوم بحد ذاته. لم يكن اختلاف الآراء بين هيئة الاستخبارات «أمان» والموساد فقط، وهو ما حصل كثيرا في السابق، لكنه تجاوز المؤسسات الأمنية. ووفق أقوال أدموني: «على الرغم من أن حوفي عارض التحرك العسكري، إلا أنه كان لائقًا بما يكفي ليحضرني، بصفتي نائبه، إلى رئيس الوزراء للتعبير عن رأيي.

وخلال اللقاء الثلاثي مع بيغن، لم أعبر عن رأيي الشخصي في دعم الهجوم فحسب، بل عبرت أيضا عن رأي المجموعة التي كنت أترأسها، والتي وصلت إلى استنتاج مفاده أنه بالعمل العسكري فقط يمكن إحباط المشروع بعد أن فشلت الطرق الأخرى».

وقد ثار جدل مماثل في هيئة الاستخبارات «أمان». حيث كشف رئيس «أمان» ساغي، الذي عارض الضربة، أن نائبه رئيس قسم البحوث أفيعزر يعري[1] قد أيد الضربة بالفعل.

(١) أفيعزر يعري **אביעזר יערי** (ولد عام ١٩٣٠م): هو ضابط إسرائيلي، أنهى خدمته في

وشـهدت اسـتقلالية التفكـير والإصغـاء لاختـلاف الآراء تعدديـة جديـدة في أوسـاط الاسـتخبارات، وهـو أمـر مناقـض تمامـا لمـا حـدث قبـل حـرب يـوم الغفـران (حـرب تشرين/أكتوبـر). كان يعمـل في عمليـة التحضـير السريـة مئـات الأشـخاص، ومـع هـذا لم تتـسرب معلومـة واحـدة للجمهـور.

تـم تأجيـل الموعـد المحـدد للضربة ثلاث مـرات - مرتان بسـبب تنبـؤات الأحـوال الجويـة، والمـرة الثالثـة بعـد تـسرب معلومـة - حيـث وصـل الموعـد إلى آذان شـمعون بيريـز رئيـس المعارضـة. كان بيريـز مـن مهنـدسي التسـلح النـووي الإسرائيـلي، وقـد رأى في الأمـر نوعًـا مـن «لعبـة» خاصـة بـه، فالتقـى ببيغـن وحـذره مـن عمـل عسـكري، سـيترك إسرائيـل إن حـدث «معزولـة». صعـق بيغـن مـن تـسرب المعلومـات، وأمـر بتأجيـل آخـر.

لعقـود مـن الزمـن، لم يعـرف مـن كان وراء تسريـب المعلومات، لكـن وقـع الشـك عـلى كل مـن عـارض العمليـة مـن كبار مسـؤولي الجيـش الإسرائيـلي والموسـاد. وعندمـا كشـف مـسرب المعلومـات عـن هويتـه، تبـين أنـه كان عنـصرا ثانويـا في المنظومـة الأمنيـة: عـوزي إيفـين[1] وهـو بروفسـور في الكيميـاء عمـل في السـتينيات

الجيـش الإسرائيـلي برتبـة لـواء. خـدم في هيئـة الاسـتخبارات «أمـان» رئيسـا لفـرع سـوريا خـلال حـرب يـوم الغفـران (حـرب تشرين/أكتوبـر)، كـما شـغل منصـب رئيـس قسـم البحـوث ومديـر الكليـة العسـكرية.

(١) عـوزي إيفـين **עוזי אבן** (ولـد عـام ١٩٤٠م): هـو بروفيسـور في الكيميـاء في جامعـة تـل أبيـب، وعضـو كنيسـت سـابق عـن حـزب «ميرتـس».

في مفاعل ديمونا وكان عضوا في لجنة الطاقة الذرية. وخدم خلال السنوات التي سبقت الهجوم في قوة المهام الخاصة التي شكلها قسم التكنولوجيا في هيئة الاستخبارات «أمان» من أجل تقييم البرنامج النووي العراقي. وأعرب عن اعتقاده أن أمام العراق عدة سنوات للوصول إلى القنبلة الذرية، وأنه لا حاجة للضربة، ولكي يمنعها انتهك قسم السرية.

ونظرا لحقيقة أن اعتراف إيفين جاء بعد عقود من الهجوم على المفاعل النووي، في عام ٢٠٠٢م، عندما كان عضوا في الكنيست عن حزب «ميرتس»، تقرر عدم اتخاذ إجراءات قانونية ضده.

بعد التأجيل الثالث، ازداد الشعور بالإلحاح. فقد كان لا بد من تنفيذ الهجوم قبل أن يصبح المفاعل «ساخنا»، بعد إدخال مواد مشعة إليه. وبحسب ما كتبه شلومو نكديمون[(١)] («تموز في اللهب: تفجير المفاعل العراقي – قصة العملية»، يديعوت أحرونوت، ١٩٩٣م)، فإن بيغن كان يخشى من الهجوم بعد تركيب قضبان اليورانيوم، مما قد يؤذي الأبرياء.

تم تحديد الموعد الجديد في ٧ يونيو/حزيران عام ١٩٨١م، قبل عدة أسابيع من الانتخابات، ومن لقاء بيغن – السادات. وفي وقت لاحق، قام بيريز باتهام بيغن بأنه قد قصد تحديد

(١) شلومو نكديمون **שלמה נקדימון** (ولد عام ١٩٣٦م): هو صحفي إسرائيلي وناقد سياسي، وباحث في تاريخ الاستيطان والدولة.

الموعد قبل الانتخابات، كي يجمع من الهجوم ثروة سياسية للجمهور، لكن كان هذا اتهاما كاذبا؛ فقد تم تحديد يوم الهجوم من قبل سلاح الجو بناء على تقديرات عملياتية فقط. في النهاية، لم يؤثر الهجوم أيضًا على اجتماع القمة مع السادات، الذي كان عازما على مواصلة طريق السلام، لإخراج مصر من دائرة الحرب، وليعيد سيناء إليه.

في فجر يوم الأحد، عشية عيد الأسابيع، أقلعت من مطار عتسيون في سيناء ثماني طائرات «F-16» ترافقها ست طائرات «F-15». لقد انطلقت عملية «أوبرا».

حلقت الطائرات فوق خليج إيلات - العقبة والأراضي الأردنية. وقد نشر في وقت لاحق أن الملك حسين كان على يخته في ذلك الوقت ورأى الطائرات. وكطيار ماهر، كان يمكنه أن يستنتج من شكل الرحلة أنها كانت مهمة عملياتية، لكنه لم يبلغ عنها أي شخص. ومن الأردن، اخترقت الطائرات المجال الجوي للمملكة العربية السعودية، لكن دفاعاتها الجوية لم تكتشفها. وعبر الصحراء السعودية تسللت الطائرات إلى العراق. كان الطيارون يحملون عملات نقدية عراقية زودهم بها الموساد، ليستخدموها في حال إصابة طائراتهم أو اضطرارهم للقفز بالمظلات على الأرض من أجل «شراء» حريتهم. وقد قال يسرائيل (ريليك) شافير[1]، أحد الطيارين

(١) يسرائيل (ريليك) شافير **ישראל (רליק) שפיר** (ولد عام ١٩٥٣م): هو طيار حربي

الثمانية الذين شاركوا في الهجوم الذي استمر لمدة دقيقتين، أن قبة المفاعل، التي كان ارتفاعها ٢١ مترا، انتصبت من بعيد ولمعت تحت الشمس. وتابع: «كان هذا هدفا سهلا، لقد كان انفعالنا نابعا من أننا نقوم بشيء ما تاريخي، وليس بسبب خطورة العملية ذاتها».

في النقاشات التي سبقت الهجوم، تم الاتفاق بأن لا تتبنى إسرائيل مسؤولية العملية، حيث رجحت أن تقوم العراق باتهام إيران التي كانت في حالة حرب معها. وبالفعل، على مدى يومين، اعتقد العراقيون أن الهجوم نفذته طائرات إيرانية. لكن بيغن قرر فجأة تغيير الاستراتيجية، وأمر الناطق باسمه بإصدار بيان رسمي تتبنى فيه إسرائيل مسؤولية الهجوم على المفاعل. حيث أراد بيغن أن يوجه رسالة ثلاثية: أولا، إسرائيل لا تتصرف كاللص في الليل. وثانيا، ستدافع إسرائيل عن وجودها لأنه «لن يتكرر أبدا». وثالثا، لن تتسامح إسرائيل مع أي محاولة من جانب أي دولة أخرى في الشرق الأوسط لامتلاك سلاح نووي. وقد سميت هذه الاستراتيجية منذ ذلك الوقت «عقيدة بيغن».

لكن على الرغم من تدمير المفاعل، إلا أن إسرائيل لم تقر عينها. حيث انتبهت الاستخبارات أن صدام حسين يجدد

إسرائيلي وطيار بطل وأحد الطيارين الثمانية الذين شاركوا في الهجوم على المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١م (عملية أوبرا).

برنامجه، لكنه وكدروس مستفادة من الهجوم على تموز، أقام منشآت في مواقع مختلفة. وأيضا، بدلا من البرنامج المؤسس على إنتاج البلوتونيوم كمادة انشطارية في مفاعل واحد، اختار طريقة تقوم على تخصيب اليورانيوم بواسطة أجهزة طرد مركزية. إن إخفاء منشأة لتخصيب اليورانيوم تبدو كمنشأة صناعية، أسهل بكثير من إخفاء المفاعل.

كما استمرت العراق بمحاولات تجنيد علماء أجانب. أحدهم كان الدكتور جيرالد بول[1]، الذي حاول تطوير مدفع ثقيل بإمكانه إطلاق رؤوس نووية على مسافة مئات الكيلومترات. جال بول بالفكرة، وعرضها على الولايات المتحدة الأمريكية والنمسا وجنوب أفريقيا، وحتى إسرائيل، لكن الذي تبناه في النهاية كان صدام حسين؛ فمدفع ثقيل كهذا من الممكن استخدامه بالانتقام وتدمير مفاعل ديمونا، وقد صادق رئيس الحكومة إسحاق شامير، الذي خلف بيغن، على العمل ضد بول. وكما حصل سابقا، «نصحوا» بول بوقف أعماله في العراق. ثم وصلته بعد ذلك تهديدات عبر الرسائل والهاتف - لكن بول تمسك بحلم حياته. وفي ٢ مارس/آذار عام ١٩٩٠م، نصبت له خلية من وحدة «كيدون» كمينا في البناء الذي يسكن فيه مع صديقته في بروكسل. وعند عودته إلى المنزل، أُطلق عليه النار من مدى قريب ومات.

(١) جيرالد بول Gerald Bull (١٩٢٨ - ١٩٩٠م): مهندس وعالم كندي الاصل ساهم في تطوير سلاح المدفعية شارك في تطوير مدفع أمريكي عملاق وصواريخ سكود للعراق، اغتيل في بلجيكا.

بعد شهر من ذلك، هدد صدام حسين، قائلا: «سنجعل النار تستعر في منتصف إسرائيل إذا حاولت ضرب العراق». في أقسام البحوث في هيئة الاستخبارات والموساد ووزارة الخارجية حاولوا فهم ماذا يقصد. وقال رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» أمنون ليبكين شاحاك[1] أن صدام يلمح لسلاح كيميائي بيولوجي؛ مزيج من مادتين يستخدمهما جيش صدام، هما السارين وغاز الخردل، ما يوسع دائرة القتل لهما.

وفي الأسابيع التالية، أرسل صدام رسائل تهدئة إلى إسرائيل بواسطة مصر، لكن في إسرائيل رفضوا ذلك. حيث كشفت هيئة الاستخبارات «أمان» أن العراق تبني منذ حوالي السنة منصات وخنادق غرب الدولة، يمكن إطلاق صواريخ منها على إسرائيل.

في ٢ أغسطس/آب عام ١٩٩٠م، فوجئت الاستخبارات الإسرائيلية، وكذلك المخابرات الأمريكية، بقيام جيش صدام حسين باحتلال الكويت. فشكلت الولايات المتحدة الأمريكية تحالفا دوليا وعربيا هاجم العراق، وقد استغل صدام الحرب للانتقام من إسرائيل، وأمل بذلك أن يفكك التحالف ضده. حيث أطلق ٣٩ صاروخ «سكود» باتجاه حيفا وغوش دان،

(١) أمنون ليبكين شاحاك **אמנון ליפקין-שחק** (١٩٤٤ - ٢٠١٢م): كان ضابطا في الجيش الإسرائيلي وسياسيا، شغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، وعضوا في الكنيست ومنصب وزير النقل والسياحة.

وبعضها وجه إلى ديمونا. سارع وزير الدفاع موشيه آرنز[1] إلى الرد على إطلاق الصواريخ خوفا من أن يضر عدم الرد بقوة الردع لدى إسرائيل. وأمر بإعداد خطة عملياتية لإنزال لواءين اثنين وقوات خاصة غرب العراق، لكن شامير ورئيس هيئة الأركان دان شومرون عارضا ذلك. ولأول مرة منذ حرب الاستقلال، يتم استهداف الجبهة الداخلية وتقييد الحكومة.

لكن وجد في إسرائيل، وخاصة في المستوى العسكري، من كان يصعب عليه التسليم بقلة الحيلة. كان على رأسهم إيهود باراك، نائب رئيس هيئة الأركان، الذي حل في نهاية الحرب خلفا لشومرون وأصبح رئيس هيئة الأركان. طلب باراك وداعميه أن يبعثوا برسالة إلى صدام حسين بأن الذي سيضر بإسرائيل لن يعيش.

---

(١) موشيه آرنز **משה ארנס** (١٩٢٥ - ٢٠١٩م): هو سياسي إسرائيلي، كان عضوًا في حزب الليكود ودخل الكنيست نائبًا عن ذلك الحزب عدة مرات، وخدم كوزير للدفاع ثلاث مرات، وفي مناصب عليا أخرى في إسرائيل.

محاولة اغتيال صدام حسين

نجح باراك في إقناع شامير أن يصادق له ببحث إمكانية التحضير لاغتيال صدام حسين. وهكذا بدأ الاستعداد لعملية «نبتة العوسج «. بدأت الخطوط العريضة بإعداد «عمليات خاصة»، وعلى ضوئها كانت فصيلة العمليات وحدة في قيادة هيئة الاستخبارات «أمان»، تم إنشاؤها في الستينيات للمساعدة في التخطيط للعمليات الاستخباراتية أو الاغتيالات، التي نفذت غالبيتها وحدتي «سييرت متكال» أو «كيدون». لكن مع مرور السنين، زاد نفوذ وقوة فصيلة العمليات وتوسعت صلاحياتها. هذا ويخدم في الوحدة عناصر استخبارات وضباط عمليات ولجان مشتريات، مهمتها شراء المعدات المطلوبة للعمليات وللجنود المهاجرين حديثا الذين يتحدثون لغات أجنبية. وبما يشابه ما هو موجود في وحدات عمليات الموساد والشاباك، تم في فصيلة العمليات وفقا للضرورة تجنيد دروز وعرب إسرائيليين أيضا.

كانت المصادقة المبدئية للبدء بالتخطيط لاغتيال رئيس دولة استثنائية بحد ذاتها وغير مسبوقة تقريبا. مرة واحدة فقط، أثناء التحضير لعملية سيناء عام ١٩٥٦م، وافقت فيها

إسرائيل على المبادرة الفرنسية لتسميم حاكم مصر جمال عبد الناصر، الخطة التي لم تنفذ.

ألقيت مهمة تصفية صدام حسين على وحدة «سييرت متكال»، حيث استمرت الإعدادات وجمع المعلومات الاستخباراتية والتدريبات لأكثر من عام. وأثناء تلك التحضيرات، في عام ١٩٩٢م، خسر الليكود الانتخابات وجلس إسحاق رابين على كرسي رئيس الحكومة. وقد صادق هو أيضا على العملية. وفي أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٩٢م، اقتبس العميد عزريئيل نافو[١]، السكرتير العسكري لبيغن، في إحدى الوثائق التي ألفها من أقوال بيغن أن صدام حسين هو: «هدف هام يمس الأمن الداخلي الإسرائيلي، أنا لا أرى شبيها له في العالم العربي» (عمري أسينهايم[٢]، «تسئليم: صدمة سييرت متكال»، كنيرت، زامورا - بيتان، ٢٠١٢م؛ وأيضا البرنامج التلفزيوني الاستقصائي «عوفدا - حقيقة»، ٢٠١٢/١١/١٢م).

لكن في المستوى العسكري، حصلت انقسامات. فقد أوضح كل من أوري ساغي[٣] رئيس هيئة الاستخبارات «أمان»، وأمنون ليبكين شاحاك نائب رئيس هيئة الأركان، والعقيد دورون

(١) عزريئيل نافو **עזריאל נבו** (ولد عام ١٩٤٨م): هو عميد احتياط في الجيش الإسرائيلي، شغل منصب السكرتير العسكري لأربعة رؤساء حكومة: مناحيم بيغن وإسحاق شامير وشمعون بيريز وإسحاق رابين.

(٢) عمري أسينهايم **עמרי אסנהיים** (ولد عام ١٩٧٥م): صحفي إسرائيلي.

(٣) أوري ساغي **אורי שגיא** (ولد عام ١٩٤٣م): هو لواء احتياط في الجيش الإسرائيلي، شغل في منصبه الأخير رئيس هيئة الاستخبارات «أمان» بين عامي ١٩٩١ - ١٩٩٥م.

أفيتال[1] قائد «سييرت متكال»، أن العملية خطرة للغاية وفرص النجاح فيها ليست كبيرة. لكن باراك أصر على العملية. ومن أجل تخطي العوائق، تم وضع اللواء عميرام ليفين في الصورة، وهو الذي كان فيما مضى قائدا لوحدة «سييرت متكال»، بمهمة مدير مشروع العملية. وطلب أيضا من الوحدة ٨٢٠٠ والموساد جمع المعلومات الاستخباراتية للعملية.

وبرزت في كل مراحل تحضير مشكلتين رئيسيتين؛ صعوبة تقديم معلومات موثوقة ودقيقة عن تحركات صدام حسين، وكيف ستترجم المعلومة لخطة عملياتية. كان لدى حاكم العراق جنون عظمة. فقد كان لديه متذوقي طعام، خشية تسميمه، وأشخاص يشبهوه، يرسلهم للظهور أمام الجمهور خوفا من الاغتيال.

ظهرت أكثر من مرة خلال صياغة العملية أفكار إبداعية، لكنها ليست عملية: ربما فيها عملية تسميم، أو إرسال جهاز إلكتروني حديث مثير للاهتمام ومفخخ. بديل آخر، وهو بأن يتم تصفية أحد أقارب صدام حسين، على أمل أن يحضر صدام حسين جنازته. حيث يهبط عناصر «سييرت متكال» بالمروحيات غربي العراق، ومن هناك يسافرون بسيارات دفع رباعي (جيب) مموهة كأنها تتبع للجيش العراقي إلى مقربة

---

(١) دورون أفيتال **דורון אביטל** (ولد عام ١٩٥٩م): ضابط سابق في الجيش الإسرائيلي شغل منصب قائد «سييرت متكال»، كما كان عضوا في الكنيست عن لائحة «كاديما».

من المقبرة في تكريت، وينصبوا هناك كمينا يطلقون منه صاروخين موجهين من طراز «تموز»، الذي كان يعتبر حينذاك سريا والأكثر تطورا.

في النهاية، تم اختيار عملية مشابهة. فقد أتى عميل الموساد ب «الخبر الذهبي»، بأن صدام سيحضر لافتتاح جسر على نهر دجلة. حيث تم التخطيط على أن يقوم عناصر «سييرت متكال» بالهبوط بالمروحيات والتمركز في غرف أحد الفنادق القريبة من الجسر ويطلقوا الصاروخين. لقد كان الجميع تقريبا ينتظرون الموافقة النهائية للمستويين العسكري والسياسي. والمطلوب ملخص تدريبي واحد فقط، ومراجعة عامة.

في صباح يوم ٥ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٢م، أجري التدريب النهائي لعناصر «سييرت متكال» في معسكر تدريب قاعدة تسئليم في النقب أمام كبار قادة الجيش، ومن بينهم باراك وساغي وليفين وليبكين شاحاك. تلقى المقاتلون الذين كان من المفترض أن يشاركوا بالعملية أمر «عمل» وأطلقوا صاروخي «تموز» باتجاه مقاتلين آخرين من الوحدة، كانوا يمثلون دور صدام حسين ومرافقيه بشكل مطابق للواقع. فأصاب أحد الصواريخ بالخطأ خمسة مقاتلين وأدى إلى مقتلهم، وأصيب ستة مقاتلين آخرين بإصابات بالغة.

في أعقاب هذه الكارثة، ألغيت عملية «نبتة العوسج»، وجيد أن كان ذلك. فقد كانت الفكرة منذ البداية متهورة

ومغامـرة، وكلفـت المبالغـة بالإبـداع ثمنـا غاليـا.

وفي الختـام مـع عِظـم مـا ورد ذكـره مـن الأسرار وتـم السـماح بنـشره في الكتـب ووسـائل الإعـلام مـن تقاريـر وأخبـار، يظـل حتـى كتابـة هـذه السـطور، مـا خفـي أعظـم عنـد الجمهـور.

وللقصة بقية.. مادام في العمر بقية.

جدول المحتويات

إهداء ٧
افتتاحية ٩
استخبارات بلا دولة ٣١
تجارب مبتدئين ٢١
عملاء بغطاء دبلوماسي ٣١
السقوط في بغداد ٤٣
إعادة تشكيل ٥٣
الفساد في الموساد ٦١
جهاز الشاباك ٦٩
تجسس سياسي ٧١
وحدة المستعربين ٨٥
الجثة والنازي ٩٥
شيوعيون من حولك ١٠٧
توحيد القوات ١٢٧
شيء ما وصل من وارسو ١٤٣
استخبارات نووية: «لاكام» (مكتب العلاقات العلمية) ١٥٧
مع المتجهين شرقا ١٨٧
عملية سوزانا «قضية العار» ١٩٥

الطرود المفخخة.. عملية «ديتا».. ٢٠٧
عملية سيناء.. «الديك» ٢١١
العلماء الألمان في مصر.. عملية «ديموقليس»............................ ٢٢٣
إسرائيل والمملكة المغربية ٢٥٣
الموساد في كردستان.. ٢٥٩
ملاحقة مجرمي الحرب النازيين ٢٦٣
عملاء في بلاد عربية ٢٩٩
الأسطورة.. إيلي كوهين.. ٣٠٥
لوتز.. جاسوس الشمبانيا ٣١٥
تجنيد جواسيس في سيناء ٣٢٧
عملية ألماس.. الطائر الأزرق.. ٣٣١
جاك بيتون.. «رفعت الجمال» ٣٣٩
الذراع اليهودية الطويلة ٣٥٥
إدارة عمليات الهجرة للكيان الجديد.................................... ٣٦٧
ياسر عرفات ٣٨٥
تحدي المقاومة الفلسطينية ٣٩١
عصر الاغتيالات ٤١٣
حرب الجواسيس.. ٤٢٣
حسن سلامة.. ٤٤٣
غرور القوة ٤٥١
«مسريجا».. إبرة في رأس الدُب ٤٥٥
التجسس على مصر وسوريا ٤٦٥
أشرف مروان.. «الملاك» ٤٧٣

من الجاسوسية للانتحار ٤٩١
إعادة الهيكلة ٤٩٧
السادات.. الرئيس اللغز ٥٠١
اختطاف طائرة العال.. عملية «نيروبي» ٥٠٥
إير فرانس.. الرحلة ١٣٩ .... ٥٠٩
ضرب المفاعل العراقي ٥١٥
محاولة اغتيال صدام حسين ٥٣٣